



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإسلامية / بغداد

كلية اللغة العربية وعلوم القرآن

مرويات ابن مردويه في التفسير

جمع ودراسة

رسالة تقدم بها

الطالب

محمود عبد الرزاق جاسم العبيدي

إلى مجلس كلية اللغة العربية وعلوم القرآن لنيل درجة

(دكتوراه فلسفة علوم القرآن) تخصص (تفسير)

بإشراف

أ. د. قوام الدين عبد الستار الهيتي

٢٠٠٥ م

١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

سورة ص : آية ٢٩

الإهداء

إلى حملة رسالة الإسلام الأولين ، المخلصين الصادقين .

إلى الذين رفعوا راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلى المجاهدين

الصادقين ، إلى الرافضين للجبور والظلم والطغيان والعدوان ، إلى من جعل

نفسه فداءً لدينه وعزة إسلامه .

إليهم مني هذا الجهد المتواضع ، عرفاناً ، وبعض وفاء .

محمود

* شكر وعرfan

الحمد لله رب العالمين ، الذي جعل الحمد عبادة له ليجزي عليها الحامدين والشاكرين
ومن لا يشكر الناس ، لا يشكر الله ، والصلاة والسلام على النبي المختار ، وآله وصحبه الأخيار .
أما بعد :

فيسرني في نهاية مجثي ان أتقدم بالشكر والعرfan والامتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور :
قوام الدين عبد الستار الهيتي ، بارك الله له في عمره وهداه للمزيد من فعل الخيرات جزاء ما بذله من
جهود سخية ومتابعة متواصلة ، وتوجيهات علمية سديدة ، فجزاه الله عني
كل خير .

كما أتوجه بجزيل شكري وامتناني إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور : شاكر محمود عبد المنعم
الهيتي على ما قدمه لي من دعم معنوي وعلى رحابة صدره فجزاه الله خيراً .

كما أتقدم بالشكر والامتنان لأخي وحببي عبد الوهاب العبيدي على ما بذله من دعم في سبيل
إنجاز هذا البحث ، وأتقدم بالشكر والعرfan للشيخ الفاضل مهدي الغريبي والأخ حافظ عواد لما بذلاه
من جهد في تقديم العون ، وأتقدم بجزيل شكري للأخ عدي ياسين والأخ نظير صباح ، والأستاذ
الفاضل مروان عبد الكريم على ما بذلوه من جهد وتقديم يد العون والمساعدة ، فجزاهم الله خيراً ،
كما وأتقدم بالشكر والامتنان لكل من أسهم من قريب أو بعيد في تقديم العون والمساعدة على إكمال
البحث .

والحمد لله رب العالمين

فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٥	تمهيد
١١	التعريف بابن مردويه
١١	حياته الشخصية
١٣	حياته العلمية
١٦	التعريف بعصر ابن مردويه
٢٥	سورة الفاتحة
٣٧	سورة البقرة
١٥٣	سورة آل عمران
١٩٢	سورة النساء
٢٢٧	سورة المائدة
٢٥٤	سورة الأنعام
٢٧٠	سورة الأعراف
٢٨٣	سورة الأنفال
٢٩٦	سورة التوبة
٣١٥	سورة يونس
٣٢٢	سورة هود
٣٣١	سورة يوسف
٣٤١	سورة الرعد
٣٤٦	سورة إبراهيم
٣٥٣	سورة الحجر
٣٦٠	سورة النحل
٣٦٧	سورة الإسراء
٣٧٨	سورة الكهف
٣٨٢	سورة مريم
٣٨٣	سورة طه

٣٩٢	سورة الأنبياء
٣٩٤	سورة الحج
٣٩٦	سورة المؤمنون
٣٩٨	سورة النور
٤٠١	سورة الفرقان
٤٠١	سورة الشعراء
٤٠٣	سورة النمل
٤٠٤	سورة القصص
٤٠٥	سورة السجدة
٤٠٧	سورة الأحزاب
٤١٠	سورة سبأ
٤١٤	سورة ياسين
٤١٥	سورة الزمر
٤١٥	سورة الزخرف
٤١٧	سورة الدخان
٤١٨	سورة الطور
٤١٨	سورة القمر
٤١٩	سورة الرحمن
٤٢٠	سورة الواقعة
٤٢١	سورة الممتحنة
٤٢٢	سورة الصف
٤٢٢	سورة الجمعة
٤٢٣	سورة المنافقون
٤٢٣	سورة الطلاق
٤٢٣	سورة التحريم
٤٢٤	سورة الملك
٤٢٤	سورة الحاقة
٤٢٤	سورة المزمل
٤٢٥	سورة المرسلات

٤٢٥	سورة الإخلاص والمعوذتين
٤٢٨	الخاتمة
٤٣٠	فهرس الأعلام
٤٣٧	فهرس المصادر والمراجع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وبعد :

فإن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة إلى النار .

قال تعالى : { ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين } البقرة : ١ - ٢ ، وقال : { كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب } ص : ٢٩ ، وقال : { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم } إبراهيم : ٤ ، وقال تعالى : { ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا } الفرقان : ٣٣ .

القرآن العظيم كتاب الله الخالد أوحى الله به إلى أفضل خلقه وأكمل رسله وأنبيائه وخاتمهم ، فيه الإنذار والبلاغ للناس كافة ، فيه جاء البيان لما يجب أن يعتقدوه الناس جميعا ، أودع الله فيه الأحكام والعلوم والأخلاق والسياسة النافعة للحياة السعيدة التي ينشدها بنو البشر ، فكان أكمل الكتب السماوية المنزلة للناس ، فيه السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة ، فهو أجمع كتاب للخير وأبقاها على الدهر .

كان النبي عليه الصلاة والسلام أول من تناول القرآن الكريم بالتوضيح والبيان ، وجاء من بعده صحابته الأخيار فأكملوا الطريق الذي كان عليه الصلاة والسلام قد بدأه ، ثم جاء من بعدهم التابعون لهم بإحسان ، فكانوا لكتاب الله الخالد دارسين ولآياته شارحين مفسرين موضحين معرفين الناس بما جاء فيه من أحكام وعلوم وأخلاق ومواعظ وآيات بليغة للعقول بأوضح المعاني وأفضل السبيل ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

ومرت الأيام والسنون والمفسرون يفسرون القرآن جيلا بعد جيل منهمكين في خدمة القرآن والدين لربهم في كتابه مطيعين وعلى خطا نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام سائرين ، فكان من أولئك المفسرين المبرزين : (أبو بكر أحمد ابن موسى بن مردويه - رحمه الله) ، فكتب في التفسير على خطا من سبقه من أئمة هذا الشأن مقتفيا للأثر فيه ناقلا ما وصل إليه من الأسانيد ما استطاع إلى ذلك من سبيل ، فكتب كتابا في التفسير عظيما ، أسماه : (تفسير القرآن الكبير) .

وتفسيره من التفاسير التي تناولت القرآن الكريم بالمأثور ، ومن أجمعها لهذا العلم ؛ لكنه فقد ولم يصلنا منه إلا المرويات التي تناثرت هنا وهناك في المصادر وما ذكرته المراجع الشيء القليل ، فكان وجود تفسيره بالاسم والذكر من غير وجوده كتابا مفسرا للقرآن الكريم .

وبعد تتبع تفسير ابن مردويه في المصادر والمراجع ، ووجود الاسم مكررا دون الإشارة إلى التفسير وإلى وجود مخطوطة له ، تنبها إلى حقيقة وهي أن تفسير ابن مردويه رحمه الله فقد ولم يبق منه إلا المرويات المتناثرة هنا وهناك ، وقد أحببنا أن نقوم بجمعه ودراسته في أطروحة دكتوراه ، وبعد الرجوع إلى أساتذتنا الأفاضل ومناقشتهم في هذا الموضوع وقع الاختيار لهذا التفسير وإخراجه ودراسته والحمد لله رب العالمين ، فاخيار الموضوع كان بسبب أهميته وكثرة ذكره في المصادر والمراجع من جهة ، وللرغبة في إخراج هذا التفسير للوجود من جهة أخرى كانا أكبر الدوافع في اختيار هذا الموضوع والكتابة فيه .

ونحمد الله تعالى الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل وإخراجه بهذه الصورة التي نسأل الله تعالى أن تنال رضا الباحثين والدارسين وقبولهم واستحسانهم ، والحمد لله رب العالمين .

ذكرت المصادر والمراجع أن تفسير ابن مردويه تفسير ضخم يقع في سبع مجلدات (كما سيأتي بيان ذلك في ذكر مؤلفاته) ، فكانت تلك المادة العلمية بهذا القدر المذكور محفزة للبحث فيه وإخراجه ؛ لكن عند البحث تبين أن الكثير من هذه المادة العلمية فقد ولم نقف عليه وعلى إخراجه ؛ إلا ما كان من جمعنا لهذه القدر المتبقي من تفسيره ومن مروياته في التفسير مما كان قد أخرجها في تفسيره رحمه الله ، وأخرجناها من المصادر التي ذكرت تلك المرويات ، حيث ذكر السند كاملا في قسم منها وفي قسم منها ذكر جزءاً من السند وفي القسم الثالث منها جاءت من دون ذكر السند أصلا .

وكان أقدم تلك المصادر والمراجع التي تناولت ذكر تفسير ابن مردويه ومروياته فيه : الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (ت ٦٦٣ هـ) ، ثم كان كتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) هو التالي الذي تناول ابن مردويه وتفسيره بالذكر ؛ فقد نقل ابن كثير الكثير من مروياته في تفسيره ، لكنه لم يرشدنا إلى الطريق الذي به توصل إلى ذلك التفسير وتلك المرويات ؛ فهو يذكر ما جاء في تفسير الآيات عند ابن مردويه بإسناد ابن مردويه نفسه دون ذكر إسناده هو عن ابن مردويه ، وفي البعض لآخر من تلك المرويات لم يكن يذكر إسنادا لها أصلا ، وجعلها من دونه ، ولم يذكر المصدر أو السند الذي نقل منه ، فهو لم يرشدنا إلى كتاب التفسير لابن مردويه أو أسانيدته التي جاء بالتفسير عن طريقها .

ثم تناول هذا التفسير بالذكر ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في كتابيه : (العجائب في بيان الأسباب) ، و (الإصابة في تمييز الصحابة) ، فكان رحمه الله يذكر تلك المرويات من غير ذكر سند لها ومن دون ذكر المصدر الذي أخذ عنه أو حتى ذكر شيء عن التفسير نفسه ، وكانت المرويات التي نقلها متناثرة هنا وهناك في كتابيه السابقين من دون ترتيب كما كانت عند الضياء وابن كثير ، وكان من أبرز الذين نقلوا تفسير ابن مردويه السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، في كتبه : (الأتقان في علوم القرآن) ، و (لباب النقول في أسباب النزول) ، و (الدر

المنثور في تفسير القرآن بالمأثور) ، فقد نقل الكثير من مروياته ، وكانت أكثر المرويات التي في هذا البحث من كتاب : الدر المنثور للسيوطي ، وكان هذا النقل العظيم للسيوطي عن ابن مردويه كسابقه من دون الإشارة إلى السند وإلى المصدر الذي نقل عنه ولا الإشارة إلى تفسير ابن مردويه نفسه ، فهو لم يرشدنا كذلك إلى الكتاب وإلى السند الذي عن طريقه نقل تلك المرويات ، وربما قد يكون السيوطي قد وقف على نسخة من التفسير بحكم عمله في تلك المدة على المكتبات في مصر ، وهذا بعيد ، أو قد يكون وصل إليه مروياته عن طريق الأسانيد التي كان هو جماعا لها كما هو معروف عنه رحمه الله ، وهذا هو الأقرب ؛ لكنه لم يذكر هو الآخر شيئا من هذا القبيل وترك الموضوع من غير ذكر .

ثم جاء الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) في كتابه : (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير) ، ونقل الكثير من مرويات ابن مردويه في كتابه ؛ ولكنه كسابقه ابن كثير والسيوطي لم يذكر أسانيد تلك المرويات ولا الكتاب الذي نقل عنه ، ولم يحدد الجهة التي نقل عنها أصلا فترك المرويات من دون ذكر أسانيد في الكثير منها سوى ما كان يقوله : أخرجه ابن مردويه في تفسيره ، أو : ذكره ابن مردويه ، والذي أراه أن الشوكاني رحمه الله كان ينقل تلك المرويات من ابن كثير والسيوطي تارة وينقل عن السيوطي فقط تارة أخرى وهو الغالب ، فعند مراجعة تلك المرويات وجدت تطابقا كبيرا في المرويات ، فإذا ذكر ابن كثير السند كان السند نفسه ، وإذا لم يذكر السند كانت الرواية من دون ذكر السند ، وهكذا الحال مع المرويات التي كانت عند السيوطي ، فهو ناقل لتلك المرويات عنهما رحمهما الله ، والأكثر في النقل كان من السيوطي .

ونقل مرويات ابن مردويه في التفسير الكثير من العلماء منهم : ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) في كتابه : (التخويف من النار) ، وشمس الحق العظيم آبادي في كتابه : (عون المعبود) ، والزرقاني (ت ١٢٢٢ هـ) في كتابه : (الشرح) ، والألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) في كتابه : (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ، وغيرهم من العلماء وقد ذكرتهم جميعا ؛ لكن نقل جميع هؤلاء العلماء كان عن المصادر السابقة الذكر من دون ذكرهم للأسانيد أو الكتاب الذي نقلوا عنه .

وقمت بجمع تلك المرويات وإخراجها أولا من تلك المصادر والمراجع ، ثم رتبها على سور وآيات القرآن الكريم ، كما قمت بترقيم المرويات التي أخرجه ابن مردويه وجعلتها بين قوسين وذكرتها بعد الآية التي جاءت في تفسيرها حتى لا تختلط بغيرها من الأحاديث والمرويات التي جئت بها لتفسير آية من آيات القرآن أو بيان معنى لكلمة من حديث أو نص ، ثم قمت بتفسير بعض الآيات التي تحتاج إلى ذلك من كتب التفاسير المعتمدة كتفسير الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرها من كتب التفاسير ، ثم خرجت الأحاديث ما استطعت إلى ذلك من سبيل ، والأحاديث التي لم أقف على تخريجها ذكرتها وبينتها حتى تكون واضحة جلية ، واستعنت في ذلك بكتب الحديث النبوي الشريف كصحيح البخاري ومسلم وكتب السنن الأربعة والمسانيد والمعجم والمصنفات وغيرها من كتب الحديث النبوي ، وكان الكثير من مروياته صحيحا مخرجا عند البخاري ومسلم أو أحدهما ،

وبعضها الآخر كان مخرجاً عند أصحاب السنن الأربعة أو عند غيرهم أو أن يكون قد حكم على الحديث النقاد بالصحة أو الحسن أو بالضعف أحياناً وهذا أمر طبيعي ، ولكنها كانت قليلة العدد كما هو مبين في البحث .
هذا وكتبت في بداية البحث تمهيداً للموضوع ضمنته نشأة التفسير والتعريف بابن مردويه رحمه الله والتعريف بعصره ، ثم شرعت في ما وقفت عليه من مروياته في التفسير من أول سورة الفاتحة حتى آخر ما وقفت عليه مرتبة على السور سورة وآية آية ، وبعد الانتهاء من البحث ذكرت الخاتمة التي ضمنيتها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وأهم ما وقفت عليه فيه فكانت نتائج أسأل الله العلي القدير أن تكون طيبة ، ثم عملت فهرساً للأعلام الوارد ذكرهم في البحث ورتبته على أساس حروف المعجم ، ثم قمت بذكر المصادر والمراجع التي استعنت بها في البحث وعملت لها فهرساً ورتبتها على المعجم هي الأخرى ، أسأل الله تعالى أن تنال القبول والرضا .

وبعد الانتهاء من هذا العرض لما جاء في البحث والإشارة إليه ، يعلم الله أنني قد أنهيت جمع المادة بعد أشهر قليلة من الموافقة على البحث مع العلم أنني قمت بجمع بعض المادة قبل الموافقة على الموضوع ؛ لكن هناك ظروفًا مررنا بها وأوقاتاً عصيبة قد ألمت بنا وعشنا فيها أياماً أليمة وصعبة نسأل الله أن لا يحرمننا أجرها ، كانت بسبب الاحتلال وأعوانه ، نسأل الله تعالى أن يخزيهم ويردهم خائبين مخذولين منكسرين ، فضلاً عن قلة المصادر التي تناولت ابن مردويه وعدم توفرها في المكتبات العامة والخاصة .
ومع كل ما كان من ظروف قاسية ومعاناة شديدة ، استعنا بالله العزيز الوهاب على إتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التي نرجو أن تنال القبول والرضا والاستحسان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الطالب

محمود عبد الرزاق جاسم العبيدي

تمهيد

لا شك إن أعظم ما اشتغل به المشتغلون وشمر إليه العاملون وتنافس به المتنافسون وتسبق به المتسابقون هو معرفة كتاب الله الخالد وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فعليهما مدار الشريعة الإسلامية الغراء ، وليس هناك شك من أن القرآن الكريم قد ملك على سلفنا الصالح مشاعرهم وأحاسيسهم وأنهم درسوا كل شيء يتعلق بالقرآن الكريم جاءوا بأفضل النتائج وأحسنها فجزاهم الله عنا كل خير .

ولا شك في إن أهم تلك العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم ، هو علم التفسير الذي يتناول كتاب الله تعالى بالإيضاح والبيان ، والذي نعرف به قصد ربنا في كتابه ، فهو أشرف العلوم وأعلاها ، وشرف العلم بشرف الانتساب ، قال الشافعي : كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وعلم الفقه في الدين العلم ما كان فيه قال : حدثنا و غير ذلك وساوس الشياطين

ثم إنه يجب أن يعلم أن أشرف ما تصرف به الأوقات ويتنافس فيه أصحاب الهمم والمروءات العلم الذي هم حياة القلوب ونور العقول وجلاء الهموم والآهات ، نعم إن أجل العلوم شرفا وأعلاها منارا وأنفعها للبشرية علوم الشريعة الإسلامية التي بها يصلح شأن العباد والبلاد ، ويحصل بها الفلاح في المعاد ، وكان أعظم تلك العلوم وأنفعها ؛ بل سيدها ورأسها علم التفسير وكيف : لا ؟ وموضوعه : كتاب الله تعالى ، حبل الله المتين والصراف المستقيم ، الذي من تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم ، ومن ضل عنه غوى وهوى في الجحيم .

والقرآن نزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بلسان قومه ، قال تعالى : { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم } إبراهيم : ٤ ، وكان قوم النبي صلى الله عليه وسلم أئمة البيان وفرسان البلاغة وأعلام الفصاحة ، فبهر القرآن عقولهم وقلب نفوسهم : بآياته البينة وحججه الدامغة وحكمه البالغة وأخباره الصادقة وفصاحة ألفاظه ورسانة نظمه وعبارته وبلاغة أسلوبه ، وبعد طول عناد منهم وجحود بلا حجة ، أذعنوا له ولما جاء به وأيقنوا أنه من رب العالمين لا شريك له الرحمن الرحيم .

لقد كان العرب قبل الإسلام يفاخرون ببلاغتهم وفصاحتهم وكانت القبائل العربية تتبارى فيما بينها بالفصاحة والبلاغة والبيان ، وكانت مكانة اللسان العربي مكانة رفيعة عالية فهم يجلون ويحترمون من كان فصيحاً في اللغة أديبا في القول شاعرا في النطق ، فكان أسلوب القرآن العظيم جامعا لأساليب العربية وفنونها اللغوية الرائعة .

وكان القرآن الكريم معجزة النبي محمد عليه الصلاة والسلام قد تضمن الكثير الكثير من العلوم والفنون والآداب فيه الفصاحة والبلاغة والبيان ، فهو المعجزة الكبرى الدالة على صدق الرسالة ودعوته العظيمة من الله تعالى إلى عباده ليوحده ولا يعبدوا غيره ولا يؤمنون بغير دين الإسلام الذي أرتضى لهم ، وقد حفظ الله تعالى القرآن من كل تحريف وانتحال وتغيير وتبديل إلى قيام الساعة ، قال تعالى : { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

لحافظون { الحجر : ٩ ، فالأيام والسنون تمضي ، والقرآن الكريم محفوظ في الصدور مقروء بالألسن مكتوب في المصاحف كما نزل لم يغير فيه حرف واحد ولم يغير ترتيبه ولم يستطع إلى الآن أحد أن يعارضه بمثله أو بما يدانيه ، وسيبقى محفوظا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن عناية الله تعالى بخلقه أن جعل القرآن محفوظا في كل العصور بالتواتر الصادق القاطع لشبهات الحاقدين ، يرويه الخلف عن السلف جيلا بعد جيل بألفاظه وحروفه التي نزل بها وبكيفية أدائه المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا مزيد عليه في الحفظ والضبط والإتقان ، ووفقاً لله تعالى للقرآن في كل عصر حفاظا متقنين وأئمة ثقات اختصوا بحفظه ونقله وروايته ودراسة علومه وفنونه وآدابه وتفسيره رواية ودراسة وتدوين أحكامه وما فيه من جهة إعرابه ، وبلاغته وإعجازه ، وأخباره وقصصه ، وأمثاله ومواعظه ، وتعاليمه ومبادئه ، وقراءاته ، وألفاظه ولغته وتراكيبه ، وغير ذلك .

ثم إن القرآن الكريم أيقظ الفكر الإنساني من رقاده وحركه بعد جموده وأزاح عنه رين الجهالة ووجهه إلى العلم ، وعلمه سلوك مناهج الحياة ، وفتح للعقول أبوابا من العلم ، وسلك بها سبلا من المعارف لم يكن لها عهد بها من قبل ؛ فكانت نورا وهدى للناس في سائر العصور ، وكان القرآن فيها مآدبة الله في الأرض كما في الحديث عن (عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن مآدبة الله في الأرض فاقبلوا من مآدبته ما استطعتم)^١ ، فهو يطعم منها من يشاء بما يشاء ، ويفيد منها كل إنسان بقدر استعداده وتهيو فطرته لقبول فيضه ، فكان المسلمون بدراسة هذه العلوم وتدوينها وإرساء قواعدها ، وتقرير أحكامها وتفريع أصولها الرواد في مجال البحث العلمي والقادة الفاتحين في مجال العلم والعرفان .^٢

ولما كانت سنة الله تعالى تقتضي أن يرسل كل رسول بلسان قومه حتى يتم التخاطب فيما بينهم بالذي يفهمونه ، قال تعالى : { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم } إبراهيم : ٤ ، فكان القرآن الكريم بلسان العرب الفصيح ، قال تعالى : { إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون } يوسف : ٢ ، وقال : { وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين } الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥ ، فالقرآن عربي وألفاظه عربية ، ووجوه المعاني في القرآن توافق وجوه المعاني عند العرب ، وإذا كان هناك ألفاظ قليلة اختلف العلماء فيها فهي عربية أم غير عربية ، فإن هذا الأمر لا يخرج القرآن الكريم عن أن يكون أنزل بلسان عربي مبين .^٣

فكانت هذه حكمة الله تعالى في القرآن وأن يكون بلسان العرب لأنه نزل عليهم ، وكان ما يحتاج إليه العرب هو معرفة ما أراده الله سبحانه في كتابه فكان تفسير القرآن الكريم هو الحل لما احتاجه العرب .

١ الحاكم ، المستدرک ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) : (١ / ٧٤١) ، وقال الحاكم : هذا

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

٢ ينظر : محمد حسنين مخلوف ، صفوة البيان لمعاني القرآن ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة الكويت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) : (د)

(

٣ ينظر : د . مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) : (٣٤٤) .

فلو تتبعنا التفسير ونشأته لوجدنا أنه نشأ مبكرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان المفسر الأول والمعلم الأول لكتاب الله القرآن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم في كتابه شارحا لهم آياته مبينا لهم أحكامها ، فكان عليه الصلاة والسلام يفهم القرآن جملة وتفصيلا ثم كان عليه أن يبين لأصحابه ما جاء فيه ، قال تعالى : { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم ولعلهم يتفكرون } النحل : ٤٤ ، فكان عليه الصلاة والسلام هو المفسر وهو الموجه وهو القائد .

ثم جاء من بعده صحابته الأخيار معلمين ومفسرين ودعاة هادين مهديين ، فقد فهموا القرآن خيرا لأنه نزل بلغتهم والرسول عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يعلمهم ما لم يعلموا ويفهمهم ما لم يفهموا ، فقاموا بتوضيح ما فهموه وعلموه من كتاب الله عز وجل خيرا قيام فجزاهم الله خيرا الجزاء ، قال محمد العفيفي : (حيث نجد في عصر الصحابة أن تلاوة القرآن الكريم وبيان تفسيره قد ارتبط بكل علوم القرآن الأخرى التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت من أحكام تجويده وترتيبه وإعجازه وعظمة تركيبه حتى وجدنا أن التابعين قد تلقوا أقوال الصحابة هذه ، فوجدناهم قد اشتهروا بالتفسير منهم في مكة ومنهم في المدينة المنورة ومنهم في الكوفة وغيرها من الأمصار العربية الإسلامية)^٤ ، فكان الصحابة رضوان الله عليهم هم الناقلين لتفسير القرآن الكريم عن الرسول صلى الله عليه وسلم المبين للكثير مما كان يخفى على الناس من بعده عليه الصلاة والسلام الشارحين لكتاب الله تعالى المفصلين آياته الموضحين مقاصده المبينين لأحكامه ، قال ابن كثير : (إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، ولا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين ، الأئمة الهادين المهديين رضوان الله عليهم)^٥ .

وقد اشتهر من الصحابة بالتفسير جماعة منهم : الخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وأبي ابن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأم المؤمنين عائشة ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم على تفاوت فيما بينهم بالقدر الذي فسروه قلة وكثرة .

ثم جاء عصر التابعين ، فاشتهر منهم من اشتهر كما في عصر الصحابة ، فكان منهم أعلام في التفسير ، معروف إن التابعين كانوا قد لازموا الصحابة يأخذون منهم كل ما علموه وفهموه من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان القرآن الكريم في المقدمة كيف لا وهو كتاب الله الخالد ، فأخذوا القرآن وتفسيره .

وقد اعتمد المفسرون من هذا الجيل في فهمهم لكتاب الله على ما جاء في القرآن الكريم نفسه أولا ، ثم على ما رووه عن الصحابة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ثانيا ، ثم على ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم ثالثا ، وعلى ما أخذوا من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم ، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق

٤ محمد العفيفي ، مقدمة في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ، مكتبة ذات السلاسل ، الكويت (١٣٩٩هـ) : (١٤) .

٥ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠١هـ) : (١ / ٣) .

الاجتهاد والنظر في كتاب الله ، وقد روت لنا كتب التفسير الكثير من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير قالوها بطريق الرأي والاجتهاد ، ولم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أحد من الصحابة ، على أن المتتبع لتفسير آيات القرآن الكريم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وعن صحابته رضوان الله عليهم يجد أن ما نقل عنهم من التفسير لم يتناول جميع آياته ، وإنما وقع تفسيره على ما أشكل عليهم في عصرهم هم ، على أن هذا الغموض في الفهم كان في تزايد مع تباعد العصر عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأحتاج المشتغلون في التفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا العوز إلى التفسير ، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض على الناس فشرحوا لهم كتاب الله تعالى على وفق ما علموه من اللغة العربية وأساليها وفهمهم للحوادث التي كانت مصاحبة لنزول آيات القرآن الكريم وعلى الأحداث والوقائع^٦ .

على أن الصحابة كانت لهم مدارس في التفسير^٧ ، الأولى : مدرسة مكة وكان على رأسها عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، ومن تلامذته : سعيد بن جبير (٩٢ هـ) ، ومجاهد بن جبر المكي (١٠١ هـ) ، وعطاء بن أبي رباح (١١٤ هـ) ، وعكرمة بن خالد مولى ابن عباس (١٠٥ هـ) ، وطاووس بن كيسان اليماني (١٠١ هـ) ، والمدرسة الثانية : مدرسة العراق في الكوفة ، وكان يقف على رأس هذه المدرسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ومن تلامذته : مسروق بن الأجدع (٦٣ هـ) ، والأسود بن يزيد (٧٥ هـ) ، وعلقمة بن قيس (١٠٢ هـ) ، وعامر ابن شراحيل الشعبي (١٠٥ هـ) ، وقتادة بن دعامة السدوسي (١١٧ هـ) والحسن البصري (١٢١ هـ) ، والمدرسة الثالثة كانت مدرسة المدينة المنورة ، وكان يقف على رأس هذه المدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه ، ومن تلامذته : أبو العالية رفيع بن مهران (٩٠ هـ) ، وزيد بن أسلم (١٣٦ هـ) ، ومحمد بن كعب القرظي (١١٨ هـ) ، وغيرهم .

إن الاهتمام بالقرآن الكريم وتفسيره كان على قدر عظيم وسعي دؤوب من الصحابة والتابعين وتسخير كبير لطاقتهم وإمكاناتهم خدمة لكتاب الله ، تاركين الدنيا وما فيها والاشتغال بها لأجل تفسير القرآن على الوجه الصحيح وإخراجه للناس على أفضل صورة وبيانه خير بيان .

ثم جاء عصر التدوين ، وذلك في أواخر عهد الدولة الأموية وبداية عهد الدولة العباسية ، وكانت العلوم قبل هذا العصر ومنها التفسير تتناقل بطريق الرواية ، إذ يروي الصحابة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهكذا يروي عنهم الرواة من التابعين وأتباع التابعين كما يروي الصحابة بعضهم عن بعض ، ثم كان التدوين بعد ذلك لأبواب العلم التي كان منها التفسير ، حيث لم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة وآية آية من مبدئه إلى منتهاه ؛ بل وجد بجوار الحديث النبوي الشريف وملازما له ، ومن أبرز العلماء الذين دونوا التفسير مع الحديث النبوي : يزيد ابن هارون السلمي (١١٧ هـ) ، وشعبة بن الحجاج (١٦٠ هـ) ، ووکیع بن الجراح (١٩٧ هـ) ، وسفيان بن عيينة (١٩٨ هـ) ، وروح بن عباد البصري (٢٠٥ هـ) ، وعبد الرزاق بن همام

٦ ينظر : د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، دار الفكر ، بيروت : (١ / ٩٩ - ١٠٠) .

٧ ينظر : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية ، بيروت (١٩٧٣ م) : (٢ / ١٨٩) .

الصنعاني (٢١١ هـ) ، وعبد بن حميد (٢٤٩ هـ) ، وهؤلاء العلماء كانوا من أئمة الحديث فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث الشريف ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال وانفراد ، وكان نقلهم هذا نقلا مسندا ، قال د . محسن عبد الحميد : (لم يكن القرآن الكريم علما مستقلا يحفظ بمعزل عن الحديث أو غيره وإنما كان جزءا من الرواية التي كانت تشمل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة من حديث وتفسير وفتيا وغير ذلك)^٨ .

ثم انفصل التفسير عن الحديث فأصبح علما قائما بنفسه ووضع التفسير لكل آية من آي القرآن الكريم ، ورتب على حسب ترتيب المصحف الشريف سورة سورة وآية آية ، وكان من أبرز أولئك العلماء الذين قاموا بهذا العمل المبارك الجليل : ابن ماجه القزويني (٢٧٣ هـ) ، وابن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (٣١٨ هـ) ، وابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧ هـ) ، وأبو الشيخ ابن حبان (٣٦٩ هـ) ، والحاكم (٤٠٥ هـ) ، وأبو بكر بن مردويه الأصبهاني (٤١٠ هـ) ، وغيرهم من العلماء وأئمة هذا الشأن رحمهم الله تعالى أجمعين .

وكانت تفاسير هؤلاء العلماء تفاسير مسندة مروية متصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة رضوان الله عليهم وإلى التابعين لهم بإحسان^٩ ، وكانت هذه التفاسير فيها التفسير بالمأثور فقط ليس غير ذلك ، ثم اتسعت التفاسير بعد ذلك ، فكانت التفاسير بالرأي التفاسير العلمية والأدبية وغيرها ، كل يفسر من جانبه العلمي الذي اختص به .

هذه هي المراحل التي مر بها تفسير القرآن الكريم بإيجاز حتى عصر ابن مردويه الذي يعد من المفسرين الذين فسروا القرآن الكريم بالمأثور عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحابته والتابعين لهم ، فهو لم يخرج عن الخط الذي سار عليه السابقون له ألا وهو التفسير بالرواية ، فقد ألتزم بالأسانيد (المأثور من الروايات) ، ومن هنا كتبت فصلا تعريفيا بابن مردويه وعصره يقع في مبحثين :

المبحث الأول / في التعريف بابن مردويه ، وفيه مطلبان .

المطلب الأول / حياته الشخصية ، وفيها .

• ولادته .

• اسمه ونسبه .

• كنيته ولقبه .

• أسرته .

• وفاته .

المطلب الثاني / حياته العلمية ، وفيها .

٨ د . محسن عبد الحميد ، تطور تفسير القرآن ، دار الحكمة ، بغداد (١٩٨٩ م) : (٣٩) .

٩ ينظر : د . محمد حسين الذهبي ، مصدر سابق : (١ / ١٤١ - ١٤٢) .

- شيوخه
- تلامذته
- مصنّفاته
- أقوال العلماء فيه
- المبحث الثاني / عصره ، وفيه ثلاثة مطالب
 - المطلب الأول / الحالة السياسية
 - المطلب الثاني / الحالة الإجماعية
 - المطلب الثالث / الحالة العلمية

- المبحث الأول / التعريف بابن مردويه
- المطلب الأول / حياته الشخصية ، وفيها
- ولادته

ولد ابن مردويه - رحمه الله - سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، قال ابن كثير : (ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وهي سنة إنكار الفقهاء على ابن شنبوذ^{١٠} الحروف التي أنفرد بها)^{١١} ، وقال الذهبي : (ولد ابن مردويه سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة)^{١٢} ، وقال السيوطي : (ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة)^{١٣} ، فولادة ابن مردويه سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة للهجرة النبوية الشريفة^{١٤} .

• اسمه ونسبه

هو : (أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك أبو بكر الحافظ الأصبهاني)^{١٥} ، وقال الذهبي : (أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني)^{١٦} ، وقال أيضا : (أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن جعفر الأصبهاني)^{١٧} ، وقال الكتاني : (أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، ابن مردويه الكبير)^{١٨} ، وقال الأدرسي : (أحمد بن موسى الأصبهاني ، العالم الحافظ المعروف بابن مردويه)^{١٩} .

وقال الزركلي : (أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني)^{٢٠} ، وقال د . عمر رضا كحالة : (أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر الأصبهاني)^{٢١} .

فقد أتفق المترجمون لابن مردويه على اسمه ولم يختلفوا فيه ، فهو أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر الأصبهاني ، ولم يختلفوا في نسبته إلى أصبهان فهو : (أصبهاني) ، ولم تذكر الروايات ولا الباحثون في الأعلام نسبا له أكثر من هذا .

١٠ (شيخ المقرئين أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ ، أكثر الترحال في الطلب ، تلا على هارون الأحمش وقنبل المكبي ، وإسحاق الخراعي ، وغيرهم ، وكان إماما متصوفا كبيرا القدر ، كان له رأي في القراءة الشاذة التي تخالف رسم الإمام ، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٩ (١٤١٣ هـ) : (١٥ / ٢٦٤ - ٢٦٥) .

١١ ابن كثير ، البداية والنهاية ، دار ابن كثير ، بيروت : (١١ / ١٧٩) .

١٢ الذهبي ، السير : (١٧ / ٣٠٨) .

١٣ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٣ هـ) : (٤٢١) .

١٤ ينظر : د . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت : (٢ / ١٩٠) .

١٥ ابن كثير ، البداية والنهاية : (١٢ / ٨) .

١٦ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ : (٣ / ١٠٥٠) .

١٧ الذهبي ، السير : (١٧ / ٣٠٨) .

١٨ الكتاني ، الرسالة المستطرفة ، الناشر نور محمد ، آرامباغ ، فريد رود ، كراحي (١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م) : (٢٤) .

١٩ الأدرسي ، طبقات المفسرين ، تحقيق : سليمان بن صالح الحري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (١٩٩٧ هـ) : (١٠١) .

٢٠ الزركلي ، الأعلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ : (١ / ٢٤٦) .

٢١ د . عمر رضا كحالة ، مصدر سابق : (٢ / ١٩٠) .

• كنيته

أجمعت كتب التراجم أن كنيته : (أبو بكر) ، قال ابن كثير : (أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك ، أبو بكر الأصبهاني)^{٢٢} ، وقال الذهبي : (أبو بكر ، ابن مردويه الأصبهاني)^{٢٣} ، وقال الزركلي : (أبو بكر)^{٢٤} ، وكذا د . عمر رضا كحالة^{٢٥} ، فكنيته إذاً : أبو بكر .

• لقبه

لقبه هو : (ابن مردويه) وهو معروف به ؛ لكن يقال له أيضا : ابن مردويه الكبير تميزا له عن حفيده ابن مردويه الصغير ، قال الكتاني : (أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الأصبهاني ، ابن مردويه الكبير)^{٢٦} ، وقال الزركلي : (ويقال له : ابن مردويه الكبير)^{٢٧} .

• أسرته

لم تتحدث المصادر والمراجع التي عنيت بتراجم الرجال حسب إطلاعي عن أسرة ابن مردويه ، سوى ما ذكرته بعض المصادر عن حفيده (ابن مردويه الصغير) .
قال الذهبي : (حفيده : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى الأصبهاني المولود في سنة أربعمئة وتسع للهجرة)^{٢٨} ، مات ابن مردويه الصغير بـ (سوزرجان) قرية من قرى أصبهان سنة ثمان وتسعين وأربعمئة ، وله تسع وثمانون سنة^{٢٩} .
كما وأن المصادر ذكرت أنه قد حدث عن أبيه أبي عمران بحديث سمعه من إبراهيم بن متويه - رحمه الله - ، وقد مات أبوه سنة ست وخمسين وثلاثمئة^{٣٠} .

• وفاته

توفي ابن مردويه - رحمه الله - على ما ذكرته أكثر المصادر والمراجع سنة أربعمئة وعشر للهجرة ، قال ابن الجوزي : (توفي ابن مردويه أحمد بن موسى الأصبهاني أبو بكر الحافظ ، سنة أربعمئة وعشر في رمضان)^{٣١} ،

٢٢ ابن كثير ، البداية والنهاية : (٨ / ١٢) .

٢٣ الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٥٠ ، السير : (١٧ / ٣٠٨) .

٢٤ الزركلي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٦) .

٢٥ د . عمر رضا كحالة ، مصدر سابق : (٢ / ١٩٠) .

٢٦ الكتاني ، مصدر سابق : (٢٤) ، وينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (٨ / ١٢) .

٢٧ الزركلي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٦) .

٢٨ الذهبي ، السير : (١٩ / ٢٠٧) .

٢٩ ينظر : الذهبي ، السير : (١٤ / ٢٤٥) ، الكتاني ، مصدر سابق : (٢٥) .

٣٠ الذهبي ، السير : (١٧ / ٣٠٨) .

وقال الذهبي : (توفي أحمد بن موسى بن مردويه أبو بكر الحافظ الأصبهاني سنة عشر وأربعمائة ، لست بقين من رمضان ، وقد قارب التسعين)^{٣٢} .

وقال ابن كثير : (سنة عشر وأربعمائة في شهر رمضان ، توفي أحمد بن موسى بن مردويه بن فوردي أبو بكر الأصبهاني)^{٣٣} .

وقال ابن العماد الحنبلي : (توفي الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني لست بقين من رمضان ، وقد قارب التسعين ، سنة عشر وأربعمائة)^{٣٤} .

وقال الزركلي : (كانت وفاة ابن مردويه في رمضان سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م)^{٣٥} .
فقد أجمعت الروايات فيما سبق على أن وفاة ابن مردويه كانت سنة أربعمائة وعشر للهجرة ؛ لكن الكتاني - رحمه الله - ذكر في الرسالة المستطرفة : (أن وفاة ابن مردويه سنة ست عشر وأربعمائة)^{٣٦} ، ولم تذكر الأخرى ولا حتى المراجع هذه السنة على أنها سنة وفاة ابن مردويه ؛ فالراجح أنه توفي سنة أربعمائة وعشر للهجرة كما ذكرت أكثر المصادر والمراجع هذا ، والله أعلم .

المطلب الثاني / حياته العلمية ، وفيها .

شيوخه .

رحل ابن مردويه إلى العراق وأصبهان وسمع الحديث فيهما^{٣٧} ، وقد حدث عن أبيه أبي عمران الذي مات سنة ست وخمسين وثلاثمائة (ولم تذكر المصادر عن أبيه أكثر من هذا) ، وحدث عن : أحمد بن محمد أبي سهل بن زياد القطان ، وميمون بن إسحاق ، وعبد الله بن إسحاق الخرساني ، ومحمد بن عبد الله بن علم الصفار ، وإسماعيل بن علي الخطيبي ، ومحمد بن علي بن دحيم الشيباني الكوفي ، وإسحاق بن محمد بن علي الكوفي ، وأبي بكر بن محمد بن عبيد الله الشافعي ، وأحمد بن عبد الله بن دكيل ، ومحمد بن أحمد بن علي الأسواري ، وأحمد بن عيسى الخفاف ، وأحمد بن بندار الشعار ، وأحمد بن محمد بن عاصم الكراني ، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم أبي أحمد العسال ، وأبي إسحاق بن حمزة ، وسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني ، رحمه الله ، وخلق كثير سواهم^{٣٨} ، وستأتي تراجمهم عند دراسة مروياته) .

٣١ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، مراجع : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (١٥ / ١٣٥) .

٣٢ الذهبي ، العبر في خبر من غير ، حققه : أبو هاجر محمد السعيد بن بسويو زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (٢ / ٢١٧) .

٣٣ ابن كثير ، البداية والنهاية : (١٢ / ٨) .

٣٤ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، ط ٢ (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) : (٣ / ١٩٠) .

٣٥ الزركلي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٦) .

٣٦ الكتاني ، مصدر سابق : (٢٥) .

٣٧ ينظر : ابن العماد ، مصدر سابق : (٣ / ١٩٠) .

٣٨ ينظر : الذهبي السير : (١٧ / ٣٠٩) ، تذكرة الحفاظ : (٣ / ١٠٥٠) ، ابن العماد ، مصدر سابق : (٣ / ١٩٠) .

تلاميذته •

حدث عن ابن مردويه الكثير من طلاب العلم ، وله تلامذة مجيدون حدثوا عنه منهم : أبو القاسم عبد الرحمن ابن الحافظ بن منده ، وأخوه أبو عمرو عبد الوهاب بن منده ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم المستملي العطار ، وأبو الخير محمد بن أحمد بن رزّا ، والقاضي أبو منصور بن شكرويه ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن سليم ، وسليمان ابن إبراهيم الحافظ ، وأحمد بن عبد الله الذكواني ، وأبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي ، وأبو مطيع محمد بن عبد الواحد الصحاف ، وغيرهم كثير^{٣٩} .

مصنفاته •

لابن مردويه الكثير من المصنفات جلها في الحديث النبوي الشريف ؛ لكن لم يبق منها إلا اسمها وهي كما ذكرها أهل التراجم^{٤٠} :

١ - التاريخ •

٢ - الأمالي الثلاثمائة مجلس •

٣ - المستخرج على صحيح البخاري ، وهو يعلو في أحاديث الكتاب كأنه لقي البخاري •

٤ - التشهد وطرقه وألفاظه في مجلد صغير •

٥ - التفسير الكبير للقرآن في سبعة مجلدات •

وقد ذكر حاجي خليفة مصنفاته ضمن الكتب التي عيّنت بالتاريخ وضمن الكتب التي اختصت بتفسير القرآن الكريم^{٤١} ، وذكر مصنفاته أيضا الزركلي^{٤٢} ، وذكر تفسيره صاحب كتاب معجم مصنفات القرآن^{٤٣} ، وقد ذكره الدكتور : أكرم ضياء العمري ضمن من صنف في تواريخ الرجال ، قال : (وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه المتوفى سنة عشر وأربعمائة في كتابه تاريخ أصبهان)^{٤٤} .

أقوال العلماء فيه •

ذكر العلماء ابن مردويه - رحمه الله - بأحسن الصفات وأفضل الأحوال ؛ وذلك لعلمه وفضله ومكانته بينهم في ذلك الوقت •

٣٩ ينظر : الذهبي ، السير : (١٧ / ٣١٠) ، تذكرة الحفاظ : (٣ / ١٠٥١) ، ابن العماد ، مصدر سابق : (٣ / ١٩٠) .

٤٠ ينظر : الذهبي ، السير : (١٧ / ٣٠٩) ، الكتاني ، مصدر سابق : (٢٤) ، د. عمر رضل كحالة ، مصدر سابق : (٢ / ١٩٠) .

٤١ ينظر : حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) : (١ / ٢٨٢) .

٤٢ ينظر : الزركلي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٦) .

٤٣ ينظر : د. علي شواخ إسحاق ، معجم مصنفات القرآن ، دار الرفاعي ، الرياض (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) : (٢ / ٢٠٣) .

٤٤ أكرم ضياء العمري ، بحوث في تأريخ السنة المشرفة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ط ٢ (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) : (١٤٥) .

(قال أبو بكر بن أبي علي وذكر ابن مردويه ، هو أكبر من أن ندل عليه وعلى فضله وعلمه وسيره ، وأشهر من أن يوصف حديثه ، أبقاه الله ومتعته بمحاسنه)^{٤٥} .

(وقال أبو موسى المدني في ترجمة ابن مردويه : سمعت أبي يحيى عمن سمع أبا بكر بن مردويه يقول : ما كتبت بعد العصر شيئاً قط وعميت قبل كل أحد - يعني : من أقرانه - وسمعت أنه كان يملئ حفلاً بعدما عمي ، ثم قال : وسمعت الإمام إسماعيل يقول : لو كان ابن مردويه خرسانياً كان صيته أكثر من صيت الحاكم ، وأجاز لي أبو نعيم الحداد : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن مردويه يقول : رأيت من أحوال جدي من الديانة في الرواية ما قضيت منه العجب من تثبته وإتقانه)^{٤٦} .

وقال الذهبي عنه : (الحافظ ، المجود ، العلامة ، محدث أصبهان)^{٤٧} ، وقال الذهبي أيضاً : (الحافظ ، الثبت ، العلامة ، وكان قيماً بمعرفة هذا الشأن - الحديث - بصيراً بالرجال طويل الباع ، مليح التصانيف)^{٤٨} .
وقال ابن العماد الحنبلي عنه : (كان إماماً في الحديث بصيراً بهذا الشأن)^{٤٩} ، وقال ابن تغري بردي الأتابكي : (وكان إماماً حافظاً ثقة سمع الكثير ، وروى عنه جماعة)^{٥٠} ، وقال الدكتور : عمر رضا كحالة عنه : (محدث ، حافظ ، مفسر ، مؤرخ)^{٥١} .

المبحث الثاني / عصره ، وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول / الحالة السياسية .

٤٥ الذهبي ، السير : (١٧ / ٣٠٩) .

٤٦ المصدر السابق : (١٧ / ٣٠٩) .

٤٧ المصدر السابق : (١٧ / ٣٠٩) .

٤٨ الذهبي ، تذكرة الحفاظ : (٣ / ١٠٥٠) .

٤٩ ابن العماد الحنبلي ، مصدر سابق : (٣ / ١٩٠) .

٥٠ ابن تغري بردي الأتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية

العامية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة : (٤ / ٢٤٥) .

٥١ د . عمر رضا كحالة ، مصدر سابق : (٢ / ١٩٠) .

عاش ابن مردويه حياته بين قرنين من الزمان القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين ، وكانت تلك المدة من الزمن تحت حكم الخلافة العباسية ؛ فحياته كانت في ظل الخلافة العباسية .

عاشت الأمة الإسلامية في تلك المدة تحت وطأة الحياة السياسية غير المستقرة التي نتجت عن تدخل العناصر الأجنبية في صلب الخلافة العربية العباسية ، مما خلفت وضعاً سياسياً مرتبكاً لم يهدأ ولم يكن مستقراً .

(ففي القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - عادت المملكة الإسلامية إلى ما كانت عليه قبل الفتح ، وقامت فيها دول صغيرة منفصلة بعضها عن البعض الآخر)^{٥٢} ، (فصارت فارس والري وأصبهان والجل في أيدي بني بويه ، وكرمان في يد محمد بن الياس ، والموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر في أيدي بني حمدان ، وأصبحت مصر والشام في يد محمد بن طُغُج ، والمغرب وأفريقية في يد الفاطميين ، والأندلس في يد عبد الرحمن الناصر ، وخرسان في يد نصر بن أحمد ، والأهواز وواسط والبصرة في يد البريديين واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، ولم يبق في يد الخليفة إلا بغداد وأعمالها)^{٥٣} .

وكانت كثيراً ما تندلع الحروب والمعارك فيما بين المسلمين أنفسهم (ففي المحرم من سنة سبع وعشرين وثلاثمائة خرج الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بالله العباسي إلى الموصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان)^{٥٤} .

أما أمر الممالك والإمارات الإسلامية فكان مضطرباً ؛ فقد استولى معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه على الأهواز فملكها واستقر بها^{٥٥} .

وكان دخول بغداد والعبث بها من البويهيين والترك وغيرهم أمراً طبيعياً وكثيراً ما كان يحصل ، حيث سيطر ابن رائق على بغداد وضعف حال الخليفة الراضي بالله واستولى على الأمر وبقي الخليفة معه صورة بلا معنى وذلك في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة^{٥٦} ، ثم دخل إلى بغداد : بجكم التركي ، ولقي الراضي الذي قلده إمرة الأمراء ليكون مكان ابن رائق^{٥٧} .

كما إن حياة ابن مردويه كانت في ظل تعدد الخلفاء العباسيين وغيرهم من الأمراء الذين حكموا البلاد العربية والإسلامية ، فبعد موت الراضي بالله العباسي حل محله المتقي لله إبراهيم بن المقتدر سنة تسع وعشرين

٥٢ آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريذة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة : (

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م) : (١ / ١) .

٥٣ المصدر السابق : (١ / ١) .

٥٤ ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ١٨٩) .

٥٥ ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) : (٦ / ٢٦٣) .

٥٦ ينظر : الذهبي ، دول الإسلام ، طبعه ونشره : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، دار إحياء التراث الإسلامي ، دولة قطر (١٩٨٨ م) : (١ / ١٩٩) .

٥٧ ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٢٦٧) .

وثلاثمائة^{٥٨} ، والذي لم تكن البلاد لإسلامية في عهده بأحسن مما مضى ، حيث كانت بلاد المسلمين معرضة للغزوات والهجمات من الأقباط والملل الأخرى ، فقامت طائفة من الروس بغزو أذربيجان من البحر فظفروا بأهلها وقتلوا منهم الكثير وسرقوا أموالهم وسبوا من استحسنا من نساءهم^{٥٩} ، وفي عهده أيضا استولى أبو الحسن البريدي على بغداد ، فهرب ولم يخلها إلا بعد ثلاثة أشهر وعشرين يوما بمساعدة ابن حمدان^{٦٠} ، وفي عهده هزلت الوزارة وضعفت الدولة وصغرت دائرة الخلافة ، ولم يكن يحمل إلى بغداد مال من الأقاليم ؛ بل كان كل إقليم قد أستولى عليه من قبل الطامعين والغاصبين^{٦١} ، ولم يكن الخليفة حرا في الدخول والخروج من بغداد ، فبعد أن أنهزم المتقي والحمدانية من قبل توزون التركي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة أرسل إليه المتقي من جديد يطلب العودة إلى بغداد ، فأرسل إليه توزون التركي بالقبول^{٦٢} ، وفي عهده لم تكن البلاد الإسلامية بمأمن من الغزو والعدوان (فقد أغار الروم ودخلوا حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر ألف إنسان)^{٦٣} .

ثم قام الترك وزعيمهم توزون بالقبض على الخليفة المتقي ، وقاموا بسمل عينيه وعزله عن الخلافة في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة^{٦٤} ، ثم استدعى توزون التركي أبا القاسم عبد الله بن المكتفي ، وأحضره إليه ولقبه بالمستكفي بالله وبايعه هو وعامة الناس وذلك في العشر الأواخر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة^{٦٥} .
لم تكن بغداد بأحسن حال على عهده ، فقد تداعت للخراب بسبب الحروب والتفتت والقحط والجور والموت والخراب الذي كانت تعيشه^{٦٦} .

على أن خلافته لم تدم طويلا بدخول بني بويه بغداد بقيادة معز الدولة أحمد بن الحسن بن بويه ، وذلك في جمادي الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وخلع الخليفة المستكفي بالله يوم الثاني والعشرين من جمادي الآخرة وسملت عيناه^{٦٧} .

ثم جاء بعده المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر ، بايعه معز الدولة ، ولقبه بالمطيع لله ، وليس بيده شيء سوى اسم الخلافة ، وقد بويع للمطيع لله يوم الخميس ثاني عشر جمادي الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة^{٦٨} .

٥٨ ينظر : المصدر السابق : (٦ / ٢٧٦ - ٢٧٧) .

٥٩ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢٠٨) .

٦٠ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٢٨٥) .

٦١ ينظر : الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٠٢) .

٦٢ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٢٩٧) ، الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٠٤) .

٦٣ ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٢٨٨) .

٦٤ ينظر : محمود مقديش ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق : علي الزواري ، وعهد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت (١٩٨٨ م) : (١ / ٢٧٢) .

٦٥ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٣٠١) ، ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢١٠) .

٦٦ ينظر : الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٠٦) .

٦٧ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢١٢) ، محمود مقديش ، مصدر سابق : (١ / ٢٧٠) .

٦٨ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٣١٥) ، الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٠٨) .

لقد ازداد أمر الخلافة إدارا ولم يبق للخلفاء شيء ألبته ، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل ، والحرمة قائمة بعض الشيء ، فلما كانت أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير إنما كان له كاتب يدير أقطاعه وإخراجاته لا غير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد^{٧٠٦٩} .

أما حال الدولة فلم يكن مستقرا من الداخل ، حيث كانت الإمارات تخرج على الدولة بين الحين والحين كما حصل في سجستان إذ عصى أهلها أميرهم وخرجوا على أمر الدولة^{٧١} ، وكانت كثيرا ما تنشب الحروب فيما بين أرجاء المملكة الإسلامية ، حيث نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة بن بويه ، فدخل ناصر الدولة بغداد ، فكان أن أنتشر السلب والنهب ، ثم عاد وخرج منها سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة^{٧٢} .

وكانت الروم تضرب بلاد المسلمين وتدخلها بين الحين والآخر وتغزو ديارهم كما حدث أن دخلت الروم آمد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في شوال ونزلوا عليها وحصروها وقتلوا أهلها فقتل منهم الكثير ، وكذلك ملك الروم أنطاكية في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، ثم دخلوا حلب وخرّبوا فيها ثم خرجوا عنها^{٧٣} ، هذا حال الدولة العربية الإسلامية كانت الممالك الإسلامية في ضياع من الدولة الإسلامية .

وعلى الرغم من هذا الحال الذي كانت تعيشه الخلافة الإسلامية كانت أحوال دولة بني بويه في علو ورفعة ، فقد اتسعت مملكتهم فصار بأيديهم أعمال الري والجبل وأصبهان وفارس والأهواز والعراق ، ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار ربيعة من الجزيرة وغيرها^{٧٤} .

لكننا نجد أن المسلمين لم يكونوا غير آبهين بأمر الدولة من الخارج ، بل كانوا يغزون أرض الروم ، كمل فعل سيف الدولة الحمداني (حيث غزا أرض الروم في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، فأوغل في بلادهم وفتح حصونا كثيرة وسبى خلقا منهم كثيرا جدا)^{٧٥} ، وكانت المعارك مستمرة بين المسلمين والروم حيث وقعت موقعة الحدث سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وهي ملحمة عظيمة بين سيف الدولة والدّمستق عظيم الروم ، فأنكسر الروم وأنتصر المسلمون فيها^{٧٦} .

٦٩ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٣١٥) .

٧٠ (ففي عصر معز الدولة لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير ، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة ، وذلك لأن بني بويه ومن معهم من الديلم كان منهم تعسف شديد ، وكانوا يرون أن بني العباس قد غضبوا الأمر من العلويين حتى عزم معز الدولة إلى تحويل الخلافة إلى العلويين واستشار أصحابه ، فكلهم أشار عليه بذلك ، إلا رجلا واحدا من أصحابه ، كان سديدا الرأي فيهم ، فقال : لا أرى لك ذلك ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لأن هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة ، حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك ، ولو وليت رجلا من العلويين اعتقدت أنت وأصحابك ولايته صحيحة ، فلو أمرت بقتله لقتلك أصحابك ، فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول ، وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز وجل) ، ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢١٢ - ٢١٣) .

٧١ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٧ / ١٤) .

٧٢ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢١٣) .

٧٣ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٧ / ٩) .

٧٤ ينظر : آدم متر ، مصدر سابق : (١ / ٨) .

٧٥ ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢١٦) .

٧٦ ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم : (١٤ / ٨٠) .

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة في منتصف ذي القعدة خلع المطيع لله بعد أن ثقل لسانه وتعدرت حركته ، فخلع وسلم الخلافة إلى ولده الطائع لله أبي الفضل عبد الكريم ، ففعل ذلك وأشهد على نفسه بالخلع في ثالث عشر ذي القعدة^{٧٧} .

وهنا قويت شوكة الأتراك في بغداد ، ثم أصبحت فيما بعد إلى بني بويه ، بعد أن دخلها البويهيون من جديد وأخرجوا منها الترك الذين جاءوا بالطائع لله بعد المطيع لله ، هكذا كان حال الخلافة العباسية فهي غير مستقرة بسبب الترك تارة وبسبب الديلم تارة أخرى^{٧٨} .

ثم خلع الطائع لله العباسي ، حيث نودي في بغداد بعد خلع الطائع خليفتم القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر أبو العباس ، حيث تولى الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة^{٧٩} ، وقد عادت بعض هيئة الخلافة في عهد القادر بالله العباسي ، حيث خطب للقادر بالله من اليمامة والبحرين إلى الكوفة^{٨٠} ، وعادت هيئة الخلافة كذلك بعد أن قام عميد الجيوش بمحاربة اللصوص وقطاع الطرق والخارجين على القانون في بغداد بتبعمهم وقتلهم فاستراح الناس منهم وقويت شوكة الخلافة^{٨١} ، وفي عهده فتحت الهند فتحها السلطان محمود بن سبكتكين وأباد عباد النار وقتل الكثير منهم وأسلم الكثير منهم أيضا^{٨٢} .

على أن بعض الفتن كانت تحدث بسبب الترك وتدخلهم أحيانا بسلطة الخلافة ، (كالفتن التي وقعت بين الأتراك والعمامة من أهل الكرخ وقتل بينهم الكثير وكان ذلك في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة)^{٨٣} .

هذه هي الحالة السياسية في تلك المدة التي عاش فيها ابن مردويه ، كانت الخلافة الإسلامية قد نشأ فيها ضعف وهذا الضعف كان يهدد تلك الدولة بسبب الانشقاق والتمزق الذي كانت تعانيه من جراء تدخل الديلم والترك ، وانتشار الداعين بالإمارة كل لنفسه وانقسام الدولة إلى دويلات صغيرة متناحرة فيما بينها .

وكان ما يحيط من الخارج بهذه الدولة من الروم وغيرهم ، وغزوهم المستمر لبلاد الخلافة العربية الإسلامية كبيرا للغاية وخطيرا جدا ، لكن مع كل هذا كانت هذه الدولة تحارب أعداءها وتتنصر عليهم وتفتح البلاد ويدخل شعوبها في دين الله الإسلام ، فالعصر الذي عاش فيه ابن مردويه هو نهاية العصر الذهبي من عصر التأريخ الإسلامي ، وبداية عصر الفتن والفتاقل والضعف ، وهذه مجمل الأحوال السياسية التي كانت في عصر ابن مردويه .

٧٧ ينظر : الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢١٢) .

٧٨ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٧ / ٥٣) ، محمود مقديش ، مصدر سابق : (١ / ٢٧٢) .

٧٩ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢٧٧ - ٢٧٨) .

٨٠ ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم : (١٤ / ٣٥٣) .

٨١ ينظر : الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٣٦) .

٨٢ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٣٣٠) .

٨٣ ابن الأثير ، الكامل : (٧ / ٢١١) .

المطلب الثاني / الحالة الإجتماعية •

لم تكن الحالة الإجتماعية في هذا العصر بأحسن من الحالة السياسية التي كانت تعيشها الدولة العربية الإسلامية في ظل الخلافة العباسية التي لم يبق منها كما مر معنا سوى الاسم والألقاب دون الأفعال إلا في مدد قصيرة من الزمن تصحو فيها الخلافة ثم ترجع لتغط في نومها العميق وتدع مجريات الأمور وزمامها بيد الأمراء وقواد الجيش من الديلم والترك وغيرهم من الطامعين •

شهدت البلاد العربية الإسلامية الكثير من الأزمات والمصائب التي كانت ترجع في نتائجها السيئة على المسلمين وعلى حياة الناس بشكل خاص ؛ فمن الجور والظلم والطغيان من قبل أولئك الأمراء المحسوبين على الخلافة العباسية إلى الجوع ونقص المؤن والموت والهلاك ، هكذا كانت حياة الناس في هذا العصر ، وكان السلب والنهب وضياع الحقوق وغلاء الأسعار أمرا طبيعيا لازم مدد حكم جميع الخلفاء العباسيين في ذلك العصر ، ومن ذلك (لما استولى أبو الحسن البريدي على بغداد سنة ثلاثين وثلاثمائة في عهد المتقي لله ، أخذ أصحابه في النهب والسلب ، وخربت الدور وأخرج أهلها منها وعظم الأمر وغلت الأسعار)^{٨٤}، نعم هكذا كان الحال ؛ بل كان أسوأ في بعض الأحيان حتى (كان القحط والموت العظيم في بغداد وأكل الجيف وغلاء الأسعار حالة عادية في سنة ثلاثين وثلاثمائة)^{٨٥}، حتى وصل الأمر في بعض الأحيان إلى ترك دفن الأموات لكثرتهم وأن لا ينشغل الناس إلا بالمرض والفقر^{٨٦}، حتى إن المنازل والدور قد خربت ومات خلق كثير تحت الهدم ونقصت قيمة العقار ، حتى صار ما كان يساوي دينارا يباع بأقل من درهم ، وما يسقط من الأبنية لا يعاد ، حتى الدلالون يعطون من يسكنها أجرة ليحفظها من الداخلين إليها ليخربوها ، وتعطل الكثير من الحمامات والمساجد والأسواق لقلة الناس ، وكثُر اللصوص في الليل والنهار^{٨٧}، وهكذا استمر الحال ، على أن مجيء المطيع لله للخلافة على يد الديلم البويهيين فتح الباب للكثير من الفتن وللکثير من الجور والظلم ، فقد كان الخليفة المطيع لله ومن بعده ابنه الطائع لله آله بيد بني بويه المحسوبين على العلويين والشيعة^{٨٨}، فقد قام معز الدولة ابن بويه بضرب الناس وأخذ أموالهم من غير وجهها ، وأقطع قواده وأصحابه القرى جميعها التي للسلطان وأصحاب الأملاك ، فبطلت الدواوين وزالت أيدي العمال ، وكانت البلاد قد خربت من الأختلاف والنهب والغلاء والسلب)^{٨٩} •

٨٤ ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٢٤٨) •

٨٥ الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٠٢) •

٨٦ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢٠١) •

٨٧ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٢٩٩) •

٨٨ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢١٢ - ٢١٣) •

٨٩ ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٣١٧) •

وكانت الأمراض والأوبئة كثيرة منتشرة تهلك الناس ، ولم يكن هناك من يهتم لأمرهم ويعالج أولئك المرضى ويقضي على المرض بسبب انشغال الخليفة والأمراء بالحالة المزرية التي وصل إليها أمر الخلافة^{٩٠} ، وأما بغداد فلم تسلم من تلك الأمراض والأوبئة هي الأخرى ، فقد ظهرت فيها الكثير من الأمراض وكثر الموت وعم الخراب ، كما حصل في سنة ست وأربعين وثلاثمائة^{٩١} ، على أن دخول البويهيين إلى بغداد قد أضاف أمرا جديدا إلى تلك الأحوال التي كان يعيشها الناس فيها ، حيث أن الفتن بين أهل بغداد والعصبيات المذهبية قد اشتعلت بينهم وكانت مستمرة بين الحين والحين^{٩٢} ، حتى أن الفتن كانت تحصل بين أهل بغداد في يوم عاشوراء فقد بلغت الفتنة في يوم عاشوراء سنة خمسين وثلاثمائة مبلغا شديدا ، فنشب القتال بين الجند السنين والشيعة وراح ضحيتها الكثير من الناس)^{٩٣} ، وأما ما جرى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة من قبل البويهيين فأمر عظيم ، عظّم الفتنة بين الناس ، ففي تلك السنة كتب معز الدولة على المساجد لعن الصحابة ، فقام الناس فمحوه أثناء الليل ، فقام في العام التالي فأمر الناس بالاحتفال بيوم عاشوراء ، فأغلقت الأسواق وعطل البيع والشراء ، ونصبت القباب في الأسواق ، وعلقت عليها المسوح ، وخرجت النساء ناثرات الشعور مسودات الوجوه ، قد شققن ثيابهن ، يدرن في البلد وينحن ويلطمن وجوههن على الحسين رضي الله عنه ، وسن زيارة قبر الحسين بكرلاء في هذا اليوم^{٩٤} ، هكذا كان الحال في البلاد الإسلامية بسبب ما كان من أولئك الديلم والترك وضعف الخليفة العباسي وتدخلهم في شؤون الخلافة وإدارتها .

على أن هناك جوانب مضيئة كانت قد حصلت في خلافة المطيع لله وابنه الطائع ، حيث أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكانه الذي كان أبو طاهر سليمان بن الحسن الهجري أخذه من الكعبة ، وذلك في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة^{٩٥} ، وكان شهد عهدهم أيضا إسلام الترك ، (ففي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة أسلم منهم مائتا ألف ، فهم التركمان)^{٩٦} ، وكذلك فقد تم أعمار بغداد في عهد الطائع لله ، ففي سنة تسع وستين وثلاثمائة كان بعض الأعمار لبغداد من قبل عضد الدولة حيث عمرت المساجد والأسواق ووزعت الأموال على المؤذنين والعلماء والقراء والضعفاء والغرباء ، وجدد ما دثر من الأنهار وأعيد حفرها وتسويتها وأصلحت الطرق من مكة إلى العراق ، وسكن الناس من الفتن^{٩٧} ، وتم في عهد الطائع لله أيضا وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة بناء دار

٩٠ ينظر : المصدر السابق : (٦ / ٣٤٧) .

٩١ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٦ / ٣٥٢) .

٩٢ ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم : (١٤ / ١١٨) .

٩٣ آدم متر ، مصدر سابق : (١ / ١٠٨) .

٩٤ ينظر : آدم متر ، مصدر سابق : (١ / ١١٣ - ١١٤) .

٩٥ ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم : (١٤ / ٨٠) .

٩٦ الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢١٥) .

٩٧ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٧ / ١٠٠) .

للعلاج يعالج فيها المرضى سميت بـ(البيمارستان) وقد بنيت من قبل عضد الدولة ابن بويه وقد غرم عليها الكثير من المال^{٩٨} .

ثم كان عهد القادر بالله العباسي ، الذي لم تتغير الأحوال كثيرا في عهده ، حيث كانت حالة الناس على ما هي عليه ، فالغلاء فاحش في العراق حتى ضج العامة وشغب الجند ف وقعت فتنة عظيمة ، وكذلك اشتد الغلاء في خراسان وعُدم القوت حتى عجز الناس عن توفير اللقمة ، فكان الإنسان يصيح الخبز الخبز ويموت ، وقد نتج عن ذلك وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن موتاهم^{٩٩} ؛ لكن عهده شهد نوعا من الاستقرار وسكون الفتن واطمئنان الناس ، فقد قسمت الأموال في عهده ووزعت على الفقراء والمحتاجين والمساكين^{١٠٠} ، ولم تجر الفتن والبدع التي كانت تجري في السابق من غلق الأسواق والنياحة وضرب الخدود في عاشوراء ، فقد أبطلها سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة^{١٠١} .

وكان الخليفة القادر بالله العباسي أمر بإعمار المساجد وكسوتها وأن يجري مجرى الجوامع من الأموال ، كما وقام بمحاربة اللصوص وقطاع الطرق وقتلهم إلى أن استراح الناس منهم^{١٠٢} .

هذه هي الحالة الإجتماعية التي كان الناس عليها ، فمن عدم استقرار وعدم اهتمام وسلب ونهب وجور وظلم وموت وانتشار للأوبئة والأمراض وفتن بين الناس منتشرة إلى سكون واستقرار واعتناء بالعمارة وقتل اللصوص وقطاع الطرق ونشر الأمن بين الناس إلى مساعدة الفقراء والمحتاجين والمرضى والقضاء على الأوبئة إلى الحد من الفتن والبدع والضلالات ، تلك مجمل الأحوال الإجتماعية التي كانت في عصر ابن مردويه .

٩٨ ينظر : الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٢٩) .

٩٩ ينظر : ابن الأثير ، الكامل : (٧ / ٢٣٨ - ٢٥٤) .

١٠٠ ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم : (١٤ / ٣٥٥) .

١٠١ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٣١١) ، الذهبي ، دول الإسلام : (١ / ٢٣٣) .

١٠٢ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٣١٢) .

المبحث الثالث / الحالة العلمية •

شهد القرن الرابع الهجري وبدايات القرن الخامس الهجري نهضة علمية واسعة تمثلت بانتشار العلم بين الإمارات الإسلامية ، وتمثلت بالاهتمام بالكتب والمدارس العلمية ، وتمثلت بذلك الكم الهائل من المؤلفات العلمية التي لا تحصى في شتى مجالات العلوم الدينية والدنيوية ؛ فقبل كل شيء كان الخلفاء العباسيون يحرصون على تعليم أولادهم وجلب المعلمين إليهم ، وكان الخلفاء أنفسهم يميلون إلى العلم وإلى مجالس العلماء ، وكانوا يجعلون قصورهم مجالس للعلماء واللقاءات والمسامرات الأدبية والعلمية ، وكان المسلمون عموماً يهتمون بأمور دينهم وجميع علومهم ، فكانت المكتبات منتشرة وكثرت النساخون الذين كانوا ينسخون للناس الكتب ، وكان الناس حريصين على أن يقتنوا تلك الكتب وعلى أن يجعلوها في بيوتهم ، كما كانت المساجد مدارس يتعلم فيها المسلمون العلوم الشرعية والعلوم الدنيوية ، وكانت المجالس في المساجد واسعة الانتشار ومليئة بطلاب العلم والعلماء •

فلما جددت عمارة بغداد سنة تسع وستين وثلاثمائة ، أجريت الأموال والأرزاق على الفقهاء والعلماء وأهل الحسبة والمهندسين والأطباء والكتّاب وغيرهم^{١٠٣} •

فكان القرن الرابع الهجري عصراً زاهراً بالعلوم ، والآداب ، والفنون ، وكان انتشار المكتبات أمراً طبيعياً للغاية وسمة من سمات هذا العصر ، (فكان في كل جامع كبير مكتبة ، لأنه كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم في الجوامع ، وكان الملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى كان لكل ملك من ملوك الإسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد في أواخر القرن الرابع ولغّ شديد بالكتب)^{١٠٤} ، وقد كان القرن الرابع الهجري عصر التهذيب أو جمع التشتيت في كتاب واحد أو بيان الغريب أو التوفيق بين ما ظاهره التعارض منها أو استدراك ما فات السابقين أو طرق سبيل الاختصار والتقريب بحذف الأسانيد والاختصار على المتون أو بعضها أو الاختصار على بعض الأبواب كالأحكام ، وغير ذلك^{١٠٥} •

كما وأن دور العلم كانت منتشرة في البلاد الإسلامية ، فقد كانت المدارس العلمية في الموصل وكانت مدرسة أخرى في نيسابور وكان فيها خزانة للكتب ومساكن للغرباء وكانت هناك مدرسة في رام هرمز ، وكانت مليئة

١٠٣ ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٢٩٥) •

١٠٤ أم متز ، مصدر سابق : (١ / ٢٨٦ - ٢٨٧) •

١٠٥ ينظر : محمد محمد أبو شهبه ، أعلام المحدثين ، الناشر : مركز الشرق الأوسط ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر : (٣٠٣) •

بالكتب ، كما وبنيت دار أخرى بالبصرة وجعل فيها أجراء على من قصدها ولزم القراءة والنسخ فيها ، كما وأنشئت دار للعلم في الكرخ وكانت تحوي على كتب كثيرة ، وكانت تلك مكاتب مفتوحة أمام الجميع ، وكانت أضخم تلك الدور العلمية تلك الدار التي بُنيت في عهد الخليفة القادر بالله العباسي في عهد الوزير أبي نصر سابور بن أردشير سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، فقد كانت دارا للعلم كبيرة في جانب الكرخ حيث نقل إليها الكثير من الكتب ووقفت على الفقهاء ، قال ابن كثير : (وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل المدرسة النظامية بمدة طويلة)^{١٠٦} ، فالقرن الرابع الهجري هو الذي أظهر تلك المدارس التي بقيت إلى أيامنا هذه ، وذلك لتطور الحياة العلمية ، ولكثرة طلاب العلم والعلماء .

فالحق الذي لا مرية فيه أن علماء الإسلام في القرن الرابع كانوا (قد دخلوا في جملة العظماء وأصحاب الألقاب باستحقاق)^{١٠٧} ، ونجد أن القرن الرابع الهجري كان مسرحا لظهور جملة جديدة من المؤلفات التي عالجت قضايا شتى في حياة الأمة ؛ فمن الكتب التي اعتنت بتصحيحات الحديث ومعرفة رجاله وضبط أسمائهم ككتب الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) ، وكتب الدار قطني (٣٨٥ هـ) ، إلى كتب التواريخ ككتاب : تاريخ نيسابور الذي ألفه النيسابوري (٤٠٦ هـ) ، و تاريخ أصبهان الذي ألفه أبو نعيم (٤٣٠ هـ) ، إلى كتب القراءات القرآنية ككتاب : الأحتجاج للقراء لابن العطار المقرئ (٣٥٤ هـ) وغيرها من المؤلفات فيه ، إلى كتب تفسير القرآن الكريم كتفسير الرماني (٣٨٥ هـ) ، وغيرها كثير^{١٠٨} ، إلى الفقه وعلوم اللغة والأدب والفلسفة والطب والهندسة والعمارة والفنون وغيرها .

هذه هي الحالة العلمية لهذه الأمة ، فقد كانت أمة متيقظة علمية لا تبالى بظروف معيشتها وحياتها بالقدر الذي تبالى فيه بروحها وغذاء هذه الروح العلمية ، فكانت الأمة تمر في هذا العصر بأحسن حالاتها العلمية من النضوج الفكري والعقلي ، وقد اعتبر الكثير من المؤرخين القرن الرابع الهجري هو العصر الذهبي بالنسبة للعلوم عند العرب ، وكانت بغداد من أكبر المراكز العلمية ، والحمد لله رب العالمين .

١٠٦ ابن كثير ، البداية والنهاية : (١١ / ٣١٢) .

١٠٧ آدم متر ، مصدر سابق : (١ / ٣١١) .

١٠٨ ينظر : آدم متر ، مصدر سابق : (١ / ٣١١) ، وما بعدها .

سورة الفاتحة

نزول الفاتحة

للعلماء في نزولها ثلاثة أقوال :

الأول : نزلت في مكة ، و هو قول أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين ومنهم : عبد الله بن عباس ، وقسادة السدوسي وغيرهم^١ .

الثاني : نزلت في المدينة ، وهو قول : مجاهد بن جبر المكي ، وابن شهاب الزهري وغيرهم^٢ ، ودليلهم بذلك نزول جبريل عليه السلام بالفاتحة حين تحولت القبلة إلى مكة ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة ؛ فظنوا ذلك نزولاً لها مرة أخرى أو أنه أقرأه إياها قراءةً أخرى غير التي كانت عليها بمكة ، فقالوا : بنزلها بمكة على ذلك الأساس^٣ .

الثالث : نزلت مرتين : مرة بمكة ، و مرة بالمدينة ؛ و لذلك سميت مثنائي^٤ ، وقالوا : سميت بذلك لتكرار نزولها ، وهذا القول بعيد .

والقول الأول أصح تلك الأقوال : و هي أنها نزلت بمكة ؛ (لأن الله تعالى منّ على الرسول صلى الله عليه و سلم بقوله [و لقد آتيناك سبعاً من المثنائي] ، الآية ، قال العلماء ، و المراد منها فاتحة الكتاب)^٥ ، على أن المتأمل لسورة الفاتحة يرى ما فيها من الدعوة لتوحيد الله عز و جل ، و البراءة من الشرك و الدعوة إلى نبذه ، ما يوحي إلى أنها نزلت بمكة .

تسميات الفاتحة .

سُميت الفاتحة بتسميات كثيرة منها : فاتحة الكتاب ، و أم القرآن ، و السبع المثنائي ، و سورة الحمد ، و سورة الصلاة ، و الواقية ، سُميت فاتحة الكتاب : لأن الله تعالى أفتح بها القرآن وهي مبدأ القرآن الكريم ، و سُميت أم الكتاب : لأنها أصل القرآن منها بدء القرآن وهي تحتوي على كل العلوم التي في القرآن الكريم من عقائد وآداب وغيرها ، ويقال : أم الشيء أصله ، ويقال لمكة : أم القرى ؛ لأنها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها ، وقيل : لأنها مقدمة وإمام لسور القرآن ، يبدأ بكتابتها في الصحف وبقراءتها في الصلاة ، و سُميت بالسبع المثنائي : لأنها سبع آيات باتفاق العلماء ، و سُميت مثنائي : لأنها تشي في كل صلاة فتقرأ في كل ركعة وتعاد^٦ .

^١ ينظر : البغوي ، معالم التنزيل ، تحقيق : خالد العك ، و مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) : (٣٧ / ١) ،

السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية ، بيروت (١٩٧٣ م) (١٢ / ١) .

^٢ ينظر ، ابن شهاب الزهري ، تنزيل القرآن ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الحديث ، بيروت (١٩٨٠ م) : (٢٩) ، السيوطي ، الإتيان : (١٢ / ١) .

^٣ ينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، تحقيق : عبد القادر عرفات ، دار الفكر ، بيروت (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) : (١٧ / ١) .

^٤ ينظر : البغوي ، مصدر سابق : (٣٧ / ١) .

^٥ المصدر السابق : (٣٧ / ١) .

^٦ ينظر : البغوي ، مصدر سابق : (٣٧ / ١) ، البيضاوي ، مصدر سابق : (١٧ / ١ - ١٨) ، ومن أراد الاستزادة فليرجعها في ملاحظها في كتب التفسير .

(١) قال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد^٧ ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب^٨ ، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي^٩ ، حدثنا المعافى بن عمران^{١٠} ، عن عبد الحميد بن جعفر^{١١} ، عن نوح بن أبي بلال^{١٢} ، عن المقبري^{١٣} ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله رب العالمين سبع آيات ، بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي أم الكتاب و فاتحة الكتاب (١٤) .

^٧ أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد بن عباد أبو سهل القطان ، متوثي الأصل سكن دار القطن ، وحدث عن محمد بن عبيد الله المنادى والحسن بن مكرم ويحيى بن أبي طالب ، وخلق كثير سوى هؤلاء ، وكان صدوقاً أديباً شاعراً راوية للأدب ، وكان يميل إلى التشيع ، وروى عنه الدارقطني والمزني وغيرهما من المتقدمين ، سئل الدارقطني عن أبي سهل بن زياد ؟ فقال : ثقة ، وسئل أبو بكر البرقاني عن أبي سهل بن زياد ؟ فقال : صدوق ، وقد روى عنه الدارقطني في الصحيح ، وإنما كرهوه لمزاح كان فيه ، توفي أبو سهل بن زياد يوم السبت العصر ودفن يوم الأحد لثمان خلون من شعبان سنة خمسين وثلاثمائة ودفن بقبر قبر معروف الكرخي ، ينظر : أبو الفضل الهروي ، مشتهه أسامي المحدثين ، تحقيق : نظر محمد الفريابي ، مكتبة الرشد ، الرياض (١٤٤١ هـ) : (٤٧) ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (٥ / ٤٥) .

^٨ (تمام الحافظ الإمام أبو جعفر محمد بن غالب بن حرب الضبي البصري التمار نزيل بغداد ، سمع أبا نعيم ومسلم بن إبراهيم وعفان والقعبي وطبقتهم ، وصنف وجمع ، حدث عنه ابن البخترى وإسماعيل الصفار وعثمان بن السماك وأبو سهل القطان وأبو بكر الشافعي وأبو بحر البرهماري وخلق ، قال الدارقطني : ثقة مجود ، وقال أيضا : ثقة مأمون إلا انه يخطيء ، توفي في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين) ، القيسراني ، مصدر سابق : (٢ / ٦١٥) .

^٩ إسحاق بن عبد الواحد الموصلي ، محدث مكثّر مصنف ، تكلم فيه بعضهم ، فيه لين ، مات سنة ست و عشرين و مائتين ، ينظر : الذهبي ، الكاشف ، تحقيق ، محمد عوامة ، دار الثقافة الإسلامية ، و مؤسسة علو ، جدة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) : (١ / ٢٣٧) ، ابن حجر ، تقريب التهذيب ، تحقيق ، محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، : (١٠٢) .

^{١٠} المعافى بن عمران الإمام القدوة الحافظ شيخ الجزيرة أبو مسعود الأزدي الموصلي ، سمع ثور بن يزيد وجعفر بن برقان وهشام بن حسان وابن جريح وسعيد بن أبي عروبة والأوزاعي وخلقاً كثيراً ، حدث عنه بشر الحافي ومحمد بن جعفر الوركاني ومحمد بن عبد الله بن عمار وعبد الله بن أبي خدّاش وآخرون فيهم كثرة ، قال يحيى بن معين : ثقة وقال ابن سعد : كان ثقة فاضلاً خيراً صاحب سنة ، وكان ابن المبارك يقول : حدثني ذلك الرجل الصالح ، وقال أحمد بن يونس : سمعت سفيان الثوري وذكر المعافى فقال : ذلك ياقوتة العلماء ، صنف المعافى في السنن والزهد والأدب والفتن وغير ذلك ، مات سنة خمس وثمانين ومائة) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٢٨٧) .

^{١١} (عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري المدني الإمام المحدث الثقة ، قال أحمد : ليس به بأس ، وكذا قال النسائي ، قال ابن معين : كان عبد الحميد ثقة يرمى بالقدر ، مات سنة ثلاث و خمسين ومائة) ، الذهبي ، السير : (٧ / ٢٠) .

^{١٢} نوح بن أبي بلال الجسري المدني مولى معاوية ، روى عن ابن عمر و سعيد ابن المسيب و أبي سلمة بن عبد الرحمن و علي بن الحسين و أبي سعيد المقبري ، قال أحمد و ابن معين و أبو حاتم : ثقة ، و قال أبو زرعة و النسائي ، لا بأس به) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) : (١٠ / ٤٢٩) .

^{١٣} أبو سعيد المقبري ، اسمه كيسان مولى شريك من بني جديع بن ليث بن بكر والد سعيد ، وإنما سُمي المقبري ؛ لأنه كان يأوي إلى المقبرة بالليلي ، و قد قيل : إن داره كانت بجانب المقبرة فنسب إليها ، مات سنة مائة ، ينظر : العجلي ، معرفة الثقات ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) : (٢ / ٤٠٤) ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأنصار ، تحقيق : فلايشهر ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٥٩ م) : (٧١) .

^{١٤} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠١ هـ) : (١ / ١٠) .

ورد في فضل سورة الفاتحة أحاديث كثيرة منها ما أخرجه مسلم عن (ابن عباس قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم قاعد إذ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)^{١٥} ، ولعظم هذه السورة جعلت الصلاة التي لا تقرأ بها صلاة ناقصة ففي صحيح مسلم من حديث (أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج تمام ، فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال : اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبي ما سألت ؛ فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : حمدني عبدي ، وقال مرة : فوض إلي عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سألت ، فإذا قال : اهتدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبي ولعبي ما سألت)^{١٦} ، وهي أعظم سورة في القرآن ففي الحديث عن (أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ، فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ، فقال : ألم يقل الله : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، قال لي : لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ، قال : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)^{١٧} ، و (عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثل أم الكتاب وهي السبع المثاني)^{١٨} ، و (عن ابن جريج قال : حدثني أبي ، عن سعيد بن جبيرة أنه أخبره : أنه سأل ابن عباس عن السبع المثاني ؟ قال : أم القرآن ، قال سعيد : قرأها وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، قرأها سعيد بن جبيرة كما قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت لابن عباس : فما المثاني ؟ قال : هي أم القرآن استثنائها الله لأمة محمد فرفعها في أم الكتاب فدخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحدا قبله ، قال : فقلت : لأبي أخبرك سعيد بن جبيرة أن ابن عباس قال له : بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن ؟ قال : نعم)^{١٩} .

^{١٥} مسلم ، الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت : (١ / ٥٥٤) .

^{١٦} المصدر السابق : (١ / ٢٩٦) .

^{١٧} البخاري ، الجامع الصحيح ، تحقيق : د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) : (١ / ١٦٢٣) .

^{١٨} ابن خزيمة ، الصحيح ، تحقيق : د . محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م) : (١ / ٢٥٢) .

^{١٩} المقدسي ، الأحاديث المختارة ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهب ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة (١٤١٠ هـ) : (١٠ / ٢٢٦) .

في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (السبع المثاني) ، قال ابن قتيبة : (سُميت بهذا الاسم لأنها تُثنى في كل صلاة وفي كل ركعة)^{٢٠} ، وقال ابن الأثير : (سُميت بذلك لأنها تُثنى في كل صلاة ، أي : تعاد ، و قيل : المثاني السور التي تُقصر عن المثني وتزيد على المفصل ، كأن المثني جعلت مبادي ، والتي تليها مثاني)^{٢١} ، والراجح أنها سُميت مثاني : لأنها تُثنى وتعاد في صلاة وفي كل ركعة .
أخرج الحديث : البيهقي^{٢٢} ، والهيثمي^{٢٣} ، وقال الهيثمي : (رجاله ثقات)^{٢٤} .

ما جاء في : [بسم الله الرحمن الرحيم]

إن الله تعالى ذكره وتقدسست أسماؤه أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنی أمام جميع أفعاله ، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها ، وسبيلا يتبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقتهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل : بسم الله ، على ما بطن من مراده الذي هو محذوف^{٢٥} ، (وعن عبد الله بن عباس قال : أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : يا محمد قل : أستعيز بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال ابن عباس : بسم الله يقول له جبريل : يا محمد اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله)^{٢٦} ، فهي مبدأ القراءة وتلاوة القرآن العظيم ، وهي مبدأ كل شيء ، وبها بركة عظيمة وتأثير في السامعين ليس في غيرها ، و (عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل ، فهو أبتى ، أو قال : اقطع)^{٢٧} ، ومعلوم أن ذكر الله يكون بالبسملة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في البسملة هل هي آية أو ليست آية على أقوال :

القول الأول : ليست آية من الفاتحة وغيرها ، وهو قول الإمام مالك ، وأبي حنيفة .

القول الثاني : أنها آية من كل سورة ، وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو هريرة وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن المبارك وغيرهم .

^{٢٠} ابن قتيبة ، الغريب : (١ / ٢٤٣) .

^{٢١} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (١ / ٢٢٥) .

^{٢٢} البيهقي ، السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) : (٢ / ٤٥) ، السنن الصغرى ،

تحقيق : د . محمد ضياء الدين الأعظمي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) : (٢٤٨) .

^{٢٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد ، دار الريان للتراث ، ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت (١٤٠٧ هـ) : (٢ / ١٠٩) .

^{٢٤} المصدر السابق : (٢ / ١٠٩) .

^{٢٥} ينظر : الطبري ، التفسير ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٥ هـ) : (١ / ٥٠) .

^{٢٦} المصدر السابق : (١ / ٥٢) .

^{٢٧} الإمام أحمد ، المسند ، مؤسسة قرطبة ، مصر : (٢ / ٣٥٩) ، ابن حبان ، الصحيح ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة

الثانية (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) : (١ / ١٧٣) ، البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ١٢٧) .

القول الثالث : قال الشافعي : هي آية من الفاتحة ، على أن قوله تردد في سائر السور ، فمرة قال : هي آية من كل سورة ، ومرة قال : ليست بآية إلا في الفاتحة وحدها .

على أنه ليس هنالك خلاف بين العلماء في أن البسملة آية من القرآن في سورة النمل^{٢٨} .

القول الرابع : أنها آية من الفاتحة مع كونها قرآناً في سائر السور أيضاً من غير التعرض لكونها جزءاً منها أو لا ولا لكونها آية تامة أو لا^{٢٩} .

وهي من كل تلك الأقوال آية من الفاتحة للحديث المتقدم عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، الحديث^{٣٠} .

وأما الجهر بها فمفرغ على هذا ، فمن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها ، وكذا من قال : إنها آية في أولها ، وأما من قال : بأنها من أوائل السور ، فاختلفوا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفاً وخلفاً فجهر بها من الصحابة : أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية ، وحكاه ابن عبد البر والبيهقي عن : عمر وعلي ، ونقله الخطيب عن : الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ومن التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبي قلابة والزهري وعلي بن الحسن وابنه ، والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة فيجهر فيها كسائر أبعاضها^{٣١} ، والله أعلم .

فضل : [بسم الله الرحمن الرحيم] .

(٢) (أخرج ابن مردويه : عن سليمان بن أحمد^{٣٢} ، عن علي بن المبارك^{٣٣} ، عن زيد بن المبارك^{٣٤} ، حدثنا سلام بن وهب الجندي^{٣٥} ، حدثنا أبي^{٣٦} ، عن طاوس^{٣٧} ،

^{٢٨} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٧) ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة (١٣٧٢ هـ) : (١ / ٩٣) .

^{٢٩} ينظر : أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : (١ / ٨) .

^{٣٠} ينظر : الحديث رقم (١) .

^{٣١} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٧) .

^{٣٢} سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني من طبرية الشام ، كان ثقةً حافظاً ، توفي يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة ، ينظر : محمد بن عبد الغني البغدادي ، التقييد ، تحقيق ، كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٨ هـ) : (٢٨٣) ، الذهبي ، طبقات المحدثين ، تحقيق : همام عبد الرحيم سعيد ، عمان ، الأردن (١٤٠٤ هـ) : (١١٤) .

^{٣٣} (علي بن محمد بن المبارك الصنعاني اليماني ، ثقة) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٣ / ٣٦٦) .

^{٣٤} زيد بن المبارك الصنعاني ، يماني سكن الرملة ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ؟ فقال : أدركته ولم أكتب عنه ، ولم يكن يحدث ، وهو صدوق ، وكان عابداً ، ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م) : (٣ / ٥٧٣) ، ابن حبان ، الثقات ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) : (٨ / ٢٥١) .

^{٣٥} (سلام بن وهب الجندي ، ثقة) ، محمد عبد الغني البغدادي ، تكملة الإكمال : (٢ / ١٦١) .

^{٣٦} وهب بن سليمان الجندي اليماني ، ثقة ، ينظر ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٩ / ٢٧) ، ابن حبان ، الثقات : (٧ / ٥٧٧) .

^{٣٧} (طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليماني الجندي من الأبناء ، سمع زيد بن ثابت وعائشة وأبا هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس وطائفة ، حدث عنه : ابنه عبد الله والزهري وإبراهيم بن ميسرة وأبو الزبير المكّي ، وكان رأساً في العلم والعمل ، قال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً مثل طاوس ، وقال قيس بن سعد : كان طاوس فينا مثل ابن سيرين في أهل البصرة ، وروى عطاء عن ابن عباس قال : إني لأظن طاوساً من أهل الجنة ، كان طاوس شيخ أهل اليمن وبركتهم ومفتيهم له

عن ابن عباس ، أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال : هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الأعظم إلا كما يخلو بين سواد العين وبياضها)^{٣٨} .

في الحديث إخبار عن فضل (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وأنها اسم من أسماء الله الحسنى ؛ بل إنها على هذا الحديث أقرب ما يكون من اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، فناسب ذكر الحديث هنا لما فيه .

والحديث أخرجه : الحاكم^{٣٩} ، والبيهقي^{٤٠} ، وقال الحاكم عقب ذكر الحديث : (هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٤١} .

(٣) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الكبير بن المعافى بن عمران^{٤٢} ، عن أبيه^{٤٣} ، عن عمر بن ذر^{٤٤} ، عن عطاء بن أبي رباح^{٤٥} ، عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل بسم الله الرحمن الرحيم ، هرب الغيم إلى المشرق ، وسكنت الرياح وهاج البحر ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه)^{٤٦} .

وفي الأثر بيان لفضل (بسم الله الرحمن الرحيم) وعظمتها ؛ ففيه إخبار عن هروب الغيم ، وسكون الريح وهيجان البحر ، وإصغاء البهائم ورجم الشياطين ، وقسم الله عز وجل بعزته وجلاله أن لا يُسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه ، ولم أقف على تخريج هذا الأثر .

حالة عظيمة ، وكان كثير الحج ، فاتفق موته بمكة قبل التزوية بيوم ، سنة ست ومائة ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك الخليفة رحمة الله عليه) ، القيسراني ، مصدر سابق : (٩٠ / ١) .

^{٣٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١٨ / ١) .

^{٣٩} الحاكم ، المستدرک على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) : (١ / ٧٣٨) .

^{٤٠} البيهقي ، شعب الإيمان ، تحقيق : محمد السعيد بن بسويي زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٠ هـ) : (٢ / ٤٣٧) .

^{٤١} الحاكم : المستدرک : (١ / ٧٣٨) .

^{٤٢} (عبد الكبير بن المعافى بن عمران الموصلي ، نزيل المصيصة أبو علي ، روى عن جعفر بن سليمان وعيش ومرحوم بن عبد العزيز وأبيه ، وكان ثقةً رضاءً ، وكان يعد من الأبدال) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٦٣) .

^{٤٣} تقدم في الحديث رقم (١) .

^{٤٤} عمر بن ذر بن عبد الله بن بينها الهمداني أبو ذر ، روى عن أبيه وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء ، قال يحيى بن سعيد : عمر بن ذر ثقةٌ في الحديث ليس ينبغي أن يترك حديثه ، قال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه ؟ فقال : كان صدوقاً وكان مرجحاً لا يحتج بحديثه ، توفي سنة ست وخمسين ومائة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر : (٦ / ١٥٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ١٠٧) ، ابن زبر الربيعي ، مولد العلماء ووفياتهم تحقيق : د . عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض (١٤١٠ هـ) : (١ / ٣٦٣) .

^{٤٥} عطاء بن أبي رباح مفتي أهل مكة ومحدثهم القدوة أبو محمد بن أسلم القرشي مولا هم المكي الأسود ، ولد في خلافة عثمان ، وقيل : في خلافة عمر وهو أشبه ، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وأم سلمة ، غيرهم ، كان أسود مفلحاً فضيحاً كثير العلم من مولدي الجند ، قال أبو حنيفة : ما رأيت أحداً أفضل من عطاء ، وقال ابن جرير : كان المسجد فراشه عشرين سنة وكان من أحسن الناس صلاةً ، مناقب عطاء في العلم والزهد كثيرة ، مات على الأصح في رمضان سنة أربع عشرة ومائة بمكة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ١٣٥) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٩٨) ، الذهبي ، السير : (٥ / ٧٨) .

^{٤٦} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٨) ، السيوطي ، تدریب الراوي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض : (١ /) .

(٥٥) .

(٤) (أخرج ابن مردويه : عن خالد الحذاء^{٤٧} ، عن أبي تميمة وهو الهجيمي^{٤٨} ، عن أبي المليح بن أسامة بن عمير^{٤٩} ، عن أبيه^{٥٠} قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم وعثر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقل تعس الشيطان ، فإنه يتعاضم حتى يكون كالبيت ، ولكن قل : بسم الله ، فإنه يصغر حتى يكون كالذباب^{٥١}) .

جاء في الحديث قوله : (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم) ، و (الرديف والردف والمرتدف : هو الذي يركب خلف الراكب ، وأردفه أركبه خلفه ، وكل شيء يتبع شيئاً فهو ردفه)^{٥٢} .

وجاء في الحديث أيضاً قوله : (تعس الشيطان) ، وتعس ، بمعنى : (الهلاك ، وأصله الكب وهو ضد الانتعاش ، يقال : تعساً لفلان ، أي : ألزمه الله هلاكاً)^{٥٣} ، وفي الحديث أيضاً : (تعاضم) ، بمعنى : كبر حتى صار عظيماً وعظم الشيء فهو عظيم^{٥٤} ، وفي الحديث إخبار عن تأثير بركة بسم الله ووقعها على الشيطان .
أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٥٥} ، والنسائي^{٥٦} ، والطبراني^{٥٧} ، والحاكم^{٥٨} ، والمقدسي^{٥٩}

^{٤٧} خالد الحذاء أبو المنازل الحافظ الثبت خالد بن مهران البصري ، محدث البصرة ، ولم يكن حذاءً بل كان يجلس عندهم ، حدث عن : عبد الله بن شقيق وأبي عثمان النهدي وعكرمة وعبد الرحمن بن أبي بكره وحفصة بنت سيرين وأخيها محمد وطائفة ، وثقه أحمد بن حنبل وابن معين ، واحتج به أصحاب الصحاح ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، مات سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ومائة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٣٣٣) ، أبو حفص الواعظ ، تاريخ أسماء الثقات ، تحقيق : صبحي السامرائي ، الدار السلفية ، الكويت (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) : (٧٦) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ١٤٩) .

^{٤٨} طريف بن مجالد أبو تميمة الهجيمي البصري ، سمع أبا هريرة وأبا موسى وغيرهم ، قال يحيى بن معين : ثقة ، مات سنة خمس وتسعين ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٤ / ٣٥٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٤ / ٣٩٥) ، أبو الفتح الأزدي ، أسماء من يعرف بكنته ، تحقيق : أبو عبد الرحمن إقبال ، الدار السلفية ، الهند (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) : (٣٥) .

^{٤٩} زيد بن أسامة بن عمير أبو المليح ، وقيل : أسمة عامر ، روى عن أبيه ، روى عنه قتادة وعبيد الله بن أبي حميد وابنه زياد ، ينظر : أحمد بن حنبل ، الكنى و الأسماء ، تحقيق : عبد الله بن يوسف الجديع ، مكتبة دار الأقيصى ، الكويت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م) : (٧٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٥٥٥) ، ابن منجويه ، رجال مسلم ، تحقيق : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت (١٤٠٧ هـ) : (١ / ٢١٥) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (١٢ / ٢١٨) .

^{٥٠} أسامة بن عمير بن عامر بن الأقسشير الهذلي ، روى حديثه أصحاب السنن وأحمد وأبو عوانة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ومن حديثه أصابتنا السماء ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، قال خليفة بن خياط : نزل البصرة ، ولم يرو عنه إلا ولده ، قاله جماعة من الحفاظ ، ينظر : خليفة بن خياط ، الطبقات ، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) : (٣٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٣ / ٣) ، ابن حجر ، الإصابة ، تحقيق : محمد علي البحراوي ، دار الجليل ، بيروت (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) : (١ / ٥٠) .

^{٥١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٩) .

^{٥٢} الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) : (٢٤٠) .

^{٥٣} المصدر السابق : (٧٧) .

^{٥٤} ينظر : المصدر السابق : (١٨٥) .

^{٥٥} الإمام أحمد ، المسند : (٥٩ - ٧١) .

^{٥٦} النسائي ، السنن الكبرى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) : (١٤٢ / ٦) .

^{٥٧} الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م) : (١ / ١٩٤) .

^{٥٨} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٣٢٤ - ٣٢٥) .

^{٥٩} المقدسي ، الأحاديث المختارة ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهب ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة (١٤١٠ هـ) : (٤ / ١٩٦) .

، والهيثمي^{٦٠}، قال الحاكم : (هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٦١}، وقال الهيثمي : (إسناده صحيح)^{٦٢}.

(٥) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقي عليّ بسم الله الرحمن الرحيم)^{٦٣}

جاء الحديث مبيناً لفضل (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وفضل البدء بها قبل كل شيء ، فجبريل عليه السلام كان إذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم كان أول شيء يفعله هو قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) ، فكان من باب أولى أن نفعل نحن ذلك ويبدأ كلامنا (بسم الله الرحمن الرحيم) .
والحديث أخرجه الطبراني^{٦٤}، والدارقطني^{٦٥}.

(٦) (أخرج ابن مردويه : عن يزيد بن أبي خالد^{٦٦} ، عن عبد الكريم أبي أمية^{٦٧} ، عن سليمان بن بريدة^{٦٨} ، وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية ، عن أبي بريدة ، عن أبيه^{٦٩} ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزلت علي آية لم تنزل إلا على سليمان بن داود وغيري ،

^{٦٠} الهيثمي، مجمع الزوائد : (١٠ / ١٣٢) .

^{٦١} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٣٢٤) .

^{٦٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ١٣٢) .

^{٦٣} الشوكاني ، فتح القدير ، دار الفكر ، بيروت : (١ / ١٨) .

^{٦٤} الطبراني ، المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة (١٥٤١ هـ) : (٤ / ١٠ - ١١) ، وقد أخرج الحديث بإسناده قال : حدثنا الحسين بن أحمد القتات الكوفي ، قال نا إسماعيل بن محمد الطلحي ، قال نا داود بن عطاء المدني ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، الحديث .

^{٦٥} الدارقطني ، السنن ، تحقيق : السيد هاشم يماني مدني ، دار المعرفة ، بيروت (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) : (١ / ٣٠٥) ، وذكر إسناده الحديث قال : حدثنا الحسين بن إسماعيل ، ثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا داود بن عطاء ، ح ، وحدثنا جعفر بن نصير ، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ، ، ، ، وحدثنا علي بن محمد بن عبيد الله الحافظ ، ثنا الحسين بن جعفر بن حبيب القرشي قالوا : نا إسماعيل بن محمد الطلحي ، حدثني داود بن عطاء ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، الحديث .

^{٦٦} لم أقف على ترجمته .

^{٦٧} (عبد الكريم بن أبي المخارق بضم الميم وبالحاء المعجمة أبو أمية المعلم البصري نزيل مكة واسم أبيه قيس ، وقيل : طارق ، ضعيف له في البخاري زيادة في أول قيام الليل من طريق سفيان عن سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس في الذكر ثم القيام ، قال سفيان : زاد عبد الكريم فذكر شيئا وهذا موصول ، وعلم له المزني علامة التعليق ، وله ذكر في مقدمة مسلم ، وما روى له النسائي إلا قليلا ، من السادسة ، مات سنة ست وعشرين ، وقد شارك الجزري في بعض المشايخ فرما التيس به على من لا فهم له) ، ابن حجر ، تقريب التهذيب : (٣٦١) .

^{٦٨} سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، يروي عن أبيه وعمران بن حصين ، روى عنه علقمة بن مرثد ، ولد هو وأخوه عبد الله في بطن واحدة على عهد عمر ثلاث خلون من خلافته ، مات سنة خمس ومائة بفين قرية من قرى مرو وبها قبره ، وكان على القضاء فيها ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٤) ، العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٤٢٦) ، ابن حبان ، الثقات : (٤ / ٣٠٣) .

^{٦٩} بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي ، من المهاجرين الأولين ممن هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه المدينة ولحق به فلما أراد النبي عليه الصلاة والسلام دخول المدينة قال بريدة ، لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ثم حمل عمامته وشدها في رمح ومشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم قدومه المدينة ، كنيته أبو سهل ، وقيل : أبو ساسان ، انتقل إلى البصرة وأقام بها زماناً ثم خرج إلى سجستان فبقي بها مدة ثم خرج منها إلى مرو فاستوطنها في إمارة يزيد بن معاوية إلى أن مات ، وبها عقبه وقبره بمرو مشهور يعرف ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٤) ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار : (٦٠) .

وهي : بسم الله الرحمن الرحيم (٧٠) .

في الحديث بيان لفضل (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وأنها آية مباركة لم تنزل إلا على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونبي الله سليمان بن داود عليه السلام .

وقد أخرج الحديث : الطبراني^{٧١} ، وأبو أحمد الحاكم^{٧٢} ، والدارقطني^{٧٣} ، والبيهقي^{٧٤} ، والهيثمي وقال : (وفيه عبد الكريم أبو أمية وهو ضعيف ، وفيه من لم أعرفهم)^{٧٥} ، وهو قول ابن الجوزي^{٧٦} .

(٧) (أخرج ابن مردويه : عن إسماعيل بن عياش^{٧٧} ، عن إسماعيل بن يحيى^{٧٨} ، عن مسعر^{٧٩} ، عن عطية^{٨٠} ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عيسى ابن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال له المعلم : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله ، قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري ! قال له عيسى : الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته ، والله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة)^{٨١} .

في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (السين سناء الله) ، وسناء الله بمعنى : (رفعته ، ومنزلته ، وقدره ، ومكانته)^{٨٢} ، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : (الباء بهاء الله) ، وبهاء الله بمعنى : (حسنه ، وجماله)^{٨٣} .

^{٧٠} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٨) .

^{٧١} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ١٩٦) .

^{٧٢} أبو أحمد الحاكم ، شعار أصحاب الحديث ، تحقيق : صبحي السامرائي ، دار الخلفاء ، الكويت : (٤٢) .

^{٧٣} الدارقطني ، السنن : (١ / ٣١٠) .

^{٧٤} البيهقي ، السنن الكبرى : (١٠ / ٦٢) .

^{٧٥} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٨٧) .

^{٧٦} ابن الجوزي ، التحقيق في اختلاف الحديث ، تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٥ هـ) : (١ / ٣٤٧) .

^{٧٧} إسماعيل بن عياش أبو عتبة العنسي ، سمع شرحبيل بن مسلم ومحمد بن زياد ، روى عنه ابن المبارك ، قال البخاري : ما روى عن الشاميين فهو أصح ، قال الذهبي : ومع ذلك لم يحتج به ، قال ابن المبارك : إذا اجتمع إسماعيل وبقية في شيء فبقية أحب إلي ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة ، ينظر : البخاري ،

التأريخ الكبير : (١ / ٣٦٩) ، الذهبي ، من تكلم فيه ، تحقيق : محمد مشكور أمير الميادين ، مكتبة المنار ، الزرقاء (١٤٠٤ هـ) : (٤٧) .

^{٧٨} (إسماعيل بن يحيى بن عبد الله التيمي ، مدني يحدث عن الثقات بالبواطيل ، يحدث عن شعبة وعن الثوري ومسعر وابن جريح وغيرهم) ، ابن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) : (١ / ٣٠٢) ، وما بعدها .

^{٧٩} مسعر بن كدام الهلالي أبو سلمة العامري من قيس عيلان ، روى عن عمير بن سعيد وعطاء وأبي بكر بن عمرو بن عتبة وبكير بن الأحنس ، روى عنه الثوري وشعبة ومالك بن مغول وغيرهم ، قال الثوري : كنا إذا اختلفنا في شيء سألتنا مسعراً عنه ، وقال شعبة : كنا نسمي مسعراً المصحف ، قال ابن عينة :

كان مسعر عندنا من معادن الصدق ، مات مسعر سنة ثلاث وخمسين ومائة ، ينظر : مسلم ، الكنى والأسماء ، تحقيق : عبد الرحيم محمد أحمد القشيري ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة (١٤٠٤ هـ) : (١ / ٣٨٠) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٣٦٨) ، ابن زبر الربيعي ، مولد العلماء ووفياتهم : (١ / ٣٥٨) .

^{٨٠} (عطية بن سعد العوفي الجدي ، كوفي ، روى عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس ، روى عنه الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد ومسعر وابن أبي ليلى وقره بن خالد ، قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي وذكر عطية العوفي فقال : هو ضعيف الحديث ، وسئل أبو زرعة عنه ؟ فقال : كوفي لين) ، ابن أبي

حاتم ، الجرح و التعديل : (٦ / ٣٨٢) .

^{٨١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٨) .

^{٨٢} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٢ / ٤١٤) .

^{٨٣} الرازي ، مصدر سابق : (٦٦) .

والحديث أخرجه الديلمي^{٨٤}، قال ابن حبان : (إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي كنيته أبو علي ، يروى عن مسعر بن أبي ذئب ومالك وفطر ، روى عنه أهل العراق ، وإسماعيل بن عياش كان ممن يروى الموضوعات عن الثقات وما لا أصل عن الأثبات لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال ، روى عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما انتعل عبد قط ولا تخفف ولا لبس ثوبا يغدو في طلب العلم إلا غفر له حيث يخطو عتبة باب بيته ، روى عنه لوين ، روى عن مسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال له المعلم : اكتب ، قال : ما اكتب ؟ قال : بسم الله ، فقال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري ! فقال له عيسى : الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته ، والله اله الألهة والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحمن الآخرة)^{٨٥}، وقال ابن عدي عقب ذكره الحديث بالإسناد المتقدم : (هذا الحديث باطل بهذا الإسناد)^{٨٦}.

ما جاء في قوله تعالى : [اهدنا الصراطَ المُستقيمَ ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهمَ غيرَ المغضوبِ عليهمَ ولا الضالينَ] .

(٨) (وأخرج : عن النواس بن سمرعان^{٨٧} ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ضرب الله صراطا مستقيما ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس أدخلوا الصراط جميعاً ولا تنفروا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب ، قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم)^{٨٨}.

في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (ضرب الله صراطاً مستقيماً) ، أي : (ضرب الله مثلاً ، والضرب : الوصف والبيان ، يقال : ضرب الله مثلاً ، أي : وصف وبين)^{٨٩}.

^{٨٤} الديلمي ، الفردوس بمأثور الخطاب ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٨٦ م) : (١ / ٢٩٩) .

^{٨٥} ابن حبان المجروحين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب : (١ / ١٢٦) .

^{٨٦} ابن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال : (١ / ٣٠٤) .

^{٨٧} النواس بن سمرعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة الكلاب ، معدود في الشاميين ، ويقال : إن أباه سمرعان بن خالد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه نعليه فقبلهما ، وزوجه أخته فلما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم تعوذت منه فتركها وهي الكلابية ، روى عن النواس جبير بن نفيير ونفيير بن عبد الله وجماعة ، ينظر : ابن قانع ، معجم الصحابة ، تحقيق : صلاح بن سالم المصري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة (١٤١٨ هـ) : (٣ / ١٦٣) ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، تحقيق : محمد علي الجاوي ، دار الجليل ، بيروت (١٤١٢ هـ) : (٤ / ١٥٣٤) .

^{٨٨} السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) : (١ / ٣٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٣ - ٢٤) .

^{٨٩} الرازي ، مصدر سابق : (٣٧٩) .

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث أيضاً : (وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب) ، أي : جانبه ، قال المناوي : (سوران مبتدأ وعلى جنبتي خبره ، والجملة حال من صراطا ، وقوله : فيهما مفتحة أبواب الجملة صفة لسوران مفتحة ، وعلى الأبواب ستور جمع ستر ، مرخاة ، أي : مسيلة)^{٩٠} ، قال في الحديث : (فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك) ، ويحك : (زجرٌ له من تلك المهمة ، وهي كلمة ترحم وتوجع)^{٩١} ، قال المناوي : (يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها : لا تفتحه فإنك إن فتحتة تلجه ، أي : تدخل الباب ، وتقع في محارم الله)^{٩٢} ، قال الطيبي : (ونظير هذا حديث ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في الأرض محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، فالسور بمنزلة الحمى وحولها بمنزلة الباب ، والستور حدود الله الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله ، وواعظ الله هو لمة الملك في قلب المؤمن ، والأخرى لمة الشيطان ، وإنما جعل لمة الملك التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلاً)^{٩٣} .

فقد جاء الحديث مبيناً لمعنى الصراط مفهماً له ، ودل الحديث على أن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي به تكون النجاة يوم القيامة وأن هذا الصراط له حدود هي محارم الله وأن النجاة تكون باتقاء محارم الله وأتباع ما جاء عن الله تعالى على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام .

والحديث أخرجه الإمام أحمد^{٩٤} ، والطبراني^{٩٥} ، والبيهقي^{٩٦} ، والحاكم^{٩٧} ، قال الحاكم عقب ذكره الحديث : (هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه)^{٩٨} .
(٩) (وأخرج ابن مردويه : عن إبراهيم بن طهمان^{٩٩} ، عن بديل بن ميسرة^{١٠٠} ،

^{٩٠} المناوي ، فيض القدير ، المكتبة التجارية ، مصر (١٣٥٦ هـ) : (٤ / ٢٥٤) .

^{٩١} الرازي ، مصدر سابق : (٧٣٩) .

^{٩٢} المناوي ، مصدر سابق : (٤ / ٢٥٤) .

^{٩٣} المصدر السابق : (٤ / ٢٥٤) .

^{٩٤} الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ١٨٣) .

^{٩٥} الطبراني ، مسند الشاميين ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : (٢ / ١٨٠) .

^{٩٦} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٦١) .

^{٩٧} الحاكم ، المستدرک : (١ / ١٤٤) ، وقد أخرجه بسنده قال : أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن أحمد التاجر ببغداد ، ثنا أبو إسماعيل محمد السلمي ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح وأخبرني إبراهيم بن إسماعيل القاري ، ثنا الحسن بن سفيان ، ثنا حرملة بن يحيى ، أنبا ابن وهب ، أخبرني معاوية ابن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان ، الحديث .

^{٩٨} المصدر السابق : (١ / ١٤٤) .

^{٩٩} إبراهيم بن طهمان الإمام الحافظ أبو سعيد الهروي ثم النيسابوري عالم خراسان ، حدث عن سماك بن حرب وعمرو بن دينار ومحمد بن زياد الجمحي وثابت البناني وطبقتهم ، قال إسحاق بن راهويه : كان صحيح الحديث ما كان بخراسان أحد أكثر حديثاً منه ، وقال أبو حاتم : ثقةٌ مرجيء ، وقال أحمد : كان مرجحاً شديداً على الجهمية ، كان قد جاور مكة أواخر عمره ، مات سنة ثلاث وستين ومائة ، ينظر : الجوزجاني ، أحوال الرجال ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٤٠٥ هـ) : (٢٠٩) ، القيسرائي ، مصدر سابق : (١ / ٢١٣) .

عن عبد الله بن شقيق^{١٠١} ، عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم ؟ قال : اليهود ، قلت : الضالين ؟ قال : النصارى^{١٠٢}

في الحديث إشارة إلى المغضوب عليهم والضالين ، وأنهم اليهود والنصارى ، وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٠٣} ، وابن حبان^{١٠٤} ، والبيهقي^{١٠٥} ، والهيثمي^{١٠٦} ، وقال : (رجاله ثقات)^{١٠٧} .

ما جاء في التأمين •

(١٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقال : آمين ، فوافق آمين أهل الأرض آمين أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه ، ومثل من لا يقول : آمين ، كمثله رجل غزا مع قوم فافترعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه ، فقال : لم يخرج سهمي ، فقيل : إنك لم تقل : آمين)^{١٠٨} .

جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (المغضوب عليهم ، والضالين) ، أما (الغضب نقيض الرضا وقوله تعالى : المغضوب عليهم ، يعني : اليهود ، قال ابن عرفة : الغضب من المخلوقين شيءٌ يداخل قلوبهم ، ومنه محمود ومذموم ؛ فالمذموم ما كان في غير الحق ، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق ، وأما غضب الله : فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه ، وهو من الله سخطة على من عصاه ، وإعراضه عنه ، ومعاقبته له)^{١٠٩} ، والضالين من ضل بمعنى : (ضاع وهلك ، والضلال ضد الرشاد)^{١١٠} ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : (آمين)

^{١٠٠} بدليل بن ميسرة البصري ، روى عن أنس وعبد الله بن شقيق وشهر ، روى عنه شعبة وحماد بن زيد ومعمر وأبان العطار وإبراهيم بن طهمان وغيرهم ، قال أبو حاتم : ثقة ، وقال أيضاً : صدوق ، مات سنة ثلاثين ومائة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٢ / ١٤٢) ، ابن أبي حاتم ، الجرح و التعديل : (٢ / ٤٢٨) .

^{١٠١} عبد الله بن شقيق البصري ، روى عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس ، ويقال : إن عبد الله بن شقيق قال : جاورت أبا هريرة سنة ، روى عنه بدليل بن ميسرة وخالد الحذاء وغيرهم ، كان يجي بن سعيد القطان يقول : كان سليمان التيمي سيء الرأي في عبد الله بن شقيق ، قال ابن أبي حاتم : ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أن قال : عبد الله بن شقيق ثقة ، وسئل أبو زرعة عن عبد الله بن شقيق ؟ فقال : بصري ثقة ، وقد وثقه العجلي ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٨١) ، الدارقطني ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ، تحقيق : بوران الضناوي ، وكمال يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت (١٩٨٥ م) : (٢ / ١٣٤) .

^{١٠٢} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٢) .

^{١٠٣} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٣٢) .

^{١٠٤} ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ١٣٩) ، (١٦ / ١٨٤) .

^{١٠٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٣٦) .

^{١٠٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ٢٠٨) ، موارد الظمان ، تحقيق ، محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (٥٦٧) .

^{١٠٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ٢٠٨) .

^{١٠٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٣) .

^{١٠٩} ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت : (١ / ٦٤٨ - ٦٤٩) .

^{١١٠} الرازي ، مصدر سابق : (٣٨٣) .

، وهي كلمة يريد بها الدعاء الذي تضمنته الآية أو السورة ، كأنه قال : فتلك الدعوة مضمنة بتلك الكلمة أو معلقة بها ^{١١١} .

والحديث أخرجه : إسحاق بن راهويه ^{١١٢} ، وأبو يعلى ^{١١٣} ، والهيثمي ^{١١٤} ، وقال : (في الصحيح بعضه ، رواه أبو يعلى ، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس وقد عنعنه) ^{١١٥} .

^{١١١} ينظر : ابن منظور ، مصدر سابق : (٤٠٧ / ١٠) .

^{١١٢} إسحاق بن راهويه ، المسند ، تحقيق : د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) : (١ / ٣١٥) .

^{١١٣} أبو يعلى ، المسند ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للنشر ، دمشق (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) : (١١ / ٢٩٦) .

^{١١٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١١٣ / ٢) .

^{١١٥} المصدر السابق : (١١٣ / ٢) .

سورة البقرة

سورة البقرة مدنية نزلت في مدد شتى ، وقيل : هي أول سورة نزلت في المدينة^١ ، وهذه السورة فضلها عظيم وثوابها كبير ، ويقال لها : فسطاط القرآن ؛ وذلك لعظمها وكثرة أحكامها ومواعظها ، (قال ابن العربي : سمعت بعض أشياخي يقول : فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر)^٢ ، وفي الحديث : (عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)^٣ ، و (عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل شيء سناما ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها في بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ، ومن قرأها نهارا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام)^٤ ، (قال أبو حاتم : قوله صلى الله عليه وسلم : لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام ، أراد به : مردة الشياطين دون غيرهم)^٥ .

وفيهما آية الكرسي وهي آية عظيمة ورد في فضلها أحاديث منها : (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة ، قال : فخليت عنه فأصبحت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ قال : قلت : يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما إنه قد كذبتك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيعود ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود ، فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟ قلت : يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما إنه كذبتك وسيعود ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هو ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال : ما هي ؟ قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية

^١ ينظر : أبو جعفر النحاس ، معاني القرآن الكريم ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة (١٤٠٩ هـ) : (٧٣) ، القرطبي ، مصدر

سابق : (١٥٢ / ١) .

^٢ القرطبي ، مصدر سابق : (١٥٢ / ١) .

^٣ مسلم ، الصحيح : (١ / ٥٣٩) .

^٤ ابن حبان ، الصحيح : (٣ / ٥٩) .

^٥ المصدر السابق : (٣ / ٥٩) .

الكرسي من أولها حتى تختتم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة ؟ قال : لا ، قال : ذاك شيطان ^٦ .
 وفيها آخر آيتين وقد ورد في فضلها أحاديث منها : (عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) ^٧ .
 ما جاء في فضل سورة البقرة •

ورد في فضل سورة البقرة أحاديث كثيرة منها : (عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول) ^٨ ، و (عن أسيد بن حضير أنه قال : يا رسول الله بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفي فظننت أن فرسي انطلق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا أبا عتيك ، فالتفت فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اقرأ يا أبا عتيك ، فقال : يا رسول الله فما استطعت أن أمضي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب) ^٩ ، وغيرها من الأحاديث في فضل البقرة •

(١١) (قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن كامل ^{١٠} ، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ^{١١} ، حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال ^{١٢})

^٦ البخاري ، الصحيح : (٢ / ٨١٢) .
^٧ المصدر السابق : (٤ / ١٩١٤) .
^٨ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٨٥) .
^٩ ابن حبان ، الصحيح : (٣ / ٥٨) .

^{١٠} أحمد بن كامل بن شجرة القاضي البغدادي الحافظ ، لينه الدارقطني وقال : كان متساهلا ، ومشاه غيره ، وكان من أوعية العلم ، وكان معتمدا على حفظه فيهم ، قال الخطيب : كان من العلماء بأيام الناس والأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وتواريخ أصحاب الحديث ، قال ابن زرقويه : لم تر عيناي مثله ، وقال حمزة عن الدارقطني : كان متساهلا ربما حدث من حفظه لما ليس في كتابه ، حدث عن محمد بن سعد العوفي وعبد الله بن روح المدائني وأبي قلابة وابن أبي خيثمة ومحمد بن إسماعيل الترمذي وإبراهيم بن الهيثم البلدي وخلق كثير ، وعنه الدارقطني والمزباني وجماعة من القدماء ، مات في المحرم سنة خمسين وثلاث مائة ، ينظر : الذهبي ، السير : (١٥ / ٥٤٤) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٩٥) : (١ / ٢٧٢) ، ابن حجر ، لسان الميزان ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية _ الهند ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) : (١ / ٢٤٩) .

^{١١} محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمى أبو إسماعيل الترمذي البغدادي ، روى عن أيوب بن سليمان بن بلال قال ابن أبي حاتم : وتكلموا فيه ، وثقه النسائي وغيره ، ومات في رمضان سنة ثمانين ومائتين ، قال الخلال : أبو إسماعيل الترمذي رجل معروف ثقة كثير العلم متفقه ، وقال الخطيب : كان فهما متقنا مشهورا بمذهب أهل السنة ، ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ١٩٠) ، ابن حجر ، لسان الميزان : (٧ / ٣٥٢) ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : (٢٦٧) .

^{١٢} أيوب بن سليمان بن بلال مولى بن أبي عتيق القرشي من أهل المدينة ، سمع مالكا يروى عن أبي بكر بن أبي أويس ، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري وأبو إسماعيل الترمذي وعبد الله بن أحمد بن شيبويه ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (١ / ٤١٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٨ / ١٢٦) ، الذهبي ، المقتنى في سرد الكنى ، تحقيق : محمد صالح عبد العزيز المراد ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة (١٤٠٨ هـ) : (٢ / ١٤٨) .

، حدثني أبو بكر بن أبي أويس^{١٣} ، عن سليمان بن بلال^{١٤} ، عن محمد بن عجلان^{١٥} ، عن أبي إسحاق^{١٦} ، عن أبي الأحوص^{١٧} ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجله على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها ، فإن الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت الجوف الصفر لمن كتاب الله^{١٨} .

قال في الحديث : (وإن أصفر البيوت) ، أي : أفقر البيوت^{١٩} ، فهو أفقر البيوت لأن سورة البقرة لم تقرأ فيه ، وإن كان أغنى البيوت مالاً ، ثم قال : (الجوف الصفر) ، أي : خالٍ من الداخل ، لأن الجوف في اللغة : البطن والفرج ، يقال : (جوف الأنسان بطنه ، والأجواف جمعه والأجوفان البطن والفرج ، والجائفة الطعنة التي تبلغ الجوف والتي تخالط الجوف والتي تنفذ أيضاً ، والجوفُ بفتحين مصدر لكل أجوف ، وشيء مجوف ، أي : جوف فيه تجويف)^{٢٠} ، ففي الحديث إشارة إلى فضل سورة البقرة ومكانتها ، وإن البيت الذي تقرأ فيه لا يدخله الشيطان وينفر منه ولا يقربه .

^{١٣} أبو بكر بن أبي أويس المدني ، أخو إسماعيل بن أبي أويس ، اسمه عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله الأصبحي ، روى عن سليمان بن بلال وغيره ، روى عنه أخوه إسماعيل بن أبي أويس وغيره ، روى له الجماعة سوى ابن ماجه ، ثقة ، مات سنة اثنتين ومائتين ، ينظر ، المزني ، تهذيب الكمال ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) : (٣٣ / ٨٨) ، ابن حجر ، تقريب التهذيب : (٣٣٣) .

^{١٤} أبو أيوب ويقال أبو محمد سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد وصالح بن كيسان روى عنه أبو بكر بن أبي أويس وأبو عامر وابن مهدي مات سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة ، ينظر البخاري ، التاريخ الصغير ، تحقيق : تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، مكتبة دار التراث ، حلب ، القاهرة (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) : (٢ / ٢١٣) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٦٧) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٣٩٦) .

^{١٥} محمد بن عجلان المدني مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة أبو عبد الله ، روى عن أبيه وسعيد المقبري ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والقعقاع بن حكيم وعبيد الله بن مقسم وعامر بن عبد الله بن الزبير وعون بن عبد الله بن عتبة وأبان بن صالح ، روى عنه الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد وحيوة بن شريح ويحيى بن سعيد القطان ، قال ابن عيينة : محمد بن عجلان ثقة ، وعن ابن المبارك قال : لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان كنت أشبهه بالياقوتة بين العلماء ، وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن محمد بن عجلان وموسى بن عقبة أيهما اعجب إليك ؟ فقال : جميعا ثقة ما أفرهما كان ابن عيينة يثنى على محمد بن عجلان ، وعن يحيى بن معين انه قال : محمد بن عجلان ثقة ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن محمد بن عجلان ؟ فقال : ثقة ، وقال أبو زرعة : محمد بن عجلان من الثقات ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (١ / ١٩٦) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل (٨ / ٤٩) ، الذهبي ، المقتنى في سرد الكنى : (١ / ٣٥٣) .

^{١٦} إبراهيم بن مسلم الهجري أبو إسحاق العبدي الكوفي ، روى عن ابن أبي أوفى وأبي الأحوص ، روى عنه الثوري وشعبة وزهير بن معاوية وابن عيينة ، يعد في الكوفيين ، قال ابن عيينة : كان إبراهيم الهجري يسوق الحديث سياقة جيدة على ما فيه ، وعن يحيى بن معين قال : إبراهيم الهجري ليس بشيء ، قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : إبراهيم الهجري ليس بقوي لين الحديث ، وقد ضعفه النسائي ، ينظر : البخاري : التاريخ الكبير : (١ / ٣٢٦) ، النسائي ، الضعفاء والمتروكين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب (١٣٦٩ هـ) : (١١) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ١٣١) ، الجوزجاني ، مصدر سابق : (٩١) .

^{١٧} عوف بن مالك بن نضلة أبو الأحوص الجشمي كوفي مخضرم ، روى عن عبد الله بن مسعود وأبيه مالك بن نضلة ، روى عنه أبو إسحاق والحسن البصري ومورق العجلي وعقبة بن وساج وعمارة بن عمير وسلمة بن كهيل وحديد بن هلال وعلى بن الأقرم وعطاء بن السائب قال يحيى بن معين : أبو الأحوص ثقة ، ينظر ، البخاري ، الكنى ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر : (٨٣) ، مسلم ، الكنى : (١ / ٦٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ١٤) .

^{١٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٣) .

^{١٩} ينظر : الرازي ، مصدر سابق : (٣٦٥) .

^{٢٠} المصدر السابق : (٥٠) .

والحديث أخرجه : الإمام مسلم^{٢١} ، والنسائي^{٢٢} ، والبيهقي^{٢٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [إن الذين كفروا سوأء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون] آية : ٦ (١٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول)^{٢٤} .

في الحديث إشارتان ، تضمنت الأولى : أن الذين يؤمنون هم أهل السعادة التي سبقت وتقدمت فيما مضى سعادتهم من الله تعالى ، وأن الذين شقوا تقدم شقاؤهم من الله تعالى .
والإشارة الثانية : هي حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى وأن يكونوا معه صلى الله عليه وسلم على الإيمان ؛ ولكن : [وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين] .
والحديث أخرجه : الطبراني^{٢٥} ، واللالكائي^{٢٦} ، والبيهقي^{٢٧} ، والهيثمي^{٢٨} ، وقال الهيثمي : (رجاله ثقات)^{٢٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون] آية : ٢١ (١٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن مسعود قال : ما كان يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة ، وما كان يا أيها الناس فبمكة) ، (١٤) (وعن عروة قال : ما كان من حج أو فريضة أو حد أو جهاد فإنه نزل بالمدينة ، وما كان من ذكر الأمم والقرون وضرب الأمثال فإنه نزل بمكة)^{٣٠} .

في الحديثين السابقين علامة للتفريق بين المكي والمدني ، وإن كان في قوله : ما كان يا أيها الناس أنزل بالمدينة خلاف) ، قال القرطبي : (وهذا يرده أن هذه السورة والنساء مدنيتان وفيهما يا أيها الناس وأما قولهما في يا أيها الذين آمنوا فصحيح)^{٣١} ، فكل سورة فيها : (يا أيها الناس) مكية ، وكل سورة فيها : (يا أيها الذين آمنوا مدنية) ، وهذا واضح بين ، وأما موضوع الحدود والفرائض والحج والجهاد والصور التي جاءت فيها

^{٢١} مسلم ، الصحيح : (١ / ٥٣٩) .

^{٢٢} النسائي ، السنن الكبرى : (٥ / ١٣) ، (٦ / ٢٤٠) ، عمل اليوم والليلة ، تحقيق : د. فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية

(١٤٠٦ هـ) : (٥٣٥) .

^{٢٣} البيهقي ، السنن الصغرى : (٥٤٧) .

^{٢٤} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٧٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٣٩) .

^{٢٥} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ٢٥٤) .

^{٢٦} اللالكائي ، أعتقاد أهل السنة ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض (١٤٠٢ هـ) : (٤ / ٥٧٨ - ٥٧٩) .

^{٢٧} البيهقي ، الأعتقاد ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت (١٤٠١ هـ) : (١٦١) .

^{٢٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٨٥) .

^{٢٩} المصدر السابق : (٧ / ٨٥) .

^{٣٠} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٨٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٥٠ - ٥١) .

^{٣١} القرطبي ، مصدر سابق : (١ / ٢٥) .

أحكامها هي سور مدنية فهو أمرٌ لا غبار عليه وهو مدعّم بالسور التي تحتوي على تلك الآيات التي تشير إلى الحدود والفرائض والحج والجهاد ، وان تلك الآيات نزلت بالمدينة ، وأما ذكر الأمم والقرون الماضية وضرب الأمثال والعذاب فقد احتوته السور التي نزلت بمكة ؛ فإن فيها من التهديد والوعيد ما دعت النازل من القرآن الكريم لاحتوائه .

الحديث الأول أخرجه : الإمام الحاكم^{٣٢} ، قال الدار قطني : (يرويه الأعمش ، واختلف عنه فرواه قيس بن الربيع وأبو وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ، وكذلك قال عبيد بن عقيل عن شعبة ، وقال غيره عن شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قوله ، وكذلك رواه أصحاب الأعمش عنه ، وهو الصحيح)^{٣٣} ، والحديث الثاني أخرجه : ابن أبي شيبة^{٣٤} ، وللحديث شواهد ذكر منها ابن أبي شيبة في مصنفه^{٣٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون] آية : ٢٢ (١٥) (أخرج ابن مردويه : قال حماد بن سلمة^{٣٦} : حدثنا عبد الملك بن عمير^{٣٧} ، عن ربعي بن حراش^{٣٨} ، عن الطفيل بن سخبرة^{٣٩} أخي عائشة أم المؤمنين لأمها قال

^{٣٢} الحاكم ، المستدرک : (٢٠ / ٣) .

^{٣٣} الدار قطني ، العلل ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، دار طيبة ، الرياض (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) : (٥ / ١٦٨) .

^{٣٤} ابن أبي شيبة ، المصنف ، تحقيق ، كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد الرياض (١٤٠٩ هـ) : (٦ / ١٤٠) .

^{٣٥} المصدر السابق : (٦ / ١٤٠ - ١٤١) .

^{٣٦} حماد بن سلمة بن دينار الخزاز أبو سلمة البصري ، مولى تميم ، وقيل : مولى قريش ، وقل : مولى حميري بن كراثة ، سمع ثابتاً وقتادة ، كان مجتهداً في العبادة معدوداً في الإمامة قال عبد الرحمن بن مهدي : لم أر أحداً مثل حماد بن سلمة ومالك بن أنس كانا يجتسبان في الحديث ، سئل أحمد بن حنبل عن حماد ؟ فقال : صالح ، وقال يحيى بن معين : حماد بن سلمة ثقة ، مات سنة سبع وستين ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٣ / ٢٢) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ١٤٠) ، أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٥ هـ) : (٦ / ٢٤٩) .

^{٣٧} عبد الملك بن عمير القرشي الكوفي ، رأى علياً وأبا موسى الأشعري وجرير بن عبد الله ومن سمع منه ، والنعمان بن بشير وعبد الرحمن بن أبي ليلى وربعي بن حراش وغيرهم ، روى عنه الثوري وشعبة وإسرائيل وابن عيينة وغيرهم ، كان الثوري يعجب من حفظ عبد الملك بن عمير ، قال ابن أبي حاتم سألت أبي عن عبد الملك بن عمير ؟ فقال : ليس يحافظ هو صالح تغير حفظه قبل موته ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٥ / ٤٢٦) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٣٦٠) ، الذهبي ، المقتنى في سرد الكنى : (١ / ٤١٩) .

^{٣٨} ربعي بن حراش بن عمرو بن عبد الله بن مجاد العبسي أبو مرثم الكوفي ، قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية ، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى وعمران بن حصين والطفيل بن سخبرة وحذيفة بن اليمان وغيرهم ، روى عنه عبد الملك بن عمير وأبو مالك الأشجعي والشعبي وغيرهم ، مات سنة أربع ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٣ / ٣٢٧) ، التأريخ الصغير : (٢ / ٢١٢) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٨) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٣ / ٢٠٥) .

^{٣٩} الطفيل بن عبد الله بن سخبرة ، ويقال : الطفيل بن الحارث بن سخبرة ، ويقال : الطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخبرة القرشي ، ويقال : الأزدي ، ويقال : الأسدي ، وهو أخو عائشة رضي الله عنها لأمها ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ما شاء الله وشاء محمد ، وعنه ربعي بن حراش والزهرري ، وقال ابن أبي خيثمة : لا أدري من أي قريش هو ، وقال الواقدي : كانت أم رومان تحت عبد الله بن الحارث بن سخبرة وهو من الأسد قدم مكة فحالف وتوفي فخلف عليها أبو بكر ، فعلى هذا يكون نسبه إلى قريش بالحلف لا بالنسب ، وقال ابن عبد البر : ليس هو من قريش إنما هو من الأزدي ، ينظر : ابن حجر ، تعجيل المنفعة ، تحقيق : د. إكرام الله إمداد الحق ، دار الكتاب العربي ، بيروت : (١ / ١٩٨) ، تهذيب التهذيب : (٥ / ١٣) .

رأيت فيما يرى النائم كأنني أتيت على نفر من اليهود ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن اليهود قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزيز ابن الله ، قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، قال : ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن النصارى ، قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله ، قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : هل أخبرت بها أحدا ؟ قلت : نعم ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتُم : كلمة ، كان ينعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا : ما شاء الله وحده ^{٤٠} .

جاء في الحديث الحضر على عدم اتخاذ الأنداد والشركاء في عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد ، وأن أقرب الخلق إلى الله تعالى محمد عليه الصلاة والسلام يجب أن لا يُشرك مع الله عز وجل في العبادة .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٤١} ، والدارمي^{٤٢} ، وابن ماجه^{٤٣} ، وأبو بكر الشيباني^{٤٤} ، وابن حبان^{٤٥} ، والحاكم^{٤٦} ، والبخاري^{٤٧} ، قال الكنعاني : (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم)^{٤٨} ، وقال البزار : (هكذا قال ابن عيينة : عن عبد الملك ، عن ربعي ، عن حذيفة ، وقال شعبة وأبو عوانة : عن عبد الملك ، عن ربعي بن حراش ، عن الطفيل أخي عائشة لأمها ، وقال معمر : عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة ، والصواب حديث عبد الملك عن ربعي عن الطفيل أخي عائشة)^{٤٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون] آية

٢٥ :

^{٤٠} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٥٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٥٢) .

^{٤١} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٧٢) .

^{٤٢} الدارمي ، السنن ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (١٤٠٧ هـ) : (٢ / ٣٨٢) .

^{٤٣} ابن ماجه ، السنن ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت : (١ / ٦٨٥) .

^{٤٤} أبو بكر الشيباني ، الأحاد والمثاني ، تحقيق : د. باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الراجية ، الرياض (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) : (٥ / ٢١٤) .

^{٤٥} ابن حبان ، الصحيح : (١٣ / ٣٢) .

^{٤٦} الحاكم ، المستدرک : (٣ / ٥٢٣) .

^{٤٧} البزار ، المسند ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة (١٤٠٩ هـ) : (٧ / ٢٥٢) .

^{٤٨} الكنعاني ، مصباح الرجاحة ، تحقيق : محمد المنتقي الكشناوي ، دار العربية ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٣ هـ) : (٢ / ١٣٧) .

^{٤٩} البزار ، مصدر سابق : (٧ / ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(١٦) (أخرج ابن مردويه : عن أبي نظرة^{٥٠} ، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :
ولهم فيها أزواج مطهرة ، من الحيض والغائط والنخاعة والبزاق)^{٥١} .

جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (النخاعة) ، و (النخاعة بالضم ، وتنخع فلان ، أي : رمى
بنخاعته والنخاع بضم النون وفتحها وكسرهما الخيط الأبيض الذي في جوف الفقار ، يقال : ذبحه فنخعه ، أي :
جاوز منتهى الذبح إلى النخاع)^{٥٢} ، قال ابن حجر : (والنخامة بالضم هي النخاعة ، وقيل : بالميم ما يخرج من
الفم وبالعين ما يخرج من الحلق)^{٥٣} ، ففي الحديث إشارة إلى ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة من الأزواج
المطهرة والنعيم المقيم ، فناسب ذكر الحديث هنا .

وقد أخرج الحديث : القزويني^{٥٤} ، قال ابن حجر معلقاً على الحديث : (وقد رُوي هذا مرفوعاً من طريق قتادة
عن أبي نظرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لهم فيها أزواج مطهرة ، قال : من الحيض
والغائط والنخامة والبزاق ، وإسناده لا بأس به)^{٥٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات
وهو بكل شيء عليم] آية : ٢٩

(١٧) (أخرج ابن مردويه : عن إسماعيل بن أمية^{٥٦} ، عن أيوب بن خالد^{٥٧} ، عن عبد الله بن رافع^{٥٨} مولى أم
سلمة ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فقال : خلق الله التربة يوم السبت

^{٥٠} منذر بن مالك بن قطعة أبو نظرة العبدي ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وسمره بن جندب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ،
روى عنه قتادة وسليمان التيمي والجريري وداود بن أبي هند وأبو سلمة ، قال يحيى بن معين : أبو نظرة ثقة ، قال ابن أبي حاتم : سئل أبي عن أبي نظرة وعطية
العويني ؟ فقال : أبو نظرة أحب إلي ، وقال أبو زرعة : أبو نظرة ثقة ، ينظر البخاري ، التأريخ الكبير : (٧ / ٣٥٥) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ /
٢٤١) .

^{٥١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٦٤) .

^{٥٢} الرازي ، مصدر سابق : (٦٥١) .

^{٥٣} ابن حجر ، فتح الباري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت (١٣٧٩ هـ) : (١٢ / ٣٥٣) .

^{٥٤} القزويني ، التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٨٧ م) : (١ / ٤٦٥) .

^{٥٥} ابن حجر ، تعليق التعليق ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القرقي ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان (١٤٠٥ هـ) : (٣ / ٤٩٩) .

^{٥٦} إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأموي ، روى عن الزهري ونافع وسعيد المقبري ، روى عنه الثوري ووهيب وابن عيينة ويحيى بن سليم
وبشر بن المفضل ، كان ابن عيينة يقول : لم يكن عندنا قرشيون مثل إسماعيل بن أمية وأيوب بن موسى ، سئل أحمد عن إسماعيل بن أمية وأيوب بن موسى ؟
فقال : أيوب ابن عم إسماعيل ، وإسماعيل أكثر منه وأحب إلي ، وقال أيضاً : إسماعيل بن أمية قوي أثبت في الحديث من أيوب بن موسى ، وقال يحيى بن معين
: إسماعيل بن أمية ثقة ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : إسماعيل بن أمية صالح ، وسئل أبو زرعة عن إسماعيل بن أمية ؟ فقال : مدني ثقة ، ينظر : ابن
أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ١٥٩) ، ابن حبان ، الثقات : (٦ / ٢٩) ، مشاهير علماء الأنصار : (١٤٥) .

^{٥٧} (أيوب بن خالد بن صفوان الأنصاري الحجازي ، روى عن جابر بن عبد الله وزيد بن خالد الجهني وعبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، روى عنه عمر مولى
غفرة وموسى بن عبيدة وإسماعيل بن أمية ، يعد في المدنيين) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ٢٤٥) .

^{٥٨} عبد الله بن رافع ، ويقال : أبو رافع ، مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع أم سلمة وأبا هريرة ، روى عنه سعيد المقبري وأفلح بن سعيد وابن
إسحاق المدني ، ينظر البخاري ، التأريخ الكبير : (٥ / ٩٠) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٣٢٠) ، الدار قطني ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم : (١٣١ / ٢) .

وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبت فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) ^{٥٩} .

جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (خلق الله التربة) ، قال ابن الأثير : (خلق الله التربة يوم السبت ، يعني : الأرض ، والتراب والتراب والتربة واحد ، إلا أنهم يطلقون التربة على التأنيث) ^{٦٠} ، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث أيضاً : (وخلق الله المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء) ، قال ابن الأثير : (أراد بالمكروه هاهنا الشر ، لقوله : وخلق النور يوم الأربعاء ، والنور خير ؛ وإنما سُمي الشر مكروهاً : لأنه ضد المحبوب) ^{٦١} ، قال المناوي : (وفيه رد زعم اليهود أنه ابتداء في خلق العالم يوم الأحد وفرغ يوم الجمعة واستراح السبت ، قالوا : ونحن نستريح كما استراح الرب ، وهذا من جملة غباوتهم وجهلهم ؛ إذ التعب لا يتصور إلا على حادث ، قال تعالى : [إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون] النحل : ٤٠) ^{٦٢} .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد ^{٦٣} ، والإمام مسلم ^{٦٤} ، والنسائي ^{٦٥} ، والبيهقي ^{٦٦} ، وأبو يعلى ^{٦٧} ، هذا وقد بعض أهل العلم بأن الحديث ليس بالمرفوع ؛ بل هو موقوف من قول كعب الأحبار ، قال الإمام البخاري : (روى إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد الأنصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله التربة يوم السبت ، وقال بعضهم : عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح) ^{٦٨} ، وقال أبو عبد الله الزرعي رحمه الله : (وقع الغلط في حديث أبي هريرة : خلق الله التربة يوم السبت الحديث ، وهو في صحيح مسلم ؛ ولكن وقع الغلط في رفعه ، وإنما هو من قول كعب الأحبار ، كذلك قال إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في تأريخه الكبير ، وقاله غيره من علماء المسلمين أيضاً ، وهو كما قالوا ؛ لأن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهذا الحديث يتضمن أن مدة التخليق سبعة أيام) ^{٦٩} ، وقال ابن القيم رحمه الله : (وقع فيه الغلط من حديث أبي هريرة خلق الله التربة يوم السبت الحديث ، وهو في صحيح مسلم ؛ ولكن وقع الغلط في رفعه وإنما هو من قول كعب الأحبار ، كذلك قال إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في تأريخه الكبير وقاله غيره من علماء المسلمين أيضاً ، وهو كما قالوا ؛ لأن الله

^{٥٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٦٩ - ٧٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٠٧) .

^{٦٠} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (١ / ١٨٥) .

^{٦١} المصدر السابق : (٤ / ١٦٩) .

^{٦٢} المناوي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٢٧) .

^{٦٣} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٢٧) .

^{٦٤} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢١٤٩) .

^{٦٥} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢٩٣) .

^{٦٦} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٣) .

^{٦٧} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١٠ / ٥١٣) .

^{٦٨} البخاري ، التأريخ الكبير : (١ / ٤١٣) .

^{٦٩} أبو عبد الله الزرعي ، نقد المنقول ، تحقيق : حسن السماعي سويدان ، دار القادري ، بيروت (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) : (٧٨) .

أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام ، والله تعالى أعلم (٧٠) ، فالذي وقع الغلط فيه هو رفع الحديث من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والصحيح أن الحديث موقوف من قول كعب الأخبار ، فقد خالف الحديث صريح القرآن الكريم في خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، قال تعالى : [إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] ٧١ ، والقول في خلق السماوات والأرض في سبعة أيام إنما هو قول أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وهذا القول يكون أقرب منه إلى أنه قول كعب الأخبار ٧٢ من رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى أعلم .

(١٨) (أخرج ابن مردويه : عن ابن مسعود قال : بين السماء والأرض خمسمائة عام ، وما بين كل سماءين خمسمائة عام ، ومصير كل سماء ، يعني : غلط ذلك ، مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه) ٧٣ .

جاء في الحديث قوله رضي الله عنه : (غلط ذلك) ، و (غَلَطَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ غَلَطًا بوزن عنب صار غَلِيظًا ، وكذا اسْتَعْلَطَ ، ورجل فيه غُلْظَةٌ بكسر الغين وضمها وفتحها ، وغِلَظَةٌ أيضا بالكسر ، أي : فظاظة ، وأغْلَطَ له في القول وغَلَطَ عليه الشيء تَغْلِيظًا ، ومنه الدِّيَّةُ الْمُغْلَظَةُ واليمين المُغْلَظَةُ ، وأغْلَطَ الثوب اشتراه غليظا ، واستَعْلَظَهُ ترك شراؤه لِغِلْظِهِ) ٧٤ ، وفي الحديث قوله : (خمسمائة عام) ، والمراد هنا بالخمسمائة عام فهو إشارة إلى أيام الله تعالى التي خلق فيها السماء والأرض ، قال الإمام أحمد : (وأما قوله : [يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة] ، وذلك أن جبرائيل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويصعد إلى السماء في يوم كان مقداره ألف سنة ؛ وذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، فهبوط خمسمائة ، وصعود خمسمائة عام ، فذلك ألف سنة) ٧٥ ، وقال في الحديث : (والله فوق العرش) ، ففي الحديث (عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله على عرشه فوق

٧٠ ابن القيم ، المنار المنيف ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب (١٤٠٣ هـ) : (٨٤ - ٨٥ - ٨٦) .

٧١ الأعراف : ٥٤ .

٧٢ كعب الأخبار هو كعب بن ماته الحميري من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب ، أسلم في زمن أبي بكر وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وروى عنه جماعة من التابعين مراسلا ، وله شيء في صحيح البخاري وغيره ، وروى عنه الناس ، سكن الشام ، ومات بجمص سنة أربع وثلاثين قبل عثمان بن عفان ، وقد قيل : إنه مات سنة اثنتين وثلاثين ، وقد بلغ مائة سنة وأربع سنين ،

ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ١٦١) ، ابن حبان ، الثقات : (٥ / ٣٣٣) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٥٢) .

٧٣ السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٠٩) .

٧٤ الرازي ، مصدر سابق : (٤٧٨) .

٧٥ الإمام أحمد ، الرد على الزنادقة والجهمية ، تحقيق : محمد حسن راشد ، المطبعة السلفية ، القاهرة (١٣٩٣ هـ) : (١١) .

سماواته وسماواته فوق أراضيه مثل القبة) ^{٧٦}، و (قال ابن مسعود في قوله : [ثم استوى على العرش] ، قال : العرش على الماء ، والله فوق العرش وهم يعلم ما أنتم عليه) ^{٧٧} ، وقد (قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل : الله عز وجل فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان ؟ قال : نعم على العرش ، وعلمه لا يخلو منه مكان) ^{٧٨} .

والحديث أخرجه : البخاري ^{٧٩} ، والبخاري ^{٨٠} ، وأبو محمد الأصبهاني ^{٨١} ، والديلمى ^{٨٢} ، والهيثمي ^{٨٣} ، وقال : (رجاله رجال الصحيح) ^{٨٤} ، والحديث بهذا اللفظ موقوف من قول ابن مسعود ، قال ابن عبد البر : (لا أعلم في هذا الباب حديثاً مرفوعاً إلا حديث عبد الله بن عميرة وهو حديث مشهور) ^{٨٥} ، وفي الحديث إشارة إلى خلق السماوات والأرض .

ما جاء في قوله تعالى : [وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين] آية : ٣١

(١٩) (أخرج ابن مردويه : عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب) ^{٨٦} .

في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (من قبضة قبضها من جميع الأرض) ، و (قَبَضَ الشَّيْءَ أَخَذَهُ ، وَالْقَبْضُ أَيْضاً ضِدُّ الْبَسْطِ ، وَبَابُهُ ضَرْبٌ ، وَيُقَالُ : صَارَ الشَّيْءُ فِي قَبْضِكَ وَفِي قَبْضَتِكَ ، أَي : فِي مَلِكِكَ ، وَالْإِنْقِبَاضُ ضِدُّ الْإِنْبِطَاطِ ، وَالْإِنْقِبَاضُ الشَّيْءُ صَارَ مَقْبُوضاً ، وَالْقَبْضَةُ بِالضَّمِّ مَا قَبِضْتَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ ، يُقَالُ : أَعْطَاهُ قَبْضَةً مِنْ سَوِيْقٍ أَوْ تَمْرٍ ، أَي : كَمَا مِنْهُ ، وَرَبَّمَا جَاءَ بِالْفَتْحِ ، وَالْمَقْبُوضُ بوزن المجلس من القوس والسيف ونحوهما حيث يقبض عليه بجمع الكف ، وَتَقَبَّضَ عَنْهُ اشْمَأَزَّ ، وَتَقَبَّضَتِ الْجِلْدَةُ فِي النَّارِ انزوت ، وَقَبَّضَ الشَّيْءَ تَقْبِيضاً جَمَعَهُ وَزَوَاهُ ، وَقَبْضَةُ الْمَالِ أَيْضاً أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَقَبِضَ فُلَانٌ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ فَهُوَ مَقْبُوضٌ ،

^{٧٦} البخاري ، خلق أفعال العباد ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية ، الرياض (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) : (٤٢) .

^{٧٧} المصدر السابق : (٤٣) .

^{٧٨} اللالكائي ، مصدر سابق : (٣ / ٤٠١ - ٤٠٢) .

^{٧٩} البخاري ، خلق أفعال العباد : (٤٣) .

^{٨٠} البزار ، مصدر سابق : (٩ / ٤٦٠) .

^{٨١} أبو محمد الأصبهاني ، العظمة ، تحقيق : رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة ، الرياض (١٤٠٨ هـ) : (٢ / ٥٦٥ - ٦٨٨) .

^{٨٢} الديلمي ، مصدر سابق : (٤ / ٧٨) .

^{٨٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ٨٦) .

^{٨٤} المصدر السابق : (١ / ٨٦) .

^{٨٥} ابن عبد البر ، التمهيد ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب (١٣٨٧ هـ) : (١٣٩ / ٧) .

^{٨٦} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١١٥) .

أي : مات ، والقَبْضُ الإسراع)^{٨٧} ، وجاء معناه هنا في الحديث بأخذ كَفٍ من الأرض ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : (فجاء بنو آدم على قدر الأرض) ، و (قَدْرُ الشيء مبلغه ، وهو بسكون الدال وفتحها ، وقدر الله وقْدْرُهُ بمعنى وهو في الأصل مصدر ، قال الله تعالى : [وما قدروا الله حق قدره] ، أي : ما عظموه حق تعظيمه ، القَدْرُ والقَدْرُ أيضا ما يقدره الله من القضاء ، ويقال : مالي عليه مَقْدَرَةٌ بكسر الدال وفتحها ، أي : قُدْرَةٌ ، ومنه قولهم : المَقْدَرَةُ تذهب الحفيظة ، ورجل ذو مَقْدَرَةٍ بالضم ، أي : ذو يسار ، وأما من القضاء والقدر فالمَقْدَرَةُ بالفتح لا غير ، وَقَدَرَ على الشيء قُدْرَةً وقُدْرَانًا أيضا بضم القاف و قَدَرَ يقدر قُدْرَةً لغة فيه كعلم يعلم ورجل ذو قدرة أي يسار وَقَدَرَ الشيء ، أي : قَدَرَهُ من التقدير ، وفي الحديث : ((إذا غم عليكم الهلال فاقْدُرُوا له)) ، أي : أتموا ثلاثين ، وَقَدَرْتُ عليه الثوب بالتخفيف فانْقَدَرَ ، أي : جاء على المقْدَارِ ، وَقَدَرَ على عياله بالتخفيف مثل فتر ، ومنه قوله تعالى : [ومن قدر عليه رزقه] ، وَقَدَرَ الشيء تَقْدِيرًا ، ويقال : استَقْدَرَ الله خيرا ، وتَقَدَّرَ له الشيء ، أي : تهيأ ، والاقْتِدَارُ على الشيء القُدْرَةُ عليه ، والقَدْرُ مؤنثة وتصغيرها قُدَيْرٌ)^{٨٨} ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : (السهل والحزن) ، و (السَّهْلُ ضد الجبل ، وأرض سَهْلَةٌ والنسبة إلى السهل سَهْلِيٌّ بالضم على غير قياس ، وأسَهَلَ القوم صاروا إلى السهل ، ورجل سَهْلُ الخلق ، والسُّهُولَةُ ضد الحزونة ، وقد سَهَلَ الموضع بالضم سُهُولَةً ، وأسَهَلَ الدواء طبيعته ، والتَّسْهِيلُ التيسير ، والتَّسَاهُلُ التسامح ، و اسْتَسَهَلَ الشيء عدده سهلا)^{٨٩} ، و (الحَزْنُ ضد السرور ، وقد حَزَنَ من باب طرب ، وحَزْنَا أيضا فهو حَزْنٌ ، وحَزِينٌ وأحزَنَهُ غيره وحَزَنَهُ أيضا مثل أسلكه وسلكه ، ومَحْزُونٌ بني عليه وحَزَنَهُ لغة قريش ، وأحزَنَهُ لغة تميم ، وقرئ بهما ، واحْتَزَنَ وتَحَزَّنَ بمعنى ، وفلان يقرأ بالتَّحْزِينِ إذا أرق صوته به ، والحَزْنُ ما غلظ من الأرض وفيها حُزُونَةٌ)^{٩٠} .

وفي معنى آدم قال ابن حجر : (وآدم اسم سرياني ، يقول أهل الكتاب : آدام ياشباع فتحة الدال بوزن خانام وزنه فاعال وامتنع صرفه للعجمة والعلمية ، وقال الثعلبي : التراب بالعبرانية آدام فسمى آدم به وحذفت الألف الثانية ، وقيل : هو عربي جزم به الجوهري والجواليقي ، وقيل : هو بوزن أفعل من الأدمة ، وقيل : من الأديم ؛ لأنه حلق من أديم الأرض وهذا عن ابن عباس ووجهه بأنه يكون كأعين ، ومنع الصرف للوزن والعلمية ، وقيل : هو من أدمت بين الشئيين إذا خلطت بينهما لأنه كان ماء وطينا فخلطا جميعا)^{٩١} .

وقد جاءت مختلفة متنوعة بين نفسٍ وأخرى فترى نفساً ليناً سهلاً ، وأخرى حزنة صعبةً ، وترى أشكال الخلق بين أبيض وأسود وغير ذلك كلِّ حسب خلقه ، وذلك راجعٌ إلى التربة التي خُلِقوا منها قال الحكيم الترمذي : (فالتربة الطيبة نفوسها سهلة كريمة وليست فيها كزازة^{٩٢} ولا بيوسة ولا شعوثة فهم أحرار كرام ولدتهم أمهاتهم من

^{٨٧} الرازي ، مصدر سابق : (٥١٩) .

^{٨٨} الرازي ، مصدر سابق : (٥٢٣) .

^{٨٩} المصدر السابق : (٣١٩) .

^{٩٠} المصدر السابق : (١٣٤) .

^{٩١} ابن حجر ، فتح الباري : (٦ / ٣٦٤) .

^{٩٢} (الكُرُّ: الذي لا ينسط ، ووجه كُرُّ : قبيح ، كُرُّ يَكُرُّ كزازةً ، وجمَلٌ كُرُّ : صلب شديد ، وذهب كُرُّ : صلب جدًّا ، ورجل كُرُّ : قليل المُؤاتاة والخَيْرِ بَيِّنٌ الكُرُّ) ، ينظر : ابن منظور ، مصدر سابق : (٥ / ٤٠٠) .

رق النفوس وشهواتها ، والآخرون كانت الحزونة في تربتهم فجاءت الكزازة والشعوثة والصعوبة ، ولدتهم أمهاتهم عبيدا قد ملكهم رق نفوسهم بشهواتها وهو قول عيسى عليه السلام فيما يعظ به بني إسرائيل ، فقال : لا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء ، معناه : لستم من العبيد الذين يجاهدون أنفسهم ويتقون الله ولا من الأحرار الذين نجوا من رق النفوس فساروا إلى الله تعالى سير الكرام بلا تعريج ولا تردد ، والبخل والضيق والحدة والعجلة والحدق والحرص وما أشبهه من كزازة النفس ، والجود والسماحة والسعة واللين والتؤدة والتأني والرفق من سهولة النفس وطيبها ؛ فنفس العرب بارزة أخلاقها لا ينكرها إلا معاند ولا يجحدها إلا مارد إنها أخلاق الكرام فبهذا فضلوا لا باللسان) ٩٣ .

فهم خُلقوا من قدر الأرض ، أي : مبلغها من الألوان والطباع ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود بحسب ترابهم ، وهذه الثلاثة هي أصول الألوان وما عداها مركب منها ، وهو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : (وبين ذلك) ، أي : بين الأحمر والأبيض والأسود باعتبار أجزاء أرضه ٩٤ .
والحديث أخرجه : الإمام أحمد ٩٥ ، وعبد بن حميد ٩٦ ، وأبو داود ٩٧ ، والترمذي ٩٨ ، وابن حبان ٩٩ ، والبيهقي ١٠٠ ، والهيثمي ١٠١ ، قال الترمذي عقب ذكره الحديث : (هذا حديث حسن صحيح) ١٠٢ .
وفي الحديث إشارة إلى خلق آدم وخلق بني آدم ، وتعدد وتنوع ألوانهم وأشكالهم ، واختلاف طبائعهم ، فناسب ذكر الحديث هنا .

(٢٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره ، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار ، وجعل إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم ، ثم نفخ الله فيه من روحه ؛ فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فلقنه الله حمد ربه فقال الرب : يرحمك ربك ، ثم قال : يا آدم اذهب إلى أولئك النفر فقل لهم وانظر ماذا يقولون ، فجاء فسلم عليهم فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، فجاء إلى ربه فقال : ماذا قالوا لك وهو أعلم بما قالوا له ! قال : يا رب سلمت عليهم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، قال :

٩٣ الحكيم الترمذي ، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت (١٩٩٢ م) : (١ / ٣٣٢ - ٣٣٣) .

٩٤ ينظر : شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٥ هـ) : (١٢ / ٢٩٧) .

٩٥ الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ٤٠٠ - ٤٠٦) .

٩٦ عبد بن حميد ، المسند ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، ومحمود محمد خليل الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) : (١٩٣) .

٩٧ أبو داود ، السنن ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر : (٤ / ٢٢٢) .

٩٨ الترمذي ، السنن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : (٥ / ٢٠٤) .

٩٩ ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ٢٩) .

١٠٠ البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٣) .

١٠١ الهيثمي ، موارد الظمان : (٥٠٩) .

١٠٢ الترمذي ، مصدر سابق : (٥ / ٢٠٤) .

يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك ، قال : يا رب وما ذريتي ؟ قال : اختر يدي ، قال : أختار يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين ، فبسط الله كفه فإذا كل ما هو كائن من ذريته في كف الرحمن عز وجل) ١٠٣ .

في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (حمأ مسنوناً) ، و (الحمأ والحمأة : الطين الأسود المنتن) ١٠٤ ، والمسنون ، قال ابن الأثير : (من حمأ مسنون ، أي : متغير) ١٠٥ ، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث أيضاً : (ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار) ، و (الصلصال من الطين ، ما لم يُجعل خزفاً ، سُمي به لتصلصله ؛ وكل ما جف من طين أو فخار فقد صل صلصلاً ، وطين صلال ومصلال ، أي : يصوت كما يصوت الخزف الجديد ، والصلصال الطين اليابس الذي يصل من ييسه ، أي : يصوت) ١٠٦ ، هكذا كان خلق آدم عليه السلام وخلق ذريته على مراحل حتى وصل إلى هذه الخلقة التي أراد الله سبحانه وتعالى ، قال الإمام أحمد : (هذا بدء خلق آدم : خلقه الله أول بدء من تراب ، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء من طينة طيبة وسبخة فكذلك ذريته طيب وخبيث أسود وأحمر وأبيض ثم بل ذلك التراب فصار طينا ، فذلك قوله : من طين ، فلما لصق الطين بعضه ببعض فصار طينا لازبا ، بمعنى : لاصقا ، ثم قال : [من سلالة من طين] المؤمنون : ١٢ ، يقول : مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع ثم نتن فصار حمأ مسنوناً ، فخلق من الحمأ فلما جف صلصالاً كالفخار ، يقول : صار له صلصلة كصلصلة الفخار له دوى كدوى الفخار ، فهذا بيان خلق آدم) ١٠٧ .

وقد أخرج الحديث : أبو يعلى ١٠٨ ، والهيثمي ١٠٩ ، قال الهيثمي : (رواه أبو يعلى ، وفيه إسماعيل بن رافع ، قال البخاري : ثقة مقارب الحديث ، وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله رجال الصحيح) ١١٠ .

(٢١) (وأخرج : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ؛ فيه خلق الله آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أهبط منها ، وفيه مات ، وفيه تيب عليه ، وفيه تقوم الساعة) ١١١ .

في الحديث إشارة إلى أن خير الأيام يوم الجمعة ، وذلك لأن : خلق آدم كان يوم الجمعة ، وأن دخوله الجنة كان في يوم الجمعة أيضاً ، وكذلك خروجه منها كان يوم الجمعة ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه تقبل الله تعالى توبة آدم عليه السلام ، وفي يوم الجمعة تقوم الساعة ؛ فهو يومٌ عظيم ، قال ابن عبد البر : (وفيه أن خير الأيام

١٠٣ السيوطي ، الدر المنثور : (١١٨ / ١) .

١٠٤ ابن منظور ، مصدر سابق : (٦١ / ١) .

١٠٥ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٤١٣ / ٢) .

١٠٦ ابن منظور ، مصدر سابق : (٣٨٢ / ١١) .

١٠٧ الإمام أحمد ، الرد على الزنادقة والجهمية : (١٠) .

١٠٨ أبو يعلى ، مصدر سابق : (٤٥٣ / ١١) .

١٠٩ الهيثمي : مجمع الزوائد : (١٩٧ / ٨) .

١١٠ المصدر السابق : (١٩٧ / ٨) .

١١١ السيوطي ، الدر المنثور : (١١٩ / ١) .

يوم الجمعة وهذا على الإطلاق والعموم ، وفي ذلك دليل على أن الأيام بعضها أفضل من بعض ولكن الفضائل في ذلك لا تعلم إلا بتوقيف ولا تدرك بقياس ، وفيه الخبر عن خلق آدم وهبوطه إلى الأرض وإنه قد تيب عليه من خطيئته وذلك والحمد لله ثابت بنص التنزيل الذي لا يجوز عليه التحريف والتبديل ولكن ليس في القرآن أن ذلك كان يوم الجمعة ، وفيه دليل على إباحة الحديث عما يأتي ويكون هذا من علم الغيب فما كان منه عن الأنبياء الذين يجوز عليهم إدراك بعضه من جهة الرسالة أو عمن أضاف إلى الله ذلك بخبر كتبه أو رسله فذلك جائز ، وقيام الساعة من الغيب الذي لم يطلع عليه أحد على حقيقة ، ونحن وإن علمنا أنها تقوم يوم جمعة بهذا الحديث فلسنا ندري أي جمعة هي ، وقد سئل رسول الله عن الساعة وقيامها ؟ فقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل^{١١٢} ، وقد أخرج الحديث : الإمام مالك^{١١٣} ، والإمام أحمد^{١١٤} ، والإمام مسلم^{١١٥} ، والنسائي^{١١٦} ، وابن حبان^{١١٧} ، والبيهقي^{١١٨} ، والضياء المقدسي^{١١٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين] آية : ٣٥

(٢٢) (أخرج ابن مردويه : عن محمد بن عيسى الدامغاني^{١٢٠} ، حدثنا سلمة بن الفضل^{١٢١} ، عن ميكائيل^{١٢٢} ، عن ليث^{١٢٣} ، عن إبراهيم التيمي^{١٢٤} ، عن أبيه^{١٢٥} ، عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أريت آدم أنبيا كان ؟ قال : نعم نبيا رسولا يكلمه الله قبلا ، يعني : عيانا ، فقال : أسكن أنت وزوجك الجنة)^{١٢٦} .

^{١١٢} ابن عبد البر ، التمهيد : (٢٣ / ٤٠ - ٤١) .

^{١١٣} الإمام مالك ، الموطأ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، مصر : (١ / ١٠٨) .

^{١١٤} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٥١٢) .

^{١١٥} الإمام مسلم ، الصحيح : (٢ / ٥٨٥) .

^{١١٦} النسائي ، السنن الكبرى : (١ / ٥١٧ - ٥١٨) .

^{١١٧} ابن حبان ، الصحيح ، (٧ / ٧) .

^{١١٨} البيهقي ، السنن الكبرى : (٣ / ٢٥١) .

^{١١٩} المقدسي ، مصدر سابق : (٩ / ٤٢٤ - ٤٢٥) .

^{١٢٠} محمد بن عيسى الدامغاني الرازي ، روى عن ابن المبارك وحكام بن سلم وأبي تميلة وعبد الله بن سعد الدشتكي وعمرو بن حمران وسلمة بن الفضل ، قال ابن أبي حاتم : سئل أبي عنه ؟ فقال : رازي يُكتب حديثه ، وكان قد سكن الري ، ينظر : مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٢٥٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٣٩) ، الذهبي ، الكاشف : (٢ / ٢٠٨) .

^{١٢١} سلمة بن الفضل أبو عبد الله الرازي الأنصاري ، سمع محمد بن إسحاق ، روى عنه عبد الله بن محمد الجعفي ، عنده مناكير ، مات بعد التسعين ومائة ، وهنه علي بن المديني ، ضعفه إسحاق بن إبراهيم ، قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : سلمة بن الفضل صالح محله الصدق في حديثه إنكار ليس بالقوي ، لا يمكن أن أطلق لساني فيه بأكثر من هذا يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال ابن حبان : يخالف ويخطئ ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٨٤) ، النسائي ، الضعفاء والمتروكين : (٤٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ١٦٨) ، ابن حبان ، الثقات : (٨ / ٢٨٧) .

^{١٢٢} لم أقف على ترجمته .

^{١٢٣} لم أقف على ترجمته .

^{١٢٤} إبراهيم بن يزيد التيمي أبو أسماء الكوفي ، كانت له مراسيل كثيرة ، ينظر : العلاءي ، جامع التحصيل ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) : (١٤١) ، الذهبي ، طبقات المحدثين : (٣٧) ، المقتنى في سرد الكنى : (١ / ٨٦) .

جاء في الحديث ذكر النبي والرسول ، أما النبي فهو مأخوذ من النبوة ، و (النبوة والنباوة ما أرتفع من الأرض ، فأن جعلت النبي مأخوذاً منه ، أي : أنه شُرف على سائر الخلق ؛ فأصله غير الهمز وهو فعيل ، بمعنى : مفعول)^{١٢٧} ، قال ابن الأثير : (النَّبِيُّ فَعِيلٌ ، بِمَعْنَى : فاعِلٌ لِلْمُبَالَغَةِ مِنَ النَّبَاِ الْخَبَرِ لِأَنَّهُ أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ ، أَي : أَخْبَرَ ، ويجوز فيه تَحْقِيقُ الهمْزِ وَتَخْفِيفُهُ يقال : نَبَأٌ وَنَبَأٌ وَأَنْبَأَ ، قال سيويوه : ليس أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا وَيَقُولُ : تَنَبَّأَ مُسَلِّمَةً بِالْهَمْزِ غَيْرَ أَنَّهُمْ تَرَكَوا الهمْزَ فِي النَّبِيِّ كَمَا تَرَكَوه فِي الدُّرَيْبَةِ وَالْبَرِيَّةِ وَالْحَايِبَةِ إِلَّا أَهْلَ مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ يَهْمَزُونَ هَذِهِ الْأَحْرَفَ الثَّلَاثَةَ وَلَا يَهْمَزُونَ غَيْرَهَا وَيُخَالِفُونَ الْعَرَبَ فِي ذَلِكَ ، قال الجَوْهَرِيُّ : يُقَالُ : نَبَأْتُ عَلَى الْقَوْمِ إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ وَنَبَأْتُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ، قال : وهذا الْمَعْنَى أَرَادَهُ الْأَعْرَابِيُّ بِقَوْلِهِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الهمْزَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ لُغَةِ قُرَيْشٍ ، وَقِيلَ : إِنَّ النَّبِيَّ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّبَاَوَةِ وَهِيَ الشَّيْءُ الْمُرْتَفِعُ)^{١٢٨} .

أما الرسول فقد جاءت من قولهم : (افعل كذا وكذا على رسلك بالكسر ، أي : اتند فيه ، كما يقال : على هينتك ، ومنه الحديث : إلا من أعطى في نجدتها ورسلاها ، يريد الشدة والرخاء ، يقول : يعطي وهي سمان حسان يشتد على مالكها إخراجها فتلك نجدتها ويعطي في رسلاها وهي مهازيل مقاربة ، وراسله مراسلة فهو مراسل ورسيل وأرساله في رسالة فهو مرسل ورسول ، والجمع رسل ، والرسول أيضاً الرسالة)^{١٢٩} ، قال البيهقي : (النبي صلى الله عليه وسلم هو المخبر ؛ فإن انضاف إلى هذا التوقيف أمرٌ بتبليغه الناس ودعائهم إليه كان نبيا رسولا ، وإن ألقى إليه ليعمل به في خاصته ولم يؤمر بتبليغه والدعاء إليه : كان نبيا ولم يكن رسولا ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا)^{١٣٠} .

وقد أخرج الحديث : الطبراني^{١٣١} ، والهيثمي^{١٣٢} ، وقال الهيثمي : (وفيه المسعودي وقد اختلط)^{١٣٣} ، وقال ابن عدي : (سلمة بن الفضل الأبرش صاحب ابن إسحاق ، ضعفه ابن راهويه ، وقال : في حديثه مناكير)^{١٣٤} . وقد جاءت الإشارة في الحديث إلى النبي والرسول من جهة وإلى نبوة ورسالة آدم عليه السلام من جهة أخرى ، فناسب ذكر الحديث هنا ، والله أعلم .

^{١٢٥} (يزيد بن شريك بن طارق ، والد إبراهيم التيمي ، من تيم الرياب) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٨ / ٣٤٠) .

^{١٢٦} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٧٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٢٦) .

^{١٢٧} الرازي ، مصدر سابق : (٦٤٤) .

^{١٢٨} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٥ / ٢ - ٣) .

^{١٢٩} الرازي ، مصدر سابق : (٢٤٢) .

^{١٣٠} البيهقي ، شعب الإيمان : (١ / ١٥٠) .

^{١٣١} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٤ / ٣٠١) .

^{١٣٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ١٩٨) .

^{١٣٣} المصدر السابق : (٨ / ١٩٨) .

^{١٣٤} ابن عدي الكامل في ضعفاء الرجال : (٣ / ٣٤١) ، وينظر : ابن حبان ، المجروحين : (١ / ٣٣٧) .

ما جاء في قوله تعالى : [أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون] آية : ٤٤

(٢٣) (قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم^{١٣٥} ، حدثنا موسى بن هارون^{١٣٦}

، حدثنا إسحاق بن إبراهيم التستري^{١٣٧} ببلخ ، حدثنا مكّي بن إبراهيم^{١٣٨} ، حدثنا عمر بن قيس^{١٣٩} ، عن علي بن زيد^{١٤٠} ، عن ثمامة^{١٤١} ، عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار ! قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم)^{١٤٢} .

جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (تقرض شفاههم بمقاريض من نار) ، و (قرض الشيء قطعه و قرضت الفأرة الثوب ، وقرض الرجل الشعر أي : قاله ، والشعر قرّيّض ، وباب الكل ضرب ، والقرضة بالضم ما سقط بالقرض ، ومنه قراضة الذهب ، والمقرض واحد المقرض ، وقرض فلان ، أي : مات ، وانقرض القوم

^{١٣٥} أبو بكر الشافعي الإمام الحجة المفيد محدث العراق محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه البغدادي الشافعي البزاز ، سمع من موسى بن سهل الوشاء خاتمة أصحاب ابن عليّة ومحمد بن شداد المسمعي خاتمة أصحاب يحيى القطان وأبا قلابة الرقاشي ومحمد بن الفرج الأزرق ومحمد بن الجهم السمري وعبد الله بن روح المدائني وإسماعيل القاضي وأبا بكر بن أبي الدنيا وموسى بن هارون الجمال وغيرهم ، حدث عنه الدارقطني وعمر بن شاهين وأبو علي بن شاذان وأحمد بن عبد الله بن الخاملي وعبد الملك بن بشران وأبو طالب بن غيلان وابن مردويه وخلق كثير ، قال الخطيب : كان ثقة ثبتا حسن التصانيف ، وقال الدارقطني : هو الثقة المأمون الذي لم يغمز بحال ، مات في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلاث مائة ، ينظر : القيسراني ، مصدر سابق : (٣ / ٨٨٠ - ٨٨١) ، محمد عبد الغني البغدادي ، التقييد : (٦٩ - ٧٠) .

^{١٣٦} موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان الحافظ الامام الحجة بن عمران بن المحدث أبي موسى الجمال البغدادي البزاز محدث العراق سمع أباه وعلي بن الجعد وأحمد بن حنبل ويحيى الحماني وخلف بن هشام وطبقتهم وصنف وجمع حدث عنه أبو سهل القطان الذهلي وجعفر الخلدي وأبو بكر الشافعي ودعبلج والطبراني وأبو بكر الصبغى والقاضي الذهلي وخلق قال الخطيب كان ثقة حافظا وقال عبد الغني بن سعيد الحافظ أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن المديني في زمانه وموسى بن هارون في وقته والدارقطني في وقته مات في شعبان سنة أربع وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى ، ينظر : ابن زبير الربيعي ، مصدر سابق : (٢ / ٦٢١) ، القيسراني ، مصدر سابق : (٢ / ٦٦٩ - ٦٧٠) .

^{١٣٧} لم أقف على ترجمته .

^{١٣٨} مكّي بن إبراهيم الحافظ الإمام شيخ خراسان أبو الموطأ التميمي الخنظلي البلخي ، حدث عن يزيد بن أبي عبيد وجعفر الصادق وبهر بن حكيم وأبي حنيفة وهشام بن حسان وابن جريح وخلق ، وعنه البخاري وأحمد وابن معين والذهلي وعباس الدوري والكديمي وخلق ، كان من العباد ، قال ابن سعد : ثقة ثبت ، وقال الدارقطني : ثقة مأمون ، وقال العجلي : ثقة ، مات ببلخ في شعبان سنة خمس عشر ومائتين ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٩٦) ، ابن حبان ، الثقات : (٧ / ٥٢٦) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٣٦٥) .

^{١٣٩} لم أقف على ترجمته .

^{١٤٠} علي بن زيد بن جدعان الإمام أبو الحسن التيمي القرشي البصري الأعمى عالم البصرة ، حدث عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وأبي عثمان النهدي وعروة بن الزبير وخلق ، وعنه قتادة وشعبة والسفيانان والحامدان وعبد الوارث وإسماعيل ابن عليّة ، ولد أعمى وهو من أوعية العلم وفيه تشيع ، قال أبو زرعة : ليس بقوي ، وقال أحمد ويحيى : ضعيف ، وقال الترمذي : صدوق ربما رفع الموقوف ، ولم يحتج به الشيخان لكن قرنه مسلم بغيره ، ومات سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل : سنة إحدى وثلاثين ومائة رحمه الله تعالى ، ينظر : مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٢١٤) ، ابن عدي ، مصدر سابق : (٥ / ١٩٥) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ١٤٠) ، الذهبي ، من تكلم فيه : (١٤٠) .

^{١٤١} ثمامة بن عبد الله بن أنس الأنصاري قاضي البصرة ، سمع أنسا ، سمع منه حماد بن سلمة وابن عون وعبد الله بن المثني ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سئل أبي عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ؟ فقال : ثقة ، قال العجلي : تابعي ثقة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٢ / ١٧٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ٤٦٦) ، العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٢٦١) ، ابن حبان ، الثقات : (٤ / ٩٦) .

^{١٤٢} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٨٧) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٥٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٨٠) .

درجوا ولم يبق منهم أحد^{١٤٣}، قال ابن سلام : (قد يكون القَرْضُ في أشياء : فمنها القطعُ ، ومنه سُمِّي المقرض ؛ لأنه يقطع ، وأظنَّ قرض الفأر منه ، لأنه قطع ، وكذلك السير في البلاد إذا قطعها)^{١٤٤} ، (وأصل القَرْض ما يُعطيه الرجل أو يفعله لِيُجازَى عليه ، وأما المُقارضةُ : تكون في العَمَلِ السَّيِّءِ والقَوْلِ السَّيِّءِ يَفْصِدُ الإنسان به صاحِبَه)^{١٤٥} . فقد جاء الحديث يحث أمثال هؤلاء على التحلي بالكلمة الشجاعة والقول الصادق دون النظر إلى الدنيا والفوائد منها ، وأن العقاب آت لا محالة على هؤلاء الخطباء . ففي الحديث الوعيد والتهديد الشديد بأن شفاهم تقرر بمقاريض من نار وتقطع بها شر تقطيع ؛ لأنهم يقولون مالا يفعلون ، ويأمرون الناس بما لا يطيقون هم أنفسهم ، فحق عليهم العذاب من الله تعالى .

وقد أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{١٤٦} ، والإمام أحمد^{١٤٧} ، وابن حبان^{١٤٨} ، والطبراني^{١٤٩} ، والهيثمي^{١٥٠} ، قال الهيثمي : (رواها كلها أبو يعلى والبخاري وبعضها ، والطبراني في الأوسط ، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح)^{١٥١} .

(٢٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس ، أنه جاءه رجل ، فقال : يا ابن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، قال : أو بلغت ذلك ؟ قال : أرجو ، قال : فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله فافعل ، قال : وما هن : قال : قوله عز وجل : [أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم] أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فالحرف الثاني ، قال : قوله تعالى : [لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون] ، أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فالحرف الثالث ، قال : قول العبد الصالح شعيب : [ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه] ، أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال : فابدأ بنفسك)^{١٥٢} .

في الحديث قوله رضي الله عنه : (أحكمت) وهو سؤال سأله ابن عباس لذلك السائل حتى يتبين علمه من عدمه ، و(الحُكْمُ القضاء ، وقد حَكَمَ بينهم يحكم بالضم حُكْمًا ، وحَكَمَ له وحكم عليه ، والحُكْمُ أيضا الحكمة من العلم والحكيم العالم وصاحب الحكمة ، والحكيم أيضا المتقن للأمور ، وقد حَكَمَ من باب ظرْف ، أي : صار حكيما و أحكَمَهُ فاستَحَكَمَ ، أي : صار مُحَكِّمًا ، والحَكَمُ بفتح الحاء ، وحَكَمَهُ في ماله

^{١٤٣} الرازي ، مصدر سابق : (٥٢٩) .

^{١٤٤} ابن سلام ، الغريب : (١٤٩ / ٤) .

^{١٤٥} ابن منظور ، مصدر سابق : (٢١٦ / ٧) ، وما بعدها .

^{١٤٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٢٧٦ / ٧) .

^{١٤٧} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ١٢٠ - ١٨٠ - ٢٣١) .

^{١٤٨} ابن حبان ، الصحيح : (٢٤٩ / ١) .

^{١٤٩} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١٤٤ / ٨) .

^{١٥٠} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٧٦ / ٧) ، موارد الظمان : (٣٩) .

^{١٥١} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٧٦ / ٧) .

^{١٥٢} السيوطي ، الدر المنثور : (١٥٨ / ١) .

تحكيماً إذا جعل إليه الحكم فيه فاحتكم عليه في ذلك ، واحتكموا إلى الحاكم وتحاكموا بمعنى ، والمحاكمة المخاصمة إلى الحاكم) ^{١٥٣} ، (و الحكم: العلم والفقه ، قال الله تعالى : [وآتيناها الحكم صبياً] ، أي : علماً وفقهاً ، والحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل ، وهو مصدر حكم يحكم ، وفي الحديث في صفة القرآن : وهو الذكر الحكيم ، أي : الحاكم لكم وعليكم ، أو هو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب ، وفي حديث ابن عباس : قرأت المحكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد المفصل من القرآن ؛ لأنه لم ينسخ منه شيء ، وقيل : هو ما لم يكن متشابهاً ، لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره ، والعرب تقول : حكمت وأحكمت وحكمت ، بمعنى : منعت ورددت ، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم ، لأنه يمنع الظالم من الظلم) ^{١٥٤} ، قال الزمخشري : (حكم) يعني المفصل ، سمي محكما لأنه لم ينسخ منه شيء ، وقيل : يعني ما لم يكن متشابهاً ؛ لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره ، كان الرجل يرث امرأة ذات قرابته فيعضلها حتى تموت أو تزد إليه صداقها فأحكم الله تعالى عن ذلك ونهى عنه ، أي : منع) ^{١٥٥}

فأحكام الكلام : إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في إخباره ، والرشد من الغي في أوامره ، والمحكم منه : ما كان كذلك ، وقد وصف الله تعالى القرآن الكريم كله بأنه محكم على هذا المعنى فقال : [آلر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير] هود : ١ ، فالقرآن كله محكم : أي : أنه كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ^{١٥٦} ، فهذا هو المراد بالأحكام الوارد في هذا الأثر ، فقد بين الأثر أهمية عدم التحدث بالقرآن من غير علم بالمحكم من آياته ، وأن الواجب على من يتصدر لتعليم الناس ودعوتهم إلى دين الله عز وجل أن يكون ذا معرفة بالمحكم من آياته من عدمها ، فناسب ذكر الحديث هنا إذ إن من العلم عدم التحدث إلا بعد إتباع العلم الذي جاءت به الآيات التي يريد دعوة الناس إليها ، أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم .

وقد أخرج الحديث : البيهقي ^{١٥٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين] آية : ٤٥

(٢٥) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ قلت : بلى ، قال : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وإن

^{١٥٣} الرازي ، مصدر سابق : (١٤٨) .

^{١٥٤} ابن منظور ، مصدر سابق : (١٢ / ١٤٠ - ١٤١) .

^{١٥٥} الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، الطبعة الثانية : (١ / ٣٠٣) .

^{١٥٦} ينظر : مناع القطان ، مصدر سابق : (٢٢٠) .

^{١٥٧} البيهقي ، شعب الإيمان : (٦ / ٨٨ - ٨٩) ، وقد أخرجه بسنده ، قال : حدثنا أبو سعد ، أنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن صبيح ، أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد ، أنا الحجاج بن قتيبة ، أنا بشر بن الحسين ، أنا الزبير بن عدي ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، الحديث .

الخلايق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيكه لم يقدرُوا على ذلك أو أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يعطيكه لم يقدرُوا على ذلك ، وأن قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا اعتصمت فاعتصم بالله ، واعمل لله بالشكر في اليقين ، وأعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا) ^{١٥٨} .

(٢٦) (وأخرج : عن سهل بن سعد الساعدي ^{١٥٩} ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس : ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ، فلو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه ، ولو جهد العباد أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه ؛ فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ، وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا) ^{١٦٠} .

قال ابن رجب الحنبلي : (وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين ، حتى قال بعض العلماء : تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيئش فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه ، ونحن نذكر هاهنا مقاصد على وجه الاختصار إن شاء الله تعالى ، قوله صلى الله عليه وسلم : احفظ الله ، يعني : احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه ، وحفظ ذلك هو الوقوف على أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه ، وقال عز وجل : [هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب] وفسر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها) ^{١٦١} ، وقال المباركفوري : (احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة ، إذا سألت أي : أردت السؤال فاسأل الله ، أي : وحده ؛ لأن غيره ليس بقادر على الإعطاء والمنع ودفع الضرر وجلب النفع ، وإذا استعنت ، أي : أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله فإنه المستعان وعليه التكلان ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ، أي : كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ، ولا يكتب منه شيء

^{١٥٨} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٥٩) .

^{١٥٩} سهل بن سعد الساعدي الأنصاري أبو العباس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه وهو بن خمس عشرة سنة مات بالمدينة سنة إحدى وتسعين وهو بن مائة سنة وأكثر روى عنه الزهري وأبو حازم المدني وابنه العباس بن سهل بن سعد ويحيى بن ميمون الحضرمي ، قال ابن حبان : كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة ، ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ١٩٨) ، ابن حبان ، الثقات : (٣ / ١٦٨) ، ابن زبير الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٢١٥) .

^{١٦٠} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٦٠) .

^{١٦١} ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم واحكم ، دار المعرفة ، بيروت (١٤٠٨ هـ) : (١٨٥) .

آخر ؛ فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيهاً بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته (١٦٢) .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٦٣} ، وهناد بن السري^{١٦٤} ، والترمذي^{١٦٥} ، والطبراني^{١٦٦} ، والحاكم^{١٦٧} ، والبيهقي^{١٦٨} ، والضياء المقدسي^{١٦٩} ، والهيثمي^{١٧٠} ، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح)^{١٧١} ، قال ابن رجب الحنبلي : (روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة ، من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وعبيد الله بن عبد الله وعمرو بن عبد الله وعمر مولى عفرة وابن أبي مليكة وغيرهم ، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي كذا قال ابن مندة وغيره ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر ، وفي أسانيد كلها ضعف ، وأن أسانيد الحديث كلها لينة وبعضها أصلح من بعض ، وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة)^{١٧٢} ، وقال العجلوني : (أورده الضياء في المختارة وهو حسن ، وله شاهد رواه عبد ابن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، رفعه بلفظ : يا ابن عباس احتفظ الله بحفظك واحفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وذكره مطولا بسند ضعيف ، ورواه أحمد والطبراني وغيرهما بسند أصح رجالا وأقوى)^{١٧٣} ، والحديث يتقوى بتلك الشواهد ويعضد ، والله أعلم .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين] آية : ٥٨

(٢٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد الخدري قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها : ذات الحنظل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما مثل هذه

^{١٦٢} المباركفوري ، تحفة الأحوذى ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (٧ / ١٨٥ - ١٨٦) .

^{١٦٣} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٢٩٣ - ٣٠٣) .

^{١٦٤} هناد بن السري ، الزهد ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت (١٤٠٦ هـ) : (١ / ٣٠٥) .

^{١٦٥} الترمذي ، السنن : (٤ / ٦٦٧) .

^{١٦٦} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ١٢٣) .

^{١٦٧} الحاكم ، المستدرک : (٣ / ٦٢٤) .

^{١٦٨} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٢٨) ، (٧ / ٢٠٣) .

^{١٦٩} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٢٣ - ٢٤) .

^{١٧٠} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١٩٠) .

^{١٧١} الترمذي ، السنن : (٤ / ٦٦٧) .

^{١٧٢} ابن رجب الحنبلي ، مصدر سابق : (١٨٥) .

^{١٧٣} العجلوني ، كشف الخفاء ، تحقيق : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٤٠٥ هـ) : (١ / ٣٦٦) .

الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجدا ، وقولوا : حطة نغفر لكم خطاياكم (١٧٤) .

حدثت تلك الحادثة في غزوة الحديبية ، وإنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون للمسلمين أجر وثواب بدخولهم تلك الثنية ، وهو طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما أمر به ، ومناسبة الحديث هو تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم الدخول إلى تلك الثنية بالدخول إلى تلك الباب التي أمر بنو إسرائيل الدخول فيها ولكنهم غيروا ما أراد الله لهم ، فلم يقولوا ما أمروا به ، فناسب ذكر الحديث هنا .
وقد أخرج الحديث : ابن سعد^{١٧٥} ، وابن أبي شيبة^{١٧٦} ، والهيثمي^{١٧٧} ، وقال : (رجاله ثقات)^{١٧٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون] آية : ٦٣

(٢٨) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : الطور ما أنبت من الجبال ، وما لم ينبت فليس بطور)^{١٧٩} .
في الأثر قوله رضي الله عنه : (الطور) ، وللطور معانٍ منها : (الأطوارُ : الحالاتُ المُختلفةُ التَّاراتِ والحدودُ ، وأحدها طَوْرٌ ، أي : مرَّةٌ مُلكٌ ومرَّةٌ هُلكٌ ومرَّةٌ بُؤسٌ ومرَّةٌ نَعْمٌ)^{١٨٠} ، وقال ابن منظور : (الطَّوْرُ : التَّارَةُ ، تقول : طَوَّرًا بَعْدَ طَوْرٍ ، أي : تارةً بعد تارة ، والطَّوْرُ : الحالُ ، وجمعه أطوارٌ ، قال الله تعالى : [وقد خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا] ؛ معناه : ضُرُوبًا وَأَحْوَالًا مُختلفةً ، والطَّوْرُ والطَّوَارُ : ما كان على حَدِّ الشَّيْءِ أو بِحِدَائِهِ ، ورأيت حَبْلًا بِطَوَارٍ هذا الحائط ، أي : بطوله ، ويقال : هذه الدار على طَوَارِ هذه الدار ، أي : حائطُها على نسقٍ واحدٍ ، والطَّوْرَةُ : فِنَاءُ الدارِ ، والطَّوْرَةُ : الأَبْيَةُ ، وفلان لا يَطَّوْرُنِي ، أي : لا يَقْرُبُ طَوَارِي ، والطَّوْرُ : الحدُّ بين الشَّيْئَيْنِ ، وعدا طَوْرَهُ ، أي : جاوزَ حَدَّهُ وَقَدْرَهُ ، وطارَ حَوْلَ الشَّيْءِ طَوْرًا و طَوْرَانًا : حَامٌ ، والطَّوَارُ مَصْدَرُ طَارَ يَطَّوْرُ ، والعرب تقول : ما بالدارِ طَوْرِيٍّ ولا دَوْرِيٍّ ، أي : أَحَدٌ ولا طَوْرَانِيٍّ مثله ، والطَّوْرُ : الجَبَلُ ، وطَوْرُ سَيْنَاءَ : جَبَلٌ بالشَّامِ ، وهو بالسُّرْيَانِيَّةِ طَوْرِيٌّ ، والنسبُ أَلِيهِ طَوْرِيٌّ وطَوْرَانِيٌّ ، وفي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ : [وشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طَوْرِ سَيْنَاءَ] ، الطَّوْرُ في كلام العرب الجَبَلُ ، وقيل : إن سَيْنَاءَ حِجَارَةٌ ، وقيل : إنه اسم المكان ، وَحَمَامٌ طَوْرَانِيٌّ وطَوْرِيٌّ منسوبٌ إِلَيْهِ ، وقيل : هو منسوبٌ إلى جبلٍ له طَرَانٌ نسبٌ شاذٌ ، ويقال : جاء من بلد بعيد)^{١٨١} .

^{١٧٤} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٠٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٧٤) .

^{١٧٥} ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت : (٤ / ٣١٨) .

^{١٧٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٣٨١) .

^{١٧٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ١٤٤) .

^{١٧٨} المصدر السابق : (٦ / ١٤٤) .

^{١٧٩} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٨٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٩٦) .

^{١٨٠} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٣ / ١٤٢) .

^{١٨١} ابن منظور ، مصدر سابق : (٤ / ٥٠٧ - ٥٠٨) .

قلت : (وقال مجاهد : الطور الجبل بالسريانية ، وقال قتادة : الطور جبل ، وقال أبو عبيدة : الطور الجبل في كلام العرب ، وفي المحكم الطور الجبل ، وقد غلب على طور سيناء جبل بالشام ، وهو بالسريانية طوري بفتح الراء والنسبة إليه طوري وطوراني)^{١٨٢} .

وفي الحديث إشارة إلى معنى الطور الوارد في الآية ، وقول ابن عباس الوارد في هذا الأثر قريب من معناه في اللغة ، هذا وقد ناسب ذكر الحديث هنا ، ولم أقف على تخريج هذا الأثر .

ما جاء في قوله تعالى : [قالوا ادعوا لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ، قالوا ادعوا لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادعوا لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإننا إن شاء الله لمهتدون ، قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون] الآيات : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

(٢٩) (أخرج ابن مردويه : عن سرور بن المغيرة بن زاذان^{١٨٣} ، عن عباد بن منصور^{١٨٤} ، عن الحسن^{١٨٥} ، عن حديث أبي رافع^{١٨٦} ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا أن بني إسرائيل قالوا : وإنا

^{١٨٢} ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٦٠٢) .

^{١٨٣} سرور بن المغيرة بن زاذان ابن أخي منصور بن زاذان أبو عامر أصله بصري ولكنه واسطي السلمي ، سمع سليمان التيمي روى عن عباد بن منصور ، روى عنه أبو سعيد احمد بن داود الحداد ، قال ابن أبي حاتم سألت أبي عن سرور بن المغيرة ؟ فقال : شيخ ، وقد وثقه ابن حبان ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٤ / ٢١٦) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٥٨٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ٣٢٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٦ / ٤٣٧) .

^{١٨٤} عباد بن منصور الناجي ، روى عن القاسم بن محمد وعطاء بن أبي رباح والحسن وعكرمة وأيوب السختياني ، وفي روايته عن عكرمة وأيوب ضعف ، روى عنه الثوري وسهل بن حماد وريحان بن سعيد وأبو عاصم الأنصاري ومسلم بن إبراهيم ، قال يحيى بن معين : عباد بن منصور ليس بشيء ضعيف ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن عباد بن منصور ؟ قال : كان ضعيف الحديث يكتب حديثه ، وسئل أبو زرعة عن عباد بن منصور ؟ فقال : بصري لين ، وقال العجلي : عباد بن منصور الناجي لا بأس به يكتب حديثه ، مات سنة اثنتين وخمسين ومائة ، ينظر : مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٣٨٢) ، العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ١٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٨٦) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٣٥٥) .

^{١٨٥} (الحسن بن أبي الحسن يسار الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري ، يقال : مولى زيد بن ثابت ، ويقال : مولى جميل بن قطبة ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة ، نشأ بالمدينة وحفظ كتاب الله في خلافة عثمان وسمعه يحظب مرات وكان يوم الدار ابن أربع عشرة سنة ، حدث عن عثمان وعمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب وجندب البجلي وابن عباس وابن عمر وأبي بكر وعمر بن تغلب وجابر وطائفة كثيرة ، حدث عنه قتادة وأيوب وابن عون ويونس وخالد الحذاء وهشام بن حسان وحמיד الطويل وجرير بن حازم وشيبان النحوي ويزيد بن إبراهيم التستري ومبارك بن فضالة والربيع بن صبيح وأبان بن يزيد العطار وقرّة بن خالد وأمهم سواهم ، وهو مدلس فلا يحتج بقوله عن من لم يدركه وقد يدللس عمن لقيه لبعض من بينه وبينه والله أعلم ؛ ولكنه حافظ علامة من مجور العلم فقيه النفس كبير الشأن عدم النظر مليح التذكير ببلغ الموعظة رأس في أنواع الخير ، مات سنة عشر ومائة وله ثمان وثمانون سنة رحمه الله تعالى) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٧١ - ٧٢) .

^{١٨٦} (أبو رافع الصائغ نفيح المدني مولى آل عمر رضي الله عنه ، أدرك الجاهلية ، وحدث عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وأبي موسى وأبي هريرة رضي الله عنهم وكعب الأحبار وعدة ، وروى عنه الحسن وثابت البناني وعطاء بن ميمونة وقاتدة وعلي بن زيد بن جدعان ، وثقه احمد وغيره ، روى جملة سالحة ، وموته قريب من موت أنس بن مالك رضي الله عنه) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٦٩) .

إن شاء الله لمهتدون ما أعطوا أبدا ، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكن شددوا فشدد الله عليهم (١٨٧) .

جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (اعرضوا) ، و (العَرَضُ : خلافُ الطُّول ، والجمع أعراض ، وقد عَرَضَ يَعْرِضُ عَرَضاً مثل صَعَرَ صِعْراً ، وعَرَضَةً ، بالفتح ، وعَرَضْتُ الشيء : جعلته عَرِيضاً ، وتَعَرِيضُ الشيء : جعله عَرِيضاً ، والعَرَضُ أيضاً : العَرِيضُ كالكِبَارِ والكَبِيرِ والعَرَضَاتُ : الإبل العَرِيضَاتُ الآثار : ويقال للإبل : إنها العَرَضَاتُ أثراً ، وقوله تعالى : [فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ] ، أي : واسع ، وإن كان العَرَضُ إنما يقع في الأجسام والدعاء ليس بجسم ، وأَعْرَضْتُ بأولادها : ولدتهم عَرَضاً ، وأَعْرَضَ : صار ذَا عَرَضٍ ، وأَعْرَضَ في الشيء : تَمَكَّنَ من عَرَضِهِ ، والعَرَضُ هو العَطَاءُ والطَّمَعُ (١٨٨) ، فهي هنا أن المقصود كان أي بقرة ، ولم تكن بقرة بعينها ، ثم كان هذا التحديد الذي كان بعد ذلك التشديد منهم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : (لأجزأت عنهم) ، و (جَزَأَهُ من باب قطع ، وجَزَأَهُ تَجْرِئَةً قسمه أجزاءً ، وجَزَأَ به من باب قطع اكتفى ، وأجزأه الشيء كفاه ، وأجزأت عنه شاة لغة في جرت ، أي : قضت ، واجتزأ به وتجزأ به اكتفى) (١٨٩) ، (والجَزْءُ : الاستغناء بالشيء عن الشيء ، وكأنه الاستغناء بالأقل عن الأكثر ، وجزأ بالشيء وتجزأ : قَنَعَ واكْتَفَى به ، وأجزأه الشيء : كفاه) (١٩٠) .

قال ابن كثير بعد ذكره الحديث المتقدم : (وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي ، والله أعلم) (١٩١) ، وأخرج الحديث ابن أبي حاتم في تفسيره قال : (ثنا أبو زرعة ، ثنا عمرو بن حماد بن طلحة ، ثنا أسباط ، عن السدي قال : قال ابن عباس : فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا وتعنتوا على موسى عليه السلام فشدد الله عليهم ، فقالوا : ادع الله لنا ربك يبين لنا ما هي) (١٩٢) ، قال العجلوني : (شددوا فشدد الله عليهم ، الحديث ، يعني بني إسرائيل في قولهم لموسى عليه الصلاة والسلام : ادع لنا ربك يبين لنا ، رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة ، رفعه بلفظ لولا أن بني إسرائيل قالوا وإنما أن شاء الله لمهتدون ما أعطوا أبدا ، ولو أنهم اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ، وورد مثل هذا المعنى في رهبان النصارى فعند أبي يعلى عن أنس : لا تشددوا على أنفسكم يشدد الله عليكم فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والأديرة رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ، لكن يفرق بين التشديدين فإن تشديد اليهود كان تعنتا على موسى عليه الصلاة والسلام ، وتشديد النصارى كان تشديدا في العبادة والاجتهاد ، وكلاهما مذموم في شريعتنا) (١٩٣) ، والحديث على هذا ضعيف ، والله أعلم .

^{١٨٧} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١١٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ١٨٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٩٩) .

^{١٨٨} ابن منظور ، مصدر سابق : (٧ / ١٦٥ - ١٦٦) .

^{١٨٩} الرازي ، مصدر سابق : (١٠١ - ١٠٢) .

^{١٩٠} ابن منظور ، مصدر سابق : (١ / ٤٦) .

^{١٩١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١١٢) .

^{١٩٢} ابن كثير ، تحفة الطالب ، تحقيق ، عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي ، دار حراء ، مكة المكرمة (١٤٠٦ هـ) : (٣٣٥) .

^{١٩٣} العجلوني ، مصدر سابق : (٢ / ٩) .

ما جاء في قوله تعالى : [فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم ممّا كُتبتْ بأيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون] آية : ٧٩

(٣٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره) ١٩٤ .

في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (قعره) ، والقعر في اللغة تعني : العمق ١٩٥ ، وقد ذكر الويل في الحديث ، وقد قالوا فيه الكثير ، (قال عطاء بن يسار : ويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت من شدة حره) ١٩٦ ، و (قال مالك بن دينار : الويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب) ١٩٧ ، و (قال أبو عياض : ويل صهرج في أصل جهنم يسيل فيه صديد أهل النار) ١٩٨ وقال المناوي : (ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً ، أي : سنة قبل أن يبلغ قعره ، معناه : أن فيها موضعاً يتبوأ فيه من جعل له الويل) ١٩٩ .
وقد أخرج الحديث : ابن حبان ٢٠٠ ، والحاكم ٢٠١ ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ٢٠٢ ،
والهيثمي ٢٠٣ .

وقد أخرج الحديث أيضاً الإمام أحمد وزاد فيه : (والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً) ٢٠٤ ، وأبو يعلى ٢٠٥ .

وفي الحديث إشارة إلى عذاب أولئك الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويحرفون كلام الله عز وجل ، فناسب ذكر الحديث هنا .

ما جاء في قوله تعالى : [بلى من كسب سيئاً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصابُ النارُ همُ فيها خالدونَ] آية :

٨٠

١٩٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٢٠١ / ١) .

١٩٥ ينظر : الرازي ، مصدر سابق : (٥٤٥) .

١٩٦ الطبري ، التفسير ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٥ هـ) : (٣٧٩ / ١) .

١٩٧ ابن رجب الحنبلي ، التخويف من النار ، مكتبة دار البيان ، دمشق (١٣٩٩ هـ) : (٨٥) .

١٩٨ المصدر السابق : (٨٥) .

١٩٩ المناوي ، مصدر سابق : (٣٧٠ / ٦) .

٢٠٠ ابن حبان ، الصحيح : (٥٠٨ / ١٦) .

٢٠١ الحاكم ، المستدرک : (٦٣٩ / ٤) .

٢٠٢ المصدر السابق : (٦٣٩ / ٤) .

٢٠٣ الهيثمي ، موارد الظمان : (٦٤٩) .

٢٠٤ الإمام أحمد ، المسند : (٧٥ / ٣) .

٢٠٥ أبو يعلى ، مصدر سابق : (٥٢٣ / ٢) .

(٣١) (قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر^{٢٠٦} ، حدثنا محمد بن محمد بن صخر^{٢٠٧} ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ^{٢٠٨} ، حدثنا ليث بن سعد^{٢٠٩} ، حدثني سعيد بن أبي سعيد^{٢١٠} ، عن أبي هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجمعوا لي من كان من اليهود هاهنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبوكم ؟ قالوا : فلان ، قال : كذبتكم بل أبوكم فلان ، فقالوا : صدقت وبررت ، ثم قال لهم : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم يا أبا القاسم وإن كذبتك عرفت كذبتنا كما عرفته في أيينا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل النار ؟ فقالوا : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخسئوا والله لا نخلفكم فيها أبدا ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟

^{٢٠٦} (أبو الشيخ حافظ أصبهان ومسنده زمانه الإمام أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني صاحب المصنفات ، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع أبا يعلى وأبا خليفة ولقي الكبار ، وكان مع سعة علمه وغازاة حفظه أحد الأعلام ، صالحا خيرا صدوقا مأمونا ثقة متقنا ، صنف التفسير وغيره ، مات في الحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة) ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : (٣٨٢) .

^{٢٠٧} لم أقف على ترجمته ؛ (وأبوه هو : محمد بن صخر بن سدوس التيمي من أهل تهران ، كان عنده عن الحسين بن حفص والحميدي ومحمد بن حرب وأبي عاصم وخالد بن يحيى) ، أبو محمد الأنصاري ، طبقات المحدثين بأصبهان ، تحقيق : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) : (٢٨ / ٣) .

^{٢٠٨} عبد الله بن يزيد العدوي مولى آل عمر أبو عبد الرحمن المقرئ القصير ، أصله من ناحية البصرة ، وقيل : من ناحية الأهواز ، سكن مكة ، روى عن كهمس بن الحسن وموسى بن علي بن رباح وأبي حنيفة وابن عون وسعيد بن أبي أيوب وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم والليث وابن لهيعة وغيرهم ، وعنه البخاري روى له هو والباقون بواسطة أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وأبي قدامة وعبد بن حميد ومحمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن يحيى بن أبي عمرو وهارون الجمال ومحمد بن حميد المرادي ويحيى بن موسى البلخي وإبراهيم بن عبد الله بن المنذر الصنعائي وروى عنه آخرون ، قال النسائي ثقة ، وقال الخليلي ثقة حديثه في التفات يحتج به ويتفرد بأحاديث ، وكان ثقة كثير الحديث ، مات بمكة سنة اثنا عشرة أو ثلاث عشرة ومائتين ، ينظر : أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، تحقيق : د. أبو لبابة حسين ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) : (٣ / ١٢٦) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٦ / ٧٥) .

^{٢٠٩} الليث بن سعد الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية وعالمها ورئيسها أبو الحارث الفهمي مولاهم الأصبهاني الأصل المصري ، حدث عن عطاء بن أبي رباح ونافع العمري وابن أبي مليكة وسعيد المقرئ والزهرري وأبي الزبير المكي ومشوح بن هاعان وأبي قبيل المعافري ويزيد بن أبي حبيب وجعفر بن ربيعة وخلق كثير ، وينزل الى أن يروي عن تلامذته ، حدث عنه محمد بن عجلان وهو شيخه وابن وهب وسعيد بن أبي مرثم وكاتبه عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير ويحيى بن يحيى النيسابوري ويحيى بن يحيى القرظي وقتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح ونصف بن حماد وأبو الجهم الباهلي وخلائق ، حج سنة ثلاث عشرة وله تسعة عشر عاما فلحق الكبار ، وكان كبير الديار المصرية وعالمها الانبل ، قال يحيى بن بكير : هو افقه من مالك لكن الحظوظ لمالك ، قال الإمام أحمد : ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث بن سعد لا عمرو بن الحارث ولا أحد ، وقال أيضاً : الليث بن سعد كثير العلم صحيح الحديث ، و عن يحيى بن معين انه قال : ليث بن سعد ثقة ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عن الليث بن سعد ؟ فقال : صدوق ، قلت : يحتج بحديثه ؟ قال : أي لعمرى ، مات الليث بن سعد سنة أربع وسبعين ومائة وهو ابن ثمانين سنة ، ينظر : مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٢٣٥) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ١٧٩) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٤٠٠) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٢٢٤ - ٢٢٥) .

^{٢١٠} سعيد بن أبي سعيد كيسان الإمام المحدث الثقة أبو سعيد المقرئ المدني ، مولى بني ليث ، سمع أباه وأبا هريرة وأبا سعيد وسعد بن أبي وقاص وجبير بن مطعم وجابرا وأنسا وعائشة ومعوية وأبا شريح الخزاعي وخلقا ، وينزل إلى شريك بن أبي نمر ، وعنه إسماعيل بن أمية وأيوب بن موسى وزيد بن أبي أنيسة ويحيى بن سعيد الأنصاري وعمرو بن أبي عمرو والوليد بن كثير وعبد الحميد بن جعفر وابن إسحاق وابن أبي ذئب وهشام بن سعد ومالك والليث ومحمد ابن موسى الفطري وخلق كثير ، قال أحمد وابن معين : ليس به بأس ، وقال علي وابن سعد وأبو زرعة وجماعة : ثقة ، وبعضهم يقول : كبر واختلط قبل موته بأربع سنين ، وحديثه في سائر الصحاح ، مات سنة خمس وعشرين ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٣ / ٤٧٤) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٣٩٢) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ١١٦) .

قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ فقالوا : نعم ، قال : فما حملكم على ذلك ؟ فقالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك ^{٢١١} .

قال ابن كثير : (يقول تعالى إخبارا عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى : [قل أتخذتم عند الله عهدا] ، أي : بذلك فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ، ولكن هذا ما جرى ولا كان ، ولهذا أتى بأم التي بمعنى بل ، أي : بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والإفراء عليه) ^{٢١٢} ، وحادثة السم الذي وضع للنبي صلى الله عليه وسلم مشهورة ، (قال عروة : قالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلته بخبير ، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم ، قوله : أجد ألم الطعام ، أي : الألم الناشئ عن ذلك الأكل لا أن الطعام نفسه بقي إلى تلك الغاية) ^{٢١٣} ، في الحديث قوله : (أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم) ، وفي (رواية هشام بن زيد عن أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجيء بها ، الحديث ، فعرف أن النبي أهدت الشاة المذكورة امرأة ، وأنها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم) ^{٢١٤} ، وكان الجزء المسموم هو الكتف والذراع ، حيث (وقع في مرسل الزهري : أنها أكثرت السم في الكتف والذراع ، لأنه بلغها أن ذلك كان أحب أعضاء الشاة إليه ، وفيه : فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف ، فنهش منها ، وفيه : فلما ازدرد لقمته ، قال : إن الشاة تخبرني ، يعني : أنها مسمومة) ^{٢١٥} ، قوله : (نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها) ، (بضم اللام مخففا ، أي : تدخلون فتقيمون في المكان الذي كنا فيه) ^{٢١٦} .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد ^{٢١٧} ، والدارمي ^{٢١٨} ، والبخاري ^{٢١٩} ، والنسائي ^{٢٢٠} .

وفي الحديث إشارة إلى كذب اليهود في دعواهم أنهم لا يقيمون في النار إلا أياماً معدودة ، وأنهم هم أهل الكذب والافتراء على الله تعالى ، وأن النار مشوى الذين يكسبون السيئات ويصرون عليها ولا يتوبون منها ، فناسب ذكر الأثر هنا .

^{٢١١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١١٩) .

^{٢١٢} المصدر السابق : (١ / ١١٩) .

^{٢١٣} ابن حجر فتح الباري : (١٠ / ٢٤٥) .

^{٢١٤} المصدر السابق : (١٠ / ٢٤٥) .

^{٢١٥} المصدر السابق : (١٠ / ٢٤٥) .

^{٢١٦} ابن حجر ، فتح الباري : (١٠ / ٢٤٦) .

^{٢١٧} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٤٥١) .

^{٢١٨} الدارمي ، مصدر سابق : (١ / ٤٧) .

^{٢١٩} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١١٥٦) ، (٥ / ٢١٧٨) .

^{٢٢٠} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤١٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] آية : ٩٤

(٣٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار) ٢٢١ .

قلت : قال الطبري : (وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهري مهاجرة وفضح بها أبحارهم وعلماءهم ؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم فيما كان بينه وبينهم من الخلاف ، كما أمره الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى إذ خالفوه في عيسى صلوات الله عليه وجادلوا فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة ، وقال لفريق اليهود : إن كنتم محقين فتمنوا الموت فإن ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله ، بل إن أعطيتكم أميئتكم من الموت إذا تمنيتم فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جنانه إن كان الأمر كما تزعمون أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا ، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم ، فامتنت اليهود من إجابة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك لعلمها أنها إن تمت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها ، كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى إذ دعوا إلى المباهلة ، فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا) ٢٢٢ .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد ٢٢٣ ، وأبو يعلى ٢٢٤ ، والنسائي ٢٢٥ ، والهيثمي ٢٢٦ ، والقزويني ٢٢٧ ، وقد أخرج الجميع الحديث بلفظ : (عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا يصلي في الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه ، قال : فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا) ، الحديث .

قال الهيثمي : (في الصحيح طرف من أوله ، رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح) ٢٢٨ .

٢٢١ السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٢٢٠) .

٢٢٢ الطبري ، التفسير : (١ / ٤٢٤) .

٢٢٣ الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٢٤٨) .

٢٢٤ أبو يعلى ، مصدر سابق : (٤ / ٤٧١) .

٢٢٥ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٠٨) .

٢٢٦ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٢٨) .

٢٢٧ القزويني ، مصدر سابق : (٣ / ٥٦) .

٢٢٨ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٢٨) .

فقد جاء الحديث يفضح اليهود ويبين كذبهم ، ويدعوهم إلى الفعل الذي يتبين به صدقهم من كذبهم ، وهو تمنى الموت ليتحقق صدقهم ودعواهم من أنهم هم أهل الله وخاصته ، وبين الحديث أن اليهود هم أهل النار ؛ لأنهم عرفوا الحق ثم حرفوه ولم يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، مع أن دينهم يأمرهم بذلك ، فناسب ذكر الأثر هنا .

ما جاء في قوله تعالى : [قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبِشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ] آية : ٩٧ ، ٩٨ (٣٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن جبريل ليأتيني كما يأتي الرجل صاحبه في ثياب بيض مكفوفة باللؤلؤ والياقوت ، رأسه كالحبك ، وشعره كالمرجان ، ولونه كالثلج أجلى الجبين براق الشايا عليه وشاحان من در منظوم ، وجناحاه أخضران ، ورجلاه مغموستان في الخضرة ، وصورته التي صور عليها تملأ ما بين الأفقين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : أشتهي أن أراك في صورتك يا روح الله ، فتحول له فيها فسد ما بين الأفقين)^{٢٢٩} ، (٣٤) و (عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : هل ترى ربك ؟ قال : إن بيني وبينه لسبعين حجابا من نار أو نور لو رأيت أدناه لاحترقت)^{٢٣٠} ، (٣٥) و (عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسرافيل صاحب الصور ، وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره وهو بينهما)^{٢٣١} .

جاء في الحديث الأول قوله صلى الله عليه وسلم : (رأسه كالحبك) ، و (الحَبَاكُ والحَيِّكَةُ : الطريقة في الرمل ونحوه ، وجمع الحَبَاكُ حُبُكٌ ، وجمع الحَيِّكَةُ حَبَائِكُ ، وقوله تعالى : [والسَّمَاءُ ذَاتُ الحُبُكِ] ، قالوا : طرائق النجوم ، وقال الفراء : الحُبُكُ تكسر كل شيء كالرمل إذا مرت به الريح الساكنة والماء القائم إذا مرت به الريح ودرع الحديد لها حُبُكٌ أيضا والشعرة الجعدة تكسرها حُبُكٌ ، وحَبَكُ الثوب أجاد نسجه وبابه ضرب ، وقال ابن الأعرابي : كل شيء أحكمته وأحسنه عمله فقد احتبكتُهُ)^{٢٣٢} ، قال الطبري : (أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل ؛ إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم ، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك ، فقال بعضهم : إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله في أمر نبوته ، وأما تأويل الآية أعني قوله : [قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله] ، فهو أن الله يقول لنبيه : قل يا محمد لمعاشر اليهود من بني إسرائيل الذين زعموا أن جبريل لهم عدو من أجل أنه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي فأبوا اتباعك وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئتهم به من آياتي وبيانات حكمي من أجل أن جبريل وليك وصاحب وحيي إليك ، وزعموا أنه

^{٢٢٩} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٢٢٩) .

^{٢٣٠} المصدر السابق : (١ / ٢٢٩) .

^{٢٣١} المصدر السابق : (١ / ٣٠) .

^{٢٣٢} الرازي ، مصدر سابق : (١٢١) .

عدو لهم من يكن من الناس لجبريل عدوا ومنكرا أن يكون صاحب وحي الله إلى أنبيائه وصاحب رحمته ، فإني له ولي وخليل ومقر بأنه صاحب وحي إلى أنبيائه ورسله ، وأنه هو الذي ينزل وحي الله على قلبي من عند ربي بإذن ربي له بذلك يربط به على قلبي ويشد فؤادي)^{٢٣٣} ، فالحديث جاء يبين صفات جبريل أمين الوحي عليه السلام ، ولم أقف على تخريج الحديث •

أما الحديث الثاني فقد جاء يبين مكانة جبريل عليه السلام وقربه من الله عز وجل ، ومع هذا القرب الشديد من رب العالمين فإنه لا يستطيع أن يرى ربه ، وقد أخرج الحديث : الطبراني^{٢٣٤} ، وأبو محمد الأصبهاني^{٢٣٥} ، وأبو نعيم الأصبهاني^{٢٣٦} ، والديلمي^{٢٣٧} ، وقد أخرج الجميع الحديث من طريق : (أبي مسلم قائد الأعمش ، عن الأعمش ، عن أنس بن مالك)^{٢٣٨} ، قال الذهبي : (هذا حديث منكر وأبو مسلم ليس بمعتد)^{٢٣٩} وقال الهيثمي : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه قائد الأعمش ، قال أبو داود : عنده أحاديث موضوعة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال عنه : يهمل)^{٢٤٠} •

وفي الحديث إشارة كما أسلفنا عن قرب جبريل عليه السلام من ربه ومكانته •

أما الحديث الثالث ، فقد أخرجه : الحاكم في مستدركه بلفظ : (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور فقال : جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وقال أيضاً : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وهو صاحب الصور)^{٢٤١} ، وفي الحديث إشارة إلى مكانة اسرافيل ، وجبريل ، ومكائيل عليهم السلام ، وأنهم في مكانة قريبة من رب العالمين ، وأن لهم منازل رفيعة ، ثم أن لهم أعمالاً يقومون بها ، فلا يجوز على أحد أن يسبهم ويقلل من مكانتهم عند الله تبارك وتعالى ، ولذلك كانت عقوبة الذين يسبونهم ويتحدثون فيهم بالسوء أن يكونوا أعداء لله رب العالمين ، ولهذا كان بنو إسرائيل أعداء لله عز وجل ، ثم إن الأيمان بهم واجب على كل مؤمن قال تعالى : [كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ]^{٢٤٢} ، فناب ذكر الأحاديث هنا ، والله أعلم •

^{٢٣٣} الطبري ، التفسير : (١ / ٤٣٥) •

^{٢٣٤} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٦ / ٢٧٨) •

^{٢٣٥} أبو محمد الأصبهاني ، مصدر سابق : (٢ / ٦٧٠) •

^{٢٣٦} أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٥ هـ) : (٥ / ٥٥) •

^{٢٣٧} الديلمي ، مصدر سابق : (٢ / ٣١٢) •

^{٢٣٨} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٦ / ٢٧٨) •

^{٢٣٩} الذهبي ، السير : (٦ / ٢٤١) •

^{٢٤٠} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ٧٩) •

^{٢٤١} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٩١) •

^{٢٤٢} البقرة : ٢٨٥ •

ما جاء في قوله تعالى : [واتبعوا ما تتلوا الشياطينُ على ملكِ سليمانَ وما كفر سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كفروا يعلمون النَّاسَ السَّحَرَ وما أنزل على الملكين ببابل هاروتَ وماروتَ وما يعلمانِ من أحدٍ حتى يقولَا إنّما نحنُ فتنَةٌ فلا تكفُرْ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرءِ وزوجه وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذنِ الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاقٍ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون] آية : ١٠٢

(٣٦) (قال ابن مردويه : حدثنا دعلج بن أحمد^{٢٤٣} ، حدثنا هشام بن علي بن هشام^{٢٤٤} ، حدثنا عبد الله بن رجاء^{٢٤٥} ، حدثنا سعيد بن سلمة^{٢٤٦} ، حدثنا موسى بن سرجس^{٢٤٧} ، عن نافع^{٢٤٨} ، عن ابن عمر ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن آدم عليه السلام لما خلقه أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة : أي رب أتجعل فيها

^{٢٤٣} دعلج بن أحمد بن عبد الرحمن أبو محمد السجزي ، سمع بمكة من محمد بن علي بن زيد الصائغ كتاب السنن عن سعيد بن منصور ومن علي بن عبد العزيز البغوي صاحب أبي عبيد وبغداد من موسى بن هارون الحمال وعبد الله بن أحمد بن حنبل وإسحاق بن الحسن الحرابي وأحمد بن علي الأبار وبشر بن موسى الأسدي وبخراسان من عبد الله بن محمد بن شيرويه وجعفر بن محمد الترك ومحمد بن النضر الجارودي والحسن بن سفيان النسوي في آخرين ، حدث عنه أبو الحسن الدارقطني وأبو عبد الله الحاكم وأبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان وغيرهم ، قال الدارقطني : كان ثقة مأمونا ، توفي دعلج بن أحمد يوم الجمعة لإحدى عشرة بقين من جمادى آخرة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، ينظر : محمد بن عبد الغني البغدادي ، التقييد : (١ / ٢٦٥ - ٢٦٦) ، الذهبي ، طبقات المحدثين : (١١٣) ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : (٣٦١) .

^{٢٤٤} (هشام بن علي بن هشام السيراني أبو علي سكن البصرة ، يروى عن أبي الوليد الطيالسي وأبي حذيفة وأهل البصرة ، مستقيم الحديث) ، ابن حبان ، الثقات : (٩ / ٢٣٤) .

^{٢٤٥} عبد الله بن رجاء الحافظ الثقة أبو عمرو الغدادي البصري ، حدث عن شعبة وعاصم بن محمد العمري وعكرمة بن عمار وإسرائيل وعدة ، وعنه البخاري وإبراهيم الحرابي وأبو بكر الأثرم وأبو مسلم الكجي وعثمان بن عمر الضبي وأبو خليفة وخلق ، قال ابن المديني : اجمع أهل البصرة على عدالة رجلين أبي عمر الحوضي وابن رجاء ، وقال الفلاس : صدوق كثير الغلط ، قال أبو حاتم : كان ثقة رضا ، وسئل أبو زرعة عنه فجعل يثنى عليه ، وقال : حسن الحديث ، مات في آخر يوم من سنة تسع عشرة ومائتين ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٥ / ٩١) ، ابن أبي حاتم ، المرح والتعديل : (٥ / ٥٥) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٤٠٤) ، الذهبي ، السير : (١٠ / ٣٧٦) .

^{٢٤٦} سعيد بن سلمة بن أبي الحسام أبو عمرو ، ومولى آل عمر بن الخطاب القرشي ، نسبه عبد الله بن رجاء ، سمع محمد بن المنكدر وهشام بن عروة وعثمان الأحنسي ، روى عنه موسى بن إسماعيل المدني ، وثقه ابن حبان ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٣ / ٤٧٩) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٥٧١) ، ابن حبان ، الثقات : (٦ / ٣٥٨) .

^{٢٤٧} موسى بن سرجس حجازي ، روى عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وإسماعيل بن أبي حكيم ، وعنه يزيد بن عبد الله بن الهاد وي زيد بن أبي حبيب ، له عندهم عن القاسم عن عائشة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٧ / ٢٨٥) ، الذهبي ، الكاشف : (٢ / ٣٠٤) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (١٠ / ٣٠٧) .

^{٢٤٨} (الإمام المفتي الثبت عالم المدينة أبو عبد الله القرشي ثم العدوي العمري مولى ابن عمر وراويته ، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة ورافع بن خديج وأبي سعيد الخدري وأم سلمة وأبي لبابة بن عبد المنذر وصفية بنت أبي عبيد زوجة مولاة وسالم وعبد الله وعبيد الله وزيد أولاد مولاة وطائفة ، وعنه الزهري وأيوب السخيتي وعبيد الله بن عمر وأخوه عبد الله وزيد بن واقد وحديد الطويل وأسامة بن زيد وابن جريح وعقيل وبكير بن عبد الله وعثمان وابن عون وي زيد بن عبد الله بن الهاد ويونس بن عبيد ويونس بن يزيد وإسماعيل بن أمية وابن عمه أيوب بن موسى ورقبة بن مصقلة وحظلة بن أبي سفيان وحفص بن عنان اليمامي وخالد بن زياد التمزدي متأخر وعبد الله بن سعيد بن أبي هند وعبد الله بن سليمان الطويل وعبد الحميد بن جعفر وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وعبد العزيز بن أبي رواد وعمر وأبو بكر ولدا نافع ومحمد بن إسحاق وابن أبي ذئب وابن أبي ليلى ومحمد بن عجلان والزيدي وشعيب بن أبي حمزة وأبو معشر نجيح وهشام بن الغاز وهمام بن يحيى وهشام بن سعد وحديد بن زياد وحجاج بن أرتاة والأوزاعي والضحاك بن عثمان وغيرهم ، قال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ، قال عبيد الله بن عمر : بعث عمر بن عبد العزيز ناعفا مولى ابن عمر إلى أهل مصر يعلمهم السنن ، مات سنة سبع عشرة ومائة) ، الذهبي ، السير : (٥ / ٩٥) وما بعدها .

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إني أعلم ما لا تعلمون ، قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بني آدم ، قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان ، قالوا : ربنا هاروت وماروت ، فأهبطنا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما فسألاها نفسها ، فقالت ، لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشرار ، فقالا : والله لا نشرك بالله شيئاً أبداً ، فذهبت عنهما ، ثم رجعت بصبي تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي ، فقالا : لا والله لا نقتله أبداً ، فذهبت ثم رجعت بقدر خمر تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا فسكرا ، فوقعا عليها ، وقتلا الصبي ، فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ما تركتما شيئاً أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما ، فخيراً بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا (٢٤٩) .

قال الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله : [ما تتلوا الشياطين] ، الذي تتلو ، فتأويل الكلام إذا : واتبعوا الذي تتلو الشياطين ، واختلف في تأويل قوله : [تتلوا] ، فقال بعضهم : يعني بقوله : [تتلوا] ، تحدث وتروى وتتكلم به وتخبر نحو تلاوة الرجل للقرآن وهي قراءته ، ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك إلى أن الشياطين هي التي علمت الناس السحر وروته لهم ، وقال آخرون : معنى قوله : [ما تتلوا] ، ما تتبعه وترويه وتعمل به ، والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان باتباعهم ما تلته الشياطين ، ولقول القائل : هو يتلو كذا في كلام العرب معنيان ، أحدهما : الاتباع كما يقال : تلوت فلانا إذا مشيت خلفه وتبعته ، والآخر : القراءة والدراسة ، كما تقول : فلان يتلو القرآن ، بمعنى : أنه يقرؤه ويدرسه ، ولم يخبرنا الله جل ثناؤه بأي معنى التلاوة كانت تلاوة الشياطين الذين تلوا ما تلوه من السحر على عهد سليمان بخبر يقطع العذر ، وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملا فتكون كانت متبعته ، ومعناه ودارسته بالرواية فاتبعته اليهود منهاجها في ذلك وعملت به وروته (٢٥٠) ، قال القرطبي : (قوله تعالى : [وما كفر سليمان] ، تبرئة من الله لسليمان ، ولم يتقدم في الآية أن أحداً نسبته إلى الكفر ؛ ولكن اليهود نسبتته إلى السحر ، ولكن لما كان السحر كفرا صار بمنزلة من نسبته إلى الكفر ، ثم قال : [ولكن الشياطين كفروا] ، فأثبت كفرهم بتعليم السحر) (٢٥١) .

وأما السحر في اللغة ، (عَمَلٌ تُقَرَّبُ فِيهِ إِلَى الشَّيْطَانِ وَبِمَعُونَةٍ مِنْهُ كُلُّ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَيُونَةُ لِلْسَّحْرِ ، وَمِنْ السَّحْرِ الْأُخْذَةُ النَّسِي تَأْخُذُ الْعَيْنَ حَتَّى يُظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا يُرَى ، وَلَيْسَ الْأَصْلُ عَلَى مَا يُرَى ، وَالسَّحْرُ الْأُخْذَةُ وَكُلُّ مَا لَطْفَ مَا أُخْذَهُ وَدَقَّ فَهُوَ سِحْرٌ ، وَالْجَمْعُ أَسْحَارٌ وَسُحُورٌ ، سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ سَحْرًا سِحْرًا سَحَرَهُ ، وَرَجُلٌ سَاحِرٌ مِنْ قَوْمِ سَحَرَةٍ سَحَارٍ سَحَارٌ مِنْ قَوْمِ سَحَارِينَ وَلَا يُكْسَرُ ، وَالسَّحْرُ الْبَيَانُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : كَأَنَّ الْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ

^{٢٤٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٣٩) .

^{٢٥٠} الطبري ، التفسير : (١ / ٤٤٧ - ٤٤٨) .

^{٢٥١} القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٣) .

أنه يَبْلُغُ من ثنائه أنه يَمْدَحُ الإنسانَ فَيَصْدُقُ فيه حتى يَصْرِفَ القلوبَ إلى قوله ، ثم يَذْمُهُ فَيَصْدُقُ فيه حتى يَصْرِفَ القلوبَ إلى قوله الآخر ؛ فكأنه قد سَحَرَ السامعين بذلك)^{٢٥٢} ، و (قيل : السحر أصله التمويه بالحيل والتخايل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به ، حيث يرى السراب من بعيد فيخيل إليه إنه ماء ، والسائر سيرا حثيثا يخيّل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه ، وقيل : هو منشق من سحرت الصبي إذا خدعته ، وكذلك إذا علته ، والتسحير مثله)^{٢٥٣} .

وقد جاءت الأحاديث الشريفة دامةً للسحر والذي يأتي السحر ، حتى خرجته من الملة ، فعن (أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر)^{٢٥٤} ، و (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)^{٢٥٥} ، قوله : ((اجتنبوا السبع الموبقات)) ، أي : المهلكات ، وقد سميت بذلك : لأنها سبب لإهلاك مرتكبيها^{٢٥٦} .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٢٥٧} ، وعبد بن حميد^{٢٥٨} ، ابن حبان^{٢٥٩} ، والبيهقي^{٢٦٠} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد ، ورجاله رجال موسى بن جبير وهو ثقة)^{٢٦١} .

ما جاء في قوله تعالى : [والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسعٌ عليم] آية : ١١٥ (٣٧) (أخرج ابن مردويه : عن جابر بن عبد الله قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها ، فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة ، فقالت طائفة منا : القبلة هاهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطأ ، وقال بعضنا : القبلة هاهنا قبل الجنوب فصلوا وخطوا خطأ ، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة ، فلما قفلنا من سفرنا سألتنا النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فسكت فأنزل الله : [والله المشرق والمغرب] ، الآية)^{٢٦٢} .

^{٢٥٢} ابن منظور ، مصدر سابق : (٤ / ٣٤٨) .

^{٢٥٣} القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٣) .

^{٢٥٤} البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢١٧٥) .

^{٢٥٥} مسلم ، الصحيح : (١ / ٩٢) .

^{٢٥٦} ينظر : ابن حجر ، فتح الباري : (١٢ / ١٨٢) .

^{٢٥٧} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ١٣٤) .

^{٢٥٨} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (١ / ٢٥١) .

^{٢٥٩} ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ٦٤) .

^{٢٦٠} البيهقي ، السنن الكبرى : (٤ / ١٠) ، شعب الإيمان : (١ / ١٨٠) .

^{٢٦١} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ٣١٤) .

^{٢٦٢} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٦٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٢٦٦ - ٢٦٧) .

قال الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله : [والله المشرق والمغرب] ، لله ملكهما وتدبيرهما ، كما يقال : لفلان هذه الدار ، يعني بها : أنها له ملكا ، فذلك قوله : [والله المشرق والمغرب] ، يعني : أنهما له ملكا وخلقاً)^{٢٦٣} .

فقد جاءت الآية متضمنة أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، وهذا فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفه الله إلى الكعبة بعد ، ولهذا يقول تعالى : [والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله]^{٢٦٤} .

وقد أخرج الحديث : البيهقي^{٢٦٥} ، والدار قطني^{٢٦٦} ، قال البيهقي : (وكذلك رواه الحسن بن علي بن شبيب المعمرى ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي عن أحمد بن عبيد الله ، ولم نعلم لهذا الحديث إسنادا صحيحا قويا ؛ وذلك لأن عاصم بن عبيد الله بن عمر العمري ، ومحمد بن عبيد الله العزمي ، ومحمد بن سالم الكوفي ، كلهم ضعفاء)^{٢٦٧} .

ما جاء في قوله تعالى : (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل لهُ ما في السماوات والأرض كُلاً لهُ قانتون ، بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول لهُ كُنْ فيكون)^{٢٦٨} [آية : ١١٦ - ١١٧

(٣٨) قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن كامل^{٢٦٨} ، أخبرنا محمد بن إسماعيل الترمذي^{٢٦٩} ،

أخبرنا إسحاق بن محمد الفروي^{٢٧٠} ، أخبرنا مالك^{٢٧١} ، عن أبي الزناد^{٢٧٢} ، عن الأعرج^{٢٧٣} ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : كذبني ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبني ، وشتمني وما

^{٢٦٣} الطبري ، التفسير : (١ / ٥٠١) .

^{٢٦٤} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ١٥٨) .

^{٢٦٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٢ / ١١) .

^{٢٦٦} الدار قطني ، السنن : (١ / ٢٧١) .

^{٢٦٧} البيهقي ، السنن الكبرى : (٢ / ١١) ، وينظر : الزيلعي ، نصب الراية ، تحقيق : محمد يوسف البنوري ، دار الحديث ، مصر (١٣٥٧ هـ) : (١ / ٣٠٤) .

^{٢٦٨} الشيخ الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي تلميذ محمد بن جرير الطبري ، ولد سنة ستين ومئتين ، حدث عن محمد بن الجهم السمري ومحمد بن سعد العوفي وعبد الملك بن محمد الرقاشي والحسن بن سلام السواق ومحمد بن مسلمة الواسطي ومحمد بن إسماعيل الترمذي وطبقتهم ، وحدث عنه الدارقطني والحاكم وابن رزقويه وعلي بن شاذان وآخرون ، قال أبو الحسن بن رزقويه : لم تر عيناى مثله ، قال الخطيب : كان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر والتواريخ وله في ذلك مصنفات ولي قضاء الكوفة ، وقال الدارقطني : كان متساهلا ربما حدث من حفظه بما ليس في كتابه وأهلكه العجب كان يختار لنفسه ولا يقلد أحدا ، توفي ابن شجرة في الحرم سنة خمسين وثلاث مائة وله تسعون سنة ، ينظر : ابن حجر ، لسان الميزان : (١ / ٢٤٩) ، الذهبي ، السير : (١٥ / ٥٤٤ - ٥٤٥) ، ميزان الاعتدال : (١ / ٢٧٢) .

^{٢٦٩} (محمد بن إسماعيل الحافظ الكبير الثقة أبو إسماعيل السلمى الترمذي ، سمع محمد بن عبد الله الأنصاري وأبا نعيم وقبيصة ومسلم بن إبراهيم والحميدي وسعيد بن أبي مريم وطبقتهم فأكثر وجوده وصنف ، روى عنه الترمذي في جامعه والنسائي في سننه وموسى بن هارون وإسماعيل الصغار وأبو بكر النجاد وأبو عبد الله بن مخزم وآخرون ، قال النسائي : ثقة ، وقال الدارقطني : ثقة صدوق ، وقال الخطيب : كان فهما متقنا مشهورا بمذهب السنة ، مات في رمضان سنة ثمانين ومائتين) ، القيسراني ، مصدر سابق : (٢ / ٦٠٤ - ٦٠٥) .

ينبغي له أن يشتمني ؛ فأما تكذيبه إياي فقولته : لن يعيدني كما بداني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقولته : اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (٢٧٤) .

اشتملت هاتان الآيتان الكريمتان الرد على النصارى عليهم لعنة الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله ، فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم إن لله ولدا ، فقال تعالى : [سبحانه] ، أي : تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا ؛ بل له ما في السموات والأرض ، أي : ليس الأمر كما افترضوا وإنما له ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له فكيف يكون له ولد منهم ، والولد إنما يكون متولدا من شيئين متناسبين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له فكيف يكون له ولد ، كما قال تعالى : [بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم] ، وقال تعالى : [وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السموات

٢٧٠ الإمام المحدث العالم أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن أبي فروة الأموي مولاهم الفروي المدني ، سمع عبد الله بن جعفر المخرمي ومحمد بن جعفر بن أبي كثير ومالك بن أنس وسليمان بن بلال وعبيدة بن نائل ونافع بن أبي نعيم وابن أبي حازم وعدة ، حدث عنه البخاري وأبو بكر الأثرم وإسماعيل القاضي وعلي بن عبد العزيز البغوي ومحمد بن إسماعيل الصائغ وخلق سواهم ، قال أبو حاتم : صدوق ولكن ذهب بصره فرما لقن وكتبه صحيحة ، ووهاه أبو داود ونقم عليه روايته لحديث الإفك عن مالك ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقد روى عنه البخاري ويوحونه على هذا ، قال الذهبي : القول ما قاله فيه أبو حاتم ، أما عم أبيه إسحاق بن عبد الله فذاك واه ، مات الفروي سنة ست وعشرين ومائتين ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (١ / ٤٠١) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٩١٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ٢٣٣) ، الذهبي ، السير : (١٠ / ٦٤٩) .

٢٧١ (مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الإمام الحافظ فقيه الأمة شيخ الإسلام أبو عبد الله الأصبحي المدني الفقيه إمام دار الهجرة وهم حلفاء عثمان بن عبيد الله التيمي أخي طلحة رضي الله عنه ، حدث عن نافع والمقبري ونعيم الجمر والزهرى وعامر بن عبد الله بن الزبير وابن المنكدر وعبد الله بن دينار وخلق كثير ، حدث عنه أمم لا يكادون يحصون منهم ابن المبارك والقطان وابن مهدي وابن وهب وابن القاسم والقعني وعبد الله بن يوسف وسعيد بن منصور ويحيى بن يحيى النيسابوري ويحيى بن يحيى الأندلسي ويحيى بن بكير وقتيبة وأبي مصعب الزبيري وخاتمة أصحابه أبو حذافة السهمي ، قال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي من أثبت أصحاب الزهري ؟ قال : مالك أثبت في كل شيء ، وقال عبد الرزاق : في حديث يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة فكنا نرى أنه مالك ، وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يقدم على مالك أحدا ، وقال الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، قال ابن مهدي : مالك أفتقه من الحكم وحما ، وقال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز ، وقد اتفق لمالك مناقب ما علمت أنها اجتمعت لغيره ، أحدها : طول العمر وعلو الرواية ، وثانيتهما : الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم ، وثالثتها : اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية ، ورابعتها : تجمعهم على دينه وعدلته واتباعه السنن ، وخامستها : تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده ، عاش ستا وثمانين سنة ، وقيل : ولد سنة ست وتسعين ، وتوفي في سنة تسع وسبعين ومائة رحمة الله عليه) ، القيسرائي ، مصدر سابق : (١ / ٢٠٧) وما بعدها .

٢٧٢ عبد الله بن ذكوان أبو الزناد ، قال ابن عيينة : كانت كنيته أبو عبد الرحمن ، روى عن أنس مرسل وعن عبد الله بن جعفر وأبي سلمة بن عبد الرحمن والأعرج ، روى عنه مالك والثوري وابن عيينة وابنه عبد الرحمن ، قال أحمد بن حنبل : كان سفيان يسمى أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث ، وقال أحمد : وهو فوق العلاء بن عبد الرحمن وفوق سهيل بن أبي صالح وفوق محمد بن عمرو ، قال أبو حاتم : أبو الزناد ثقة ، مات في رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٥ / ٨٣) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٣٥٠) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٤٩) .

٢٧٣ عبد الرحمن بن هرمز أبو داود الأعرج المدني مولى بني عبد المطلب ، سمع أبا هريرة وأبا سعيد وابن بحنينة ، روى عنه الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري ومحمد بن يحيى بن حبان وأبو الزناد وعبد الله بن الفضل وعمرو بن أبي عمرو ويحيى بن أبي كثير وعلقمة بن أبي علقمة وصالح بن كيسان وجعفر بن ربيعة وعبد الله بن عياش ، قال أبو زرعة : مديني ثقة ، مات عبد الرحمن بن هرمز أبو داود المدني في ناحية مصر قريبا من سنة سبع عشرة ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٥ / ٣٦٠) ، التأريخ الصغير : (١ / ٢٨٣) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٣٠١) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٢٩٧) .

٢٧٤ ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٦١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٢٦٨) .

يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعددهم عدا ، وكلهم آتية يوم القيامة فردا] ، وقال تعالى : [قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد] ، فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مذلولة فكيف يكون له منها ولد ، هذا ما أرادته هاتان الآيتان الكريمتان أن تقرراه وعلى هذا احتوت^{٢٧٥} .

(قال أبو حاتم في قوله صلى الله عليه وسلم : ((وليس أول خلق بأهون علي من إعادته)) ، : إذ القياس كان يوجب أن يطلق بدل هذه اللفظة بأهون علي بأصعب علي ، فتكسب لفظة التصعيب إذ هي من ألفاظ النقص ، وأبدلت بلفظ التهوين الذي لا يشوبه ذلك)^{٢٧٦} .

والحديث أخرجه : الإمام أحمد^{٢٧٧} ، والبخاري^{٢٧٨} ، وابن حبان^{٢٧٩} ، وابن منده^{٢٨٠} ، والبيهقي^{٢٨١} .

(٣٩) (أخرج ابن مردويه : عن سفيان الثوري^{٢٨٢} ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب^{٢٨٣})

أنه سمع طلحة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله ؟ قال : تنزيه الله عن كل سوء)^{٢٨٤} .

^{٢٧٥} ينظر : ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٦١) .

^{٢٧٦} ابن حبان ، الصحيح : (١ / ٥٠٠) .

^{٢٧٧} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٩٣) .

^{٢٧٨} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٩٠٣) .

^{٢٧٩} ابن حبان ، الصحيح : (١ / ٥٠٠) .

^{٢٨٠} ابن منده ، الإيمان ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٦ هـ) : (٢ / ٩٧٢) .

^{٢٨١} البيهقي ، الاعتقاد : (٢١٧) .

^{٢٨٢} سفيان بن سعيد بن مسروق الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ أبو عبد الله الثوري ثور مضر لا ثور همدان الكوفي الفقيه ، حدث عن أبيه وزيد بن الحارث وحبیب بن أبي ثابت والأسود بن قيس وزيد بن علاقة ومخارب بن دثار وطبقتهم ، وعنه ابن المبارك ومجى القطان وابن وهب ووكيع والفريابي وقبيصة وأبو نعيم ومحمد بن كثير وأحمد بن يونس اليربوعي وخلائق ، قال شعبة ومجى بن معين وجماعة : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ، وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان ، وكان شعبة يقول : سفيان احفظ مني ، وقال العجلي : ثقة كوفي رجل صالح زاهد عابد ثبت في الحديث فقيه صاحب سنة واتباع وكان من أقوى الناس بكلمة شديدة ثم سلطان يتقى ، وقال سفيان بن عيينة : ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري ، كان مولد سفيان سنة خمس وتسعين ومات بالبصرة في داره في شعبان سنة إحدى وستين ومائة ، وقبره بالبصرة في مقبرة بنى كليب ، وكان رحمة الله عليه من الحفاظ المتقنين والفقهاء في الدين ، ممن لزم الحديث والفقاه وواظب على الورع والعبادة ، ولم ييال بما فاتته من حطام هذه الفانية الزائلة مع الإجماع على دينه حتى صار علما يرجع إليه في الأمصار ويقتدى به في الأقطار ، ينظر ، العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٤٠٧) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٩٢) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (١ / ٥٥) ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأنصار ، (١٦٩) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٤٠٧) .

^{٢٨٣} عثمان بن عبد الله بن موهب التيمي أبو عبد الله ، ويقال : أبو عمرو المدني الأعرج مولى آل طلحة ، وقد ينسب إلى جده ، روى عن ابن عمر وأبي هريرة وأم سلمة وجابر بن سمرة وجعفر بن أبي ثور وعبد الله بن أبي قتادة وموسى بن طلحة والشعبي وحران بن أبان ، روى عنه ابنه عمرو وشعبة وشيبان وقيس بن الربيع وإسرائيل والثوري وسلام بن أبي مطيع وشريك بن عبد الله ومجمع بن مجي وأبو عوانة وغيرهم ، قال مجي بن معين : عثمان بن عبد الله بن موهب ثقة ، وقال العجلي : تابعي ثقة ، مات بعد المائة والعشرين ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ١٢٩) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٦ / ٢٣١) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ١٥٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٥ / ١٥٨) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٧ / ١٢١) .

^{٢٨٤} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٢٦٩) ، الشوكاني فتح القدير : (١ / ١٣٤) .

قال الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله بديع السموات والأرض مبدعها ، ومعنى المبدع المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد ؛ ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره ، وكذلك كل محدث فعلا أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم فإن العرب تسميه مبتدعا ، فمعنى الكلام سبحانه الله أنى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهد له جميعا بدلالاتها عليه بالوحدانية وتقر له بالطاعة ، وهو بارئها وخالقها وموجدتها أصل ولا مثال احتذاها عليه ، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بنوته وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السماوات والأرض أصل مثال هو الذي ابتدع المسيح والد بقدرته)^{٢٨٥} .

وتنزيه الله بمعنى : (تبعيده عما لا يجوز عليه من النقائص)^{٢٨٦} ، قال ابن الأثير : (تنزيه ، أي : إبعاده عن السوء وتقديسه)^{٢٨٧} .

وقد أخرج الحديث : الشاشي^{٢٨٨} ، والحاكم^{٢٨٩} ، قال الحاكم عقب ذكره الحديث : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٢٩٠} .

ما جاء في قوله تعالى : [إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم] آية : ١١٩ (٤٠) (أخرج ابن مردويه : عن عطاء بن يسار^{٢٩١} قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟ فقال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن ، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأيمين ، وأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل لافظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ؛ ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح به أعينا عمياً وآذانا صماً وقلوبا غلفاً)^{٢٩٢} .

قال الطبري : (ومعنى قوله جل ثناؤه : [إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً] ، إنا أرسلناك يا محمد بالإسلام الذي لا أقبل من أحد غيره من الأديان ، وهو الحق مبشراً من أتبعك فأطاعك وقبل منك ما دعوته إليه من الحق

^{٢٨٥} الطبري ، التفسير : (١ / ٥٠٨) .

^{٢٨٦} الرخشي ، الفائق : (٣ / ٢٢٠) .

^{٢٨٧} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٥ / ٤٢) .

^{٢٨٨} الشاشي ، المسند ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (١٤١٠ هـ) : (١ / ٧١) .

^{٢٨٩} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٦٨٠) .

^{٢٩٠} المصدر السابق : (١ / ٦٨٠) .

^{٢٩١} عطاء بن يسار الإمام الرياني أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة ، الفقيه الواعظ أخو الفقيه سليمان وعبد الله وعبد الملك ، روى عن زيد بن ثابت وأبي أيوب وعائشة وأسامة بن زيد وأبي هريرة وعدة ، وعنه زيد بن أسلم وعمرو بن دينار وصفوان بن سليم وهلال بن أبي ميمونة وشريك بن أبي نمر ، وكان ثقة جليلاً من أوعية العلم ، يقال : مات سنة ثلاث ومائة ، وقيل بل توفي سنة بضع وتسعين ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٦ / ٤٦١) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٣٣٨) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٦) ، القيسراني ، مصدر سابق : (١ / ٩٠ - ٩١) ، الذهبي ، المقتنى في سرد الكنى : (٢ / ٤٢) .

^{٢٩٢} ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٦٣ - ١٦٤) .

بالنصر في الدنيا والظفر بالثواب في الآخرة والنعيم المقيم فيها ومنذرا من عصاك فخالفك ورد عليك ما دعوته إليه من الحق بالخزي في الدنيا والذل فيها والعذاب المهين في الآخرة (٢٩٣) .

وقد جاء الحديث يعدد بعض صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد ما ذكرت الآية أنه قد أرسل بشيراً ونذيراً ، فقد جاء في الحديث قوله : (حرزاً) ، (الحرزُ الموضع الحصين ، يقال : هذا حرزٌ حريزٌ ، ويسمى التعويد حرزاً و احترز من كذا وتحرز منه ، أي : توقاه) (٢٩٤) ، وقيل : (الحرز : الموضع الحصين ، يقال : هذا حرزٌ حريزٌ ، والحرزُ : ما أحرزك من موضع وغيره ، تقول : هو في حرزٍ لا يوصل إليه ، يقال : أحرزت الشيء أحرزته إحرزاً إذا حفظته وضممته إليك وصننته عن الأخذ ، والحرزُ : ما حيز من موضع أو غيره أو لُجىء إليه ، والجمع أحرز ، وأحرزني المكان وحرزني : أَلجاني) (٢٩٥) ، ثم قال : (ولا سخاب في الأسواق) ، و (السخب والصخب بمعنى الصياح) (٢٩٦) ، ثم قال : (قلوباً غلفاً) ، و (غلف : الغلاف : الصوان وما اشتمل على الشيء كقبيص القلب وغرقى البيض وكمام الزهر وساهور القمر ، والجمع غُلف) (٢٩٧) ، قال ابن الأثير : (وفي صفته عليه الصلاة والسلام : يفتح قلوباً غلفاً ، أي : مُعشاةً مُعطاةً) (٢٩٨) ، فهذا جانب من صفاته عليه الصلاة والسلام ، جاءت في القرآن الكريم كما كانت قد جاءت في الكتب السماوية قبل القرآن الكريم ، فناسب ذكر الحديث هنا .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد (٢٩٩) ، والبخاري (٣٠٠) ، والبيهقي (٣٠١) . ما جاء في قوله تعالى : [وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين] آية : ١٢٤ (٤١) (قال ابن مردويه : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد (٣٠٢) ،

٢٩٣ الطبري ، التفسير : (١ / ٥١٥) .

٢٩٤ الرازي ، مصدر سابق : (١٣٠) .

٢٩٥ ابن منظور ، مصدر سابق : (٥ / ٣٣٣) .

٢٩٦ المصدر السابق : (١ / ٤٦٢) ، والصاد والسين مجوز في كل كلمة فيها حاء .

٢٩٧ المصدر السابق : (٩ / ٢٧١) .

٢٩٨ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٣ / ٣٧٩) .

٢٩٩ الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ١٧٤) .

٣٠٠ البخاري ، الصحيح : (٢ / ٧٤٧) ، الأدب المفرد ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) : (٩٥) .

٣٠١ البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ٤٥) ، شعب الإيمان : (٢ / ١٤٧) .

٣٠٢ (عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن متويه أبو القاسم البلخي ، سمع أبا شهاب معمر بن محمد البلخي ومحمد بن إسحاق الصاغاني ومحمد بن صالح بن سهل الترمذي وعبد الله بن محمد بن علي الحافظ وجماعة من أقران هؤلاء ، وقدم بغداد حاجا في سنة خمسين وثلاثمائة ، وكان ثقة ، مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة) ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : (١٠ / ٢٩٤) .

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن سعيد الأسدي^{٣٠٣}، حدثنا سليم بن سعيد الدامغاني^{٣٠٤}، أخبرنا وكيع^{٣٠٥}، عن الأعمش^{٣٠٦}، عن سعد بن عبيدة^{٣٠٧}، عن أبي عبد الرحمن السلمي^{٣٠٨}، عن علي بن أبي طالب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا ينال عهدي الظالمين، قال: لا طاعة إلا في المعروف^{٣٠٩}.

^{٣٠٣} لم أقف على ترجمته .

^{٣٠٤} لم أقف على ترجمته .

^{٣٠٥} وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس أبو سفيان الرؤاسي من قيس عيلان الكوفي، الإمام الحافظ الثبت محدث العراق أحد الأئمة الأعلام، ورواس بطن من قيس عيلان، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، سمع هشام بن عروة والأعمش وجعفر بن برقان وإسماعيل بن أبي خالد وابن عون وابن جريج وسفيان والأوزاعي وخلائق، وعنه ابن المبارك مع تقدمه وأحمد وابن المديني ويحيى بن معين وإسحاق وزهير وابن أبي شيبة وأبو كريب وعبد الله بن هاشم وعلي بن حرب وإبراهيم بن عبد الله القصار وأمهم سواهم، كان أبوه على بيت المال وأراد الرشيد أن يولي وكيعا قضاء الكوفة فامتنع، قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: وكيع بن الجراح؟ فقال: ما رأيت أحدا أوعى للعلم من وكيع بن الجراح ولا أشبهه بأهل النسك منه، قال أحمد بن سنان الواسطي: قلت للفضل بن عنبسة مات وكيع بن الجراح، فقال: مات، وتغير وجهه، وقال: رحمه الله ما رأيت مثل وكيع منذ ثلاثين سنة، وقال العجلي: كوفي ثقة عابد صالح أديب من حفاظ الحديث وكان يفتى وهو أثبت في سفيان، مات وكيع سنة سبع وتسعين ومائة، ينظر: العجلي، مصدر سابق: (٢ / ٣٤١)، البخاري، التأريخ الكبير: (٨ / ١٧٩)، مسلم، الكنى والأسماء: (١ / ٣٨)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (١ / ٢١٩)، وما بعدها، القيسراني، مصدر سابق: (١ / ٣٠٦).

^{٣٠٦} سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الحافظ، أصله من نواحي الري، فقيل: ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين وقداموا به إلى الكوفة طفلا، وقيل: حملا، رأى أنس بن مالك وحكى عنه وروى عنه وعن عبد الله بن أبي أوفى على معنى التذليل فإن الرجل مع إمامته كان مدلسا وروى عن أبي وائل وزيد بن وهب وأبي عمرو الشيباني وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبي صالح السمان ومجاهد وزر بن حبيش وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكميل بن زياد والمعمر بن سويد وقيس بن أبي حازم ومحمد بن عبد الرحمن بن يزيد النخعي وسعيد بن عبيدة والشعبي والمنهال بن عمرو وخلق كثير من كبار التابعين وغيرهم، روى عنه الحكم بن عتيبة وأبو إسحاق السبيعي وطلحة بن مصرف وحبيب بن أبي ثابت وعاصم بن أبي النجود وأيوب السختياني وزيد بن أسلم وصفوان بن سليم وسهيل بن أبي صالح وأبان بن تغلب وخالد الخذاء وسليمان التيمي وإسماعيل بن أبي خالد وهم كلهم من أقرانه وأبو حنيفة والأوزاعي وسعيد بن أبي عروبة وشعبة ومعمر وسفيان وشيبان، قال سفيان بن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض، وقال يحيى القطان: هو علامة الإسلام، قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبير الأولى، قال العجلي: ثقة كوفي وكان محدث أهل الكوفة في زمانه، وفي سنة سبع وأربعين ومائة مات سليمان بن مهران الأعمش بالكوفة، ينظر: الإمام أحمد، الأسامي والكنى: (١١٦)، العجلي، مصدر سابق: (١ / ٤٣٢)، البخاري، التأريخ الكبير: (٤ / ٣٧)، الذهبي، السير: (٦ / ٢٢٦).

^{٣٠٧} سعد بن عبيدة أبو حمزة ختن أبي عبد الرحمن السلمي كوفي، سمع ابن عمر وأبا عبد الرحمن وابن بريدة، سمع منه منصور والأعمش وعلقمة بن مرثد وروى عنه عطاء بن السائب والحسن بن عبيد الله وسعيد بن مسروق والسدي وزبيد وطلحة وأبو حصين وعمرو بن مرة وفطر، قال يحيى بن معين: سعد ابن عبيدة ثقة، قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: سعد بن عبيدة يكتب حديثه وكان يرى رأى الخوارج ثم تركه، ينظر، البخاري، التأريخ الكبير: (٤ / ٦٠)، مسلم، الكنى والأسماء: (١ / ٢٤٤)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٤ / ٨٩).

^{٣٠٨} عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي، قال حفص بن عمر: عن حماد بن زيد عن عطاء عن أبي عبد الرحمن قال: صمت ثمانين رمضان، سمع عليا وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم، سمع منه سعد بن عبيدة وأبو إسحاق الهمداني، قال شعبة: لم يسمع أبو عبد الرحمن السلمي من عثمان، ولكن سمع من علي، كانت وفاة أبي عبد الرحمن السلمي بالكوفة في ولاية بشر بن مروان في خلافة عبد الملك بن مروان، قال ابن سعد: وكان ثقة كثير الحديث، ينظر: ابن سعد، مصدر سابق: (٦ / ١٧٢)، الإمام أحمد، الأسامي والكنى: (٧٧)، البخاري، التأريخ الكبير: (٥ / ٧٢)، الحاكم، تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان، بيروت (١٤٠٧هـ): (١٥٠)، الكلاباذي، رجال صحيح البخاري، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت (١٤٠٧هـ): (١ / ٤٠١).

^{٣٠٩} ابن كثير، التفسير: (١٦٨ - ١٦٩)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت (١٩٧٣م): (٢ / ٥٠٣)، الشوكاني، فتح القدير: (١ / ١٤٠).

قال الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله : [وإذ ابتلى] ، وإذا اختبر ، يقال : منه ابتليت فلانا ابتليه ابتلاء ، ومنه قول الله عز وجل : [وابتلوا اليتامى] ، يعني به : اختبروهم ، وكان اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم عليه السلام اختباراً بفرائض فرضها عليه ، وأمر أمره به ، وذلك هو الكلمات التي أوحاهن إليه ، وكلفه العمل بهن امتحانا منه له واختياراً)^{٣١٠} ، ثم قال : (فأتم إبراهيم الكلمات ، وإتمامه إياهن إكمالها إياهن بالقيام لله بما أوجب عليه فيهن ، وهو الوفاء الذي قال الله جل ثناؤه : [وإبراهيم الذي وفى] ، يعني : وفى بما عهد إليه بالكلمات)^{٣١١} ، ثم صير الله تعالى إبراهيم عليه السلام إماماً يقتدى به ، وهذا ما أراده إبراهيم لذريته ؛ ولكن قال الله تعالى : [لا ينال عهدي الظالمين] ، و (الْعَهْدُ الْأَمَانُ وَالْيَمِينُ وَالْمَوْثِقُ وَالذِّمَّةُ وَالْحِفَافُ وَالْوَصِيَّةُ ، وَعَهْدٌ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ فَهَمٌ ، أَي : أَوْصَاهُ وَمِنْهُ اشْتَقَّ الْعَهْدُ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ ، تَقُولُ : عَلِيٌّ عَهْدُ اللَّهِ لِأَفْعَلَنْ كَذَا ، وَالْعَهْدَةُ كِتَابُ الشَّرَاءِ وَهِيَ أَيْضًا الدَّرَكُ ، وَالْعَهْدُ وَالْمَعْهَدُ الْمَنْزِلُ الَّذِي لَا يَزَالُ الْقَوْمُ إِذَا انْتَأَوْا عَنْهُ رَجَعُوا إِلَيْهِ ، وَالْمَعْهَدُ أَيْضًا الْمَوْضِعُ الَّذِي كُنْتَ تَعْهَدُ بِهِ شَيْئًا ، وَالْمَعْهُودُ الَّذِي عُهِدَ وَعُرفَ ، وَعَهْدَهُ بِمَكَانٍ كَذَا ، أَي : لِقِيهِ ، وَعَهْدِي بِهِ قَرِيبٌ ، وَالْتَعَهْدُ التَّحْفِظُ بِالشَّيْءِ وَتَجْدِيدُ الْعَهْدِ بِهِ ، وَتَعَهَّدَ فَلَانًا وَتَعَهَّدَ ضَيْعَتَهُ وَهُوَ أَفْصَحُ مِنْ تَعَاهَدَ ؛ لِأَنَّ التَّعَاهُدَ إِنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، وَالْمُعَاهَدَةُ الدَّمِيٌّ)^{٣١٢} ، هكذا كان الرد من الله سبحانه وتعالى ، بأنَّ الأمان والأمان لا يكون للظالمين الجاحدين نعمة الله تعالى .

وقد اختلف في المراد من العهد في الآية الكريمة ؛ فعن ابن عباس أنه النبوة ، وقال مجاهد : الإمامة ، وقال قتادة : الإيمان ، وقال عطاء : الرحمة ، وقال الضحاك : دين الله تعالى ، وقيل : عهده أمره ، ويطلق العهد على الأمر ، قال الله تعالى : [إن الله عهد إلينا] ، أي : أمرنا ، وقال : [ألم أعهد إليكم يا نبي آدم] ، يعني : ألم أقدم إليكم الأمر به ، وإذا كان عهد الله هو أوامره ، فقوله : [لا ينال عهدي الظالمين] ، أي : لا يجوز أن يكونوا بمحل من يقبل منهم أوامر الله ولا يقيمون عليها^{٣١٣} ، وقد أشار الحديث إلى أن معنى العهد الوارد في الآية الكريمة هو الإمامة ، حيث خصها بقوله : لا طاعة إلا في المعروف ، ولم أقف على تخريج الحديث .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأماناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود] آية : ١٢٥ (٤٢) (قال ابن مردويه : أخبرنا دعلج بن أحمد^{٣١٤} ، أخبرنا غيلان بن عبد الصمد^{٣١٥} ،

^{٣١٠} الطبري ، التفسير : (١ / ٥٢٤) .

^{٣١١} المصدر السابق : (١ / ٥٢٨) .

^{٣١٢} الرازي ، مصدر سابق : (٤٦٠) .

^{٣١٣} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ١٠٨) .

^{٣١٤} ينظر : الحديث : (٣٦) .

^{٣١٥} لم أقف على ترجمته .

أخبرنا مسروق بن المرزبان^{٣١٦}، أخبرنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة^{٣١٧}، عن أبي إسحاق^{٣١٨}، عن عمرو بن ميمون^{٣١٩}، عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام إبراهيم، فقال: يا رسول الله أليس تقوم بمقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت: [واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى] (٣٢٠).
 جاء في الحديث المقام وهو من (قَامَ يَقُومُ قِيَامًا، وَالْقَوْمَةُ المَرَّةُ الواحدة وَقَامَ بِأمر كذا وَقَامَ الماء جمد وَقَامَتِ الدابة وَقَفَت وَقَامَتِ السوق نفقت، وَقَاوَمَهُ في المصارعة وغيرها وَتَقَاوَمُوا في الحرب، أي: قام بعضهم لبعض، وَأَقَامَ بالمكان إقامَةً وَأَقَامَهُ من موضعه وَأَقَامَ الشيء، أي: أدامه، ومنه قوله تعالى: [ويقيمون الصلاة]، وَالْمُقَامَةُ بالضم وبالفتح المجلس والجماعة من الناس، وأما الْمَقَامُ وَالْمُقَامُ فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، وقوله تعالى: [لا مقام لكم]، أي: لا موضع لكم، وقرئ: لا مقام لكم بالضم، أي: لا إقامة لكم، وقوله تعالى: [حسنست مستقرا ومقاما]، أي: موضعا^{٣٢١}، وقد اختلف أهل التأويل في مقام إبراهيم، فقال بعضهم: مقام إبراهيم هو الحج كله، وقال آخرون: مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار، وقال آخرون: مقام إبراهيم الحرم، وقال آخرون: مقام إبراهيم الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناؤه وضعف عن

^{٣١٦} مسروق بن المرزبان بن مسروق بن معدان سنان أبو سعيد بن أبي النعمان الكوفي، روى عن أبيه وأبي الأحوص وعبد السلام بن حرب وأبي بكر بن عياش وحفص بن غياث وابن المبارك وشريك وعبيد الله الأشجعي ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وابن فضيل وعدة، روى عنه ابن ماجه وأبو زرعة وابن أبي عاصم وعبدان الأهوازي ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة والحسن بن علي العمري وعلي بن سعيد العسكري ومحمد بن صالح بن ذريح وأبو يعلى الموصلي وأبو حاتم وغيرهم، قال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه، مات سنة أربعين ومائتين أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٨ / ٣٩٧)، ابن حجر، تهذيب التهذيب: (١٠ / ١٠٢).

^{٣١٧} يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني أحد الأئمة، روى عن أبيه وشعبة وابن عيينة ومالك وعدة، وعنه أحمد ويحيى وابن المديني وقتيبة وابن أبي شيبة وخلق، قال العجلي: هو ممن جمع له الفقه والحديث وكان على قضاء المدائن ويعد من حفاظ الكوفيين للحديث مفتيا ثبنا صاحب سنة، قال إبراهيم بن موسى: سمعت أبا خالد الأحمر يقول: كان يحيى جيد الأخذ للحديث، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، ينظر: العجلي، مصدر سابق: (٢ / ٣٥٢)، البخاري، التاريخ الكبير: (٨ / ٢٧٣)، مسلم، الكنى والأسماء: (١ / ٣٦١)، السيوطي، طبقات الحفاظ: (١٢٠).

^{٣١٨} عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبعي الكوفي الهمداني، رأى عليا وأسامة بن زيد وابن عباس والبراء وزيد بن أرقم رضي الله عنهم أجمعين، روى عنه الأعمش والزهري والثوري ومنصور، قال يحيى القطان: مات يوم قدم الضحاك الكوفة سنة تسع وعشرين ومائة، قال عبد الله بن محمد عن يحيى بن آدم عن شريك: سمعت أبا إسحاق يقول: ولدت في سنتين من إمارة عثمان، قال: قال عمرو بن خالد: حدثنا زهير قال أبو إسحاق: كنت كثير المجالسة لرافع بن خديج رضي الله عنه وكنت أجالس عبد الله بن عمر ورأيت نساء النبي صلى الله عليه وسلم حججن في زمن المغيرة في هودج عليها الطيالسة، ورأيت الحارث بن أبي ربيعة والأسود، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: (٦ / ٣٤٧)، الذهبي، المقتنى في سرد الكنى: (١ / ٦٤)، السيوطي، طبقات الحفاظ: (٥٠ - ٥١).

^{٣١٩} عمرو بن ميمون الأودي المتحمل للعناء المشوق للقاء كان للحياة مستبقا وللعبادة معتنقا المذحجي الكوفي الإمام الحجة أبو عبد الله أدرك الجاهلية وأسلم في الأيام النبوية وقدم الشام مع معاذ بن جبل ثم سكن الكوفة، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود ومعاذ وأبي هريرة وأبي أيوب الأنصاري وطائفة، روى عنه الشعبي وأبو إسحاق وحسين بن عبد الرحمن وعبد بن أبي لبابة ومحمد بن سوقة وسعيد بن جبيرة وآخرون، قال عبد الملك الميموني: سمعت أحمد ابن حنبل يقول: جدك عمرو بن ميمون ليس به بأس، قال يحيى بن معين: عمرو بن ميمون بن مهران ثقة، مات سنة أربع وسبعين، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: (٦ / ٦٣٧)، مسلم، الكنى والأسماء: (١ / ١٥٥)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٦ / ٢٥٨) ابن زبير الرعي، مصدر سابق: (١ / ١٩٤)، أبو نعيم الأصبهاني، مصدر سابق: (٤ / ١٤٨)، الذهبي، السير: (٤ / ١٥٨).

^{٣٢٠} ابن كثير، التفسير: (١ / ١٧٠).

^{٣٢١} الرازي، مصدر سابق: (٥٥٦).

رفع الحجارة ، وقال آخرون : بل مقام إبراهيم هو مقامه الذي هو في المسجد الحرام^{٣٢٢} ، (والمقام هو : الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعت تحت قدم إبراهيم حين غسلت رأسه ، فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعت تحت الشق الآخر فغسلته فغابت رجله أيضا فيه فجعلها الله من شعائره ، فقال : [واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى])^{٣٢٣} ، قال ابن حجر : (المراد بمقام إبراهيم : الحجر الذي فيه أثر قدميه وهو موجود إلى الآن)^{٣٢٤} ، وقيل : (مقام إبراهيم : الحجر الذي فيه اثر قدميه أو الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس إلى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم ، وقيل : المراد به الأمر بركعتي الطواف)^{٣٢٥} .

وقد أخرج الحديث : ابن الجعد^{٣٢٦} ، وفي الحديث إشارة إلى مقام إبراهيم عليه السلام ومصلاه .

(٤٣) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث ، قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : [واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى] ، وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهم البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن ؛ فنزلت آية الحجاب ، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : [عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن] فنزلت كذلك)^{٣٢٧} .

في الحديث قوله : (وافقت ربي في ثلاث) ، (أي : وقائع ، والمعنى : وافقني ربي ؛ فأنزل القرآن على وفق ما رأيت ، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة على نفسه ، أو أشار به إلى حدوث رأيه ، وقدم الحكم وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في هذه الثلاث)^{٣٢٨} ، ففيه الحديث عن المقام واتخاذ مصلى .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٣٢٩} ، والدارمي^{٣٣٠} ، والبخاري^{٣٣١} ، وسعيد بن منصور^{٣٣٢} ، والبيزار^{٣٣٣} ، وابن حبان^{٣٣٤} .

^{٣٢٢} ينظر : الطبري ، التفسير : (١ / ٥٣٤ - ٥٣٥) .

^{٣٢٣} الطبري ، التفسير : (١ / ٥٣٧) .

^{٣٢٤} ابن حجر ، فتح الباري : (١ / ٤٩٩) .

^{٣٢٥} السيوطي ، وعبد الغني ، وفخر الحسن الدهلوي ، شرح سنن ابن ماجه ، قديمي كتب خانة ، كراتشي : (٧١) .

^{٣٢٦} ابن الجعد ، المسند ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر ، بيروت (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) : (٣٧٠) .

^{٣٢٧} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٢٨٩ - ٢٩٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٤١) .

^{٣٢٨} ابن حجر فتح الباري : (١ / ٥٠٥) .

^{٣٢٩} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٣٦) .

^{٣٣٠} الدارمي ، مصدر سابق : (٢ / ٦٧) .

^{٣٣١} البخاري ، الصحيح : (١ / ١٥٧) .

^{٣٣٢} سعيد بن منصور ، السنن ، تحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ، دار العصيمي ، الرياض (١٤١٤ هـ) : (٢ / ٦٠٧) .

^{٣٣٣} البيزار ، المسند ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة (١٤٠٩ هـ) : (١ / ٣٣٩) .

^{٣٣٤} ابن حبان ، الصحيح : (١٥ / ٣١٩) .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله
واليوم الآخر قال ومن كفر فأمته قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير] آية : ١٢٦

(٤٤) (قال ابن عباس : كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس ، فأنزل الله : ومن كفر أيضاً أرزقهم كما
أرزق المؤمنين ، فأخلق خلقاً لا أرزقهم ، أمتعهم قليلاً ، ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير ، ثم قرأ ابن
عباس : [كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً]^(١) .

قوله : (يحجرها على المؤمنين) ، وفي اللغة الحجر تعنى المنع ، يقال : (حَجَرَ القاضي عليه : منعه من
التصرف في ماله)^(٢) ، وأما ما كان إبراهيم عليه السلام يحجره على المؤمنين دون الناس فهو الدعوة إذ كان يمنع
الناس منها مقتصرأً بها على المؤمنين دون غيرهم^(٣) ، ثم قال : (أمتعهم قليلاً) ، يقال : (مَتَعَ الرَّجُلُ وَمَتَعَ : جَادَ
وظَرَفَ ، وقيل : كل ما جَادَ فقد مَتَعَ ، وهو مَاتَعَ ، والمَاتِعُ من كل شيء : البَالِغُ في الجَوْدَةِ الغاية في بابه)^(٤) ،
أي : إن الله تعالى يجود مع هؤلاء القوم العصاة بأحسن ما يكون الجود ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وفي
الآخرة إلى جنهم وبئس المهاد ، وفي الحديث إشارة إلى دعوة إبراهيم عليه السلام للمؤمنين وبلد الله الحرام ،
وأن مصير الكافرين الجاحدين لأنعم الله في النار وبئس المصير ، فناسب ذكر الحديث هنا .
وقد أخرج الحديث : الطبراني^(٥) ، المقدسي^(٦) ، والهيثمي^(٧) ، قال الهيثمي : (رواه الطبراني ، ورجاله رجال
الصحيح)^(٨) .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم]
آية : ١٢٧

(٤٥) (قال ابن مردويه : أخبرنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل^(٩) ،

^١ سورة الأسراء : آية ٢٠ .

^٢ ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٧٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٣٠٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٤٣) .

^٣ الرازي ، مصدر سابق : (١٢٣) .

^٤ ينظر : الزرقاني ، شرح الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٤١ هـ) : (٤ / ٢٧٢) .

^٥ ابن منظور ، مصدر سابق : (٨ / ٣٢٩) .

^٦ الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ٣٨) .

^٧ المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٣١٣) .

^٨ الهيثمي ، جمع الزوائد : (٦ / ٣١٦) .

^٩ المصدر السابق : (٦ / ٣١٦) .

^{١٠} الخطي الإمام العلامة الخطيب الأديب المحدث الأخباري أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يحيى البغدادي الخطيب المؤرخ ، سمع الحارث بن أبي
أسامة ومحمد بن يونس الكديمي وبشر بن موسى وجماعة ، حدث عنه أبو حفص بن شاهين والدارقطني وابن مندة وابن رزقويه وأبو الحسن الحمامي وأبو علي بن
شاذان وآخرون ، ولد في أول سنة تسع وستين ومائتين ، كان فاضلاً عارفاً بأيام الناس وأخبارهم وخلفائهم صنف تاريخاً كبيراً على السنين ، وقد وثقه الدارقطني
، قال محمد بن العباس بن الفران : كان ركيناً عاقلاً مقدماً من أهل الثقة والأدب وأيام الناس قل من رأيت مثله ، توفي في جمادى الآخرة سنة خمسين وثلاث
مائة) ، الذهبي ، السير : (١٥ / ٥٢٢) .

أخبرنا بشر بن موسى^{١١}، أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقى^{١٢}، أخبرنا مسلم بن خالد الزنجى^{١٣}، عن عبد الملك بن جريج^{١٤}، عن كثير بن كثير^{١٥} قال: كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان^{١٦}،

^{١١} بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الإمام الحافظ الثقة المعمر أبو علي الأسدي البغدادي، ولد سنة تسعين ومائة، وسمع من روح بن عبادة حديثا واحدا ومن حفص بن عمر العدني والأصمعي وهودبة بن خليفة والحسن بن موسى الأشيب وأبي عبد الرحمن المقرئ وعمرو بن حكام وعبد الصمد ابن حسان وأبي نعيم ويحيى بن إسحاق السيلحيني وسعيد بن منصور والحميدي وخلق كثير، حدث عنه إسماعيل الصفار وابن نجيح وأبو عمر لصاحب وأبو علي بن الصواف وأبو بكر الشافعي وأبو القاسم الطبراني وأبو بكر القطيعي وخلاتق، وهو من بيت حشمة وأصالة، قال الخطيب: كان ثقة أميناً عاقلاً ركيناً: قال أبو بكر الخلال الفقيه: كان أحمد بن حنبل يكرم بشر بن موسى وكتب له إلى الحميدي إلى مكة، وقال الدارقطني: ثقة، قال إسماعيل الخطيب: مات لأربع بقين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين، ينظر: محمد بن عبد الغني البغدادي، التقييد: (١ / ٢١٧)، الذهبي، السير: (١٣ / ٣٥٢)، المقتنى في سرد الكنى: (١ / ٤١٣)، السيوطي، طبقات الحفاظ: (٢٧٤) .

^{١٢} (أحمد بن محمد بن الوليد أبو محمد الأزرقى المكي، سمع داود بن عبد الرحمن وابن عيينة وإبراهيم بن سعد، فارقتاه سنة اثنتي عشرة ومائتين، ويقال: الزرقى)، البخاري، التاريخ الكبير: (٢ / ٣) .

^{١٣} مسلم بن خالد الزنجي وهو ابن خالد بن سعيد بن جرجه أبو خالد واصله من الشام والزنجي لقبه، كان أبيض مليحاً، روى عن ابن أبي ملكية والزهرى وعمرو بن دينار وابن أبي نجيح وهشام بن عروة وابن جريج، روى عنه محمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن عبد الله بن يونس والحكم بن موسى وابن نفيل الحراني وعبد الأعلى بن حماد النرسي وسعيد بن عون وإبراهيم بن شماس وإبراهيم بن موسى وابن أبي الشوارب والحميدي، قال يحيى بن معين: مسلم بن خالد الزنجي ثقة، وقال علي بن المديني: مسلم بن خالد ليس بشيء، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن مسلم بن خالد الزنجي؟ فقال: ليس بذاك القوي منكر الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به تعرف وتنكر، ينظر: البخاري، التاريخ الصغير: (٢ / ٢٦٣)، النسائي، تسمية فقهاء الأنصار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب (١٣٦٩هـ): (١٢٧)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٨ / ١٨٣) .

^{١٤} عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو خالد وأبو الوليد القرشي الأموي المكي صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة مولى أمية بن خالد، وقيل: كان جده جريج عبداً لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي فنسب ولاؤه إليه وهو عبد رومي، حدث عن عطاء بن أبي رباح فأكثر وجود وعن ابن أبي مليكة ونافع مولى ابن عمر وطاووس حديثاً واحداً وأخذ عن مجاهد حرفين من القراءات وميمون بن مهران ويوسف بن ماهك وعمرو بن شعيب وعمرو بن دينار وعكرمة العباسي ومرسلاً وعكرمة بن خالد المخزومي وابن المنكدر وعبيد الله بن أبي يزيد وعبد الله بن كثير الداري وزيد بن أسلم والزهرى وعبد الله بن كثير بن المطلب وعبد الله بن كيسان وخلق كثير، وينزل إلى أقرانه بل وأصحابه، فحدث عن زياد بن سعد شريكه وجعفر الصادق وزهير بن معاوية وإبراهيم بن محمد بن أبي عطاء وهو ابن أبي يحيى وسعيد بن أبي أيوب المصري وإسماعيل بن عليّة ومعمّر بن راشد ويحيى ابن أيوب المصري وكان من بحور العلم، حدث عنه ثور بن يزيد والأوزاعي والليث والسفيانان والحامدان وابن عليّة وابن وهب وخالد بن الحارث ويحيى بن سعيد القطان ومحمد بن حرب الأبرش ويحيى بن أبي زائدة ووكيعة والوليد بن مسلم وهشام بن يوسف وحجاج بن محمد الأعمور وأبو أسامة وروح وأبو عاصم وعبد الله بن رجاء المكي وعبد الرزاق بن همام وغندر وعثمان بن الهيثم المؤذن ويحيى بن سليم الطائفي ومحمد بن بكر البرساني وأمهم سواهم، قال يحيى: لم يكن أحد أثبت في نافع من ابن جريج وكان من أحسن الناس صلاة، قال العجلي: ثقة مكي، ومع كل هذا فقد كان يدلّس، فقد وصفه النسائي وغيره بالتدليس، قال الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلّس إلا فيما سمعه من مجروح، مات سنة خمسين ومائة، ينظر: العجلي، مصدر سابق: (٢ / ٢٠٣)، البخاري، التاريخ الكبير: (٥ / ٤٢٢)، ابن حبان، الثقات: (٧ / ٩٣)، الذهبي، السير: (٦ / ٣٢٥)، ابن حجر، تهذيب التهذيب: (٦ / ٣٥٧)، طبقات المدلسين، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القرطبي، مكتبة المنار، عمان (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م): (٤١) .

^{١٥} كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة بن هبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي المكي، روى عن أبيه وسعيد بن جبير وعلي بن عبد الله البارقي وغيرهم، وعنه ابن جريج ومعمّر وهشام بن حسان وإبراهيم بن نافع وسالم الخياط وابن عيينة وآخرون، قال أحمد وابن معين: ثقة، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٧ / ١٥٦)، ابن حبان، الثقات: (٧ / ٣٤٩)، الكلاباذي، مصدر سابق: (٢ / ٦٢٧)، أبو الوليد الباجي، مصدر سابق: (٢ / ٦١٠)، ابن حجر، تهذيب التهذيب: (٨٠ / ٣٨١) .

^{١٦} عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم القرشي عن عامر بن عبد الله بن الزبير بن أبي مليكة وحزرة بن عبد الله روى عنه بن عيينة وإسماعيل بن أمية المكي وابن جريج، قال عجلي: مكي ثقة، ينظر: العجلي، مصدر سابق: (٢٠ / ١٢٧)، البخاري، التاريخ الكبير: (٦٠ / ٢٢٣)، أبو حفص الواعظ، مصدر سابق: (١٣٩) .

وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين^{١٧} في ناس مع سعيد بن جبير^{١٨} في أعلى المسجد ليلا ، فقال سعيد بن جبير : سلوني قبل أن لا تروني ، فسألوه عن المقام ؟ فأنشأ يحدثهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطلقا لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفل إبراهيم منطلقا ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذا لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه ، فقال : ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال : يتلبط ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات : قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلذلك

^{١٧} عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكّي التوفلي ، وأمه أم عبد الله بنت أبي سروعة ، روى عن أبي الطفيل ونافع بن جبير بن مطعم وعطاء وعكرمة ومجاهد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ونوفل بن مساحق وعدي بن عدي وشهر بن حوشب وغيرهم ، وعنه ابن جريح وابن إسحاق والليث ومالك ومحمد بن مسلم الطائفي وعبد الله بن حبيب بن أبي ثابت وشعيب بن أبي حمزة وزيد بن أبي أنيسة والسفيانان وغيرهم ، قال أحمد : ثقة ، وقال العجلي : ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٤) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٥ / ١٣٣) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٥ / ٢٥٦) .

^{١٨} سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله الأسدي الوالي مولاهم الكوفي أحد الأعلام ، روى عن ابن عباس فأكثر وجود وعن عبد الله بن مغفل وعائشة وعدي بن حاتم وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي وأبي هريرة وأبي مسعود البصري وهو مرسل وعن ابن عمر وابن الزبير والضحاك بن قيس وأنس وأبي سعيد الخدري ، وروى عن التابعين مثل أبي عبد الرحمن السلمى وكان من كبار العلماء ، قرأ القرآن على ابن عباس قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة ، وحدث عنه أبو صالح السمان وآدم بن سليمان والد يحيى وأشعث ابن أبي الشعثاء وأيوب السختياني وبكير بن شهاب وأبو بشر جعفر بن أبي وحشية وحبيب بن أبي ثابت وحبيب بن أبي عمرة والحكم وحماد وسالم الأفتس وسلمة بن كهيل وسليمان بن أبي المغيرة وسليمان الأحول وسليمان الأعمش وسمك بن حرب وأبو سنان ضرار بن مرة وطارق بن عبد الرحمن وطلحة بن مصرف وأبو سنان طلحة بن نافع وأبو حريز عبد الله بن حسين وابنه عبد الله بن سعيد وعبد الله بن عثمان وابنه عبد الملك بن سعيد وعبد الملك بن أبي سليمان وعبد الملك بن ميسرة وعثمان بن حكيم وعطاء بن السائب وعكرمة بن خالد وعمار الدهني وعمرو بن دينار وعمرو بن سعيد البصري وعمرو بن مرة وعمرو بن هرم وفرقد السبخي وأمهم سواهم ، قال القاسم بن أيوب : سمعت سعيدا يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة : [واتفقوا يوما ترجعون فيه إلى الله] ، قال ابن مهدي عن سفيان عن عمرو بن ميمون عن أبيه ، قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحدا إلا وهو محتاج إلى علمه ، وعن عتبة مولى الحجاج قال : عملا سعيدا حين أتى به الحجاج بواسطة ففعل الحجاج يقول : ألم أفعل بك ألم أفعل بك ؟ فيقول : بلى ، قال : فما حملك على ما صنعت من خروجك علينا ؟ قال : بيعة كانت علي يعني لابن الأشعث ، فغضب الحجاج وصفق بيديه ، وقال : بيعة أمير المؤمنين كانت أسبق وأولى وأمر به فضربت عنقه ، وقيل : لو لم يواجهه سعيد بن جبير بهذا لاستحياه كما عفا عن الشعبي لما لاطفه في الاعتذار ، روي عن سعيد بن جبير قال : لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد علي قلبي ، وعنه قال : إنما الدنيا جمع من جمع الآخرة ، قال جعفر بن أبي المغيرة : كان ابن عباس بعدما عمي إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه يقول : تسألوني وفيكم ابن أم دهماء يعني سعيد بن جبير ، كان مقتله سنة خمس وتسعين ، ينظر : الذهبي ، السير : (٤ / ٣٢١) ، وما بعدها .

سعى الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت : صه ، تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند زمزم فبحث بعقبه أو قال : بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ، قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيتا لله بينه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائدا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا ، قال : وأم إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذنين لنا أن نزل عندك ؟ قالت : نعم ؛ ولكن لاحق لكم في الماء عندنا ، قالوا : نعم ، قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأانس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه ؟ فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أننا في جهد وشدة ، قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك ، وطلقها وتزوج منهم بأخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته ، فسألها عنه ؟ فقالت خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة وأنت على الله عز وجل ، قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لدعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته إنا بخير ، قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبزي نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعيني ؟ قال : وأعينك ، قال : فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ،

فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، قال : فجعلنا بيننا حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١٩) .

في الحديث قوله : (المنطق) ، و (المنطق ، النطاق ، وجمعه مناطق : وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشدّ وسطها بشيء وترفع وترفع وسط ثوبها وترسله إلى الأسفل عند مُعانة الأشغال لئلا تعثر في ذيلها ، وبه سُميت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لأنها كانت تُطارق نطاقاً فوق نطاق) (٢٠) ، وفي الحديث أيضاً : (دوحه) ، و (الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت ، والجمع دَوْحٌ ، وأدواح جمع الجمع) (٢١) ، ثم قال : (عتبة بابك) ، و (العتبة : أسكفة الباب التي تُوطأ ، وقيل : العتبة العُلْيَا ، والخشبة التي فوق الأعلى الحاجب ، والأسكفة : السُفلى ، والعارضتان : العُضادتان ، والجمع : عَتَبٌ وَعَتَبَاتٌ) (٢٢) ، قال ابن حجر : (عتبة بابك بفتح المهملة والمثناة والموحدة كناية عن المرأة ، وسماها بذلك لما فيها الموافقة لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله وكونها محل الوطء ، ويستفاد منه أن تغيير عتبة الباب يصح أن يكون من كنيات الطلاق ، كأن يقول مثلاً : غيرت عتبة بأبي ، أو عتبة بابي مغيرة ، وينوي بذلك الطلاق ، فيقع أخبرت بذلك) (٢٣) ، ولقد تعلم إسماعيل من جرهم العربية فقد كان قد شب فيهم وأصبح يافعاً وهو معهم فتعلم منهم العربية ، قال المناوي : (ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما من الله تعالى ، أي : ألهم الزيادة في بيانه وإيضاح تبيانه بعد ما تعلم العربية من أهل جرهم ولم تكن لسان أبويه كما يشعر عندما نزلت أمه مكة ، فتعلم منهم ، فليس أول من فتق لسانه بالعربية إسماعيل ، فالمراد بها الأولية المقيدة بزيادة البيان وإحكام إفصاح ذلك اللسان ، لا الأولية المطلقة ؛ فإنها ليعرب بن قحطان) (٢٤) ، وقوله : (رفع القواعد من البيت) ، و (القواعد أساسه ، واحدها قاعدة) (٢٥) ، إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما كانا من رفع أسس البيت بعدما أندرست بسبب الطوفان الذي لحق بالأرض ، ففي هذا الحديث بيان أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا البيت وأخرجا أسسه . وقد أخرج الحديث : عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢٦) ، والبخاري (٢٧) ، والنسائي (٢٨) ، والبيهقي (٢٩) .

^{١٩} ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٧٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٣٠٤) .

^{٢٠} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٥ / ٧٤) .

^{٢١} ابن منظور ، مصدر سابق : (٢ / ٤٣٦) .

^{٢٢} المصدر السابق : (١ / ٥٧٦) .

^{٢٣} ابن حجر ، فتح الباري : (٦ / ٤٠٤) .

^{٢٤} المناوي ، مصدر سابق : (٢ / ١٦١) .

^{٢٥} ابن حجر فتح الباري : (٨ / ١٦٩) .

^{٢٦} عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المصنف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثاني (١٤٠٣ هـ) : (٥ / ١٠٨) .

^{٢٧} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٢٢٩) .

^{٢٨} النسائي ، السنن الكبرى : (٥ / ١٠٠) .

^{٢٩} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٢٣٤) .

ما جاء في قوله تعالى : [ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
إنك أنت العزيز الحكيم] آية : ١٢٧

(٤٦) (أخرج ابن مردويه : عن العرياض بن سارية^{٣٠} قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني عند الله
في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة
عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين)^{٣١} ، (٤٧) و (عن أبي أمامة^{٣٢} قال : قلت يا
رسول الله ما كان بدء أمرك ؟ قال : دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له
قصور الشام)^{٣٣} .

قوله في الحديث : (لمنجدل في طينته) ، من الجدالة ، وهي (الأرض لشدتها ، وقيل : هي أرض ذات رمل
دقيق)^{٣٤} ، قال ابن الأثير : (وأن آدم لمنجدل في طينته ، أي : مُلقى على الجدالة ، وهي الأرض)^{٣٥} .
فدعاء إبراهيم عليه السلام تقدم في الآية الكريمة ، حيث دعا الله تعالى أن يبعث في الناس رسولا منهم حتى
لا يلتبس عليهم الأمر وتختلط عليهم الدعوة ، وأما بشارة عيسى عليه السلام ، فقد قال الله تعالى : [ومبشرا
برسول يأتي من بعده اسمه أحمد]^{٣٦} ، قال ابن كثير : (يقول تعالى إخبارا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن
يبعث الله فيهم رسولا منهم ، أي : من ذرية إبراهيم ، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في
تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن)^{٣٧} ،
وعلى هذا فالمراد : أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام ، ولم يزل ذكره في الناس مذكورا
مشهورا سائرا حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسبا ، وهو عيسى ابن مريم عليه السلام ، حيث قام

^{٣٠} العرياض بن سارية الفزاري السلمى أبا نجيح ، من أهل الصفة وكان من البكائين ، فيه وفي أصحابه نزلت : [تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا
ما ينفقون] ، سكن الشام ومات بها سنة خمس وسبعين ، وقيل : بل مات في فتنة ابن الزبير ، روى عنه من الصحابة أبو رهم وأبو أمامة ، وروى عنه جماعة من
تابعي أهل الشام ، ينظر : ابن سعد ، مصدر سابق : (٧ / ٢٧٦) ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأنصار : (٥١) ، ابن قانع ، مصدر سابق : (٢ /
٢٩٩) ، أبو نعيم ، مصدر سابق : (٢ / ١٣) ، النووي ، تهذيب الأسماء ، دار الفكر ، بيروت (١٩٩٦ م) : (٣٠٤) ، ابن عبد البر ، الاستيعاب : (٣ /
١٢٣٨) .

^{٣١} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٣٣٤) .

^{٣٢} الصدي بن عجلان بن وهب بن عمرو بن عامر بن رباح بن الحارث بن سهم بن عمرو بن ثعلبة بن قيس عيلان أبو أمامة الباهلي وقد غلبت عليه كنيته ،
وصدي بالتصغير صحابي مشهور ، مات سنة ست وثمانين وهو بن إحدى وتسعين سنة ، وكان يصفر لحيته ، وكان أبو أمامة مع على بصفين ، كان يسكن
حمص ، قال سفيان بن عيينة : كان أبو أمامة الباهلي آخر من بقى بالشام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أبو أمامة الباهلي ممن روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر ، روى عنه جماعة من التابعين منهم سليم بن عارم الخباري والقاسم بن عبد الرحمن وأبو غالب حزور وشرحبيل بن مسلم ومحمد
بن زياد ، ينظر : الإمام أحمد ، الأسامي والكنى : (٣٠) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٤ / ٣٢٦) ، ابن حبان ، الثقات : (٣ / ١٩٥) ، ابن عبد البر ،
الاستيعاب : (٢ / ٧٣٦) ، ابن حجر ، تقريب التهذيب : (٢٧٦) .

^{٣٣} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٣٣٤) .

^{٣٤} ابن منظور ، مصدر سابق : (١١ / ١٠٤) .

^{٣٥} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (١ / ٢٤٨) .

^{٣٦} الصف : آية (٦) .

^{٣٧} ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٨٥) .

في بني إسرائيل خطيباً ، وقال : إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، ولهذا قال في هذا الحديث : (دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم) ، وقوله : (ورأت أُمِّي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام) ، قيل : كان مناماً رأته حين حملت به وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم ، وكان ذلك توطئة وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للأسلام وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها^{٣٨} ، وفي الحديث إشارة إلى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ودعوة إبراهيم عليه السلام له

وقد أخرج الحديث الأول : الإمام أحمد^{٣٩} ، وابن حبان^{٤٠} ، والطبراني^{٤١} ، والحاكم^{٤٢} ، والبيهقي^{٤٣} ، والهيثمي^{٤٤} ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد)^{٤٥} ، قال الهيثمي : (رواه أحمد بأسانيد والبخاري والطبراني بنحوه ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال سعيد بن سويد ، وقد وثقه ابن حبان)^{٤٦} . أما الحديث الثاني فقد أخرجه : الإمام أحمد^{٤٧} ، وابن الجعد^{٤٨} ، والطيالسي^{٤٩} ، والرويانى^{٥٠} ، والطبراني^{٥١} ، والهيثمي^{٥٢} ، قال الهيثمي : (رواه أحمد ، وإسناده حسن ، وله شواهد تقويه ، ورواه الطبراني)^{٥٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ] آية : ١٣٨

(٤٨) (عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : إن بني إسرائيل قالوا : يا رسول الله هل يصبغ ربك ؟ فقال : اتقوا الله ، فناداه ربه : يا موسى سألوكم هل يصبغ ربك ؟ فقل : نعم أنا أصبغ

^{٣٨} ينظر : ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٨٥) .

^{٣٩} الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ١٢٧ - ١٢٨) .

^{٤٠} ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ٣١٣) .

^{٤١} الطبراني ، مسند الشاميين : (٢ / ٣٤٠) ، المعجم الكبير : (١٨ / ٢٥٢ - ٢٥٣) .

^{٤٢} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٦٥٦) .

^{٤٣} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ١٣٤) .

^{٤٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٢٣) ، موارد الظمآن : (٥١٢) .

^{٤٥} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٦٥٦) .

^{٤٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٢٣) .

^{٤٧} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٢٦٢) .

^{٤٨} ابن الجعد ، مصدر سابق : (٤٩٢) .

^{٤٩} الطيالسي ، المسند ، دار المعرفة ، بيروت : (١٥٥) .

^{٥٠} الرويانى ، المسند ، تحقيق : أيمن علي أبو بمانى ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة (١٤١٦ هـ) : (٢ / ٣١١) .

^{٥١} الطبراني ، مسند الشاميين : (٢ / ٤٠٢) ، المعجم الكبير : (٨ / ١٧٥) .

^{٥٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٢٢) .

^{٥٣} المصدر السابق : (٨ / ٢٢٢) .

الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها من صبغي ، وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : [صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة] ^{٥٤} .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره بالصبغة صبغة الإسلام ، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام وأنه صبغة لهم في النصرانية ، فقال الله تعالى ذكره إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به كونوا هودا أو نصارى تهتدوا : قل لهم يا محمد أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصبغ فإنها هي الحنيفة المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجة هداة) ^{٥٥} ، قال القرطبي : (سمي الدين صبغة استعارة ومجازا من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر أثر الصبغ في الثوب) ^{٥٦} ، و (صبغة الله : دينه ، وقيل : أصله من صبغ النصارى أولادهم في ماء لهم) ^{٥٧} ، وأصل (الصبغ والصباغ والصبغة : ما يصبغ به وتلون به الثياب ، والجمع أصباغ و أصبغة) ^{٥٨} ، وقد سميت النصارى غمسه أولادهم في الماء صبغا لغمسهم إياهم فيه ، والصبغ : الغمس ^{٥٩} ، وقد جاء هذا الغمس إلى النصارى لما تركوا سنة الختان فقد غمّسوا أولادهم في ماء صبغ بصفرة يصفّر لون المولود وقالوا : هذه طهرة أولادنا التي أمرنا بها ، فأنزل الله تعالى : [صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة] ؛ أي : اتبعوا دين الله وفطرته وأمره لا صبغة النصارى وما أحدثوه من صبغة الأولاد ^{٦٠} . وقد أخرج الحديث : أبو محمد الأصبهاني ^{٦١} ، والضياء المقدسي ^{٦٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم] آية : ١٤٣ (٤٩) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الواحد بن زياد ^{٦٣} ،

^{٥٤} المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ١١١) ، ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٨٩) ، ابن حجر ، العجائب في بيان الأسباب ، تحقيق : عبد الحكيم محمد

الأنيس ، دار ابن الجوزي ، الدمام (١٩٩٧ م) : (١ / ٣٨٤) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٣٤٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٤٩) .

^{٥٥} الطبري ، التفسير : (١ / ٥٧٠) .

^{٥٦} القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ١٤٤) .

^{٥٧} الرازي ، مصدر سابق : (٣٥٥) .

^{٥٨} ابن منظور ، مصدر سابق : (٨ / ٤٣٧) .

^{٥٩} ينظر : المصدر السابق : (٨ / ٤٣٧) .

^{٦٠} ينظر : المصدر السابق : (٤ / ٥٠٦ - ٥٠٧) .

^{٦١} أبو محمد الأصبهاني ، مصدر سابق : (٢ / ٤٥٤) .

^{٦٢} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ١١١) .

^{٦٣} عبد الواحد بن زياد أبو بشر العبدي البصري ، روى عن يونس بن عبيد والأعمش وإسماعيل بن سميع وليث بن أبي سليم ومنصور بن حبان ومعمرو وعبد الرحمن بن إسحاق ، روى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومعلى بن أسد ومسلم وأبو سلمة ، قال يحيى بن معين : أثبت أصحاب الأعمش بعد سفيان وشعبة أبو معاوية الضرير وبعده عبد الواحد بن زياد ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن عبد الواحد بن زياد ؟ فقال : ثقة ، وسئل أبو زرعة عن عبد الواحد بن زياد ؟

عن أبي مالك الأشجعي^{٦٤}، عن المغيرة بن عتيبة بن نهاس^{٦٥}، حدثني مكتب^{٦٦}، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل^{٦٧}.

في الحديث قوله: (على كوم مشرفين)، والكوم: (العظم في كل شيء)، وقد غلب على السنام؛ سنام أكوم: عظيم، وجبل أكوم: مرتفع، وأصل الكوم من الارتفاع والعلو^{٦٨}، فقد جاء الحديث يبين مكانة أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وأنهم على الأمم مرتفعين مشرفين، والناس وبقية الأمم تتمنى لو كانت منهم، وأمة محمد عليه الصلاة والسلام تشهد للأنبياء عليهم السلام بأنهم مرسلون من عند الله تعالى وأنهم صادقون في نبوتهم؛ بل أمة الإسلام تشهد أنهم قد أدوا رسالة ربهم عز وجل من تقصير، وأن الناس كانوا هم أنفسهم ظالمين، فأمة الإسلام مرتفعة على الأمم دون غيرها، وفي الحديث إشارة إلى علو أمة الإسلام على غيرها من الأمم، وأنها أمة الوسط التي تكون شهيدة على الأمم، فناسب ذكر الحديث هنا.

وقد أخرج الحديث: الإمام أحمد^{٦٩}، والطبراني^{٧٠}، والديلمي^{٧١}.

فقال ثقة، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة ست وسبعين ومائة، ينظر، البخاري، التأريخ الكبير: (٦ / ٥٩)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٦ / ٢٠)، ابن حبان، الثقات: (٧ / ١٢٣).

^{٦٤} سعد بن طارق بن أشيم أبو مالك الأشجعي الكوفي، روى عن أبيه وأنس وعبد الله بن أبي أوفى ورعي بن حراش وسعد بن عبيدة وموسى بن طلحة بن عبيد الله وأبي حازم الأشجعي وغيرهم، وعنه خلف بن خليفة وابن إسحاق وشعبة والثوري وابن إدريس وحفص بن غياث وعباد بن العوام وعبد الواحد ابن زياد ومحمد بن فضيل ومروان بن معاوية وأبو عوانة وأبو معاوية وأبو خالد الأحمر ويزيد بن هارون وغيرهم، قال أحمد وابن معين والعجلي: ثقة، وقال أبو حاتم: صالح الحديث يكتب حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات، وقد قيل: أنه قد بقي إلى حدود الأربعين ومائة، ينظر: العجلي، مصدر سابق: (١ / ٣٩١)، البخاري، التأريخ الكبير: (٤ / ٥٨)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٤ / ٨٦)، ابن حبان، الثقات: (٤ / ٢٩٤)، ابن حجر، تهذيب التهذيب: (٣ / ٤١٠).

^{٦٥} مغيرة بن عتيبة بن نهمس العجلي كوفي، وكان قاضياً لأهل الكوفة، روى عن سعيد بن جبيرة وموسى بن طلحة وعن مكتب عن جابر، روى عنه أبو مالك الأشجعي ومسعر وفضيل بن غزوان وكامل أبو العلاء) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٨ / ٢٢٧).

^{٦٦} سعيد بن زياد المكتب، روى عن جابر بن عبد الله، روى عنه سعيد بن أبي هلال قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سئل أبي عن سعيد بن زياد؟ فقال: يحدث عن جابر بن عبد الله ضعيف، وهو مولى بني زهرة، وقد سمع أيضاً من عثمان بن عبد الرحمن التيمي وسليمان بن يسار وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي، وسمع منه خالد بن مخلد، وهو منقطع يعد في أهل المدينة، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، ينظر: البخاري، التأريخ الكبير: (٣٠ / ٤٧٣)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٤ / ٢٢)، ابن حبان، الثقات: (٦ / ٣٥٦).

^{٦٧} ابن كثير، التفسير: (١ / ١٩٢)، السيوطي، الدر المنثور: (١ / ٣٤٩)، الشوكاني، فتح القدير: (١ / ١٥٢).

^{٦٨} ابن منظور، مصدر سابق: (١٢ / ٥٢٩ - ٥٣٠).

^{٦٩} الإمام أحمد، المسند: (٣ / ٣٤٥)، وقد أخرج الحديث بلفظ: (عن أبي الزبير، أنه سأل جابراً عن الورد؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فيدعي بالأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا عز وجل بعد ذلك، فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليه، قال: فيتجلى لهم عز وجل وهو يضحك ويعطي كل إنسان) الحديث.

^{٧٠} الطبراني، المعجم الأوسط: (٩ / ٣٨).

^{٧١} الديلمي، مصدر سابق: (١ / ٧٧).

(٥٠) (أخرج ابن مردويه : عن مصعب بن ثابت^{٧٢} ، عن محمد بن كعب القرظي^{٧٣} ، عن جابر بن عبد الله قال : شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في بني مسلمة ، وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : والله يا رسول الله لنعم المرء كان لقد كان عفيفا مسلما ، وأثنوا عليه خيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت بما تقول ؟ فقال الرجل : الله أعلم بالسرائر ؛ فأما الذي بدا لنا منه فذاك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وجبت ، ثم شهد جنازة في بني حارثة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : يا رسول الله بئس المرء كان إن كان لفظا غليظا فأثنوا عليه شرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم : أنت بالذي تقول ، فقال الرجل : الله أعلم بالسرائر فأما الذي بدا لنا منه فذاك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجبت ، قال مصعب بن ثابت : فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قرأ : [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا]^{٧٤} .

في الحديث : (عفيفاً) ، وعفيف من (عَفَّ عن الحرام يعِف بالكسر عِفَّةً ، وَعَفًّا وَعَفَافَةً ، أي : كَفَّ فهو عَفٌّ و عَفِيفٌ ، والمرأة عَفَّةٌ وَعَفِيفَةٌ ، وَأَعَفَّهُ اللهُ وَاسْتَعَفَّ عن المسألة ، أي : عَفَّ ، وَتَعَفَّفَ تكلف العِفَّةُ)^{٧٥} ، وقوله : (وجبت) ، قال ابن حجر : (المراد بالوجوب الثبوت ، إذ هو في صحة الوقوع كالشيء الواجب ، والأصل أنه لا يجب على الله شيء ؛ بل الثواب فضله والعقاب عدله لا يسأل عما يفعل)^{٧٦} ، ففي الحديث إخبار عن شهادة هذه الأمة على غيرها ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشهيد عليها من بعد ذلك ، والله أعلم .

وقد أخرج الحديث : الحاكم^{٧٧} ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه على وجبت فقط)^{٧٨} ، وللحديث شواهد من حديث أنس بن مالك قال : (مر بجنازة فأثني عليها خيرا ، فقال نبي الله صلى الله

^{٧٢} مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، روى عن أبيه وعطاء ونافع ، وعنه ابنه عبد الله وعبد الرزاق وجماعة ، مات في سنة سبع وخمسين ومائة ، ضعفه يحيى بن معين واحمد ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال الزبير : أمه حلبية قد اشتراها أبوه من سكينة بنت الحسين بمائة ناقة ، وقال الجوزجاني : لم أر الناس يمدون حديثه ، وقال الزبير : وكان مصعب من أعبد أهل زمانه ، قيل : كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة حتى يبس من العبادة وعاش إحدى وسبعين سنة ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : وقد أدخلته في الضعفاء وهو ممن استخرت الله فيه ، ينظر : الجوزجاني ، مصدر سابق : (١٤٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٣٠٤) ، ابن حبان ، الثقات : (٧ / ٤٧٨) ، ابن الجوزي ، الضعفاء والمتروكين ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٦ هـ) : (٣ / ١٢٢) ، الذهبي ، ميزان الاعتدال : (٦ / ٤٣٤) .

^{٧٣} محمد بن كعب القرظي أبو حمزة ، سكن الكوفة ثم تحول إلى المدينة ، روى عن أبي هريرة وأنس بن مالك وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله وابن عباس ، روى عنه محمد بن المنكدر وزيد بن اسلم والحكم بن عتيبة وعاصم بن كليب وعثمان بن حكيم ويزيد بن زياد القرظي ومحمد بن عجلان وأبو مودود وأبو معشر وموسى بن عبيدة وأبو صخر ، سئل أبو زرعة عن محمد بن كعب القرظي ؟ فقال : مديني ثقة ، وقال العجلي : محمد بن كعب القرظي مديني تابعي ثقة رجل صالح عالم بالقرآن ، مات محمد بن كعب القرظي في سنة ثمان ومائة ، ينظر ، العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٥١) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٢٤٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٦٧) ، ابن زبير الرعي ، مصدر سابق : (١ / ٢٥٩) .

^{٧٤} ابن كثير ، التفسير : (١ / ١٩٢) .

^{٧٥} الرازي ، مصدر سابق : (٤٤٢) .

^{٧٦} ابن حجر ، فتح الباري : (٣ / ٢٢٩) .

^{٧٧} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٩٤) .

عليه وسلم : وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنّازة فأثني عليها شرا ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : وجبت وجبت وجبت ، قال عمر : فدى لك أبي وأمي مر بجنّازة فأثني عليها خيرا ، فقلت : وجبت وجبت وجبت ، ومر بجنّازة فأثني عليها شرا ، فقلت : وجبت وجبت وجبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أثنتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنتم عليه شرا وجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض) ، أخرجه بهذا اللفظ : الإمام أحمد^{٧٩} ،
 والبخاري^{٨٠} ، ومسلم^{٨١} ، والترمذي^{٨٢} ، والنسائي^{٨٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنؤلينك قبلةً ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره و إنّ الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنّه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون] آية : ١٤٤

(٥١) (أخرج ابن مردويه : عن أبي القاسم العمري^{٨٤} ، عن عمه عبيد الله بن عمر^{٨٥} ، عن داود بن الحصين^{٨٦} ،

^{٧٨} المصدر السابق : (٢ / ٢٩٤) .

^{٧٩} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ١٧٩) .

^{٨٠} البخاري ، الصحيح : (١ / ٤٦٠) .

^{٨١} مسلم ، الصحيح : (٢ / ٦٥٥) .

^{٨٢} الترمذي ، السنن : (٣ / ٣٧٣) .

^{٨٣} النسائي ، السنن الكبرى : (١ / ٦٢٩) .

^{٨٤} (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو القاسم العمري المدني نزيل بغداد ، روى عن أبيه وعمه عبيد الله وهشام ابن عروة وسهيل بن أبي صالح وسعيد المقبري وغيرهم ، وعنه أبو الربيع الزهراني وسريخ بن يونس وعبد العزيز الأويسي ومحمد الجرجاني ومحمد بن مقاتل المروري والحسن بن عرفة وغيرهم ، قال أحمد : ليس بشيء ، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه : أحاديثه مناكير كان كذابا ، وقال عباس الدوري عن ابن معين : ضعيف وقد سمعت منه وقال مرة : ليس بشيء ، وقال أبو زرعة : متروك الحديث وترك قراءة حديثه ، وقال أبو داود : لا يكتب حديثه ، مات سنة ست وثمانين ومائة) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٦ / ١٩٣) .

^{٨٥} عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم القرشي العدوي كنيته أبو عثمان ، يروى عن القاسم وسالم ونافع والزهرى وعطاء وأهل الحجاز ، روى عنه شعبة ومالك والثوري والناس ، مات سنة أربع أو خمس وأربعين ومائة ، وكان من سادات أهل المدينة وأشرف قريش فضلا وعلمًا وعبادة وشرفًا وحفظًا وإتقانًا ، وأخوه عبد الله بن عمر ضعيف ، وأمهما فاطمة بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال العجلي : مدني ثقة ثبت ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ١١٢) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٥ / ٣٩٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٧ / ١٤٩) ، السيوطي ، طبقات الحفاظ : (٧٧) .

^{٨٦} داود بن الحصين الفقيه أبو سليمان الأموي مولاها المدني ، حدث عن أبيه وعكرمة والأعرج وأبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، حدث عنه ابن إسحاق ومالك ومحمد بن جعفر بن أبي كثير وإبراهيم بن أبي حبيبة وعدة ، وثقة يحيى بن معين مطلقا ، وقال ابن عيينة : كنا نتقي حديثه ، وقال ابن المديني : ما روى عن عكرمة فمنكر ، وقال أبو زرعة : لين ، وقال أبو حاتم : لولا أن مالكا روى عنه لترك حديثه ، وقال أبو داود : أحاديثه عن عكرمة مناكير ، وقال ابن حبان : كان يرى الخروج ، وقد نزل عكرمة في بيت داود وتوفي عنده ، وقال العجلي : مدني ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٣٤٠) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٣ / ٢٣١) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٤٠٨) ، ابن حبان ، الثقات : (٦ / ٢٤٨) ، الذهبي ، السير : (٦ / ١٠٦) .

عن عكرمة^{٨٧}، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ، فأنزل الله : [فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] ، إلى الكعبة^{٨٨} .

المعلوم أن الصلاة كانت قد فرضت على المسلمين وهم في مكة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا في ذلك الوقت يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ، قال ابن خزيمة : (باب ذكر الصلاة كانت إلى بيت المقدس قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، إذ القبلة في ذلك الوقت بيت المقدس لا الكعبة ، ثم قال : أخبرنا أبو طاهر نا أبو بكر نا أبو موسى محمد بن المثنى نا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثني أبو إسحاق قال : سمعت البراء يقول : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة)^{٨٩} ، وقال الإمام مسلم : (باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، ثم قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية التي في البقرة : [وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره] ، فنزلت بعدما صلى النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت)^{٩٠} ، وكان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في السنة الثانية من الهجرة في شهر رجب ، قال ابن حجر : (كان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور)^{٩١} ، وقد كانت أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة الظهر ففي البخاري من حديث : (البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله : [قد نرى تقلب وجهك في السماء] ، فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود : [ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة)^{٩٢} ، على أن الخلاف في أول صلاة صلاها عليه الصلاة

^{٨٧} (عكرمة مولى ابن عباس أبو عبد الله الهاشمي ، سمع ابن عباس وأبا سعيد وعائشة ، روى عنه جابر بن زيد وعمرو بن دينار ، مات سنة سبع ومائة ، وقال ابن عيينة عن عمرو : أعطاني جابر بن زيد صحيفة فيها مسائل قال : سل عكرمة ، فجعلت كأني أتباطأ فانتزعها من يدي ، وقال : هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس ، وقال عبد الله بن محمد عن ابن عيينة عن عمرو قال : سمعت جابر بن زيد يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس ، قال علي : مات سنة أربع ومائة ، روى عنه الشعبي وأيوب ، وروى مالك عن رجل عن عكرمة في الحج ، قال أبو عبد الله : ليس أحد من أصحابنا إلا أحتج بعكرمة) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٤٩ / ٧) .

^{٨٨} ابن كثير ، التفسير : (١٩٣ / ١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣٥٤ / ١) .

^{٨٩} ابن خزيمة ، الصحيح ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م) : (١ / ٢٢٢) .

^{٩٠} مسلم ، الصحيح : (٣٧٤ / ١) .

^{٩١} ابن حجر ، فتح الباري : (٩٧ / ١) .

^{٩٢} البخاري ، الصحيح : (١٥٥ / ١) .

والسلام قد كان تبعاً للمكان الذي كان فيه عليه الصلاة والسلام ، قال ابن حجر : (والتحقق أن أول صلاةٍ صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر ، وأما الصبح فهو من حديث ابن عمر بأهل قباء)^{٩٣} ، و (عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون نحو بيت المقدس فلما نزلت هذه الآية : [فول وجهك شطر المسجد الحرام] ، مر رجل من بني سلمة فناداهم وهم ركوع في صلاة الفجر ألا إن القبلة قد حولت إلى الكعبة فمالوا ركوعاً)^{٩٤} ، و (عن ابن عمر أن أهل قباء كانوا يصلون قبل بيت المقدس فأتاهم آت ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه القرآن وتوجه إلى الكعبة ، فاستقبلوها فاستداروا كما هم)^{٩٥} ، وعند مسلم من حديث ابن عمر قال : (بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة)^{٩٦} ، وقال ابن عباس : (أن أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم عليه السلام فكان يدعوا الله وينظر إلى السماء فأنزل الله عز وجل : [قد نرى تقلب وجهك في السماء] إلى قوله : [فولوا وجوهكم شطره] ، يعني : نحوه ، فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : [ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها] ، فأنزل الله تعالى : [قل لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله] ، [وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه] ، وليميز أهل اليقين من أهل الشك والريبة ، قال الله عز وجل : [وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله] ، يعني : تحويلها على أهل الشك إلا على الخاشعين يعني المصدقين بما أنزل الله تعالى)^{٩٧} ، وللحديث شواهد من حديث أنس بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ، وقد أخرجها :

^{٩٣} ابن حجر ، فتح الباري : (١ / ٩٧) .

^{٩٤} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (١ / ٢٢٣) .

^{٩٥} المصدر السابق : (١ / ٢٢٥) .

^{٩٦} مسلم ، الصحيح : (١ / ٣٧٥) .

^{٩٧} البيهقي ، السنن الكبرى : (٢ / ١٢) .

الإمام أحمد^{٩٨}، والبخاري^{٩٩}، ومسلم^{١٠٠}، والترمذي^{١٠١}، وابن ماجه^{١٠٢}، وابن حبان^{١٠٣}، والطبراني^{١٠٤}، والبيهقي^{١٠٥}.

ما جاء في قوله تعالى : [الذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون] آية : ١٥٦ (٥٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم ، أن يقولوا عند المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون)^{١٠٦} .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره : وبشر يا محمد الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني فيقرون بعبوديتي ويوحدوني بالربوبية ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي فيستسلمون لقضائي ويرجون ثوابي ويخافون عقابي ويقولون عند امتحاني إياهم ببعض محني وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياء ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون تسليمًا لقضائي ورضا بأحكامي)^{١٠٧} ، وفي الحديث : (المصيبة) ، قال ابن الأثير : (مُصِيبَةٌ وَمَصُوبَةٌ ، وَمُصَابَةٌ ، وَالْجَمْعُ مَصَائِبٌ ، وَمَصَاوِبٌ ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْمَكْرُوهُ يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ ، وَيُقَالُ : أَصَابَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ ، أَيْ : أَخَذَ وَتَنَاوَلَ)^{١٠٨} ، والمصيبة الأمر المكروه الذي يصيب الإنسان ، والمصيبة النكبة ينكبها الإنسان وإن صغرت وتستعمل في الشر^{١٠٩} ، وقال ابن كثير : (فقال الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أي : تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء ، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة ؛ فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة)^{١١٠} ، (وقيل : الإصابة في الخير مأخوذة من الصوب وهو المطر الذي ينزل بقدر الحاجة ، وفي الشر مأخوذة من إصابة السهم ، وقال الكرمانى : المصيبة في اللغة ما ينزل بالإنسان مطلقاً ، وفي العرف ما نزل به من مكروه خاصة)^{١١١} ، وقد دعت الآية الكريمة إلى التسلي في

^{٩٨} الإمام أحمد ، المسند : (٢٨٤ / ٣) ، (٣٠٤ / ٤) ، (٢٤٦ / ٥) .

^{٩٩} البخاري ، الصحيح : (١٥٥ / ١) ، (٢٦٤٨ / ٦) .

^{١٠٠} مسلم ، الصحيح : (٣٧٥ / ١) .

^{١٠١} الترمذي ، السنن : (١٦٩ / ٢) .

^{١٠٢} ابن ماجه ، مصدر سابق : (٣٢٢ / ١) .

^{١٠٣} ابن حبان ، الصحيح : (٦١٨ / ٤) .

^{١٠٤} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١١ / ٢٠) ، (١٣٣ / ٢٠) .

^{١٠٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٢ / ٢) ، (١٢ / ٢) .

^{١٠٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٣٧٧ / ١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١٦٠ / ١) .

^{١٠٧} الطبري ، التفسير : (٤٢ / ٢) .

^{١٠٨} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٥٧ / ٣) .

^{١٠٩} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (١٧٥ / ٢) .

^{١١٠} ابن كثير ، التفسير : (١٩٨ / ١) .

^{١١١} ابن حجر ، فتح الباري : (١٠٤ / ١٠) .

المصائب وأن نحتسب المصاب في الله ونقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأن النوح والبكاء لا ينفعان في شيء بل يزيدان من العذاب ، ففي الحديث عن (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)^{١١٢} .

وللحديث شواهد من حديث أم سلمة قالت : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها ، قالت : فلما مات أبو سلمة ، قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إنني قتلها ، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : أرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له ، فقلت : إن لي بنتا وأنا غيور ، فقال : أما ابنتها فدعو الله أن يغنيها عنها ، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة) ، وهو عند : الإمام مالك^{١١٣} ، ومسلم^{١١٤} ، وعند البيهقي من حديث (علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : [إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون] ، إلى آخر الآية ، قال : أخبر الله أن المؤمن إذا سلم لأمر الله ورجع واسترجع في المصيبة كتب الله له ثلاث خصال من الخير ، الصلاة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرجع في المصيبة جبر الله معصيته وأحسن عقابه وجعل له خلفا صالحا يرضاه)^{١١٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكرٌ عليمٌ] آية : ١٥٨

(٥٣) (أخرج ابن مردويه : عن عائشة قالت : نزلت هذه الآية في الأنصار ، كانوا في الجاهلية إذا أحرموا لا يحل لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة ؛ فلما قدمنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : [إن الصفا والمروة من شعائر الله])^{١١٦} .

في الحديث : (الصفا) وهي من : (الصفاة صخرة ملساء ، والجمع صفاً مقصور وأصفاً وصفاً على فعول ، و الصفاة الحجارة وكذا الصفاون ، الواحدة صفاوة ، ومنه قوله تعالى : [كمثل صفوان عليه تراب] ، والصفا موضع بمكة)^{١١٧} ، وقيل : (الصفا : العريض من الحجارة الأملس)^{١١٨} ، وفي الحديث أيضاً : (المروة) و (المروة حجر أبيض براق ، وقيل : هي التي يُقدح منها النار ، ومروة المسعى التي تُذكر مع الصفا

^{١١٢} البخاري ، الصحيح : (١ / ٤٣٦) .

^{١١٣} الإمام مالك ، مصدر سابق : (١ / ٢٣٦) .

^{١١٤} مسلم ، الصحيح : (٢ / ٦٣١) .

^{١١٥} البيهقي ، شعب الإيمان : (٧ / ١١٦) .

^{١١٦} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٣٨٤) .

^{١١٧} الرازي ، مصدر سابق : (٣٦٦) .

^{١١٨} ابن منظور ، مصدر سابق : (٣ / ٢٥٧) .

وهي أحد رأسيه اللذين ينتهي السعي إليهما^{١١٩}، وقيل : (المرؤ حجارة بيض براقه تُقدح منها النار ، الواحدة مرؤة ، وبها سُميت المرؤة بمكة)^{١٢٠}، وقيل : (المرؤ : حجارة بيض براقه تكون فيها النار وتُقدح منها النار ، واحدها مرؤة ، وبها سميت المرؤة بمكة شرفها الله تعالى ، وقال ابن شميل : المرؤ حجر أبيض رقيق يجعل منها المطار ، يذبح بها ، يكون المرؤ منها كأنه البرد ، ولا يكون أسود ولا أحمر ، وقد يُقدح بالحجر الأحمر فلا يسمى مرؤاً ، قال : وتكون المرؤة مثل جُمع الإنسان وأعظم وأصغر : وقال شمر : وسألت عنها أعرابياً من بني أسد فقال : هي هذه القداحات التي يخرج منها النار ، وقال أبو خيرة : المرؤة الحجر الأبيض الهش يكون فيه النار)^{١٢١} .

قال الطبري : (وإنما عنى الله تعالى ذكره بقوله : [إن الصفا والمرؤة] ، في هذا الموضع الجبلين المسميين بهذين الاسمين اللذين في حرمه دون سائر الصفا والمرؤ ، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام ليعلم عباده أنه عنى بذلك الجبلين المعروفين بهذين الاسمين دون سائر الأصفاء والمرؤ ، وأما قوله : [من شعائر الله] ، فإنه يعني من معالم الله التي جعلها تعالى ذكره لعباده معلما ومشعرا يعبدونه عندها ، إما بالدعاء ، وإما بالذكر ، وإما بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها)^{١٢٢}، قال القرطبي : (أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس وهو هنا جبل بمكة معروف وكذلك المرؤة جبل أيضا ، ولذلك أخرجهما بلفظ التعريف ، وذكر الصفا لأنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه فسمي به ، ووقفت حواء على المرؤة فسميت باسم المرأة فأنت لذلك والله أعلم)^{١٢٣} ، وقال : (قوله تعالى : [من شعائر الله] ، أي : من معالمه ومواضع عباداته ، وهي جمع شعيرة ، والشعائر المتعبدات التي أشعرها الله تعالى ، أي : جعلها أعلاما للناس من الموقف والسعي والنحر ، والشعار العلامة ، يقال : أشعر الهدى أعلمه بغرز حديدة في سنامه)^{١٢٤} ، ولم يكن الأنصار بعد الإسلام يسعون بين الصفا والمرؤة حتى نزلت هذه الآية ، قال ابن حجر : (أن تحرجهم إنما كان لئلا يفعلوا في الإسلام شيئا كانوا يفعلونه في الجاهلية ؛ لأن الإسلام أبطل أفعال الجاهلية إلا ما أذن فيه الشارع فخشوا أن يكون ذلك من أمر الجاهلية الذي أبطله الشارع)^{١٢٥} ، ففي الحديث عن (هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال : قلت لها إني لأظن رجلا لو لم يطف بين الصفا والمرؤة ما ضره ؟ قالت : لم قلت لأن الله تعالى يقول : [إن الصفا والمرؤة من شعائر الله] إلى آخر الآية ، فقالت : ما أتم الله حج امريء ولا عمرته ما لم يطف بين الصفا والمرؤة ولو كان كما تقول لكان : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، وهل تدري فيما كان ذلك ؟ إنما كان ذلك أن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر ، يقال لهما : إساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمرؤة ثم يحلقون فلما جاء

^{١١٩} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٤ / ٣٢٣) .

^{١٢٠} الرازي ، مصدر سابق : (٦٢٢) .

^{١٢١} ابن منظور ، مصدر سابق : (١٥ / ٢٧٥ - ٢٧٦) .

^{١٢٢} الطبري ، التفسير : (٢ / ٤٤) .

^{١٢٣} القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ١٧٩) .

^{١٢٤} القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ١٨٠) .

^{١٢٥} ابن حجر ، فتح الباري : (٣ / ٥٠٠) .

الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية ، قالت : فأنزل الله عز وجل : [إن الصفا والمروة من شعائر الله] ، إلى آخرها ، قالت : فطافوا (١٢٦) ، قال الزرقاني : (أن تخرجهم إنما كان لتلا يفعلوا في الإسلام شيئاً فعلوه في الجاهلية ؛ لأن الإسلام أبطل أفعالها إلا ما أذن فيه الشارع فخشوا أن ذلك مما أبطله) (١٢٧) ، ففي الحديث إخبار عن الصفا والمروة وأنها من مناسك الحج ، فناسب ذكر الحديث هنا .

وقد أخرج الحديث : الحاكم (١٢٨) ، وأبو نعيم الأصبهاني (١٢٩) ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) (١٣٠) ، وقد أخرج الحديث الإمام أحمد (١٣١) ، والبخاري (١٣٢) ، ومسلم (١٣٣) ، والترمذي (١٣٤) ، والنسائي (١٣٥) ، وابن ماجه (١٣٦) ، وابن خزيمة (١٣٧) ، وابن حبان (١٣٨) ، وجميعهم أخرجه : (عن عروة بن الزبير قال : قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي أن لا أطوف بينهما ؟ قالت : بئس ما قلت يا ابن أخي ؛ طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة ، وإنما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الإسلام سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عز وجل : [إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما] ، ولو كانت كما تقول ، لكانت : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، قال الزهري : فذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأعجبه ذلك ، وقال : إن هذا لعلم ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يقولون : إنما كان من لا يطوف بين الصفا والمروة من العرب يقولون : إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية ، وقال آخرون من الأنصار : إنما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر به بين الصفا والمروة ، فأنزل الله عز وجل : [إن الصفا والمروة من شعائر الله] ، قال أبو بكر بن عبد الرحمن : فأراها فقد نزلت في هؤلاء وهؤلاء) .

١٢٦ مسلم ، الصحيح : (٢ / ٩٢٨) .

١٢٧ الزرقاني ، مصدر سابق : (٢ / ٤٢١ - ٤٢٢) .

١٢٨ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٩٧) .

١٢٩ أبو نعيم الأصبهاني ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، تحقيق ، محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٩٦ م) : (٣ / ٣٦١) .

١٣٠ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٩٧) .

١٣١ الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ١٤٤) .

١٣٢ البخاري ، الصحيح : (٢ / ٩٣٥) ، (٤ / ١٦٣٥) .

١٣٣ مسلم ، الصحيح : (٢ / ٩٢٩ - ٩٣٠) .

١٣٤ الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٠٨) .

١٣٥ النسائي ، السنن الكبرى : (٢ / ٤١١) .

١٣٦ ابن ماجه ، السنن : (٢ / ٩٩٤) .

١٣٧ ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٤ / ٢٣٣ - ٢٣٤) .

١٣٨ ابن حبان ، الصحيح : (٩ / ١٤٧) .

ما جاء في قوله تعالى : [إنَّ في خلقِ السماواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفلكِ التي تجري في البحرِ بما ينفعُ الناسَ وما أنزلَ اللهُ من السماءِ من ماءٍ فأحيا به الأرضَ بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابةٍ وتصريفِ الرياحِ والسحابِ المُسخرِ بين السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ] آية : ١٦٤

(٥٤) (قال ابن مردويه : أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم^{١٣٩} ، حدثنا أبو سعيد الدشتكي^{١٤٠} ، حدثني أبي^{١٤١} ، عن أبيه^{١٤٢} ، عن أشعث بن إسحاق^{١٤٣} ، عن جعفر بن أبي المغيرة^{١٤٤} ، عن سعيد بن جبير^{١٤٥} ، عن ابن عباس قال : أتت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد إننا نريد أن تدعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهابا فنشتري به الخيل والسلاح فنؤمن بك ونقاتل معك ؟ قال : أوثقوا لي لئن دعوت ربي فجعل لكم الصفا ذهابا لتؤمنن بي ، فأوثقوا له ، فدعا ربه فاتاه جبريل فقال : إن ربك قد أعطاهم الصفا ذهابا على أنهم إن لم يؤمنوا بك

^{١٣٩} العسال محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد القاضي أبو أحمد الأصبهاني الحافظ المعروف بالعسال صاحب المصنفات ، سمع من والده وهو من قدماء شيوخه فإن والده مات سنة اثنتين ومائتين وسمعت من أبي مسلم الكجي ومحمد بن أيوب بن الضريس الرازي وأبي بكر بن أبي عاصم ومحمد بن أسد المدني صاحب أبي داود الطيالسي ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة والحسن بن علي السري وإبراهيم بن زهير الحلواني ومطين وأبي شعيب الجرائي وبكر ابن سهل الديمياطي وأمثالهم ، وقرأ القرآن لنافع على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن علي بن عمرو بن سهل الأصبهاني الصوفي عن قراءته على الفضل بن شاذان الرازي ، وحدث عنه أيضا أبو أحمد عبد الله بن عدي وأبو بكر بن المقرئ وأبو عبد الله بن مندة وأبو بكر بن مردويه وأبو بكر بن أبي علي ومحمد بن عبد الله الريايطي وأحمد بن إبراهيم القصار وأحمد بن محمد بن عبد الله بن ماجه المؤدب وأبو سعيد النقاش ومحمد بن علي ابن مصعب وأبو نعيم ، قال الباطراني : أخبرنا ابن مندة قال : كان أبو أحمد العسال يخلف الطبري وابنه وكان أحد الأئمة في علم الحديث ، وقال الحاكم : كان أحد أئمة الحديث ، وله تصانيف كثيرة منها : تفسير القرآن وكتاب التاريخ وكتاب تاريخ النساء وكتاب السنة وكتاب الأمثال وكتاب الرؤية وكتاب العظمة وكتاب الجزية وكتاب الرقائق وكتاب مسند الأبواب وكتاب الأبواب على غريب الحديث وكتاب حروف القراءات وكتاب الآيات وكرامات الأولياء وكتاب من يجمع حديثه من المقلين وطرق غسل يوم الجمعة ، قال ابن مردويه الحافظ في تاريخه : توفي القاضي أبو أحمد في يوم الاثنين في رمضان سنة تسع وأربعين وثلاث مائة وأنا ببغداد ، ينظر : الذهبي ، السير : (١٦ / ٦) وما بعدها ، المقتنى في سرد الكنى : (١ / ٦٢) .

^{١٤٠} (من أهل الري أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي الرازي ، حدث عن أبيه عن جده عن خارجة بن مصعب ، روى عنه علي بن سعيد الرازي وغيره) ، القيسرائي ، المؤلف والمختلف ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١١ هـ) : (٦٣) .

^{١٤١} عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي أبو محمد الرازي ، روى عن أبي سنان وأبي جعفر الرازي وعمرو بن أبي قيس وزهير بن معاوية وإبراهيم بن طهمان وأبي يحيى زكريا العتيبي وعبد الله بن العلاء بن خالد ونصف بن الضحاك أخى الجراح بن الضحاك ويعقوب القمي ، روى عنه محمد بن بكير الحضرمي ومحمد بن مهران الجمال ويوسف بن موسى القطان وأبو غسان محمد بن عمرو زنيج وابن أبي سريج وابنه أحمد وحجاج بن حمزة الخشابى ومحمد ابن عمار بن الحارث ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ؟ فقال : صدوق ، وكان رجلا صالحا ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ينظر : مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٧٣٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٢٥٤) ، ابن حبان ، الثقات : (٨ / ٣٧٦) .

^{١٤٢} عبد الله بن سعد الدشتكي أبو عبد الرحمن مروزي سكن الري ، روى عن مقاتل بن حيان وإبراهيم الصائغ وهشام بن حسان ويزيد النحوي وأبي سنان وأشعث بن إسحاق وأبي حمزة السكري وخارجة بن مصعب وهشام بن سعد ، روى عنه أبو الوليد الطيالسي وابنه عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ونصف ابن أبي فاطمة وعمرو بن رافع أبو الحجر ومحمد بن عيسى ، ذكره ابن حبان في الثقات ، ينظر : مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٥١٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٦٤) ، ابن حبان ، الثقات : (٨ / ٣٣٨) .

^{١٤٣} أشعث بن إسحاق القمي وهو ابن سعد بن عامر بن مالك ، روى عن جعفر بن أبي المغيرة وشمر بن عطية ، روى عنه جرير بن عبد الحميد ويحيى بن يمان وعبد الله بن سعد الدشتكي ، قال الإمام أحمد : أشعث بن إسحاق القمي صالح ، قال يحيى بن معين : أشعث بن إسحاق القمي ثقة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (١ / ٤٢٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ٢٦٩) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (١ / ٣٠٦) .

^{١٤٤} جعفر بن أبي المغيرة القمي صاحب سعيد بن جبير ، رأى ابن عمر ، وكان صدوقا ، روى عنه يعقوب القمي ومندل بن علي وجماعة ، قال ابن مندة : ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير ، وقد وثقه أحمد ، ينظر ، أبو حفص الواعظ ، مصدر سابق : (٥٥) ، الذهبي ، ميزان الاعتدال : (٢ / ١٤٧) .

^{١٤٥} ينظر : الحديث رقم (٤٥) .

عذبهم عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين ، قال محمد صلى الله عليه وسلم : رب لا بل دعني وقومي فلا أدعهم يوما بيوم ، فأنزل الله هذه الآية : [إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس] ، الآية ^{١٤٦} .

في الآية الكريمة عرف الله تعالى ذكره جميع خلقه على موضع استدلال ذوي الأبواب منهم على حقيقة ما نبههم عليه من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عذرهم ، فقال تعالى ذكره : أيها المشركون إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر من أن إلهكم إله واحد دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان فتدبروا حججي وفكروا فيها فإن من حججي عليكم خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها وما بثت فيها من كل دابة والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض ، فإن كان ما تعبدونه من دون الله من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض يقدر على أن يصنع مثل ما صنعت نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم فلکم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذر وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي ولا إله لكم ولما تعبدون غيري ، فليتدبر أولو الأبواب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده في هذه الآية بأوجز كلام وأبلغ حجة وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه ^{١٤٧} ، قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية على نبيه محمد ، فقال بعضهم : أنزلها عليه احتجاجا له على أهل الشرك به من عبدة الأوثان ؛ وذلك أن الله تعالى ذكره لما أنزل على نبيه محمد : [وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم] ، فتلا ذلك على أصحابه وسمع به المشركون من عبدة الأوثان ، قال المشركون : وما الحجة والبرهان على أن ذلك كذلك ونحن ننكر ذلك ونحن نزعم أن لنا آلهة كثيرة ، فأنزل الله ذلك : [إن في خلق السماوات والأرض] ، احتجاجا لنبيه على الذين قالوا ما ذكرنا عنهم ، وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على النبي من أجل أن أهل الشرك سألوا رسول الله آية ، فأنزل الله هذه الآية يعلمهم فيها أن لهم في خلق السماوات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك آية بينة على وحدانية الله وأنه لا شريك له في ملكه لمن عقل وتدبر ذلك بفهم صحيح ، والصواب من القول في ذلك : أن الله تعالى ذكره نبه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفردته بالألوهية دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية ^{١٤٨} ، ففي الآية دليل على توحيد الله عز وجل وتفردته بخلقه ودقة صنعه ، قال القرطبي : (في الآية دليل التوحيد وأن هذا العالم والبناء العجيب لا بد له من بان وصانع وجمع السماوات لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس الأخرى ، ووحد الأرض لأنها كلها تراب والله تعالى أعلم ؛ فأية السماوات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ودل ذلك على القدرة وخرق العادة ولو جاء نبي فتحدى بوقوف جبل

^{١٤٦} ابن كثير ، التفسير : (٢٠٣ / ١) السيوطي ، الدر المنثور : (٣٩٥ / ١) ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ، بيروت (١٩٧٨ م) :

(٣١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١٦٤ / ١) .

^{١٤٧} ينظر : الطبري ، التفسير : (٦٠ - ٦١) .

^{١٤٨} الطبري ، التفسير : (٦١ - ٦٢) .

في الهواء دون علاقة كان معجزاً ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوحة آية ثانية ، وآية الأرض بحارها وأنهارها ومعادنها وشجرها وسهلها ووعورها ، واختلاف الليل والنهار ، قيل : اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر من حيث لا يعلم ، وقيل : اختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر ، وقوله تعالى : [والفلك التي تجري في البحر] ، الفلك السفن وإفراجه وجمعه بلفظ واحد ، وقوله تعالى : [وما أنزل الله من السماء من ماء] ، يعني بها : الأمطار التي بها إنعاش العالم وإخراج النبات والأرزاق وجعل منه المخزون عدة للانتفاع وقت نزوله ، وقوله تعالى : [وبث فيها من كل دابة] ، أي : فرق ونشر منه كالفرش المبعوث ، ودابة تجمع الحيوان كله (١٤٩) .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٥٠} ، والحاكم^{١٥١} ، والبيهقي^{١٥٢} ، والهيثمي^{١٥٣} ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{١٥٤} . وفي الحديث إشارة إلى خلق الله تعالى ذكره وأنه الخالق المتصرف في الخلق والكون معاً لا خالق سواه ولا مبدع للكون غيره ، فناسب ذكر الحديث هنا . ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طيباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] آية : ١٦٨

(٥٥) (قال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد^{١٥٥} ، حدثنا محمد بن عيسى بن شيبه المصري^{١٥٦} ، حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الإحيطي^{١٥٧} ، حدثنا أبو عبد الله الجوزجاني^{١٥٨} رفيق إبراهيم بن أدهم ، حدثنا ابن جريج^{١٥٩} ، عن عطاء^{١٦٠} ، عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم : [يا أيها الناس

^{١٤٩} القرطبي ، التفسير : (٢ / ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤) .

^{١٥٠} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٢٤٢) .

^{١٥١} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٤٤) .

^{١٥٢} البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٩) .

^{١٥٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ٣٢٩) .

^{١٥٤} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٤٤) .

^{١٥٥} ينظر : الحديث رقم (٢) .

^{١٥٦} محمد بن عيسى بن شيبه بن الصلت بن عصفور السدوسي أبو علي البصري البزاز ابن أخي يعقوب بن شيبه نزل مصر ، روى عن إبراهيم الدقاق وسعيد بن يحيى بن سعيد الأموي وأبي سعيد عبد الله بن سعيد ومحمد بن أبي معشر المدني وأبي هشام الرفاعي ، روى عنه النسائي في حديث مالك وأبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني وأبو يوسف يعقوب بن المبارك ، قال أبو سعيد بن يونس توفي بمصر يوم السبت لحمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث مائة ، ينظر : المري ، مصدر سابق : (٢٦ / ٢٥٣) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٩ / ٣٤٥) .

^{١٥٧} الحسين بن عبد الرحمن الإحيطي ، قال علي بن المديني : تركوا حديثه ، وقيل : اسمه الحسن ، وقيل : الحسين بن عبد الرحمن بن عباد بن الهيثم أبو علي الإحيطي ، وبعضهم سماه : الحسن ، روى عن ابن عيينة وابن إدريس وجرير بن عبد الحميد ، وعنه الهيثم بن خلف ومحمد بن أبي الأزهر النحوي وعدة ، قال المروزي : سألت أبا عبد الله عن الإحيطي ؟ فقال : يقال له : حسين أعرفه بالتخليط ، وذكر أنه دخل في أمر السلطان ، ينظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال : (٢ / ٢٩٤) ، ابن العجمي ، الكشف الحثيث ، تحقيق : صبحي السامرائي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) : (٩٩) ، ابن حجر ، لسان الميزان : (٢ / ٢١٨) .

^{١٥٨} لم أقف على ترجمته .

^{١٥٩} ينظر : الحديث رقم (٤٥) .

^{١٦٠} ينظر : الحديث رقم (٣) .

كلوا مما في الأرض حلالا طيبا] ، فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ؟ فقال : يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به (١٦١) .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره بذلك : يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد فطيبته لكم مما تحرمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرمه عليكم دون ما حرّمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجسته من ميتة ودم ولحم خنزير وما أهل به لغيري ودعوا خطوات الشيطان الذي يوبقكم فيهلككم ويوردكم موارد العطب ويحرم عليكم أموالكم فلا تتبعوها ولا تعملوا بها ، إنه يعني بقوله : [إنه] ، إن الشيطان ، والهاء في قوله : [إنه] عائدة على الشيطان ، لكم أيها الناس عدو مبين ، يعني : أنه قد أبان لكم عداوته بإبائه عن السجود لأبيكم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة واستزله بالخطيئة وأكل من الشجرة ، يقول تعالى ذكره : فلا تنتصحوه أيها الناس مع إبانته لكم العداوة ودعوا ما يأمركم به والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه مما أحللته لكم وحرّمته عليكم دون ما حرّمتموه أنتم على أنفسكم وحللتتموه طاعة منكم للشيطان واتباعا لأمره) (١٦٢) ، وقال ابن كثير : (لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه المستقل بالخلق ؛ شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه ، فذكر في مقام الإمتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالا من الله طيبا ، أي : مستطابا غير ضار للأبدان ولا للعقول ، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان ، وهي : طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينة لهم في جاهليتهم) (١٦٣) ، فقد جاءت الآية الكريمة تبين الأكل الحرام من عدمه ، ففي الآية إخبار عن الأكل الحلال دون الحرام وأن كل ما أحله الله تعالى يؤكل وأن الشيطان لا يأمر إلا بالحرام وما لا يجوز على بني البشر ، وقد بينت الآية أن الشيطان للأنسان عدو مبين ، وقال ابن رجب الحنبلي : (فأكل الحرام وشربه وليسه والتغذي به سبب موجب لعدم إجابة الدعاء) (١٦٤) .

وقد أخرج الحديث : الطبراني (١٦٥) ، وابن رجب الحنبلي (١٦٦) ، والهيثمي (١٦٧) ، قال الطبراني : (لا يروى هذا الحديث عن ابن جريج إلا بهذا الإسناد تفرد به الأحتياطي) (١٦٨) ، وقال الهيثمي : (رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، وفيه من لم أعرفهم) (١٦٩) .

^{١٦١} ابن كثير ، التفسير : (٢٠٤ / ١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤٠٣ / ١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١٦٨ / ١) .

^{١٦٢} الطبري ، التفسير : (٧٦ / ٢) .

^{١٦٣} ابن كثير ، التفسير : (٢٠٤ / ١) .

^{١٦٤} ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم : (١٠٧) .

^{١٦٥} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣١١ / ٦) .

^{١٦٦} ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم : (١٠٠) .

^{١٦٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٩١ / ١٠) .

^{١٦٨} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣١١ / ٦) .

^{١٦٩} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٩١ / ١٠) .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادًا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] آية : ١٧٣

(٥٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحلت لنا ميتتان ودمان ؛ السمك والجراد والكبد والطحال)^{١٧٠} .

يعني تعالى ذكره بذلك : لا تحرموا على أنفسكم ما لم أحرمه عليكم أيها المؤمنون بالله وبرسوله من البحائر والسوائب ونحو ذلك ؛ بل كلوا ذلك فإني لم أحرم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغيري ، فإني لم أحرمها في حالة الأضرار ، ومعنى قوله إنما حرم عليكم الميتة : ما حرم عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله^{١٧١} ، قال الطبري : (وأما قوله : [وما أهل به لغير الله] ، فإنه يعني به : وما ذبح للآلهة والأوثان ، يسمى عليه بغير اسمه أو قصد به غيره من الأصنام ، وإنما قيل : وما أهل به ؛ لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قربوه لآلهتهم سمو اسم آلهتهم التي قربوا ذلك لها وجهروا بذلك أصواتهم ، فجرى ذلك من أمرهم على ذلك حتى قيل : لكل ذابح يسمي أو لم يسم الرجعة بالتسمية أو لم يجهر مهل فرفعهم أصواتهم بذلك هو الإهلال الذي ذكره الله تعالى ، فقال : [وما أهل به لغير الله]^{١٧٢} ، وقد قال تعالى في الآية الكريمة : [إنما] ، وإنما كلمة موضوعة للحصر تتضمن النفي والإثبات ، فثبت ما تناوله الخطاب وتنفي ما عداه ، وقد حصرت ها هنا التحريم ولا سيما وقد جاءت عقيب التحليل في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم] ، فأفادت الإباحة على الإطلاق ثم عقبها بذكر المحرم بكلمة إنما الحاصرة^{١٧٣} ، وفي الحديث قوله : (أحلت لنا ميتتان ودمان) ، (أي : بعد تحريمهما الذي دلت عليه الآيات ، فأما الميتتان فالجراد ، أي : ميتة ، والحوث ، أي : ميتة ، وأما الدمان فالكبد والطحال بزنة كتاب والحديث يدل على حل ميتة الجراد على أي حال وجدت فلا يعتبر في الجراد شيء سواء مات حتف كلاهما أو بسبب ، والحديث حجة على من اشترط موتها بسبب عادي أو فتكون في رأسها وإلا حرمت ، وكذلك يدل على حل ميتة الحوث على أي صفة وجد طافيا كان أو غيره لهذا الحديث وحديث الحل ميتته)^{١٧٤} .

وقد أخرج الحديث : الإمام الشافعي^{١٧٥} ، والإمام أحمد^{١٧٦} ، وعبد بن حميد^{١٧٧} ، وابن ماجه^{١٧٨} ، والبيهقي^{١٧٩} ، والحديث بهذا الإسناد فيه ضعف ، قال الكناني : (هذا إسناد ضعيف ، عبد الرحمن هذا قال فيه

^{١٧٠} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٠٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٦٩) .

^{١٧١} ينظر : الطبري ، التفسير : (٢ / ٨٤) .

^{١٧٢} الطبري ، التفسير : (٢ / ٨٥) .

^{١٧٣} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ٢١٦) .

^{١٧٤} الصنعاني ، سبل السلام ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٣٧٩) : (١ / ٢٥ - ٢٦) .

^{١٧٥} الإمام الشافعي ، المسند ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (٣٤٠) .

^{١٧٦} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٩٧) .

^{١٧٧} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٢٦٠) .

أبو عبد الله الحاكم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة ، وقال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه ، قلت : لكن لم ينفرد به عبد الرحمن بن زيد عن أبيه فقد تابعه عليه سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر ، وقد رفعه أولاد زيد بن أسلم عن أبيهم وهم كلهم ضعفاء جرحهم ابن معين ^{١٨٠} ، وقال الصنعاني : (أخرج أحمد وابن ماجه ، وفيه ضعف ؛ لأنه رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر ، قال أحمد : حديثه منكر ، وصح أنه موقوف كما قال أبو زرعة وأبو حاتم) ^{١٨١} ، وقد أخرج البيهقي الحديث موقوفاً على ابن عمر قال : (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو الحسن علي بن محمد السبيعي في آخرين قالوا : أنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، أنا الربيع بن سليمان ، ثنا ابن وهب ، ثنا سليمان بن بلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر أنه قال : أحلت لنا ميتتان ودمان ، الجراد والحيتان والكبد والطحال ، هذا إسناد صحيح وهو في معنى المسند) ^{١٨٢} ، وقد جاء الحديث يستثني بعض الميتة وبعض الدم من التحريم الذي جاءت الآية الكريمة به .

ما جاء في قوله تعالى : [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون] آية : ١٧٧

(٥٧) (أخرج ابن مردويه : عن القاسم بن عبد الرحمن ^{١٨٣} قال : جاء رجل إلى أبي ذر فقال : ما الإيمان ؟ فتلا عليه هذه الآية : [ليس البر أن تولوا وجوهكم] ، حتى فرغ منها ، فقال الرجل : ليس عن البر سألتك ، فقال أبو ذر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتني فقرأ عليه هذه الآية فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادن ، فدنا فقال : المؤمن إذا عمل الحسنة سرته رجاء ثوابها وإذا عمل السيئة أحزنته وخاف عقابه) ^{١٨٤} .

اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة ، فان الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة ، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين ، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك ، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتنال أوامره

^{١٧٨} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١١٠٢) .

^{١٧٩} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٢٥٧) .

^{١٨٠} الكناي ، مصدر سابق : (٤ / ٢١) .

^{١٨١} الصنعاني ، مصدر سابق : (١ / ٢٥) .

^{١٨٢} البيهقي ، السنن الكبرى : (١ / ٢٥٤) .

^{١٨٣} القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الشامي مولى عبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن معاوية ، روى عن علي مرسلًا وابن مسعود مرسلًا وعائشة مرسلًا وروى عن أبي امامة روى عنه يحيى بن الحارث الذماري وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر والعلاء بن الحارث وكثير بن الحارث ، قال إبراهيم بن الحصين : كان القاسم بن عبد الرحمن من فقهاء أهل دمشق ، ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ١١٣) ، الذهبي ، المقتنى : (١ / ٣٦٦) .

^{١٨٤} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤١١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٧٣) .

والتوجه حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل ، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ، ولهذا قال : [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر] ، الآية ، كما قال في الأضاحي والهدايا : [لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم]^{١٨٥} ، ففي الحديث بيان على أن الإيمان بعمل الحسنات ورجاء ثوابها واجتناب عمل السيئات والخوف من العقاب الذي يترتب على فعلها .

وقد أخرج الحديث : أبو عبد الله المروزي^{١٨٦} ، والربيع بن حبيب^{١٨٧} ، والحاكم^{١٨٨} ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه)^{١٨٩} .

(٥٨) (أخرج ابن مردويه : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ، جاءه رجل يمشي حسن الشعر عليه ثياب بياض ، فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر ، ثم قال : يا رسول الله أتيتك ؟ قال : نعم ، فجاءه فوضع ركبتيه عند ركبتيه وبديه على فخذه ، فقال : ما الإسلام ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، قال : فما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين والجنة والنار والبعث بعد الموت والقدر كله ، قال : فما الإحسان ؟ قال : أن تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ، قال : فمتى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ! قال : فما أشراتها ؟ قال : إذا العراة الحفاة العالة رعاء الشاء تطاولوا في البنيان وولدت الإماء أربابهن ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بالرجل ، فطلبوه فلم يروا شيئاً ، فمكث يومين أو ثلاثة ثم قال : يا ابن الخطاب أتدري من السائل كذا وكذا ؟ قال : الله ورسوله أعلم ! قال : ذاك جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم)^{١٩٠} .

وفي الحديث إشارة إلى الإيمان وهو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر من الله تعالى .
وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٩١} ، وابن ماجه^{١٩٢} ، وابن خزيمة^{١٩٣} ، وابن حبان^{١٩٤} ، والدارقطني^{١٩٥} ، منده^{١٩٦} ، والبيهقي^{١٩٧} ، والهيثمي^{١٩٨} .

^{١٨٥} ينظر : ابن كثير ، التفسير : (١ / ٢٠٨) .

^{١٨٦} أبو عبد الله المروزي ، تعظيم قدر الصلاة ، تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة (١٤٠٦ هـ) : (١ / ٤١٦) .

^{١٨٧} الربيع بن حبيب ، المسند ، تحقيق : محمد إدريس ، وعاشور بن يوسف ، دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة ، بيروت ، سلطنة عمان (١٤١٥ هـ) : (٢٩٦) .

• (

^{١٨٨} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٩٩) .

^{١٨٩} المصدر السابق : (٢ / ٢٩٩) .

^{١٩٠} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤١٢) .

^{١٩١} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٢٧) .

^{١٩٢} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٢٤) .

^{١٩٣} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (١ / ٣) .

^{١٩٤} ابن حبان ، الصحيح : (١ / ٣٩٨) .

^{١٩٥} الدارقطني ، السنن : (٢ / ٢٨٢) .

(٥٩) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : إننا لجلوس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في مجلسه محتب ، إذ أقبل رجل من أحسن الناس وجهها وأطيب الناس ريحها وأنقى الناس ثوبا ، فقال : يا محمد ما الإسلام ؟ قال : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان ، قال : فإذا فعلت هذا فقد أسلمت ؟ قال : نعم قال : صدقت ، فقال : يا محمد أخبرني ما الإيمان ؟ قال : الإيمان بالله وملائكته وكتبه والنبيين وتؤمن بالقدر كله ، قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال : نعم ، قال : صدقت)^{١٩٩} .

في الحديث أيضاً الحديث عن الإيمان وعن أركانه ، فناسب ذكر الحديث هنا •
وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٢٠٠} ، والبخاري^{٢٠١} ، ومسلم^{٢٠٢} ، والنسائي^{٢٠٣} ، وابن ماجه^{٢٠٤} ، وابن خزيمة^{٢٠٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءً إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم] آية : ١٧٨

(٦٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي مالك^{٢٠٦} قال : كان بين حيين من الأنصار قتال ، كان لأحدهما على الآخر الطول ، فكأنهم طلبوا الفضل ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم ، فنزلت الآية : [الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى])^{٢٠٧} .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره بقوله : [كتب عليكم القصاص في القتلى] ، فرض عليكم ، فإن قال قائل : أفرض على ولي القتل القصاص من قاتل وليه ، قيل : لا ولكنه مباح له ذلك والعفو وأخذ الدية ، فإن قال قائل

^{١٩٦} ابن منده ، مصدر سابق : (١ / ١٢٢) .

^{١٩٧} البيهقي ، السنن الكبرى : (٤ / ٣٢٤) .

^{١٩٨} الهيثمي ، موارد الظمان : (٣٥) .

^{١٩٩} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤١٣) .

^{٢٠٠} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٤٢٦) .

^{٢٠١} البخاري ، الصحيح : (١ / ٢٧) ، (٤ / ١٧٩٣) .

^{٢٠٢} مسلم ، الصحيح : (١ / ٣٩ - ٤٠) .

^{٢٠٣} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٥٢٨) .

^{٢٠٤} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٢٥) .

^{٢٠٥} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٤ / ٥) .

^{٢٠٦} أبو مالك الأشجعي سعد بن طارق بن أشيم كوفي ، صدوق ، روى عن أبيه وعبد الله بن أبي أوفى وأنس بن مالك وموسى بن طلحة وأبي حازم الأشجعي وربيعي بن حراش ، وعنه الثوري وأبو عوانة وحفص بن غياث وخلف بن خليفة وأبو معاوية ويزيد بن هارون وعبيدة بن حميد وعدة ، قال أبو حاتم : صالح الحديث يكتب حديثه ، وقال الأثرم : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل أبو مالك الأشجعي كيف هو ؟ قال : هو ثقة ، قال يحيى بن معين : أبو مالك الأشجعي ثقة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٤٠ / ٥٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ٨٦) .

^{٢٠٧} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤١٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٧٦) .

: وكيف قال : كتب عليكم القصاص ؟ قيل : إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبت إليه وإنما معناه : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، أي : أن الحر إذا قتل الحر فدم القاتل كفاء لدم القتيل والقصاص منه دون غيره من الناس فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل فإنه حرام عليكم أن تقتلوا غير قاتله ، والفرض الذي فرض الله علينا في القصاص هو ما وصفت من ترك المجاوزة بالقصاص قتل القاتل بقتيله إلى غيره لا أنه وجب علينا القصاص فرضاً ، وجوب فرض الصلاة والصيام حتى لا يكون لنا تركه ولو كان ذلك فرضاً لا يجوز لنا تركه لم يكن لقوله : [فمن عفي له من أخيه شيء] معنى مفهوم لأنه لا عفو بعد القصاص فيقال : [فمن عفي له من أخيه شيء] ، وقد قيل : إن معنى القصاص في هذه الآية هو مقاصة ديّات بعض القتلى بديّات بعض^{٢٠٨} ، لقد كانت عادات الجاهلية عاداتٍ ممقوتةً ، كانوا إذا وجدوا في أنفسهم قوةً ومنعةً أخذوا بالقتيل العبد السيد وبالوضيع الشريف وبالمراة الرجل ، وكانوا لا يبالون في الأثم بالقتل والأعتداء على الغير ، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة لتكون لهم حكماً في مثل هذه المواقف ، و قال قتادة : كان أهل الجاهلية فيهم بغي وطاعة للشيطان ، فكان الحي فيهم إذا كان فيهم عدد وعدة فقتل لهم عبد قتله عبد قوم آخرين قالوا : لا نقتل به إلا حراً تعززا وتفضلاً على غيرهم في أنفسهم ، وإذا قتلت لهم أنثى قتلتها امرأة قالوا : لن نقتل بها إلا رجلاً ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ، يخبرهم أن العبد بالعبد والحر بالحر والأنثى بالأنثى ونهاهم عن البغي ، ثم أنزل سورة المائدة فقال : [وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس] ، فتكون العين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص^{٢٠٩} .

وقد أخرج الحديث الطبري في تفسيره^{٢١٠} ، ولم أقف على تخريج للحديث غير تخريج الطبري هذا .

ما جاء في قوله تعالى : [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيامٍ أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون] آية : ١٨٥

^{٢٠٨} الطبري ، التفسير : (٢ / ١٠٢) .

^{٢٠٩} البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٢٥) .

^{٢١٠} الطبري ، التفسير : (٢ / ١٠٤) .

(٦١) (أخرج ابن مردويه : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما سمي رمضان ؛ لأن رمضان يرمض الذنوب) ^{٢١١} .

في الحديث : (رمضان) وهو من : (الرَّمَضُ والرَّمْضَاءُ : شِدَّةُ الحَرِّ ، والرَّمَضُ : حَرُّ الحِجَارَةِ من شِدَّةِ حَرِّ الشمس ، وقيل : هو الحَرُّ والرُّجُوعُ عن المَبَادِي إلى المَحَاضِرِ ، وأَرْضُ رَمِضَةَ الحِجَارَةِ ، و الرَّمَضُ : شِدَّةُ وَقَعِ الشمس على الرمل وغيره ، والأَرْضُ رَمِضَاءُ ، وأَرَمَضَ الحَرُّ القَوْمَ : اشتدَّ عليهم ، و الرَّمَضُ : مصدر قولك : رَمِضَ الرجلُ يَرَمِضُ رَمِضًا إذا احترقت قدماه في شدة و أَرَمَضَ الحَرُّ القَوْمَ : اشتدَّ عليهم . و الرَّمَضُ : مصدر قولك رَمِضَ الرجلُ يَرَمِضُ رَمِضًا إذا احترقت قدماه في شدة الحر ، وأَرَمَضْتَنِي الرَّمِضَاءُ ، أي : أحرقتني ، يقال : أَرَمَضَنِي ، أي : أوجعتني ، وارْتَمَضَ الرجلُ من كذا ، أي : اشتدَّ عليه وأقلَّقه ، والرَّمِضِيُّ من السحاب والمطر : ما كان في آخر القَيْظِ وأَوَّلِ الخَرِيفِ ، فالسحابُ رَمِضِيٌّ والمطرُ رَمِضِيٌّ وإنما سمي رَمِضِيًّا لأنه يدرك سُخُونَةَ الشمس وحرَّها ، والرَّمَضُ : المطرُ يَأْتِي قُبُلَ الخَرِيفِ فيجد الأرضَ حارَّةً محترقةً ، ورمضانُ : من أسماء الشهور معروف ، والجمع رَمَضَانَاتٌ ورَمَاضِينُ وأَرَمِضَاءُ وأَرَمِضَةٌ وأَرَمِضُ ، عن بعض أهل اللغة ، وليس بَثَبَت ، قال ابن دريد : لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي هي فيها فوافقَ رمضانُ أيامَ رَمِضِ الحَرِّ وشِدَّتِهِ فسُمِّيَ به ، وقال الفراء : وشهر رمضان مأخوذ من رَمِضَ الصائمُ يَرَمِضُ إذا حَرَّ جَوْفُهُ من شِدَّةِ العَطَشِ) ^{٢١٢} ، وقال ابن الأثير : (سُمِّيَ رَمِضَانُ ؛ لأنهم لَمَّا نَقَلُوا أسماءَ الشهور عن اللغة القديمة سَمَّوْها بالأزمنة التي وَقَعَتْ فيها ، فوافقَ هذا الشهر أيامَ شِدَّةِ الحَرِّ ورَمِضِهِ) ^{٢١٣} ، وقيل : (رمض الرَّمِضَاءُ : نحو البَغْضَاءِ والفَحْشَاءِ ، وهى شِدَّةُ حَرِّ الأَرْضِ من وَقَعِ الشمس ، وقد رَمِضَتِ الأَرْضُ والحِجَارَةُ رَمِضًا ، وأَرْضُ رَمِضَةَ الحَصَى) ^{٢١٤} ، وقيل : (الرَّمَضُ بفتح الحاء : شِدَّةُ وَقَعِ الشمس على الرمل وغيره ، والأَرْضُ رَمِضَاءُ بوزن حمراء ، وقد رَمِضَ يومنا اشتد حره ، وأَرْضُ رَمِضَةَ الحِجَارَةِ ، ورَمِضَتُ قدمه أيضا من الرمضاء ، أي : احترقت) ^{٢١٥} ، وقد اختلف السلف هل فرض على الناس صيام قبل رمضان أو لا ؛ فالجمهور وهو المشهور ثم الشافعية أنه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان وفي وجهه ، وهو قول الحنفية : أول ما فرض صيام عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ ، فمن أدلة الشافعية حديث معاوية مرفوعا : لم يكتب الله عليكم صيامه ، ومن أدلة الحنفية ظاهر حديثي ابن عمر وعائشة المذكورين بلفظ الأمر بالصيام ^{٢١٦} ، وصيام شهر رمضان فرض على المسلمين ففي الحديث عن (أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوني ، فهابوه أن يسألوه ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : لا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، قال : صدقت) ^{٢١٧} الحديث ،

^{٢١١} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٤٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٨٣) .

^{٢١٢} ابن منظور ، مصدر سابق : (٧ / ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢) .

^{٢١٣} ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٢ / ٢٦٤) .

^{٢١٤} الزمخشري ، مصدر سابق : (٢ / ٨٦) .

^{٢١٥} الرازي ، مصدر سابق : (٢٥٦) .

^{٢١٦} ابن حجر ، فتح الباري : (٤ / ١٠٣) .

^{٢١٧} مسلم ، الصحيح : (١ / ٤٠) .

وعن (أنس بن مالك قال : نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية ، فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال : صدق ، قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله ، قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله ، قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آله أرسلك ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟ قال : صدق ، قال : آله أرسلك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : صدق ، قال : آله أرسلك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا ؟ قال : صدق)^{٢١٨} الحديث ، وإنما قال : (يرمض الذنوب) ، ليشير إلى رمضان ومعناه الذي كان قد وضع له ، قال المناوي : (إنما سمي رمضان ؛ لأنه يرمض الذنوب ، أي : يحرقها ويذيبها لما يقع فيه من العبادة)^{٢١٩} .

وقد أخرج الحديث : الديلمي^{٢٢٠} ، ولم يخرج غيره فيما وقفت عليه .

(٦٢) (أخرج ابن مردويه : عن أبي مسعود الأنصاري^{٢٢١} قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وقد أهل رمضان فقال : لو يعلم العباد ما رمضان لتمنت أمتي أن يكون السنة كلها ، فقال رجل : يا نبي الله حدثنا ، فقال : إن الجنة لتتزين لرمضان من رأس الحول إلى الحول ، فإذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفت ورق الجنة فتنظر الحور العين إلى ذلك ، فيقلن : يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجا تقرر بهم أعيننا وتقر أعينهم بنا ؟ فيقال : فما من عبد يصوم يوما من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مما نعت الله : [حور مقصورات في الخيام] على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون أخرى ، ويعطى سبعين لونا من الطيب ليس منه لون على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيفة صحيفة من ذهب فيها لون طعام يجد لآخر لقمة منها لذة لم يجدها لأوله ، لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوتة حمراء على كل سرير سبعون فراشا بطائنها من استبرق فوق كل فراش سبعون أريكة ، ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر موشحا بالدر عليه سواران من ذهب ، هذا بكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات)^{٢٢٢} .

^{٢١٨} المصدر السابق : (١ / ٤١) .

^{٢١٩} المناوي ، مصدر سابق : (٣ / ٢) .

^{٢٢٠} الديلمي ، مصدر سابق : (٢ / ٦٠) .

^{٢٢١} (عقبه بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن خدادة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري أبو مسعود البدري ، مشهور بكنيته ، أتفقوا على أنه شهد العقبة ، وأختلفوا في شهوده بدرًا ، فقال الأكثر : نزلها فنسب إليها ، مات قبل سنة أربعين ، وقال المدائني : مات سنة أربعين ، والصحيح أنه مات بعدها ؛ فقد ثبت أنه أدرك إمارة المغيرة على الكوفة وذلك بعد سنة أربعين قطعًا ، وقيل : مات بالكوفة ، وقيل : مات بالمدينة) ، ابن حجر ، الإصابة : (٤ / ٥٢٤) .

^{٢٢٢} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٥٠) .

في الحديث بيان ما لرمضان من فضلٍ عظيم وما أعدّه الله تعالى لعباده فيه من خير كثير ، وأن الجنة لتتزين في شهر رمضان للصائمين ، وأن العباد لو علموا ما في رمضان لتمنوا أن يكون الدهر كله رمضان لما فيه من خير ونعيم أعدّه الله عز وجل للصائمين فيه ، ففيه يغفر الله تعالى الذنوب ، (عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنب)^{٢٢٣} ، وقد ميز الله تعالى الصائمين يوم القيامة ؛ فهم يدخلون من باب الريان الذي لا يدخل منه إلى الجنة إلا الصائمون ففي الحديث (عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة باباً يقال له : الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)^{٢٢٤} ، وهو ، أي الصيام يكفر الذنوب كما مر وفي الحديث (عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ، ما ينبغي أن يتحفظ كفر ما قبله)^{٢٢٥} ، وأن الله تعالى هو الذي يحاسب على الصوم لأنه له ففي الحديث (عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)^{٢٢٦} ، قال ابن حجر : (قوله : إلا الصيام ، مستثنى من محكي دل عليه ما قبله ، والمعنى : أن الحسنات يضاعف جزاؤها من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر ، بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى ، ولذلك يتولى الله جزاءه بنفسه ولا يكله إلى غيره ، والسبب في اختصاص الصوم بهذه المزية أمران ، أحدهما : أن سائر العبادات مما يطلع العباد عليه والصوم سر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصاً ويعامله به طالباً لرضاه وإلى ذلك الإشارة بقوله : فإنه لي ، والآخر : أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال للبدن والصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان وفيه الصبر على مضمض الجوع والعطش وترك الشهوات)^{٢٢٧} ، وقد أخرج الحديث : ابن خزيمة^{٢٢٨} ، والبيهقي^{٢٢٩} ، وقال البيهقي : (قال الإمام أحمد : ورواه ابن خزيمة في كتابه من وجهين ، عن جرير ، ومن حديث سلم بن قتيبة عن جرير ، إلا أنه عن نافع بن سوادة الهمداني عن رجل من غفار ، ثم قال : وفي القلب من جرير بن أيوب ، قلت : وجرير بن أيوب ضعيف عند أهل النقل ، ورواه أيضاً عبد الله بن رجاء عن جرير بن أيوب ، إلا أنه لم يقل الغفاري)^{٢٣٠} .

^{٢٢٣} البخاري ، الصحيح : (١ / ٢٢) .

^{٢٢٤} المصدر السابق : (٢ / ٦٧١) .

^{٢٢٥} ابن حبان ، الصحيح : (٨ / ٢١٩) .

^{٢٢٦} البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢٢١٥) .

^{٢٢٧} ابن حجر ، فتح الباري : (٤ / ١١٠) .

^{٢٢٨} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٣ / ١٩٠) .

^{٢٢٩} البيهقي ، شعب الإيمان : (٣ / ٣١٣) .

^{٢٣٠} المصدر السابق : (٣ / ٣١٣) .

(٦٣) (أخرج ابن مردويه : عن جابر بن عبد الله قال : أنزل الله صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزل التوراة على موسى لست خلون من رمضان ، وأنزل الزبور على داود لاثنتي عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الإنجيل على عيسى لثمانية عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين خلت من رمضان)^{٢٣١} .

في الحديث بيان ذكر للكتب التي أنزلها الله تعالى في شهر رمضان ، حيث أن هذا الشهر كما تقدم شهرٌ عظيم ، فلذلك أنزل الله تعالى كتبه فيه ، وقد فصل الراوي أوقات نزول تلك الكتب فيه وحدد الأيام التي نزل فيها كل كتاب ، ثم إن هناك فرقاً بين نزول الكتب السماوية وبين نزول القرآن الكريم ، وذلك أن الكتب السماوية كانت قد نزلت جملةً واحدة فيما كان نزول القرآن منجماً بحسب الوقائع والمناسبات ، وما يدل على أن نزول الكتب السماوية الأخرى كان جملةً واحدة قوله تعالى : [وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جُملةً واحدةً كذلك لَنُثِبَتْ به فؤادك ورتلناه ترتيلاً]^{٢٣٢} ، فهذه الآية دليلٌ على أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملةً واحدة وهو ما عليه جمهور العلماء ، ولو كان نزولها منجماً لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن منجماً ، فمعنى قولهم : [لولا نُزِّلَ عليه القرآن جُملةً واحدةً] ، هلا نُزِّلَ عليه القرآن دفعةً واحدة كسائر الكتب ، ولم يرد عليهم لأنها سنته في إنزال الكتب السماوية كلها^{٢٣٣} ، ويجب أن يُعلم أن نزول القرآن منجماً إنما كان لأسباب ، منها : تفخيم أمره وأمر من نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ، ومنها : تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ، ومنها : تشريفه للمنزل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنها : تثبيت فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنها : تسلية النبي عليه الصلاة والسلام وتسلية أتباعه المؤمنين به على ما يحل بهم من الكفار من تعذيب وترهيب ليكفروا بدين الله تعالى ، وهكذا كانت تنزل الآيات متتابعة لآية أثر آية لتسلي النبي عليه الصلاة والسلام وأتباعه رضوان الله عليهم^{٢٣٤} ، فناسب ذكر الحديث هنا ، وقد أخرج الحديث : أبو يعلى^{٢٣٥} ، والهيثمي^{٢٣٦} ، قال الهيثمي : (رواه أبو يعلى ، وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف)^{٢٣٧} . ما جاء في قوله تعالى : [وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون] آية : ١٨٦

^{٢٣١} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٢١٧) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٥٦) .

^{٢٣٢} الفرقان : ٣٢ .

^{٢٣٣} ينظر : مناع القطان ، مصدر سابق : (١٠٦) .

^{٢٣٤} ينظر : السيوطي ، الأتقان : (١ / ٣٩) ، وما بعدها .

^{٢٣٥} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٤ / ١٣٥) .

^{٢٣٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ١٩٧) .

^{٢٣٧} المصدر السابق : (١ / ١٩٧) .

(٦٤) (أخرج ابن مردويه : عن أبي موسى الأشعري قال : كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا فقال : يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً ، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) ٢٣٨ .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره بذلك : وإذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا ؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم وأجيب دعوة الداعي منهم) ٢٣٩ ، وقال القرطبي : (قوله تعالى : [وإذا سألك] ، المعنى : وإذا سألك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويوجب الداعي ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك ، وقوله تعالى : [فإني قريب] ، أي : بالإجابة ، وقيل : بالعلم ، وقيل : قريب من أوليائي بالإفضال والإنعام ، وقوله تعالى : [أجيب دعوة الداع إذا دعان] ، أي : أقبل عبادة من عبدني ؛ فالدعاء بمعنى العبادة ، والإجابة بمعنى القبول) ٢٤٠ ، وفي الحديث قوله : (أربعوا على أنفسكم) ، و (اربّع على نفسك ربّعاً ، أي : كُفَّ وارثُك ، واربّع عليك ، و اربّع على ظلعك كذلك معناه : انتظر) ٢٤١ ، والغزوة التي كانت هي غزوة خيبر ففي الحديث الذي عند البخاري (عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم ، وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال لي : يا عبد الله ابن قيس ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة ؟ قلت : بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله) ٢٤٢ .

٢٣٨ السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٧٠) .

٢٣٩ الطبري ، التفسير : (٢ / ١٥٨) .

٢٤٠ القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٠٨) .

٢٤١ ابن منظور ، مصدر سابق : (٨ / ١١٠) .

٢٤٢ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٥٤١) .

وقد أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٢٤٣} ، والإمام أحمد^{٢٤٤} ، وعبد بن حميد^{٢٤٥} ، والبخاري^{٢٤٦} ، ومسلم^{٢٤٧} ، والنسائي^{٢٤٨} .

(٦٥) (أخرج ابن مردويه : عن نافع بن معد يكرب^{٢٤٩} قال : كنت أنا وعائشة ، فقالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : [أجب دعوة الداع إذا دعان] ، قال : يا رب مسألة عائشة فهبط جبريل ، فقال : الله يقرئك السلام ، هذا عبدي الصالح بالنية الصادقة وقلبه تقي يقول : يا رب ، فأقول : لبيك فأقضي حاجته)^{٢٥٠} .

في الحديث الإشارة إلى قوله تعالى : [أجب دعوة الداع إذا دعان] ، وأن العبد الصالح إذا نادى ربه الدعاء استجاب الله تعالى له ؛ ويجب أن يعلم أن الدعاء له أوقات وله آداب ، قال ابن حجر : (ومن جملة آداب الدعاء تحري الأوقات الفاضلة كالسجود وعند الأذان ومنها تقديم الوضوء والصلاة واستقبال القبلة ورفع اليدين وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب والإخلاص ، وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسؤال بالأسماء الحسنى وأدلة ذلك كثيرة ، وقال الكرمانى ما ملخصه : (الذي يتصور في الإجابة وعدمها أربع صور ، الأولى : عدم العجلة وعدم القول المذكور ، الثانية : وجودهما ، الثالثة والرابعة : عدم أحدهما ووجود الآخر ، فدل الخبر على أن الإجابة تختص بالصورة الأولى دون الثلاث)^{٢٥١} ، وهذا ما يقتضيه الدعاء المستجاب ، وقال المناوي : (قدم إجابته لنا إذا دعونا على إجابتنا له إذا دعانا ، وجعل الاستجابة من العبد لأنها أبلغ من الإجابة ؛ لأنه سبحانه لا مانع له من الإجابة فلا فائدة للتأكيد ، وللإنسان موانع منها الهوى والنفس والشيطان والدنيا فلذلك أمر بالاستجابة فإن الإستفعال أشد في المبالغة من الإفعال ، وأين الإستخراج من الإخراج ، ولهذا يطلب الكون من الله العون)^{٢٥٢} ، ولم أقف على تخريج الحديث .

ما جاء في قوله تعالى : [وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين]
آية : ١٩٥

^{٢٤٣} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٢ / ٢٣٢) .

^{٢٤٤} الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ٤٠٢) .

^{٢٤٥} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (١ / ١٩١) .

^{٢٤٦} البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٤٣٧) .

^{٢٤٧} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٠٧٦) .

^{٢٤٨} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٣٩٨) .

^{٢٤٩} لم أقف على ترجمته .

^{٢٥٠} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٢٢٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٤٧٤) .

^{٢٥١} ابن حجر ، فتح الباري : (١١ / ١٤١) .

^{٢٥٢} المناوي ، مصدر سابق : (٤ / ٤٩٨) .

(٦٦) (أخرج ابن مردويه : عن أسلم بن عمران^{٢٥٣} قال : كنا بالقسطنطينية ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر^{٢٥٤} ، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد^{٢٥٥} ، فخرج صف عظيم من الروم فصفنا لهم ، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، إننا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه ، قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع فيها ، فأنزل الله على نبيه يرد علينا ما قلنا : [وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] ، فكانت التهلكة : الإقامة في الأموال ، وإصلاحها ، وتركنا الغزو)^{٢٥٦} .

قال الطبري في تأويل هذه الآية : (اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، ومن عنى بقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فقال بعضهم : عنى بذلك وأنفقوا في سبيل الله وسبيل الله طريقه الذي أمر أن يسلك فيه إلى عدوه من المشركين لجهادهم وحرهم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، يقول : ولا تركوا النفقة في سبيل الله فإن الله يعوضكم منها أجرا ويرزقكم عاجلا ، وقال آخرون : بل معناه أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم فيما أصبتم من الآثام إلى التهلكة فتيأسوا من رحمة الله ولكن ارجوا رحمته واعملوا الخيرات ، وقال آخرون : بل معنى ذلك وأنفقوا في سبيل الله ولا تركوا الجهاد في سبيله ، والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر بالإنفاق في سبيله بقوله : [وأنفقوا في سبيل الله] وسبيله طريقه الذي شرعه لعباده وأوضحه لهم ، ومعنى ذلك وأنفقوا في إعزاز ديني الذي شرعته لكم بجهاد عدوكم الناصبين لكم الحرب على الكفر بي ونهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، فقال : [ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] ، وذلك مثل ، والعرب تقول للمستسلم للأمر : أعطى فلان بيديه ، وكذلك يقال للممكن من نفسه مما أريد به : أعطى بيديه ، فمعنى قوله :

^{٢٥٣} أسلم بن عمران أبو عمران التميمي مولى نجيب ، من جلة التابعين من أهل مصر ، يروى عن عقبة بن عامر روى عنه يزيد بن أبي حبيب ، ينظر ، ابن حبان ، الثقات : (٤ / ٤٦) ، مشاهير علماء الأمصار : (١٢٢) .

^{٢٥٤} (عقبة بن عامر بن عبس الجهني من جهينة بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، أبا حماد ، وقيل : أبا أسيد ، وقيل : أبا عمرو ، وقيل : أبا سعد ، وقيل : أبا الأسود ، وقيل : أبا عمار ، وقيل : أبا عامر ، سكن عقبة بن عامر مصر ، وكان واليا عليها ، وابنتي بها دارا ، وتوفي في آخر خلافة معاوية ، روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وأبو أمامة ومسلمة بن مخلد ، وأما رواة من التابعين فكثير) ابن عبد البر ، الاستيعاب : (٣ / ١٠٧٣ - ١٠٧٤) .

^{٢٥٥} فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن أصرم بن جحججى القاضي الفقيه أبو محمد الأنصاري الأوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيعة الرضوان ، ولي الغزو لمعاوية ، ثم ولي له قضاء دمشق ، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب ، وله عدة أحاديث ، وله عن عمر وعن أبي الدرداء ، حدث عنه حنش الصنعاني وعبد الله بن محرز وعبد الرحمن بن جبير وعمرو بن مالك الجني وعبد العزيز بن أبي الصعبة والقاسم أبو عبد الرحمن وعلي بن رباح وميسرة مولى فضالة وطائفة ، قال الواقدي : شهد فضالة أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الشام فسكنها وكان قاضيا بالشام ، قال ابن معين دفن فضالة بباب الصغير ، وقال المدائني وغيره : مات سنة ثلاث وخمسين ، وقال خليفة : توفي سنة تسع وخمسين ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٧ / ١٢٤) ، ابن زبير الرعي ، مصدر سابق : (١ / ١٥٥) ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار : (٥٢) ، ابن عبد البر ، الاستيعاب : (٣ / ١٢٦٢) ، الذهبي ، السير : (٣ / ١١٣) .

^{٢٥٦} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٥٠٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ١٩٤) .

[ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] ، ولا تستسلموا للهلكة فتعطوها أزمتمكم فتهلكوا ، والتارك النفقة في سبيل الله مستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله ، وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام الصدقات المفروضات الثمانية في سبيله ، فقال : [إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، إلى قوله : وفي سبيل الله وابن السبيل] فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه كان للهلكة مستسلماً ويديه للتهلكة ملقياً ، وكذلك الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه ملق بيديه إلى التهلكة ؛ لأن الله قد نهى عن ذلك ، فقال : [ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون] ، وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم في حال وجوب ذلك عليه في حال حاجة المسلمين إليه مضيع فرضاً ملق بيده إلى التهلكة ، فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله : [ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] ، ولم يكن الله عز وجل خص منها شيئاً دون شيء فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا والاستسلام للهلكة وهي العذاب بترك ما يكره الله منا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه وأن الأمر وإن كان كذلك فإن الأغلب من تأويل الآية : وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله ولا تتركوا النفقة فيها فتهلكوا باستحقاقكم بترككم ذلك عذابي (٢٥٧) ، و قال ابن كثير : (ومضمون الآية : الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات ، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم ، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده ، ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة ، فقال : [وأحسنوا إن الله يحب المحسنين] (٢٥٨) ، فقد جاءت الآية تحث الناس على الإنفاق في سبيل الله عز وجل وفي سبيل دينه وإعزازه ، وفي الآية بيان لمعنى التهلكة و (أن التهلكة في الآية التهلكة في الدين وهي والهلكة واحد قاله أبو عبيد ، يعني : أن ترك الغزو والإنفاق في سبيل الله هلاك ، ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : إذا سمعت الرجل يقول : هلك الناس فهو أهلكهم ، يعني : في الدين ، وقال البراء : ألا إنما التهلكة إن يذنب الرجل الذنب ثم يلقي بيديه ويقول : لا يغفر لي ، وعن ابن عباس في تفسيرها : أنفقوا ولا تمسكوا في سبيل الله فتهلكوا ، وقال : ينفق في سبيل الله وإن لم يكن له إلا مشقص ، يريد : التحذير من الإمساك في قليل المال وكثيره مخافة أن يدخل في الوعيد ، وعنه : ولا يقولن أحدكم إني هالك لا أجد شيئاً إن لم يجد إلا مشقصاً فليجا هدبه في سبيل الله ؛ فعلم أن التهلكة في الآية ليست في لقاء العدو الذي يخشى عليه وانه في فعله مذموم) (٢٥٩) ، وقد كان فتح القسطنطينية نصراً كبيراً للمسلمين ففي الحديث : (عن عبد الله بن بشر الغنوي قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش ، قال عبد الله : فدعاني مسلمة بن عبد الملك فسألني عن هذا الحديث ؟ فحدثته ، فغزا القسطنطينية) (٢٦٠) ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم تواقون لغزو القسطنطينية وفتحها في سبيل الله ، وقد

٢٥٧ الطبري ، التفسير : (٢ / ٢٠٠ - ٢٠٥) .

٢٥٨ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٠) .

٢٥٩ أبو المحاسن الحنفي ، معاصر المختصر ، عالم الكتب ، مكتبة المتنبي ، بيروت ، القاهرة : (١ / ٢١٤) .

٢٦٠ الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٤٦٨) ، وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

غزا المسلمون القسطنطينية المرة تلو المرة وكانت أول تلك الغزوات للقسطنطينية سنة اثنتين وثلاثين في خلافة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فقد جهز السفن ونصب المجانيق عليها وغزا القسطنطينية وكان أمير الجيش إذ ذاك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وتتابع الغزوات بعد للقسطنطينية ، لما في غزوها من الفضل دلت عليه الأحاديث ، ففي الحديث الحرض على الإنفاق في سبيل الله وخاصة فيما يتعلق في محاربة أعداء الدين والجهاد في سبيل الله عز وجل .

وقد أخرج الحديث النسائي^{٢٦١} ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٢٦٢} ، والبيهقي^{٢٦٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعَمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] آية : ١٩٦ .

(٦٧) (أخرج ابن مردويه : عن كعب بن عجرة^{٢٦٤} قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدبية محرمون وقد حصره المشركون ، وكانت لي وفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهي ، فمر عليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيؤذيك هوام رأسك ؟ ، فأمره أن يحلق ، قال : ونزلت هذه الآية : [فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك])^{٢٦٥} .

اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، فقال بعضهم : معنى ذلك أتموا الحج بمناسكته وسننه وأتموا العمرة بحدودها وسننها ، وقال آخرون : تمامهما أن تحرم بهما مفردين من دويرة أهلك ، وقال آخرون : تمام العمرة أن تعمل أشهر الحج وتتمام الحج أن يؤتى بمناسكته كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة ، وقال آخرون : إتمامهما أن تخرج من أهلك لا تريد غيرهما ، وقال آخرون : بل معنى ذلك أتموا الحج والعمرة لله إذا دخلتم فيهما ، فتأويل هؤلاء في قوله تبارك وتعالى : [وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ] ، أنهما فرضان واجبان من الله

^{٢٦١} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢٢٩) .

^{٢٦٢} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٠٢) .

^{٢٦٣} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٤٥) .

^{٢٦٤} (كعب بن عجرة الأنصاري السلمي المدني من أهل بيعة الرضوان ، له عدة أحاديث ، روى عنه بنوه سعد ومحمد وعبد الملك وربيعة وطارق بن شهاب ومحمد بن سيرين وأبو وائل وعبد الله بن معقل وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وآخرون ، حدث بالكوفة وبالبحيرة فيما أرى ، مات سنة اثنتين وخمسين ، قال ابن سعد : هو بلوي من حلفاء الخزرج ، وقال الواقدي : هو من أنفسهم وذكر عن رجاله ، قالوا : استأخر إسلام كعب بن عجرة وكان له صنم يكرمه ويمسحه فكان يدعى إلى الإسلام فيأبى ، وكان عبادة بن الصامت له خليلا وأشرفوا يوما فلما خرج دخل عبادة ومعه قدم فكسره فلما أتى كعب قال : من فعل هذا ؟ قالوا : عبادة فخرج مغضبا ثم فكر في نفسه وأتى عبادة الراوي) الذهبي ، السير : (٣ / ٥٢ - ٥٣) .

^{٢٦٥} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٥١٥) .

تبارك وتعالى أمر بإقامتهما كما أمر بإقامة الصلاة وأنها فريضة وأوجب العمرة وجوب الحج ، وهم عدد كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وقالوا : معنى قوله وأتموا الحج والعمرة لله أقيموا الحج والعمرة ، وقال آخرون ممن قرأ قراءة هؤلاء بنصب العمرة : العمرة تطوع ، ورأوا أنه لا دلالة على وجوبها في نصبهم العمرة في القراءة إذ كان من الأعمال ما قد يلزم العبد عمله وإتمامه بدخوله فيه ولم يكن ابتداء الدخول فيه فرضا عليه وذلك كالحج التطوع لا خلاف بين الجميع فيه أنه إذا أحرم به أن عليه المضي فيه وإتمامه ولم يكن فرضا عليه ابتداء الدخول فيه ، وقالوا : فكذلك فرض واجب الدخول فيها أن على من دخل فيها وأوجبها على نفسه إتمامها بعد الدخول فيها ، قالوا : فليس في أمر الله بإتمام الحج والعمرة دلالة على وجوب فرضها ، قالوا وإنما أوجبنا فرض الحج بقوله عز وجل : [ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا] ، وممن قال ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فأما الذين قرأوا ذلك برفع العمرة فإنهم قالوا : لا وجه لنصبها ؛ فالعمرة إنما هي زيارة البيت ولا يكون مستحقاً اسم الفاء إلا وهو له زائر ، قالوا : وإذا كان لا يستحق اسم الفاء إلا بزيارته وهو متى بلغه فطاف به وبالصفا والمرورة فلا عمل يبقى بعده يؤمر بإتمامه بعد ذلك كما يؤمر بإتمامه الحاج بعد بلوغه والطواف به وبالصفا والمرورة بإتيان عرفة والمزدلفة والوقوف بالمواضع التي أمر بالوقوف بها وعمل سائر أعمال الحج الذي هو من تمامه بعد إتيان البيت لم يكن لقول القائل للمعتمر أتم عمرتك وجه مفهوم وإذا لم يكن له وجه مفهوم ؛ فالصواب من القراءة في العمرة الرفع على أنه من أعمال البر لله فتكون مرفوعة بخبرها الذي بعدها وهو قوله : [لله] ، وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ بنصب العمرة على العطف بها على الحج ، بمعنى : الأمر بإتمامهما ولا معنى لاعتلال من اعتل في رفعها بأن العمرة زيارة البيت متى بلغه فلا عمل بقي عليه يؤمر بإتمامه ، وذلك أنه إذا بلغ البيت فقد انقضت زيارته وبقي عليه تمام العمل الذي أمره الله به في اعتماؤه وزيارته البيت وذلك هو الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمرورة وتجنب ما أمر الله بتجنبه إلى إتمامه ذلك وذلك عمل وإن كان مما لزمه بإيجاب الزيارة على الزيارة ، هذا مع إجماع الحجة على قراءة العمرة بالنصب ومخالفة جميع قراء الأمصار قراءة من قرأ ذلك رفعا ففي ذلك مستغنى عن الاستشهاد على خطأ من قرأ ذلك رفعا ، وأما أولى القولين اللذين ذكرنا بالصواب في تأويل قوله : [والعمرة لله] على قراءة من قرأ ذلك نصبا ، فقول عبد الله بن مسعود ومن قال بقوله من أن معنى ذلك : وأتموا الحج والعمرة لله إلى البيت بعد إيجابكم إياهما لا أن ذلك أمر من الله عز وجل بابتداء عملهما والدخول فيهما وأداء عملهما بتمامه بهذه الآية وذلك أن الآية محتملة للمعنيين اللذين وصفنا من أن يكون أمراً من الله عز وجل بإقامتهما ابتداء وإيجابا منه على العباد فرضهما وأن يكون أمرا منه بإتمامهما بعد الدخول فيهما وبعد إيجاب موجبهما على نفسه فإذا كانت الآية محتملة للمعنيين اللذين وصفنا فلا حجة فيها لأحد صليت على الآخر إلا وللآخر عليه فيها مثلها ، وإذا كان كذلك ولم يكن بإيجاب فرض العمرة خبر عن الحجة للعذر قاطعا وكانت الأمة في وجوبها متنازعة لم يكن لقول قائل هي فرض بغير برهان دال على صحة قوله ، فإن ظن ظان أنها واجبة وجوب الحج وأن تأويل من تأول قوله : [وأتموا الحج والعمرة لله] ، بمعنى : أقيموا حدودهما وفروضهما أولى

من تأويلنا ؛ فإن أولى القراءتين بالصواب في العمرة قراءة من قرأها نصبا ، وإن أولى التأويلين في قوله : [وأتموا الحج والعمرة لله] تأويل ابن عباس الذي قال فيه من أنه أمر من الله بإتمام أعمالهما بعد الدخول فيهما وإيجابهما على ما أمر به من حدودهما وسننهما ، وإن أولى القولين في العمرة بالصواب قول من قال : هي تطوع لا فرض ، وإن معنى الآية : وأتموا أيها المؤمنون الحج والعمرة لله بعد دخولكم فيهما وإيجابكموهما على أنفسكم على ما أمركم الله من حدودهما ، وإنما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية على نبيه عليه الصلاة والسلام في عمرة الحديبية التي صُد فيها عن البيت معرفاً للمؤمنين فيها ما عليهم في إحرامهم إن خُلي بينهم وبين البيت ومبينا لهم فيها ما المخرج لهم من إحرامهم إن أحرموا فصدوا عن البيت وبذكر اللازم لهم من الأعمال في عمرتهم التي اعتمروها عام الحديبية وما يلزمهم فيها بعد ذلك في عمرتهم وحجهم^{٢٦٦} ، وقال ابن كثير : (لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك فأمر بإتمام الحج والعمرة وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما ولهذا قال بعده فإن أحصرتم أي صددتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامهما ولهذا اتفق العلماء على أن الشروع في الحج والعمرة ملزم سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء)^{٢٦٧} ، وقد كانت عُمُرُ النبي صلى الله عليه وسلم أربع عُمُر كلها في ذي القعدة عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست ، وعمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع ، وعمرة الجعرانة في ذي القعدة سنة ثمان ، وعمرته التي مع حجته أحرم بهما معا في ذي القعدة سنة عشر^{٢٦٨} ، و أما قوله تعالى : [فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي] ، فقد اختلف أهل التأويل في الإحصار الذي جعل الله على من ابتلي به في حجه وعمرته ما استيسر من الهدي ، فقال بعضهم : هو كل مانع أو حابس منع المحرم وحبسه عن العمل الذي فرضه الله عليه في إحرامه ووصوله إلى البيت الحرام ، وعلة من قال بهذه المقالة : أن الإحصار معناه في كلام العرب : منع العلة من المرض القهر والغلبة من قاهر أو غالب إلا غلبة علة من مرض أو لدغ أو جراحة أو ذهاب نفقة أو كسر راحلة ، فأما منع العدو وحبس حابس في سجن وغلبة غالب حائل بين المحرم والوصول إلى البيت من سلطان أو إنسان قاهر مانع فإن ذلك إنما تسميه العرب حصرا لا إحصارا ، قالوا : ومما يدل على ذلك قول الله جل ثناؤه : [وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا] ، يعني به : حاصرا ، أي : حابسا ، قالوا : ولو كان حبس القاهر الغالب العلة التي وصفنا يسمى إحصارا لوجب أن يقال : قد أحصر العدو ، قالوا : وفي اجتماع لغات العرب على حوصر العدو والعدو محاصر دون أحصر العدو وهم محصرو وأحصر الرجل بالعلة من المرض والخوف أكبر الدلالة على أن الله جل ثناؤه إنما عنى بقوله : [فإن أحصرتم] ، بمرض أو خوف أو علة مانعة قالوا : وإنما جعلنا حبس العدو ومنعه المحرم من الوصول إلى البيت بمعنى حصر المرض قياسا على ما جعل الله جل ثناؤه من ذلك للمريض الذي منعه المرض من الوصول إلى البيت لا القدرة ظاهر قوله : [فإن أحصرتم فما

^{٢٦٦} ينظر : الطبري ، التفسير : (٢ / ٢٠٦ - ٢١٢) .

^{٢٦٧} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣١) .

^{٢٦٨} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣١) .

استيسر من الهدى] ، إذ كان حبس العدو والسلطان والقاهر علة مانعة نظيرة العلة المانعة من المرض والكسر ، وقال آخرون : معنى قوله : [فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى] ، فإن حبسكم عدو عن الوصول إلى البيت أو حابس قاهر من بني آدم ، قالوا : فأما العلل العارضة في الأبدان كالمرض والجراح وما أشبهها فإنه داخل في قوله : [فإن أحصرتم] قالوا : وأما المريض فإنه إذا لم يطق لمرضه السير حتى فاتته عرفة فإنما هو رجل فاته الحج عليه الخروج من إحرامه بما يخرج به من فاته الحج وليس من معنى المحصر الذي نزلت هذه الآية في شأنه ، وأولى التأويلين بالصواب في قوله : [فإن أحصرتم] ، تأويل من تأوله بمعنى : فإن أحصركم خوف عدو أو مرض أو علة عن الوصول إلى البيت ، أي : صيركم خوفكم أو مرضكم تحضرون أنفسكم فتحبسونها عن النفوذ لما أوجتموه على أنفسكم من عمل الحج والعمرة ، والله أعلم^{٢٦٩} ، وأما قوله تعالى : [فما استيسر من الهدى] قال القرطبي : (ما في موضع رفع ، أي : فالواجب أو فعليكم ما استيسر ، ويحتمل أن يكون في موضع نصب ، أي : فأنحروا أو فأهدوا وما استيسر ، قال جمهور أهل العلم : شاة ، وقال ابن عمر وعائشة وابن الزبير : ما استيسر جمل دون جمل وبقرة دون بقرة لا يكون من غيرهما ، وقال الحسن : أعلى الهدى بدنة وأوسطه بقرة وأخسه شاة ، وفي هذا دليل على ما ذهب إليه مالك من أن المحصر بعدو لا يجب عليه القضاء لقوله : [فما استيسر من الهدى] ، ولم يذكر قضاء والله أعلم ، والهدى لغتان وهو ما يهدي إلى بيت الله من بدنة أو غيرها ، والعرب تقول كم هدى بني فلان أي : كم إبلهم ، وقال أبو بكر : سميت هديا ؛ لأن منها ما يهدى إلى بيت الله فسميت بما يلحق بعضها كما قال تعالى : [فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب] ، أراد : فإن زنى الإمام فعلى الأمة منهن إذا زنت نصف ما على الحرة البكر إذا زنت فذكر الله المحصنات وهو يريد الأبكار ؛ لأن الإحصان يكون في أكثرهن فسمين بأمر يوجد في بعضهن ، والمحصنة من الحرائر هي ذات الزوج يجب عليها الرجم إذا زنت والرجم لا يتبعض فيكون على الأمة نصفه فانكشف بهذا أن المحصنات يراد بهن الأبكار لا أولات الأزواج ، وقال الفراء : أهل الحجاز وبنو أسد يخففون الهدى ، قال : وتميم وسفلى قيس يثقلون ، فيقولون : هدي ، وواحد الهدى هدية ، ويقال في جمع الهدى : أهداء^{٢٧٠} ، وأولى القولين بالصواب قول من قال : [ما استيسر من الهدى] ، شاة ؛ لأن الله جل ثناؤه إنما أوجب ما استيسر من الهدى وذلك على كل ما تيسر للمهدي أن يهديه كائنا ما كان ذلك الذي يهدي إلا أن يكون الله جل ثناؤه خص من ذلك شيئا فيكون ما خص من ذلك خارجا من جملة ما احتمله ظاهر التنزيل ويكون سائر الأشياء غيره مجزئا إذا أهده المهدى بعد أن يستحق اسم هدي^{٢٧١} ، والهدى إنما سمي هديا ؛ لأنه تقرب به إلى الله جل وعز مهديه بمنزلة الهدية يهديها الرجل إلى غيره متقربا بها إليه ، يقال : منه أهديت الهدى إلى بيت الله فأنا أهديه إهداء ، كما يقال في الهدية يهديها الرجل إلى غيره : أهديت إلى فلان هدية وأنا أهديها ،

^{٢٦٩} ينظر : الطبري ، التفسير : (٢ / ٢١٣ - ٢١٥) .

^{٢٧٠} القرطبي ، التفسير : (٢ / ٣٧٨) .

^{٢٧١} ينظر : الطبري ، التفسير : (٢ / ٢١٩) .

ويقال للبدنة هدية^{٢٧٢} ، وأما قوله تعالى : [ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله] ، يعني بذلك جل ثناؤه : فإن أحصرتم فأردتم الإحلال من إحرامكم فعليكم ما استيسر من الهدى ولا تحلوا من إحرامكم إذا أحصرتم حتى يبلغ الهدى الذي أوجبه عليكم لإحلالكم من إحرامكم الذي أحصرتم فيه قبل تمامه وانقضاء مشاعره ومناسكه محله وذلك أن حلق الرأس إحلال من الإحرام الذي كان المحرم قد أوجبه على نفسه فنهاه الله عن الإحلال من إحرامه بحلقة حتى يبلغ الهدى الذي أباح الله له الإحلال جل ثناؤه بإهدائه محله^{٢٧٣} ، ثم اختلف أهل العلم في محل الهدى الذي عناه الله جل اسمه الذي متى بلغه كان للمحصر الإحلال من إحرامه الذي أحصر فيه ، فقال بعضهم : محل هدى المحصر الذي يحل به ويجوز له ببلوغه إياه حلق رأسه إذا كان إحصاره من خوف عدو منعه ذبحه إن كان مما يذبح أو نحره إن كان مما ينحر في الحل ذبح أو نحر أو في الحرم حيث حبس وإن كان خوف عدو فلا يحل حتى يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة وهذا قول من قال : الإحصار إحصار العدو دون غيره ، فأما من أحصر بغير عدو فإنه لا يحل دون البيت ، ثم قال تعالى : [ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله] ، فإن كان أحرم بالحج فمحله يوم النحر وإن كان أحرم بعمرة فمحل هديه إذا أتى البيت ، ومعنى الآية : فإن أحصرتم عن الحج حتى فاتكم فعليكم ما استيسر من الهدى لفوته إياكم ، وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من قال : إن الله عز وجل عنى بقوله : [فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله] كل محصر في إحرام بعمرة كان إحرام المحصر أو بحج وجعل محل هديه الموضع الذي أحصر فيه وجعل له الإحلال من إحرامه ببلوغ هديه محله ، وتأول بالمحل المنحر أو المذبح وذلك حين حل نحره أو ذبحه في حرم كان أو في حل وألزمه قضاء ما حل منه من إحرامه قبل إتمامه إذا وجد إليه سبيلاً وذلك لتواتر الأخبار عن رسول الله أنه صد عام الحديبية عن البيت وهو محرم وأصحابه بعمرة فنحر هو وأصحابه بأمره الهدى وحلوا من إحرامهم قبل وصولهم إلى البيت ثم قضوا إحرامهم الذي حلوا منه في العام الذي بعده ، ولم يدع أحد من أهل العلم بالسير ولا غيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحداً من أصحابه أقام على إحرامه انتظاراً للوصول إلى البيت والإحلال بالطواف به وبالسعي بين الصفا والمروة ولا يخفى وصول هديه إلى الحرم ، فأولى الأفعال أن يقتدى به فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يأت بحظره خبر ولم تقم بالمنع منه حجة^{٢٧٤} ، ثم يأتي بعد الذبح الحلق ؛ فلا يجوز لأحد أن يحلق رأسه حتى ينحر هديه وذلك أن سنة الذبح قبل الحلاق ، والأصل في ذلك قوله تعالى : [ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله] ، وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ فنحر هديه ثم حلق بعد ذلك ، فمن خالف هذا فقدم الحلاق قبل النحر فلا يخلو أن يقدمه خطأ وجهلاً أو عمداً وقصداً ، ولا خلاف على أن حلق الرأس في الحج نسك مندوب إليه في الحج جائز ، قال ابن عبد البر : وقد أجمع العلماء على حبس الشعر

^{٢٧٢} ينظر : المصدر السابق : (٢ / ٢٢٠) .

^{٢٧٣} ينظر : المصدر السابق : (٢ / ٢٢٠) .

^{٢٧٤} ينظر : الطبري ، التفسير : ٢٠ / ٢٢٢ - ٢٢٦) .

وعلى إباحة الحلق وكفى بهذا حجة وبالله التوفيق^{٢٧٥} ، وقد كان نزول هذه الآية في سنة ست ، أي : عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الوصول إلى البيت ، وأنزل الله في ذلك سورة الفتح بكمالها ، وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدى وكان سبعين بدنة وأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحللوا من إحرامهم ، فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحللوا فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج فحلق رأسه ففعل الناس وكان منهم من قصر رأسه ولم يحلقه ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ فقال في الثالثة : والمقصرين^{٢٧٦} ، وقد كانوا اشتركوا في هديهم ذلك كل سبعة في بدنه وكانوا ألفاً وأربع مائة ، وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم ، وقيل : بل كانوا على طرف الحرم ، فالله أعلم ، ولهذا اختلف العلماء هل يختص الحصر بالعدو فلا يتحلل إلا من حصره عدو لا مرض ولا غيره على قولين^{٢٧٧} ، وقال ابن كثير : (وقوله : [ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله] معطوف على قوله : [وأتموا الحج والعمرة لله] وليس معطوفاً على قوله : [فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى] كما زعمه ابن جرير رحمه الله ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم ، فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم فلا يجوز الحلق حتى يبلغ الهدى محله ويفرغ المناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارناً أو من فعل أحدهما إن كان مفرداً أو متمتعاً^{٢٧٨} ، وللحديث المتقدم عن كعب بن عجرة ، وعن ابن عباس في قوله : [ففدية من صيام أو صدقة أو نسك] قال : إذا كان أو فأية أخذت أجزأ عنك ، وروي عن مجاهد وعكرمة وعطاء وطاوس والحسن وحמיד الأعرج وإبراهيم النخعي والضحاك نحو ذلك ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وعامة العلماء أنه يخير في هذا المقام إن شاء صام وإن شاء تصدق بفرق وهو ثلاثة أصع لكل مسكين نصف صاع ، وهو مدان وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على الفقراء ، أي ذلك فعل أجزأه ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة جاء بالأسهل فالأسهل ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فالأفضل ، فقال : أنسك أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام ، فكل حسن في مقامه والله الحمد والمنة^{٢٧٩} ، ثم قال تعالى : [فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى] ، أي : فليذبح ما قدر عليه من الهدى وأقله شاة وله أن يذبح البقر ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر ، وقوله : [فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتكم تلك عشرة كاملة] ، يقول تعالى : فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج ، أي : في أيام المناسك ، قال العلماء : والأولى أن يصومها قبل يوم عرفة في العشر ، وقوله : [وسبعة إذا رجعتكم] فيه قولان أحدهما : إذا رجعتكم إلى رحالكم ولهذا قال مجاهد هي رخصة إذا شاء

^{٢٧٥} ينظر : القرطبي ، التفسير : (٢ / ٣٨٢) .

^{٢٧٦} أخرجه : البخاري ، الصحيح : (٢ / ٦١٦) ، مسلم ، الصحيح : (٢ / ٩٤٥) ، عن ابن عمر .

^{٢٧٧} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٢) .

^{٢٧٨} المصدر السابق : (١ / ٢٣٣) .

^{٢٧٩} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٤) .

صامها في الطريق وكذا قال عطاء بن أبي رباح ، والقول الثاني : إذا رجعتم إلى أوطانكم ، وقوله : [تلك عشرة كاملة] ، قيل : تأكيد ، كما تقول العرب : رأيت بعيني وسمعت بأذني وكتبت بيدي ، وقال الله تعالى : [ولا طائر يطير بجناحيه] ، وقيل : معنى كاملة الأمر بإكمالها وإتمامها اختاره ابن جرير ، وقيل : معنى كاملة ، أي : مجزئة عن الهدى ، واختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله : [لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام] ، بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به وأنه لا متعة لهم ، فقال بعضهم : عني بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم ، وقال آخرون : هم أهل الحرم وهن بينه وبين المواقيت ، وقوله : [واتقوا الله] ، أي : فيما أمركم ونهاكم : [واعلموا أن الله شديد العقاب] ، أي : لمن خالف أمره وارتكب ما عنه زجره^{٢٨٠} ، (قال ابو عمر : كأن ظاهر هذا الحديث على الترتيب وليس كذلك ولو صح هذا كان معناه الاختيار أولا فأولا وعامة الآثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القرآن وعليه مضى عمل العلماء في كل الأمصار وفتواهم وبالله التوفيق ، واختلف الفقهاء في الإطعام في فدية الأذى ، فقال : مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم : الإطعام في ذلك مدان مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول أبي ثور وداود ، وروي عن الثوري أنه قال في الفدية : من البر نصف صاع ومن التمر والشعير والزبيب صاع ، وروي عن أبي حنيفة أيضا مثله جعل نصف صاع بر عدل صاع تمر وهذا على أصله في ذلك ، وقال أحمد بن حنبل مرة كما قال مالك والشافعي ومرة قال : إن أطعم براً فمد لكل مسكين وإن أطعم تمرًا فنصف صاع ، قال أبو عمر : لم يختلف الفقهاء أن الإطعام إنما هو لستة مساكين إلا ما ذكرنا عن الحسن وعكرمة ونافع وهو قول لا يعرج عليه ؛ لأن السنة الثابتة تدفعه ، وقال مالك رحمه الله : لا يجزئه أن يغدي المساكين ويعشيهم في كفارة الأذى حتى يعطي كل مسكين مدين مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك قال الثوري والشافعي ومحمد ابن الحسن ، وقال أبو يوسف : يجزئه أن يغديهم ويعشيهم ، قال أبو عمر : قال الله عز وجل : [ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك] ، قال ابن عباس : المرض أن يكون برأسه قروح والأذى القمل ، وقال عطاء : المرض الصداع والقمل وغيره ، وحديث كعب بن عجرة أوضح شيء في هذا وأصح وأولى ما عول عليه في هذا الباب وهو الأصل^{٢٨١} ، وفي الحديث إشارة إلى العمرة والحلق ، وبيان حال من كان مريضا في رأسه ، وبيان لأداء النسك والذبح والصيام ، فناسب ذكر الحديث هنا .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٢٨٢} ، والبخاري^{٢٨٣} ، ومسلم^{٢٨٤} ، وأبو داود^{٢٨٥} ، والترمذي^{٢٨٦} ، وابن خزيمة^{٢٨٧} ، وابن حبان^{٢٨٨} .

^{٢٨٠} ينظر : المصدر السابق : (١ / ٢٣٥ - ٢٣٦) .

^{٢٨١} ابن عبد البر ، التمهيد : (٢ / ٢٣٨ - ٢٣٩) .

^{٢٨٢} الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ٢٤١ - ٢٤٢) .

^{٢٨٣} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٥٣٥) .

^{٢٨٤} مسلم ، الصحيح : (٢ / ٨٦٠) .

^{٢٨٥} أبو داود ، السنن : (٢ / ١٧٢) .

^{٢٨٦} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢١٢ - ٢١٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرض فيهنَّ الحجَّ فلا رَفْثٌ ولا فُسُوقٌ ولا جدالٌ في الحجِّ وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه الله وتزودوا فإنَّ خيرَ الرِّادِ التقوى واتقون يا أولي الألبابِ] آية : ١٩٧

(٦٨) (أخرج ابن مردويه : عن جابر بن عبد الله قال : لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج

(٢٨٩) .

قلت : قال ابن كثير : (اختلف أهل العربية في قوله : [الحج أشهر معلومات] ، فقال بعضهم : تقديره الحج حج أشهر معلومات ، فعلى هذا التقدير يكون الإحرام بالحج فيها أكمل من الإحرام فيما عداها وإن كان ذلك صحيحا ، والقول بصحة الإحرام بالحج في جميع السنة مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وبه يقول إبراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد ، واحتج لهم بقوله تعالى : [يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج] ، وبأنه أحد النسكين فصح الإحرام به في جميع السنة كالعمرة ، وذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره فلو أحرم به قبلها لم ينعقد إحرامه به ، وهل ينعقد عمرة فيه قولان عنه ، والقول بأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره مروى عن ابن عباس وجابر وبه يقول عطاء وطاوس ومجاهد رحمهم الله ، والدليل عليه قوله : [الحج أشهر معلومات] ، وظاهره التقدير الآخر الذي ذهب إليه النحاة وهو أن وقت الحج أشهر معلومات فخصه بها من بين سائر شهور السنة فدل على أنه لا يصح قبلها كمقيقات الصلاة)^{٢٨٩} ، وفي الحديث التأكيد على عدم الإحرام إلا في أشهر الحج .

وقد أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٢٩١} ، والترمذي^{٢٩٢} ، والدارقطني^{٢٩٣} .

(٦٩) (أخرج ابن مردويه : عن حجاج بن أرطاة^{٢٩٤} ، عن الحكم بن عتيبة^{٢٩٥} ، عن مقسم^{٢٩٦} ،

^{٢٨٧} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٤ / ١٩٦ - ١٩٧) .

^{٢٨٨} ابن حبان ، الصحيح : (٩ / ٢٩٦) .

^{٢٨٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٥٢٦) .

^{٢٩٠} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٦) .

^{٢٩١} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٣ / ٣٢٣) .

^{٢٩٢} الترمذي ، السنن : (٣ / ٢٧١) .

^{٢٩٣} الدارقطني ، السنن : (٢ / ٢٣٣) .

^{٢٩٤} حجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب الإمام العلامة مفتي الكوفة مع الإمام أبي حنيفة والقاضي بن أبي ليلى أبو أرطاة النخعي الكوفي الفقيه أحد الأعلام ، ولد في حياة أنس بن مالك وغيره من صغار الصحابة ، وروى عن عكرمة وعطاء والحكم ونافع ومكحول وجبله بن سحيم والزهري وقتادة والقاسم بن أبي بزة وعمرو بن شعيب وابن المنكدر وزيد بن جبير الطائي وعطية العوفي والمنهال بن عمرو وأبي مطر ورياح بن عبيدة وأبي إسحاق وسماك وعون بن أبي جحيفة وخلق سواهم ، وكان من محور العلم تكلم فيه لتدليسه ولنقص قليل في حفظه ولم يترك ، حدث عنه منصور وهو من شيوخه وقيس بن سعد وابن إسحاق وشعبة وهم من أقرانه والحمادان والثوري وشريك وزباد البكائي وعباد بن العوام والحرابي وهشيم ومعتمر وغندر ويزيد بن هارون وعبد الله بن نمير وخلق كثير ، قال سفيان بن عيينة : سمعت ابن أبي نجيح يقول : ما جاءنا منكم مثله يعني حجاج بن أرطاة ، مات سنة خمس وأربعين ومائة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٢ / ٣٧٨) ، الذهبي ، السير : (٧ / ٦٨) ، وما بعدها .

^{٢٩٥} الحكم بن عتيبة بن النهاس مولى امرأة من كندة من بني عدى كوفي كنيته أبو محمد ، وقد قيل : أبو عبد الله ، يروي عن أبي جحيفة وزيد بن أرقم ، روى عنه منصور وشعبة ، ولد سنة خمسين في ولاية معاوية ، ومات سنة خمس عشرة ومائة ، وقد قيل : سنة ثلاث عشرة ومائة ، وكان يدلس وكان سنه سن إبراهيم

عن ابن عباس أنه قال : من السنة أن لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج (٢٩٧ .

قال ابن حجر : (أجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج ثلاثة أولها شوال ؛ ولكن اختلفوا هل هي ثلاثة بكاملها ، وهو قول مالك ونقل عن الإملاء للشافعي ، أو شهران وبعض الثالث وهو قول الباقيين ، ثم اختلفوا فقال ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وآخرون : عشر ليال من ذي الحجة ، وهل يدخل يوم النحر أو لا ، قال أبو حنيفة وأحمد : نعم ، وقال الشافعي في المشهور المصحح عنه : لا ، وقال بعض أتباعه : تسع من ذي الحجة ولا يصح في يوم النحر ولا في ليلته وهو شاذ ، واختلف العلماء أيضا في اعتبار هذه الأشهر هل هو على الشرط أو الإستحباب ، فقال ابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم من الصحابة والتابعين : هو شرط فلا يصح الإحرام بالحج إلا فيها ، وهو قول الشافعي ، واستدل بعضهم بالقياس على الوقوف والقياس على إحرام الصلاة وليس بواضح ؛ لأن الصحيح أن من أحرم بالحج أشهره انقلب عمرة تجزئه عن عمرة الفرض ، وأما الصلاة فإن أحرم قبل الوقت انقلب نفلا بشرط أن يكون ظانا دخول الوقت لا عالما فاختلفا من وجهين (٢٩٨ ، وقال ابن عبد البر : (أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، وقد قيل : ذو الحجة كله (٢٩٩ .

وقد أخرج الحديث : البخاري معلقاً^{٣٠١} ، وابن خزيمة^{٣٠٢} ، وأبو بكر الإسماعيلي^{٣٠٣} ، والدارقطني^{٣٠٤} ، والحاكم وقال عقب ذكره الحديث : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٣٠٤} ، والبيهقي^{٣٠٥} .

(٧٠) (أخرج ابن مردويه : عن حصين بن مخارق^{٣٠٦} ، عن يونس بن عبيد^{٣٠٧} ،

النخعي ، وهو الحكم بن عتيبة بن النهاس بن حنطب بن يسار من ولد سعد بن عجل ، وقد وثقه العجلي وغيره ، ينظر ، العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٣١٢) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٢ / ٣٣٢) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٤٧٥) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ١٢٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٤ / ١٤٤) ، الذهبي ، السير : ٥٠ / ٢٠٨) .

^{٢٩٦} مقسم مولى ابن عباس ، وهو مقسم بن بكرة أبو القاسم ، ويقال : مولى عبد الله بن الحارث الهاشمي ، روى عن ابن عباس وعائشة وأم سلمة وميمونة ومعاوية ، روى عنه الحكم بن عتيبة ويزيد بن أبي زياد وخصيف وعلی بن بذيمة وعبد الكريم ، قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : صالح الحديث لا بأس به ، مات سنة إحدى ومائة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٨ / ٣٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٤١٤) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٢) .

^{٢٩٧} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٥٢٦) .

^{٢٩٨} ابن حجر ، فتح الباري : (٣ / ٤٢٠) .

^{٢٩٩} ابن عبد البر ، التمهيد : (٨ / ٣٤٩) .

^{٣٠٠} البخاري ، الصحيح : (٢ / ٥٦٥) .

^{٣٠١} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٤ / ١٦٢) .

^{٣٠٢} أبو بكر الإسماعيلي ، معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ، تحقيق د . زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (١٤١٠ هـ) : (١ / ٤٣٠) .

(

^{٣٠٣} الدارقطني ، السنن : (٢ / ٢٣٣) .

^{٣٠٤} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٦١٦) .

^{٣٠٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٤ / ٣٤٣) .

عن شهر بن حوشب^{٣٠٨}، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة وذو الحجة^{٣٠٩} .

ففي الحديث إشارة إلى أن الأشهر التي يكون فيها الحج هي شوال وذو القعدة وذو الحجة .

وقد أخرج الحديث : الطبراني^{٣١٠}، ثم قال : (لم يروه عن يونس إلا حصين بن مخارق ، كوفي ، تفرد به محمد ابن ثواب)^{٣١١}، وأخرجه أيضاً : الهيثمي وقال : (رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه حصين بن مخارق ، قال الطبراني : كوفي ثقة ، وضعفه الدار قطني ، وبقيته رجاله موثقون)^{٣١٢}، وقال ابن كثير : ((رواه الحافظ ابن مردويه من طريق حصين بن مخارق وهو متهم بالوضع ، ثم قال : (وهذا كما رأيت لا يصح رفعه ، والله أعلم))^{٣١٣} .

(٧١) (أخرج ابن مردويه : عن عمرو بن عبد الغفار^{٣١٤}، حدثنا محمد بن سوقة^{٣١٥}، عن نافع^{٣١٦}، عن ابن عمر قال : كانوا إذا أحرموا ومعهم أزوادهم رموا بها واستأنفوا زادا آخر ، فأُنزل الله تعالى : [وتزودوا فإن خير الزاد التقوى] ، فنهوا عن ذلك ، وأمروا أن يتزودوا الدقيق والسويق والكعك)^{٣١٧} .

^{٣٠٦} حصين بن مخارق بن ورقاء أبو جنادة ، عن الأعمش ، قال الدارقطني : يضع الحديث ، ونقل ابن الجوزي : أن ابن حبان قال : لا يجوز الاحتجاج به ، وقال الذهبي : منكر الحديث ، ينظر : ابن الجوزي ، الضعفاء والمتروكين : (١ / ٢٢٠) ، الذهبي ، المقتنى في سرد الكنى : (١ / ١٥٢) ، ميزان الاعتدال : (٢ / ٣١٤) .

^{٣٠٧} يونس بن عبيد بن دينار العبدي مولاهم أبو عبيد البصري رأى أنسا ، وروى عن إبراهيم التيمي وثابت البناني والحسن البصري ومحمد بن سيرين وعبد الرحمن بن أبي بكر والحكم بن الأعرج وزيناد بن جبير وأبي معشر زياد بن كليب ومحمد بن زياد الجمحي ونافع مولى ابن عمر وعمرو بن سعيد الثقفي وحيد بن هلال وجماعة ، وعنه ابنه عبد الله وشعبة والثوري ووهيب والقاسم بن مطيب والحامدان ويزيد بن زريع وعبد الله بن عيسى الخزاز وخارجه بن مصعب وإبراهيم بن طهمان وهشيم وخالد بن عبد الله الواسطي وأبو شهاب الحنات وعبد الوهاب الثقفي وعبد الوارث بن سعيد وأبو همام بن الزبرقان وابن عليّة وبر بن المفضل ومحمد بن أبي عدي وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وآخرون ، قال ابن سعد : ثقة كثير الحديث ، قال : ما كتبت شيئاً قط ، ومات سنة أربعين ومائة فحمله بنو العباس على أعناقهم ، وقال أحمد وابن معين والنسائي : ثقة ، ينظر ، الكلاباذي ، مصدر سابق : (٢ / ٨١٧) ، ابن منجويه ، مصدر سابق : (٢ / ٣٦٧) ، أبو الوليد الباجي ، مصدر سابق : (٣٠ / ١٢٤٢) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (١١ / ٣٨٩) .

^{٣٠٨} شهر بن حوشب ، يروي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي سعيد وأسماء بنت يزيد ، شامي ، وقال الجوزجاني : أحاديثه لا تشبه حديث الناس ، وحدثت عن النضر بن شميل أن ابن عون سئل عن حديث لشهر ؟ ، فقال : إن شهراً تركوه إن شهراً تركوه ، قال معاذ بن معاذ : ما تصنع بشهر بن حوشب إن شعبة قد ترك حديث شهر يعني ابن حوشب ، ينظر : الجوزجاني ، مصدر سابق : (٩٦) ، أبو بكر البرديجي ، الأسماء المفردة ، تحقيق : عبده على كوشك ، دار المأمون للتراث ، دمشق (١٤١٠ هـ) : (٨٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (١ / ١٤٤) .

^{٣٠٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٧) ، السيوطي ، الدر المنثور ، (١ / ٥٢٤) .

^{٣١٠} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢ / ١٦٣) ، المعجم الصغير : (١ / ١٢٢) .

^{٣١١} الطبراني ، المعجم الصغير : (١ / ١٢٢) .

^{٣١٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣ / ٢١٨) .

^{٣١٣} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٣٧) .

^{٣١٤} عمرو بن عبد الغفار بن عمرو ، سمع عمه الحسن بن عمرو الفقيمي عن سعيد بن جبير ، وعن عاصم الأحول ، روى عنه جرير بن عبد الحميد وقتيبة ، قال أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال ابن عدي أنهم بوضع الحديث ، ليس بالثابت بالحديث حدث بالمناكير في فضائل علي رضي الله عنه ، وقال ابن المديني تركته لأجل الرفض ، وقال وغيره : منكر الحديث ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٦ / ٣٥٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٢٤٦) ، ابن عدي ، مصدر سابق : (٥ / ١٤٦) ، ابن حجر ، لسان الميزان : (٤ / ٣٦٩) .

قال الطبري : (ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يحجون بغير زاد ، وكان بعضهم إذا أحرم رمى بما معه من الزاد واستأنف غيره من الأزودة ، فأمر الله جل ثناؤه من لم يكن يتزود منهم بالتزود لسفره ومن كان منهم ذا زاد أن يتحفظ بزاده فلا يرمي به)^{٣١٨} ، وقال ابن كثير : (وقوله : [فإن خير الزاد التقوى] ، لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى إليها ، كما قال : [وريشا ولباس التقوى ذلك خير] ، لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى ، وذكر أنه خير من هذا وأنفع)^{٣١٩} ، و (قال المهلب : في هذا الحديث من الفقه أن ترك السؤال من التقوى ، ويؤيده أن الله مدح من لم يسأل الناس إلحافا ، فإن قوله : [فإن خير الزاد التقوى] ، أي : تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك ، وقال : وفيه أن التوكل لا يكون مع السؤال وإنما التوكل المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء ، وقيل : هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب كما قال عليه السلام : أعقلها وتوكل)^{٣٢٠} ، فقد نبه الله تبارك وتعالى بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي^{٣٢١} ، و (قال الغزالي : جمعت خيرات الدنيا والآخرة تحت هذه الخصلة التي هي التقوى ، وتأمل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير ووعد عليها من ثواب ، وكم أضاف إليها من سعادة ، ومدار العبادة على ثلاثة أصول ، الأول : التوفيق والتأييد وهو للمتقين قال الله تعالى : [إن الله مع المتقين] التوبة : ٣٦ ، الثاني : إصلاح العمل واتقاء التقصير وهو للمتقين قال الله تعالى : [يصلح لكم أعمالكم] الأحزاب : ٧١ ، الثالث : قبول العمل وهو للمتقين قال الله تعالى : [إنما يتقبل الله من المتقين] المائدة : ٢٧ ، فالتقوى هي الجامعة للخيرات الكافية للمهمات الرافعة للدرجات ورأس الحكمة مخافة الله ، أي : الخوف منه أصلها واسمها فمن لم يخف الله فباب الحكمة عليه مسدود ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ، أي : خير ما سكن فيه نور اليقين فإنه المزيل لظلمة الريب)^{٣٢٢} ، وقد جاء الحديث يحث على التزود حتى لا يقع الإنسان في موقف الحاجة للمخلوقين وحتى يكون الاعتماد على الزاد الذي يكون مع الإنسان نفسه لا الذي يكون عند الآخرين ، والله أعلم .

^{٣١٥} محمد بن سوقة أبو بكر الغنوي ، روى عن سعيد بن جبير ونافع مولى ابن عمر وطلحة بن عبيد الله وعلى بن أبي طلحة ، روى عنه سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومروان الفزاري ويعلى بن عبيد ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن محمد بن سوقة ؟ فقال : صالح الحديث ، وهو ثبت وكان خزازا جمع من الخبز مائة ألف درهم ثم أتى مكة ، فقال : ما اجتمعت هذه لخير فتصدق بها من آخرها ، وكان صاحب سنة وعبادة وخير في عداد الشيوخ ، ليس بكثير الحديث ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٤٠) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (١ / ١٠٢) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ١١٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧٠ / ٢٨١) .

^{٣١٦} ينظر : الحديث رقم : (٣٦) .

^{٣١٧} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٤٠) .

^{٣١٨} الطبري ، التفسير : (٢ / ٢٧٨) .

^{٣١٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٤٠) .

^{٣٢٠} ابن حجر ، فتح الباري : (٣ / ٣٨٤) .

^{٣٢١} ينظر : المباركفوري ، مصدر سابق : (٩ / ٢٨٧) .

^{٣٢٢} المناوي ، مصدر سابق : (٢ / ١٧٦) .

وفي الحديث عن ابن عمر المتقدم عمرو بن عبد الغفار ، وهو كما تقدم في ترجمته منكر الحديث ؛ ولكن للأثر شواهد من قول ابن عباس وعكرمة والشعبي وابن الزبير وغيرهم^{٣٢٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] آية : ١٩٩ .

(٧٢) (أخرج ابن مردويه : عن شداد بن أوس^{٣٢٤} قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة ، ومن قالها في يومه فمات دخل الجنة)^{٣٢٥} .

قلت : قال ابن كثير : (ها هنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه ، كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر الله ثم المشعر الحرام ، وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها إلا قريشاً فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم ثم أدنى الحل ويقولون نحن أهل الله في بلده وقطان بيته ، وقوله : [واستغفروا الله إن الله غفور رحيم] ، كثيراً ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات)^{٣٢٦} ، وقال القرطبي : (قوله تعالى : [ثم افيضوا من حيث أفاض الناس] ، قيل : الخطاب للحمس فإنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم وكانوا يقولون نحن قطين الله فينبغي لنا أن نعظم الحرم ولا نعظم شيئاً من الحل وكانوا مع معرفتهم وإقرارهم أن عرفة موقف إبراهيم عليه السلام لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه ويقف الناس بعرفة فليلهم أفيضوا مع الجملة)^{٣٢٧} ، وقد أمرهم الله عز وجل بالاستغفار في هذا الموقف العظيم تنبيهاً لهم على فضل ذكر الله تعالى على ذكر غيره من أمور الدنيا وغيرها ، والله أعلم .

^{٣٢٣} ينظر : البخاري ، الصحيح : (٢ / ٥٥٤) ، أبو داود ، السنن : (٢ / ١٤١) ، النسائي ، السنن الكبرى : (٥ / ٢٤٣) ، (٦ / ٣٠٠) ، الهيثمي

، جمع الزوائد : (٣ / ٢٤٩) ، (٦ / ٣١٨) .

^{٣٢٤} شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري أبا يعلى اسم أمه صرمة أو صرمة من بني عدي بن النجار ، نزل الشام بناحية فلسطين ، ومات بها سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وقيل : بل توفي شداد بن أوس سنة إحدى وأربعين ، وقيل : بل توفي سنة أربع وستين ، قال عبادة بن الصامت : كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم ، روى عنه أهل الشام ، روى القاسم عن ابن أشرس عن مالك قال : قال أبو الدرداء : إن الله عز وجل يؤتي الرجل العلم ولا يؤتيه الحلم ، ويؤتيه الحلم ولا يؤتيه العلم وإن أبا يعلى شداد بن أوس ممن آتاه الله العلم والحلم ، روى عنه ابنه يعلى ابن شداد وأبو الأشعث الصنعاني وصرمة بن حبيب وغيرهم ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب : (٢ / ٦٩٤ - ٦٩٥) ، ابن حجر ، الإصابة : (٣ / ٣١٩) .

^{٣٢٥} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٤٤) .

^{٣٢٦} المصدر السابق : (١ / ٢٤٣) .

^{٣٢٧} القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٢٧) .

وقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (سيد الاستغفار) ، (قال الطيبي : لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور)^{٣٢٨} ، ثم إن للاستغفار شروط : (ومن شروط الاستغفار صحة النية والتوجه والأدب ، فلو أن أحدا حصل الشروط واستغفر بغير هذا اللفظ الوارد واستغفر آخر بهذا اللفظ الوارد لكن أحل بالشروط هل يستويان ، فالجواب إن الذي يظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة والله اعلم)^{٣٢٩} .

وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٣٣٠} ، والبخاري^{٣٣١} ، والترمذي^{٣٣٢} ، والنسائي^{٣٣٣} ، وابن حبان^{٣٣٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار] آية :
٢٠١

(٧٣) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما مررت على الركن إلا رأيت عليه ملكا يقول : آمين ، فإذا مررت عليه فقولوا : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)^{٣٣٥} .

قال القرطبي : (قوله تعالى : [فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا] ، من في موضع رفع بالابتداء وإن شئت بالصفة ، يقول : ربنا آتنا في الدنيا صلة من والمراد المشركون ، قال أبو وائل والسدي وابن زيد : كانت العرب في الجاهلية تدعو في مصالح الدنيا فقط ؛ فكانوا يسألون الإبل والغنم والظفر بالعدو ولا يطلبون الآخرة إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا وجاء النهي في صيغته الخبر عنهم ، ويجوز أن يتناول هذا الوعيد المؤمن أيضا إذا قصر دعواته في الدنيا ، وعلى هذا فماله في الآخرة من خلاق ، أي : كخلاق الذي يسأل الآخرة ، والخلاق النصيب و من زائدة)^{٣٣٦} ، وفي هذه الآية دعاء قليل في اللفظ كثير في المعنى وهو من الأدعية الجوامع ، أي الجامعة لخير الدنيا والآخرة ، وهي ما كان لفظه قليلا

^{٣٢٨} ابن حجر ، فتح الباري : (١١ / ٩٩) .

^{٣٢٩} المصدر السابق : (١١ / ١٠٠) .

^{٣٣٠} الإمام أحمد ، المسند : ٤٠ / ١٢٢ - ١٢٤) .

^{٣٣١} البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢٣٢٣) .

^{٣٣٢} الترمذي ، السنن : (٥ / ٤٦٧) .

^{٣٣٣} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٤٦٥) ، (٦ / ١٥٠) .

^{٣٣٤} ابن حبان ، الصحيح : (٣ / ٢١٢ - ٢١٣) .

^{٣٣٥} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١٠ / ٢٤٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٥٥٩) .

^{٣٣٦} القرطبي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٣٢) .

ومعناه كثيرا ، فقد قال تعالى : [ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار]^{٣٣٧} ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من قوله في الدعاء : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ففي الحديث (عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)^{٣٣٨}

وفي الحديث الأمر بالتزام الدعاء في كل وقت وحين ، وخصوصاً عندما يكون المرء في موضع عبادة كما في استلام الركن ، وفي الدعاء الظفر بكل خير والنجاة من كل سوء وشر .
أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٣٣٩} ، والبيهقي^{٣٤٠} ، وللحديث شواهد من حديث عبد الله بن السائب ، أخرجه الإمام أحمد^{٣٤١} ، وابن أبي شيبة^{٣٤٢} ، وأبو داود^{٣٤٣} ، والنسائي^{٣٤٤} ، والحاكم^{٣٤٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد] آية : ٢٠٧ .
(٧٤) (أخرج ابن مردويه : عن صهيب^{٣٤٦} قال : لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت لي قريش : يا صهيب قدمت إلينا ولا مال لك وتخرج أنت ومالك والله لا يكون ذلك أبدا ، فقلت لهم : رأيتم إن دفعت لكم مالي تخلون عني ؟ قالوا : نعم ، فدفعت إليهم مالي فخلوا عني ، فخرجت حتى قدمت المدينة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ربح البيع صهيب مرتين)^{٣٤٧} .

^{٣٣٧} ينظر ، شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٤ / ٢٤٩) .

^{٣٣٨} أخرجه : البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٤٤) ، مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٠٧١) .

^{٣٣٩} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ٨٢) .

^{٣٤٠} البيهقي ، شعب الإيمان : (٣ / ٤٥٣) .

^{٣٤١} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ٤١١) .

^{٣٤٢} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ٨١) .

^{٣٤٣} أبو داود ، السنن : (٢ / ١٧٩) .

^{٣٤٤} النسائي ، السنن الكبرى : (٢ / ٤٠٣) .

^{٣٤٥} الحاكم ، المستدرک : (١ / ١٢٥) .

^{٣٤٦} (صهيب بن سنان أبو يحيى النمري من النمر بن قاسط ، ويعرف بالرومي لأنه أقام في الروم مدة وهو من أهل الجزيرة سي من قرية نينوى من أعمال الموصل ، وقد كان أبوه أو عمه عاملا لكسرى ، ثم إنه جلب إلى مكة فاشتره عبد الله بن جدعان القرشي التيمي ، ويقال : بل هرب فأتى مكة وحالف ابن جدعان ، كان من كبار السابقين البدرين ، حدث عنه بنوه حبيب وزيد وحزمة وسعيد بن المسيب وكعب الأبحار وعبد الرحمن بن أبي ليلى وآخرون ، روى أحاديث معدودة خرجوا له في الكتب ، وكان فاضلا وافر الحرمة له عدة أولاد ، ولما طعن عمر أستتابه على الصلاة بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام ، وكان موصوفا بالكرم والسماحة رضي الله عنه ، مات بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين ، وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه رضي الله عنه) ، الذهبي ، السير : (٢ / ١٧ - ١٨) .

^{٣٤٧} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٨ / ٧٩) ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٤٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٠ / ٥٧٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٠٩) .

لما ذكر رب العزة تبارك وتعالى صنيع المنافقين ، ذكر بعده صنيع المؤمنين ، فقد قيل : نزلت في صهيب الرومي ؛ فإنه أقبل مهاجرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خلفه ماله للمشركين بعد أن طلبوه ليكون فديةً له لقاء إلتحاقه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت البشارة له من النبي صلى الله عليه وسلم بأن ربحه كان مرتين لا مرة واحدة .

قال الضياء المقدسي بعد ذكر الحديث : (رواه أبو حاتم البستي عن عبدالله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم عن النضر وروح وأبي أسامة كلهم عن عوف بن أبي جميلة)^{٣٤٨} ، ولم أقف على تخريج الحديث سوى ما كان من قول الضياء المقدسي هذا ، والله أعلم .

^{٣٤٨} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٨ / ٨٠) .

ما جاء في قوله تعالى : [يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون] آية : ٢١٩ .
 (٧٥) (أخرج ابن مردويه : عن عمر بن الخطاب أنه قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ؛ فإنها تذهب المال والعقل ، فنزلت : [يسألونك عن الخمر والميسر] ، التي في سورة البقرة ، فدعي عمر فقراءت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي سورة النساء : [يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى] ، النساء : الآية ٤٣ ، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران ، فدعي عمر فقراءت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في المائدة ، فدعي عمر فقراءت عليه ، فلما بلغ : [فهل أنتم متهون] ، المائدة : الآية ٩١ ، قال عمر : انتهينا انتهينا)^١ .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه : يسألك أصحابك يا محمد عن الخمر وشربها ، والخمر كل شراب خامر العقل فستره وغطى عليه ، وهو من قول القائل : خمرت الإناء إذا غطيته وخمر الرجل إذا دخل في الخمر ، ويقال : هو في خمار الناس وغمارهم يراد به دخل في عرض الناس ، ويقال للضيع : خامري أم عامر ، أي : استتري ، وما خامر العقل من داء وسكر فخالطه وغمره فهو خمر ، ومن ذلك أيضا خمار المرأة وذلك لأنها تستر به رأسها فتغطيه ، ومنه يقال : هو يمشي لك الخمر ، أي : مستخفيا ، وأما الميسر فإنها المفعول من قول القائل : يسر لي هذا الأمر إذا وجب لي فهو يسر لي يسرا وميسرا ، والياسر الواجب بقداح وجب ذلك أو مباحه ذلك ثم قيل : للمقامر ياسر ويسر)^٢ ، و (خمر : خامر الشيء قاربه وخالطه ، وأما المُخامرُ فهو المُخالطُ ، من خامرهُ الداءُ إذا خالطه و الخمرُ : ما أسكر من عصير العنب ؛ لأنها خامرت العقل ، و التخميرُ : التغطية ، يقال : خمر وجهه وخمر إناءك ، والمُخامرةُ المخالطة ؛ قال ابن الأعرابي : وسميت الخمر خمرا لأنها تُركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها ، ويقال : سميت بذلك لمخامرتها العقل ، والخمرُ : ما خمر العقل وهو المسكر من الشراب وهي خمرٌ وخمرٌ وخُمورٌ مثل تمره وتمور والمُخمرُ : متخذ الخمر والخمارُ بائعها وعنب خمري يصلح للخمر ولون خمري يشبه لون الخمر و اختمارُ الخمر إدراكها و غلبانها وخمرتها وخمارها ما خالط من سكرها ، وقيل : خمرتها وخمارها ما أصابك من ألمها وصداعها وأذاها)^٣ ، و (الميسر : قمار العرب بالأزلام ، والياسر نقيض اليامن)^٤ ، وقال ابن كثير : (وقوله : [قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس] ، أما إثمهما فهو في الدين وأما المنافع فدينية من حيث إن فيها نفع البدن وتهضم الطعام وإخراج الفضلات وتشحيد بعض الأذهان ولذة الشدة المطربة التي فيها ، كما قال حسان بن ثابت في جاهليته : ونشربها فتركنا ملوكا وأسدا لا ينهانا اللقاء ، وكذا بيعها والانتفاع بثمنها وما كان يقمشه بعضهم من الميسر فينفقه على

^١ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٥٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٠٥) .

^٢ الطبري ، التفسير : (٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧) .

^٣ ابن منظور ، مصدر سابق : (٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥) .

^٤ الرازي ، مصدر سابق : (٧٤٣) .

نفسه أو عياله ، ولكن هذه الصالح لا توازي مضرتة ومفسدته الراجحة لتعلقها ، ولهذا قال الله تعالى : [وإثمهما أكبر من نفعهما] ، ولهذا كانت هذه الآية ممهدة لتحريم الخمر على البتات ولم تكن مصرحة بل معرضة ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما قرئت عليه : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، حتى نزل التصريح بتحريمها في سورة المائدة : [يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون] ° ، وقال المباركفوري : (قل لهم فيهما ، أي : في تعاطيهما إثم كبير ، أي : عظيم لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ، ومنافع للناس باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلاكد في الميسر ، وإثمهما ، أي : ما ينشأ عنهما من المفاسد أكبر وأعظم من نفعهما ؛ لأن أصحاب الشرب والقمار يقتربون فيهما الآثام من وجوه كثيرة) ٦ ، وفي الحديث إشارة إلى تلك المضار التي فيها فقال عمر رضي الله عنه : أنها تذهب العقل والمال •

أخرج الحديث : الإمام أحمد^٧ ، والنسائي^٨ ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه)^٩ ، والبيهقي^{١٠} •

ما جاء في قوله تعالى : [في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم] آية : ٢٢٠ •

(٧٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : لما أنزل الله : [ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن] ، الإسراء : الآية ٣٤ و [إن الذين يأكلون أموال اليتامى :] ، النساء : الآية ١٠ الآيتين ، أنطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيجلس له حتى يأكله أو يفسد فيرمى به فاشتد عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : [ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم] ، فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم)^{١١} •

جاء في الحديث : (اليتيم) ، وأصل (اليتيم الانفراد ، و اليتيم الفرد ، واليتيم واليتيم فقدان الأب ، وقال ابن السكيت : اليتيم في الناس من قبل الأب ، وفي البهائم من قبل الأم ، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس : يتيم ؛ ولكن منقطع ، وقال ابن بري : اليتيم الذي يموت أبوه ، والعجبي الذي يموت أمه ، واللطيم الذي يموت أبواه

° ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٥٦) •

٦ المباركفوري ، مصدر سابق : (٨ / ٣٢٩) •

٧ الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٥٣) •

٨ النسائي ، السنن الكبرى : (٣ / ٢٠٢) ، المجتبى : (٨ / ٢٨٦) •

٩ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٠٥) •

١٠ البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٢٨٥) •

١١ الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٢٥٩) ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٥٧) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦١٢) ،

الشوكاني : (١ / ٢٢٣) •

(^{١٢}، وقد جاءت الوصية باليتيم خيراً في الكتاب والسنة ، قال تعالى : [فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ]^{١٣} ، وفي الحديث (عن سهل بن سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً)^{١٤} ، فقد أعد الله عز وجل لكافل اليتيم القائم على أمره الخير الكثير يوم العرض عليه ، فقال : [ويسألونك عن اليتامى] ، أي : وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن واكلوهم يأثموا وإن عزلوا مالهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فخرج ، : [قل إصلاح لهم] ، أي : في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم خير ، أي : من ترك ذلك ، : [وإن تخالطوهم] ، أي : نفقتهم بنفقتكم ، [فإخوانكم] ، أي : فهم إخوانكم في الدين ومن شان الأخ أن يخالط أخاه ، أي : فلکم ذلك^{١٥} .
أخرج الحديث : النسائي^{١٦} ، الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم مُلاقوه وبشر المؤمنين] آية : ٢٢٣ .
(٧٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد الخدري : أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها ، فأنكر الناس عليه ذلك ، فأنزلت : [نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم])^{١٨} .
في الآية الكريمة حكم مهم بينه عز وجل للمسلمين حتى يعلموا حدود شرع الله تبارك وتعالى ، قال الشافعي : (قال الله عز وجل : [نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم] ، قال وبين أن موضع الحرث موضع الولد ، وأن الله عز وجل أباح الإتيان فيه إلا في وقت الحيض ، : [وأنى شئتم] ، من أين شئتم ، وإباحة الإتيان في موضع الحرث يشبه أن يكون تحريم إتيان في غيره والإتيان في الدبر حتى يبلغ منه مبلغ الإتيان في القبل محرم في الكتاب ثم السنة)^{١٩} ، وقال المباركفوري معلقاً على الآية الكريمة : (نساؤكم ، أي : منكوحاتكم ومملوكاتكم ، حرث لكم ، أي : مواضع زراعة أولادكم ، يعني : هن لكم بمنزلة الأرض المعدة للزراعة ، ومحلها القبل فإن الدبر موضع الفرث لا محل الحرث ، فأتوا حرثكم أنى شئتم ، أي : كيف شئتم من قيام أو قعود أو اضطجاع أو من الدبر في فرجها ، والمعنى على أي هيئة كانت فهي مباحة لكم مفوضة إليكم ولا يترتب منها ضرر عليكم ، وفي شرح السنة اتفقوا على أنه يجوز للرجل إتيان الزوجة في قبلها من جانب دبرها وعلى أية صفة كانت ، وعليه دل قوله تعالى : [نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم] ، أي : هن لكم بمنزلة أرض تزرع ومحل الحرث

^{١٢} ابن منظور ، مصدر سابق : (١٢ / ٦٤٥) .

^{١٣} الضحى : ٩ .

^{١٤} البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢٠٣٢) .

^{١٥} ينظر : شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٨ / ٥٢) .

^{١٦} النسائي ، المجتبى : (٦ / ٢٥٦) .

^{١٧} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٣١) .

^{١٨} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٣٧) ، لباب المنقول : (٤٣) .

^{١٩} الشافعي ، أحكام القرآن ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٠ هـ) : (١ / ١٩٤) .

هو القبل) ^{٢٠}، وقال النووي : (قال العلماء : وقوله تعالى : [فأتوا حرثكم أنى شئتم] ، أي : موضع الزرع من المرأة وهو قبلها الذي يزرع فيه المنى لابتغاء الولد ، ففيه إباحة وطئها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة ، وأما الدبر فليس هو بحرث ولا موضع زرع ، ومعنى قوله : [أنى شئتم] ، أي : كيف شئتم ، واتفق العلماء الذين يعتد بهم على تحريم وطء المرأة في دبرها حائضاً كانت أم طاهراً لأحاديث كثيرة مشهورة ، كحديث ملعون من أتى امرأة في دبرها قال أصحابنا : لا يحل الوطء في الدبر في شيء من الآدميين ولا غيرهم من الحيوان في حال من الأحوال والله أعلم) ^{٢١} ، وفي الحديث بيان لسبب نزول الآية ، وأنه إتيان النساء في أدبارهن •

أخرج الحديث : الطحاوي ^{٢٢} ، وأبو المحاسن الحنفي ^{٢٣} •

(٧٨) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر : أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر ذلك الناس وقالوا : اتفروها ، : [فأنزل الله نساؤكم حرث لكم]) ^{٢٤} •

في الحديث الثفر ، و (الثَّفْرُ بالتحريك ثَفْرُ الدابة ، قال ابن سيده : الثَّفْرُ السَّيْرُ الذي في مؤخَّر السَّرَجِ ، وَثَفْرُ البعير والحمار والدابة مُثَقَّلٌ ، وَالثَّفْرُ الدابة عَمَلٌ لها ثَفْرًا أو شَدَّها به ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المستحاضة أن تَسْتَفْرِ وتُلْجِمَ إذا غلبها سيلان الدم ، وهو أن تَشُدَّ فرجها بخرقه عريضة أو قطنه تحتشي بها وتوثق طرفيها في شيء تَشُدُّه على وسطها فتتمنع سيلان الدم ، وهو مأخوذ من ثَفْر الدابة الذي يجعل تحت ذنبها ، وفي نسخة : وتوثق طرفيها ثم تربط فوق ذلك رباطاً تشدُّ طرفيه إلى حَقَبٍ تَشُدُّه كما تشدُّ الثَّفْرَ تحت ذنب الدابة ، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من الثَّفْرِ ، أريد به فرجها وإن كان أصله للسباع والمثفأ من الدواب التي ترمي بسرجها إلى مؤخرها ، والاستفثار أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذه ملوياً ثم يخرجها ، والرجل يَسْتَفْرِ بإزاره عند الصِّراع إذا هو لواه على فخذه ثم أخرجه بين فخذه فشده طرفيه في حُجْرَتِهِ ، واستفَّ الرجلُ بثوبه إذا ردَّ طرفه بين رجله إلى حجرتة ، واستفَّ الكلب إذا أدخل ذنبه بين فخذه حتى يُلزِقَهُ بطنه وهو الاستفثار ، والثَّفْرُ ، بسكون الفاء أيضاً ، لجميع ضروب السباع ولكل ذاتٍ مخلبٍ كالحياء للناقة) ^{٢٥} •

وقد أخرج الحديث : النسائي ^{٢٦} •

^{٢٠} المباركفوري ، مصدر سابق : (٢٥٧ / ٨) •

^{٢١} النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : (٦ / ١٠) •

^{٢٢} الطحاوي ، شرح معاني الآثار ، تحقيق : محمد زهري النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٣٩٩ هـ) : (٤٠ / ٣) •

^{٢٣} أبو المحاسن الحنفي ، مصدر سابق : (٣٠١ / ١) •

^{٢٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٦٣٦ / ١) •

^{٢٥} ابن منظور ، مصدر سابق : (١٠٥ / ٤) •

^{٢٦} النسائي ، السنن الكبرى : (٣١٦ / ٥) •

(٧٩) (أخرج ابن مردويه : عن أبي النصر^{٢٧} ، أنه قال لنافع مولى ابن عمر : إنه قد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر : أنه أفتى أن يؤتى النساء في أدبارهن ؟ قال : كذبوا علي ؛ ولكن سأحدثك كيف كان الأمر : إن ابن عمر عرض المصحف يوماً وأنا عنده حتى بلغ : [نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم] ، فقال : يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية ؟ قلت : لا ، قال : إنا كنا معشر قريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن ما كنا نريد فإذا هن قد كرهن ذلك وأعظمنه ، وكانت نساء الأنصار قد أخذت بحال اليهود إنما يؤتى على جنوبهن ، فأنزل الله : [نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم] (٢٨) .

قال ابن القيم معلقاً على الحديث : (روى النسائي عن أبي النصر أنه قال لنافع : قد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر إنه أفتى بأن يؤتى النساء في أدبارهن ، ٠٠٠ ، الحديث ، فهذا هو الثابت عن ابن عمر ، ولم يفهم عنه من نقل ذلك ، ويدل عليه أيضاً ما روى النسائي عن عبدالرحمن بن القاسم قال : قلت لمالك إن عندنا بمصر الليث بن سعد يحدث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال : قلت لابن عمر إنا نشترى الجواري فنحمض لهن قال : وما التحميص ؟ قال : نأتيهن في أدبارهن ، قال : أف أو يعمل هذا مسلم ، فقال لي مالك : فأشهد على ربيعة أنه يحدثني عن سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر عنه فقال لا بأس به ، فقد صح عن ابن عمر الآية بالإتيان في الفرج من ناحية الدبر وهو الذي رواه عنه نافع ، وأخطأ من أخطأ على نافع فتوهم أن الدبر محل للوطء لا طريق إلى وطاء الفرج فكذبهم نافع) (٢٩) .

أخرج الحديث : النسائي^{٣٠} .

(٨٠) (أخرج ابن مردويه : عن زائدة بن عمير^{٣١} قال : سألت ابن عباس عن العزل ؟ فقال : إنكم قد أكثرتم ، فإن كان قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فهو كما قال ، وإن لم يكن قال فيه شيئاً ، قال : أنا أقول : [نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم] ، فإن شئتم فاعزلوا وإن شئتم فلا تفعلوا] (٣٢) .

لم يقدم الصحابة على العزل حتى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن اليهود كانت تقول بين أظهرهم : إن العزل هو المؤودة الصغرى وكانوا أهل أكتاب ، فلم يقدموا على العزل لما كان في نفوسهم من قول اليهود

^{٢٧} (أبو النصر زياد بن النضير ، عن عبد الله بن نافع ، روى عنه منصور) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٨٤٠) .

^{٢٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١٠ / ٢٦٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٣٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٢٩) .

^{٢٩} ابن القيم ، الحاشية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) : (٦ / ١٤١ - ١٤٢) .

^{٣٠} النسائي ، السنن الكبرى : (٥٠ / ٣١٥) .

^{٣١} زائدة بن عمير الطائي الكوفي ، روى عن ابن عباس ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي ويونس بن أبي إسحاق وشعبة ، قال ابن أبي حاتم : ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال : زائدة بن عمير الطائي ثقة ، قال أبو حاتم : زائدة بن عمير محله الصدق ، وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٣٦٦) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٣ / ٤٣١) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٦١٢) ، ابن حبان ،

الثقات : (٤ / ٢٦٥) .

^{٣٢} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٣٩) .

حتى وقفوا على ما في ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؟ فأباح لهم العزل ، وقد اختلف السلف في ذلك ، والحجة قائمة لمن أجازها^{٣٣} .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٣٤} ، والطبراني^{٣٥} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه)^{٣٦} ، والضياء المقدسي^{٣٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا ممّا آتيتموهنَّ شيئاً إلّا أن يخافاً ألا يقيما حدود الله فإن خفتن ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدودُ الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون] آية : ٢٢٩ .

(٨١) (أخرج ابن مردويه : عن عروة بن الزبير^{٣٨} ، أن عائشة قالت : كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء الله أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة وأكثر ، حتى قال رجل لامرأته : والله لا أطلقك فتبيني ولا أويك أبدا ، قالت : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك ، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها ، فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن : [الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ أو تسريحٍ بإحسان] ، قالت عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلا من طلق ومن لم يطلق)^{٣٩} .

قلت : قال القرطبي : (ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد ، وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة ، وكان هذا في أول الإسلام برهة يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق فإذا كادت تحل من طلاقه راجعها ما شاء ، فقال رجل لامرأته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا أويك ولا أدعك تحلين ، قالت : وكيف ؟ قال : أطلقك فإذا دنا مضي عدتك راجعتك ، فشكت المرأة ذلك إلى عائشة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرأة فيه أن يرتجع دون تجديد مهر وولي ونسخ ما

^{٣٣} ينظر : ابن عبد البر ، التمهيد : (٣ / ١٣٦) .

^{٣٤} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٣ / ٥١٧) .

^{٣٥} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢ / ٣٩ - ٤٠) .

^{٣٦} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٠٦) .

^{٣٧} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٣٨) .

^{٣٨} عروة بن الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي ، رأى أباه ورأى حكيم بن حزام وسمع من أبي حميد الساعدي وابن عباس وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعائشة ، روى عنه الزهري ويزيد بن رومان وهشام وعثمان ويحيى ومحمد وعبد الله بنو عروة بن الزبير وابن عبد الله بن عروة ، عن ابن شهاب قال : كان عروة بن الزبير بحرا لا يكدره الأدلاء ، وقال ابن عيينة : كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة : القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن ، وعن هشام بن عروة أن عون بن عبد الله قال له : حدثني عن أبيك ، فذهبت أحدثه عن السنن ، فقال : لا غرائب أحاديثه ، وقال هشام بن عروة : قال أبي : تعلموا العلم تسودوا به قومكم ويحتاجوا إليكم فوالله ما يسألني الناس حتى لقد نسيت ، وكان يدعوني وعبد الله بن عروة وعثمان وإسماعيل إخواني وآخر سماه هشام ، فيقول : لا تغشوني مع الناس لكن إذا خلوت فسلوني ، وكان يحدث بأحاديث في الطلاق ثم الخلع ثم الحج ثم الهدى ثم كذا ثم كذا ، ثم يقول : كرروا علي ، وكان يعجب من حفظي ، قال هشام : والله ما تعلمنا منه جزءا من ألفي جزء من أحاديثه ، مات سنة اثنتين وتسعين وهو ابن سبع وسبعين ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٧ / ٣١) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٤٧٩) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٣٩٥) ، ابن زبير الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٢٢١) .

^{٣٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٧٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٦٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٣٩) .

كانوا عليه) ^{٤٠}، وقال ابن كثير : (هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة ، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلاقات وأباح الرجعة في المرة والثنتين وأبانها بالكلية في الثالثة ، فقال : [الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان] ^{٤١}، وقال الشافعي : (فأیما زوج حر طلق امرأته بعد ما يصيبها واحدة أو اثنتين فهو أحق برجعتها ، مالم تنقض عدتها) ^{٤٢}، وقال ابن حجر : (فإن معنى قوله تعالى : [الطلاق مرتان] فيما ذكر أهل العلم بالتفسير ، أي : أكثر الطلاق الذي يكون بعده الإمساك أو التسريح مرتان ثم حينئذ أما أن يختار استمرار العصمة فيمسك الزوجة أو المفارقة فيسرحها بالطلقة الثالثة) ^{٤٣}، وقد تضمن الحديث حقيقة هذا الأمر وأنه كان من فعل الجاهلية ثم نسخ بعد ما أنزل الله تعالى فيه قرآناً .

وأخرج الحديث : الإمام مالك ^{٤٤}، والإمام الشافعي ^{٤٥}، والترمذي ^{٤٦}، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يتكلم أحد في يعقوب بن حميد بحجة) ^{٤٧}، والبيهقي ^{٤٨} .

(٨٢) (عن أبي رزين الأسدي قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أسمع الله يقول : [الطلاق مرتان] فأين الثالثة ؟ قال : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان هي الثالثة) وفي رواية عن أنس ^{٤٩} .

قال ابن حجر : (فإن معنى قوله تعالى : [الطلاق مرتان] ، فيما ذكر أهل العلم بالتفسير ، أي : أكثر الطلاق الذي يكون بعده الإمساك أو التسريح مرتان ، ثم حينئذ إما أن يختار استمرار العصمة فيمسك الزوجة أو المفارقة فيسرحها بالطلقة الثالثة) ^{٥٠}، وقال الزرقاني : (الطلاق ، أي : التطليق الذي يراجع بعده مرتان ، أي : ثنتان ؛ فإمساك فعليكم إمساكن بعده بمعروف ضرار أو تسريح إرسال لهن بإحسان) ^{٥١}، فدل الحديث على هذا المعنى الذي أرادته الآية الكريمة .

^{٤٠} القرطبي ، مصدر سابق : (٣ / ١٢٦) .

^{٤١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٧٢) .

^{٤٢} الشافعي ، أحكام القرآن : (١ / ٢٢٤) .

^{٤٣} ابن حجر ، فتح الباري : (٩ / ٣٦٦) .

^{٤٤} الإمام مالك ، مصدر سابق : (٢ / ٥٨٨) .

^{٤٥} الإمام الشافعي ، المسند : (١٩٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤) .

^{٤٦} الترمذي ، السنن : (٣ / ٤٩٧) .

^{٤٧} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٠٧) .

^{٤٨} البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ٣٣٣) .

^{٤٩} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٦٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٣٩) .

^{٥٠} ابن حجر ، فتح الباري : (٩ / ٣٦٦) .

^{٥١} الزرقاني ، مصدر سابق : (٣ / ٢٨١) .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٥٢} ، والدار قطني ، وقال : (كذا قال عن أنس ، والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مرسلًا عن النبي صلى الله عليه وسلم)^{٥٣} ، والبيهقي ، وقال : (كذا قال عن أنس رضي الله عنه ، والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسلًا ، كذلك رواه جماعة من الثقات عن إسماعيل)^{٥٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكنهن بمعروفٍ أو سرحوهنَّ بمعروفٍ ولا تمسكنهنَّ ضرارًا لنعتهنَّ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزواً واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعملوا أن الله بكل شيءٍ عليمٌ] آية : ٢٣١ .
(٨٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : طلق رجل امرأته وهو يلعب لا يريد الطلاق فأنزل الله : [ولا تتخذوا آيات الله هزواً] فألزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلاق)^{٥٥} .

قلت : قال ابن كثير : (هذا أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعة أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها ؛ فإما أن يمسكها ، أي : يرتجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف وهو أن يشهد على رجعتها وينوي عسرتها بالمعروف ، أو يسرحها ، أي : يتركها حتى تنقضي عدتها ويخرجها من منزله بالنهي هي أحسن من غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح ، قال الله تعالى : [ولا تمسكنهن ضراراً لنعتهنَّ]^{٥٦} ، ففي الحديث إشارة إلى أن الطلاق لا لعب فيه وأن من قاله ألزم به ، والله أعلم ، ولم أقف على تخريج الحديث .

(٨٤) (أخرج ابن مردويه : عن أبي الدرداء قال : كان الرجل يطلق ثم يقول : لعبت ويعتق ، ثم يقول : لعبت ، فأنزل الله : [ولا تتخذوا آيات الله هزواً] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طلق أو أعتق فقال : لعبت فليس قوله بشيء يقع عليه ويلزمه)^{٥٧} .

أخرجه : الهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، وفيه عمرو بن عبيد وهو من أعداء الله)^{٥٨} ، ولم أقف على رواية الطبراني ، والله أعلم .

^{٥٢} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٤ / ١٩٠) .

^{٥٣} الدار قطني ، السنن : (٤ / ٤) .

^{٥٤} البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ٣٧٠) .

^{٥٥} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٨٢) السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٨٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٤٣) .

^{٥٦} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٨٢) .

^{٥٧} السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٦٨٣) ، لباب النقول : (٤٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٤٣) .

^{٥٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٤ / ٢٨٧ - ٢٨٨) .

ما جاء في قوله تعالى : [وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضةً فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصيرٌ] آية : ٢٣٧ .

(٨٥) (أخرج ابن مردويه : عن علي بن أبي طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليأتين على الناس زمان عضوض يعرض المؤمن على ما في يديه وينسى الفضل ، وقد قال الله تعالى : [ولا تنسوا الفضل بينكم] ، شرار يبائعون كل مضطر ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر وعن بيع الغرر ، فان كان عندك خير فعده به على أخيك ولا تزده هلاكاً إلى هلاكه ، فإن المسلم أخو المسلم لا يحزنه ولا يحرمه)^{٥٩} .

قال ابن رجب : (قال حرب : سئل أحمد عن بيع المضطر فكرهه ، فقيل له : كيف هو ؟ ، قال : يجيئك وهو محتاج فتبيعه ما يساوي عشرة بعشرين ، وقال أبو طالب : قيل : حصول إن ربح بالعشرة خمسة فكره ذلك وإن كان المشتري مسترسلاً لا يحسن أن يماكس فباعه بغير كثير لم يجز أيضاً)^{٦٠} ، وفي الحديث : (عضوض) ، و (العَضُّ الشدُّ بالأسنان على الشيء) ، وقد عَضَّتُهُ أَعَضَّهُ وَعَضَّضْتُ عَلَيْهِ عَضًّا وَعِضَاضًا وَعَضِيضًا وَعَضَّضْتُهُ ، والأمر منه عَضٌّ وَاغْضَضُ ، وفي حديث العَرَبِيَّاتِ : وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ؛ هذا مثل في شدة الاستمساك بأمر الدين لأن العَضَّ بالنواجذ عَضٌّ بجميع الفم ، قال سيويه : العِضَاضُ اسم كالسَّبَابِ ليس على فَعَلَهُ فَعَلَ ، و فَرَسٌ عَضُوضٌ أَي : يَعْضُ ، وكلب عَضُوضٌ وناقاة عَضُوضٌ ، ويقال : بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْعِضَاضِ وَالْعَضِيضِ إِذَا بَاعَ دَابَّةً وَبَرِيءٌ إِلَى مُشْتَرِيهَا مِنْ عَضَّهَا النَّاسُ ، وقيل : ما أتانا من عِضَاضٍ وَعَضُوضٍ وَمِعْضُوضٍ ، أَي : ما أتانا شيءٌ نَعَضُّهُ ، قيل : وإذا كان القوم لا بنين لهم فلا عليهم أن يَرَوْا عِضَاضًا ، وَعَضَّ الرَّجُلُ بِصَاحِبِهِ يَعْضُهُ عَضًّا لَزِمَهُ وَلَزِقَ بِهِ ، أصل العَضِيضِ اللزوم)^{٦١} ، وفي الحديث الحض على عدم نسيان الفضل بين الناس وأنه أمر الله تبارك وتعالى .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٦٢} ، وأبو داود^{٦٣} ، والبيهقي^{٦٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات والأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم] آية : ٢٥٥ .

^{٥٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٢٩٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١ / ٧٠٠) .

^{٦٠} ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم : (٣٠٦) .

^{٦١} ابن منظور ، مصدر سابق : (٧ / ١٨٨ - ١٨٩) .

^{٦٢} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ١١٦) .

^{٦٣} أبو داود ، السنن : (٣٠ / ٢٥٥) .

^{٦٤} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ١٧) .

(٨٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس ، فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها ؟ ، فسكت القوم ، فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أعظم آية في القرآن : [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] ، وأعدل آية في القرآن : [إن الله يأمر بالعدل والإحسان] ، النحل : الآية ٩٠ إلى آخرها ، وأخوف آية في القرآن : [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] الزلزلة : الآيات ٧ - ٨ ، وأرجى آية في القرآن : [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله] الزمر : الآية ٥٣)^{٦٥} .

آية الكرسي من أعظم آيات كتاب الله عز وجل ، وهي من الآيات الدالة على وحدانية الله تبارك وتعالى ، الجامعة لصفاته ، ليس موجوداً في غيرها ما كان فيها ، ولهذه الآية فضل على غيرها من الآيات والسور ، وهي سيدة آي القرآن ، نزلت ليلاً ودعا النبي صلى الله عليه وسلم زيداً فكتبها ، ففي الحديث (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة ، قال : فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ ، قال : قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما إنه قد كذبتك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعني فإنني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته ، فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟ ، قلت : يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما إنه كذبتك وسيعود ، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هو ؟ ، قال : إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي : الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختتم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل أسيرك البارحة ؟ ، قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال : ما هي ؟ ، قلت : قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تختتم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، وقال : لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ ، قال : لا ، قال : ذاك شيطان)^{٦٦} ، و) أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جرين تمر فكان يجده ينقص ، فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام عليه فرد عليه السلام ، فقال : أجنبي أم إنسي ؟ ، فقال : بل جني ، فقال : أرني يدك ، فأراه ، فإذا يد كلب وشعر كلب ،

^{٦٥} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٠٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٧٤) .

^{٦٦} البخاري ، الصحيح : (٢ / ٨١٢) .

فقال : هكذا خلق الجن ؟ ، فقال : لقد علمت الجن إنه ليس فيهم رجل أشد مني ، قال : ما جاء بك ؟ ، قال : أبنينا أنك تحب الصدقة فجننا نصيب من طعامك ، قال : ما يجيرنا منكم ؟ ، قال : تقرأ آية الكرسي من سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، قال : نعم ، قال : إذا قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمسي ، وإذا قرأتها حين تمسي أجرت منا حتى تصبح ، قال أبي : فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فقال : صدق الخبيث (٦٧) ، و (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيدة آي القرآن آية الكرسي) (٦٨) ، و (عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل شيء سنام ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن هي آية الكرسي) (٦٩) ، و (عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا المنذر أي آية معك من كتاب الله أعظم ؟ ، قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال : أبا المنذر أي آية معك من كتاب الله أعظم ؟ ، قال : قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، قال : فضرب في صدري ، وقال : ليهن لك يا أبا المنذر العلم) (٧٠) ، و (عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) (٧١) ، فقد دلت الأحاديث المتقدمة على فضل آية الكرسي ، وأنها سيدة آي القرآن الكريم حيث ثبتت السيادة لهذه الآية على جميع آيات القرآن ، وذلك شرف عظيم فإن سيد القوم لا يكون إلا أشرفهم خصالا وأكملهم حالا وأكثرهم جلالا (٧٢) ، وهي أشرف آية في كتاب الله عز وجل ، قال بعض العلماء : لأنه يكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمرة وظاهر ثمان عشرة مرة (٧٣) ، وقد اشتملت هذه الآية على عشر جمل مستقلة ، فقوله : [الله لا إله إلا هو] ، إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق : [الحي القيوم] ، أي : الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره ، وقوله : [لا تأخذه سنة ولا نوم] ، أي : لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ؛ بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم ، فقوله : [لا تأخذه] ، أي : لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال : [ولا نوم] ، لأنه أقوى من السنة ، وقوله : [له ما في السموات وما في الأرض] ، إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله : [إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ثم لقد أحصاهم وعدهم عدا ثم وكلهم آتية يوم القيامة فردا] ، وقوله : [من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه] ، كقوله : [وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى] ، وكقوله : [ولا يشفعون إلا لمن ارتضى] ، وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له

٦٧ الحاكم ، المستدرک : (١ / ٧٤٩) .

٦٨ المصدر السابق : (٢ / ٢٨٦) .

٦٩ الترمذي ، السنن : (١ / ١٥٧) .

٧٠ أبو داود ، السنن : (٢ / ٧٢) ، البيهقي ، السنن الصغرى : (٥٤٨) .

٧١ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٠) .

٧٢ ينظر : الزرقاني ، مصدر سابق : (٨ / ١٤٧) .

٧٣ ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٣ / ٢٧١) .

في الشفاعة ، وقوله : [يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] ، دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارا عن الملائكة : [وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا] ، وقوله : [ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء] ، أي : لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعاه عليه ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أعلمهم الله عليه كقوله : [ولا يحيطون به علما] ، وقوله : [وسع كرسيه السموات والأرض] ، عن ابن عباس في قوله : [وسع كرسيه السموات والأرض] ، قال : علمه ، وقال آخرون : الكرسي موضع القدمين ، فعن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ، وقد زعم بعض المتكلمين على علم الهيئة من الإسلاميين أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير ويقال له : الأطلس ، وقد رد ذلك عليهم آخرون ، وروى ابن جرير من طريق جوير عن الحسن البصري أنه كان يقول : الكرسي هو العرش والصحيح أن العرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار ، وقوله : [ولا يؤوده حفظهما] ، أي : لا يثقله ولا يكثره حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو القاهر لكل شيء الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه ، فقوله : [وهو العلي العظيم] ، كقوله : [وهو الكبير المتعال] ، وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه^{٧٤} ، فقد حرص القرآن الكريم على تأكيد وحدانية الإله المعبود بالحق واسمائه الحسنی وصفاته المثلى ، ومن أجل أن تكون عقيدة التوحيد موحدة غير مفرقة عرض القرآن الكريم توحيد الله تعالى في الذات والصفات والأفعال في أساسه القويم دون التعرض إلى التفاصيل التي لا تدركها العقول ولا تستفيد من إدراكها بناء حياتها ومسيرتها الحضارية ولا يبنى عليها أي عمل للنجاة في الحياة الآخرة^{٧٥} ، فنثبت ما أثبت الله لنفسه وما أثبتته رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ، وهو مذهب السلف رحمهم الله تعالى ، قال ابن تيمية -رحمه الله- : (ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل)^{٧٦} ، وفي الحديث إشارة إلى عظم آية الكرسي •

لم أقف على تخريج الحديث عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما ؛ لكن للحديث شواهد من حيث ابن مسعود بلفظ : (عن الشعبي قال : جلس مسروق وشستير بن شكل في مسجد الأعظم فرآهما ناس فتحولوا إليهما ، فقال : مسروق لشستير إنما تحول إلينا هؤلاء لنحدثهم ؛ فإما أن تحدث وأصدقك وإما أن أحدث

^{٧٤} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٠٩) وما بعدها •

^{٧٥} ينظر : د. محسن عبد الحميد ، تفسير آيات الصفات بين المثبتة والمؤولة : (٩) •

^{٧٦} ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مكتبة المعارف ، المغرب : (٥ / ٢٦) •

وتصدقني ، فقال مسروق : حدث أصدقك ، قال : شتير ثنا عبد الله بن مسعود : أن أعظم آية في كتاب الله : [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] ، إلى آخر الآية ، فقال مسروق : صدقت ، حدثنا عبد الله : أن أجمع آية في كتاب الله : [إن الله يأمر بالعدل والإحسان] ، إلى آخر الآية ، قال مسروق : صدقت ، وحدثنا أن أكثر أو أكبر آية في كتاب الله فرحا : [يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله] ، إلى آخر الآية ، فقال مسروق : صدقت ، وحدثنا أن أشد آية في كتاب الله تفويضا : [ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب] ، إلى آخر الآية ، فقال مسروق : صدقت (٧٧) .

(٨٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي أمامة يرفعه قال : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور ، سورة البقرة وآل عمران وطه ، قال أبو أمامة : فالتمستها فوجدت في البقرة في آية الكرسي : [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] ، وفي آل عمران : [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] ، وفي آل عمران : الآية ٢ ، وفي طه : [وعت الوجوه للحي القيوم] ، طه : الآية ١١١) (٧٨) .

قيل في الأعظم : (بمعنى العظيم ، وليس أفعل للتفضيل ؛ لأن كل اسم من أسمائه عظيم وليس بعضهم أعظم من بعض ، وقيل : هو للتفضيل لأن كل اسم فيه أكثر تعظيما لله فهو أعظم ؛ فالله أعظم من الرب فإنه لا شريك له في تسميته به لا بالإضافة ولا بدونها وأما الرب فيضاف للمخلوق الذي إذا دعي به أجاب بمعنى أنه يعطي عين المسؤول بخلاف الدعاء بغيره فإنه وإن كان لا يرد لكونه بين إحدى ثلاث إعطاء المسؤول في الدنيا أو تأخيرها للآخرة أو التعويض بالأحسن في ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه ، وقد اختلف في الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً ، قال ابن حجر : وأرجحها من حيث السند : الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) (٧٩) ، وقد جاء الحديث يبين اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإنما كان هذا التعدد في الآيات حيث قال : في ثلاث سور ، إنما كان للحض إلى الدعوة بها جميعاً من دون تفضيل واحدة عليها دون الباقي حتى لا يكون الاعتماد عليها دون الباقي ، والله أعلم .

أخرج الحديث : ابن ماجه^{٨٠} ، والطبراني^{٨١} ، والحاكم^{٨٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [مَثَلُ الَّذِينَ ينفقون أموالهم في سبيل الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] آية : ٢٦١ .

^{٧٧} عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، مصدر سابق : (٣ / ٣٧١) ، الطبراني ، المعجم الكبير : (٩ / ١٣٣) .

^{٧٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٠٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٢ / ١٠ - ١١) .

^{٧٩} المناوي ، مصدر سابق : (١ / ٥١٠) .

^{٨٠} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٢٦٧) .

^{٨١} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٨ / ١٩٢) ، مسند الشاميين : (١ / ٤٤١) ، المعجم الكبير : (٨ / ١٨٣) ، (٨ / ٢٣٧) .

^{٨٢} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٦٨٦) .

(٨٨) (قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن العسكري البزاز^{٨٣} ، أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب^{٨٤} ، أخبرنا محمود بن خالد الدمشقي^{٨٥} ، أخبرنا أبي^{٨٦} ، عن عيسى بن المسيب^{٨٧} ، عن نافع ، عن ابن لما نزلت هذه الآية : [مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله] ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : رب زد أمتي ، قال : فأنزل الله : [من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً] ، قال : رب زد أمتي ، قال : فأنزل الله : [إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب]^{٨٨} .

قلت : قال الطبري : (وهذه الآية مردودة إلى قوله : [من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون] ، والآيات التي بعدها إلى قوله : [مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله] ، من قصص بني إسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت وما بعد ذلك من نبأ الذي حاج إبراهيم مع إبراهيم وأمر الذي مر على القرية الخاوية على عروشها وقصة إبراهيم ومسألته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترض به من قصصهم بين ذلك احتجاجاً منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة وحضاً منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد في سبيله الذي أمرهم به في قوله : [وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم] ، يعرفهم فيهم أنه ناصرهم وإن قل عددهم وكثر عدد عدوهم ويعدهم النصر عليهم ويعلمهم سنته فيمن كان على مناهجهم من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بأنه خاذلهم ومفرق جمعهم وموهن كيدهم وقطعاً منه ببعض عذر اليهود الذين كانوا بين ظهرائهم مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أطلع نبيه عليه من خفي أمورهم ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التي لم يعلمها سواهم ليعلموا أن ما أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وأنه ليس

^{٨٣} لم أقف على ترجمته .

^{٨٤} الحسن بن علي بن شبيب البغدادي المعمرى ، ولد في حدود سنة عشر ومائتين ، سمع شيبان بن فروخ وأبا نصر التمار وعلي بن المديني وخلف بن هشام وهديبة بن خالد وسعيد بن عبد الجبار وسويد بن سعيد وجبارة بن المغلس ونصف بن زغبة ودحيما وطبقتهم بالشام ومصر والعراق ، وجمع وصنف وتقدم ، حدث عنه أبو بكر النجاد وأبو سهل بن زياد وأحمد بن كامل القاضي وابن قانع وأحمد بن عيسى التمار ومحمد بن أحمد المفيد وأبو القاسم الطبراني وخلق ، قال الخطيب : كان من أوعية العلم يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ وفي حديثه غرائب وأشياء ينفرد بها ، قال الدارقطني : صدوق حافظ جرحه موسى بن هارون وكانت العداوة بينهما وكان أنكر عليه أحاديث أخرج أصوله بها ثم إنه ترك روايتها ، قال أحمد بن كامل القاضي : مات أبو علي المعمرى لإحدى عشرة من المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين ، ينظر : الذهبي ، السير : ١٣٠ / ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣) ، طبقات المحدثين : (١٠٦) ، ابن حجر ، لسان الميزان : (٢ / ٢٢١) .

^{٨٥} محمود بن خالد الدمشقي أبو علي ، روى عن عمر بن عبد الواحد والوليد بن مسلم ومروان بن محمد ، روى عنه أبو حاتم وأبو زرعة وروى عنه أحمد ابن أبي الحواري ، قال أحمد بن أبي الحواري : حدثني محمود بن خالد الثقة الأمين ، قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : حدثنا محمود بن خالد وكان ثقة رضا ، ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٢٩٢) ، الذهبي ، المقتنى : (١ / ٤١٤) .

^{٨٦} (خالد بن يزيد الأزرق ويكنى بأبي هاشم والد محمود بن خالد الدمشقي ، روى عن عيسى بن المسيب ، روى عنه ابنه محمود بن خالد) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٣٦٠) .

^{٨٧} عيسى بن المسيب البجلي الكوفي عن الشعبي وغيره ، قال يحيى والنسائي والدارقطني : ضعيف ، وقال أبو حاتم وأبو زرعة : ليس بالقوي ، وتكلم فيه ابن حبان وغيره ، وقال أبو داود هو قاضي الكوفة ضعيف ، ينظر : النسائي ، الضعفاء والمتروكين : (٧٦) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٢٨٨) ، الذهبي ، ميزان الاعتدال : (٥ / ٣٨٩) .

^{٨٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣١٨) .

بتخرض ولا اختلاق وإعذارا منه به إلى أهل النفاق منهم ليحذروا بشكهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم من بأسه وسطوته مثل الذي أحلها بأسلافهم الذين كانوا في القرية التي أهلكتها فتركها خاوية على عروشها ، ثم عاد تعالى ذكره إلى الخبر عن الذي يقرض الله قرضا حسنا وما عنده له من الثواب على قرضه فقال : [مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله] ، يعني بذلك مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم كممثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير ذلك من نبات الأرض التي تسنبل سنبله بذرها زارع فأنتبت يعني فأخرجت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة ، يقول : فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته ، فإن قال قائل : وهل رأيت سنبله فيها مائة حبة أو بلغت ؟ ، فضرب بها مثل المنفق في سبيل الله ماله ، قيل : إن يكن ذلك موجودا فهو ذاك وإلا فجائز أن يكون معناه كممثل سنبله أنتبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة إن جعل الله ذلك فيها ، ويحتمل أن يكون معناه : في كل سنبله مائة حبة يعني إذا هي بذرت أنتبت مائة حبة فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المائة الحبة مضافا إليها لأنه كان عنه ^{٨٩} .

وقد أخرج الحديث : الطبراني ^{٩٠} ، وابن حبان ^{٩١} ، والبيهقي ^{٩٢} ، والهيثمي ^{٩٣} ، وقد روى الجميع الحديث من طريق أبي إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب ، وقال الهيثمي : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عيسى بن المسيب) ^{٩٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى والله غنيٌ حلِيمٌ ، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رياءً الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلُه كمثل صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون على شيءٍ ممّا كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين] الآيات : ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ .

^{٨٩} الطبري ، التفسير : (٦٠ / ٣ - ٦١) .

^{٩٠} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١٠ / ٦) .

^{٩١} ابن حبان ، الصحيح : (١٠ / ٥٠٥) .

^{٩٢} البيهقي ، شعب الإيمان : (٣٦ / ٤) .

^{٩٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣ / ١١٢) ، موارد الظمان : (٣٩٧) .

^{٩٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣ / ١١٢) ، فدل بقوله ذلك على ضعف عيسى بن المسيب ، والله أعلم .

(٨٩) (قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى^{٩٥} ، أخبرنا عباس بن محمد الدوري^{٩٦} ، أخبرنا هيثم بن خارجة^{٩٧} ، أخبرنا سليمان بن عتبة^{٩٨} ، عن يونس بن ميسرة^{٩٩} ، عن أبي إدريس^{١٠٠} ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر)^{١٠١} .

في الآيات المتقدمة يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله لا يرجون غيره وهم بعد كل ذاك الإنفاق لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منّا على من أعطوه فلا يمتنون به على أحد بقول ولا فعل وهم بذلك لا يريدون إلا وجه الله تعالى ، وقوله : [ولا أذى] ، أي : لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان فهم يفعلون الخير لا يفعلون السوء والمنكر فكان أن وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال : [لهم أجرهم عند ربهم] ، أي : ثوابهم على الله لا على أحد سواه : [ولا خوف عليهم] ، أي :

^{٩٥} (العطشي الشيخ الثقة المسند أبو الحسين أحمد بن عثمان بن يحيى بن عمرو البغدادي العطشي الأدمي ، مولده سنة خمس وخمسين ومائتين ، سمع أحمد ابن عبد الجبار الطاردي وعباس بن محمد الدوري ومحمد بن ماهان زنبقة ومحمد بن الحسين الحنيني ، حدث عنه ابن رزقويه ووالحاكم وأبو علي بن شاذان وعدد كثير ، وكان البرقاني يوثقه ، قال الخطيب : توفي في ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وثلاث مائة ، وكان ثقة) ، الذهبي ، السير : (١٥ / ٥٦٨) .

^{٩٦} عباس بن محمد الدوري أبو الفضل ، روى عن عثمان بن عمر وعبد الحميد الحماني وخلف بن تميم وشبابة والأسود بن عامر وهاشم بن القاسم وحسن الأشيب ، قال ابن أبي حاتم : سمعت منه مع أبي وهو صدوق ، وقال سئل أبي عنه : فقال : صدوق ، توفي سنة سنة إحدى وسبعين ومائتين ، ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٢١٦) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (٢ / ٥٨٩) ، الذهبي ، الكاشف : (١ / ٥٣٦) .

^{٩٧} (الهيثم بن خارجة أبو أحمد خراساني الأصل ، سمع الليث بن سعد ويعقوب القمي والجراح بن مليح البهراني وإسماعيل بن عياش ، روى عنه أحمد بن حنبل وإسماعيل بن أبي الحارث ومحمد بن إسحاق الصاعقاني وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وأحمد بن أبي خيثمة وإبراهيم الحربي وموسى بن هارون وعبد الله بن أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم بن سفيان وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، قال هشام بن عمار : كنا نسمة شعبة الصغير ، وقال صالح : كان أحمد بن حنبل يثنى عليه ، وكان يتزهّد ، وكان سيء الخلق مع أصحاب الحديث ، والهيثم بن خارجة أصله من مرو الروذ ، وسئل يحيى بن معين عن الهيثم بن خارجة فقال : ثقة ، توفي في آخر ذي الحجة سنة سبع وعشرين ومائتين) ، الخطيب البغدادي ، مصدر سابق : (١٤ / ٥٨) .

^{٩٨} أبو الربيع سليمان بن عتبة الدمشقي الشامي ، روى عن يونس بن ميسرة بن حلبس ، روى عنه سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي والهيثم بن خارجة وهشام بن عمار ، قال صالح بن أحمد بن حنبل : قال أبو سليمان بن عتبة لا أعرفه ، وعن يحيى بن معين أنه قال : سليمان بن عتبة شامي لا شيء ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن سليمان بن عتبة الشامي ؟ ، قال : ليس به بأس وهو محمود عند الدمشقيين ، مات سنة خمس وثمانين ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٣٠) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٣١٩) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ١٣٤) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٤١٨) ، ابن حبان ، الثقات : (٨ / ٢٧٤) .

^{٩٩} يونس بن ميسرة بن حلبس أبو حلبس الأعمى الجبلاي الشامي ، يروي عن أم الدرداء وعبد الله بن عمرو ، ويروي عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الخير عادة والشر لحاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، روى عنه أهل الشام ومروان بن جراح وغيره ، قال العجلي : شامي ثقة تابعي ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٧٩) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٨ / ٤٠٢) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٥٩٤) ، ابن حبان ، الثقات : (٥ / ٥٥٥) .

^{١٠٠} أبو إدريس الخولاني عائد الله بن عبد الله ، ويقال فيه : عيد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة قاضي دمشق وعالمها وواعظها ، ولد عام حنين ، وحدث عن أبي ذر وأبي الدرداء وحذيفة وأبي موسى وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وعوف بن مالك الأشجعي وعقبة بن عامر الجهنمي والمغيرة بن شعبة وابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن حوالة وأبي مسلم الخولاني وعدة ، حدث عنه أبو سلام الأسود ومكحول وابن شهاب وعبد الله بن عامر اليحصبي ويحيى بن يحيى الغساني وعطاء بن أبي مسلم وأبو قلابة الجرمي ومحمود بن يزيد الرحبي ويونس بن ميسرة بن حلبس وي زيد ابن أبي مريم وربيعة القصير وآخرون ، وليس هو بالكثير لكن له جلاله عجيبة ، سئل دحيم عنه وعن جبير أيهما أعلم ، قال : أبو إدريس هو المقدم قال العجلي : دمشقي تابعي ثقة ، مات أبو إدريس الخولاني سنة ثمانين ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ١٦) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٧ / ٨٣) ، البرديجي ، مصدر سابق : (١١٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ٣٧) ، الذهبي ، السير : (٤ / ٢٧٢) ، وما بعدها .

^{١٠١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣١٩) .

فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة : [ولا هم يحزنون] ، أي : على ما خلفوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك ، ثم قال تعالى : [قول معروف] ، أي : من كلمة طيبة ودعاء لمسلم : [ومغفرة] ، أي : عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي خير من صدقة يتبعها أذى^{١٠٢} ، ففي الحديث النهي على المن في العطايا والهبات وبيان أن من يفعل ذلك دخل النار ، والله أعلم ، وأخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٠٣} ، ابن أبي عاصم الشيباني^{١٠٤} ، الطبراني^{١٠٥} ، والهيثمي^{١٠٦} ، وقال الهيثمي : (رواه أحمد والبخاري والطبراني ، وزاد ولا منان ، وفيه سليمان بن عتبة الدمشقي ، وثقه أبو حاتم وغيره ، وضعفه ابن معين وغيره)^{١٠٧} .

(٩٠) (أخرج ابن مردويه : عن سالم بن عبد الله بن عمر^{١٠٨} ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى)^{١٠٩} .

في الحديث قوله : (لا ينظر إليهم) ، قال المناوي : (والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم ؛ فإن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات إليه ، كما أن من اعتد بغيره يكسر النظر إليه ولهم مع ذلك الأمر المهول عذاب أليم مؤلم موجه)^{١١٠} ، وقال : (والمنان بما أعطى) ، (قال الطيبي : يؤول على وجهين أحدهما من المنة الذي هي الاعتداد بالضيعة وهي إن وقعت في صدقة أحبطت الثواب أو في معروف أبطلت الضيعة ، وقيل : من المنن وهو النقص يعني النقص من الحق والخيانة فيه ، والمنة لا تليق إلا بالله تعالى إذ هو الملك الحقيقي وغيره يعطي من ملك غيره فلم يجز له المن فإذا منَّ كأنه ادعى لنفسه الملك والحرية وانتفى من العبودية ونزع صفات رب البرية فلا ينظر إليه نظرة رحمانية)^{١١١} .

^{١٠٢} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣١٨ - ٣١٩) .

^{١٠٣} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ٤٤١) .

^{١٠٤} ابن أبي عاصم الشيباني ، السنة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت (١٤٠٠ هـ) : (١ / ٢٤١) .

^{١٠٥} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٤ / ٤٦) .

^{١٠٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢٠٢) .

^{١٠٧} المصدر السابق : (٧ / ٢٠٣) .

^{١٠٨} سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي المدني ، كنيته أبو عمر ، كان يشبه أباه في السمات والهدى وكان يخضب بالحناء وكان أشبه ولد عمر بن الخطاب به ، يروى عن أبيه وأبي هريرة وعائشة ، روى عنه الزهري ونافع والناس ، مات سنة ست ومائة وصلى عليه هشام بن عبد الملك في حجته التي حج ولم يحج في ولايته غيرها ، وأمه أم ولد ، قال العجلي : مدني تابعي ثقة حدثني أبي عبد الله قال : كان عبد الله بن عمر يقبل ابنه سالما ويقول شيخ يقبل شيخا ويقول إني أحبك حين حب الإسلام وحب القرابة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٣٨٣) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ١١٥) ، ابن أبي حاتم الجرح والتعديل : (٤ / ١٨٤) ، ابن حبان ، الثقات : (٤ / ٣٠٥) ، مشاهير علماء الأمصار : (٦٥٠) .

^{١٠٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣١٩) .

^{١١٠} المناوي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٣١) .

^{١١١} المصدر السابق : (٣ / ٣٣٢ - ٣٣١) .

وقد أخرج الحديث : النسائي^{١١٢} ، وابن حبان^{١١٣} ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١١٤} ، والبيهقي^{١١٥} ، والهيثمي^{١١٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [يوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب] آية : ٢٦٩ .

(٩١) (أخرج ابن مردويه : عن جوير^{١١٧} ، عن الضحاك^{١١٨} ، عن ابن عباس مرفوعاً ، يؤت الحكمة ، قال : القرآن يعني تفسيره ، قال ابن عباس : فإنه قد قرأه البر والفاجر)^{١١٩} .

قوله تعالى : [يؤت الحكمة من يشاء] ، أي : يعطيها لمن يشاء من عباده ، واختلف العلماء في الحكمة هنا فقال بعضهم : هي النبوة ، وقيل : هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغيره ومقدمه ومؤخره ، وقيل : الحكمة هي الفقه في القرآن ، وقيل : الإصابة في القول والفعل ، وقيل : الحكمة العقل في الدين ، وقيل : الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له ، وقيل : الحكمة التفكير في أمر الله والاتباع له وطاعة الله والفقه في الدين والعمل به ، وقيل : الخشية ، وقيل : الحكمة الفهم في القرآن ، وقيل : الحكمة الورع ، وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض ، لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتيان في قول أو فعل ؛ فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي جنس ، فكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة ، وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة ، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، فقيل للعلم : حكمة لأنه يمتنع به وبه يعلم الإمتناع

^{١١٢} النسائي ، السنن الكبرى : (٢ / ٤٢) .

^{١١٣} ابن حبان ، الصحيح : (١٦ / ٣٣٥) .

^{١١٤} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ١٦٣) .

^{١١٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٢٨٨) .

^{١١٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ١٤٧) ، موارد الظمان : (٤٩٨) .

^{١١٧} جوير بن سعيد البلخي ، روى عن الضحاك ومحمد بن واسع وأبي سهل ، روى عنه الثوري وابن المبارك ويزيد بن هارون ، ضعفه علي بن المديني ويحيى بن سعيد ، قال أحمد : لا يشتغل بحديثه ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي وعلي بن الجنيد والدارقطني : متروك ، قال يحيى القطان : تساهلوا في أخذ التفسير عن القوم لا تولعوه في الحديث ، ثم ذكر ليث بن أبي سليم وجوير والضحاك ومحمد بن السائب وقال هؤلاء لا يحمد حديثهم ويكتب التفسير عنهم ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٢ / ٢٥٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ٥٤٠) ، ابن الجوزي ، الضعفاء والمتروكين : (١ / ١٧٧) ، (الذهبي ، ميزان الاعتدال : (٢ / ١٦٠) .

^{١١٨} الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد ، وقيل : أبو القاسم صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم وليس بالجمود لحديثه وهو صدوق في نفسه وكان له أخوان محمد ومسلم ، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وابن عمر وأنس بن مالك وعن الأسود وسعيد بن جبير وعطاء وطاووس وطائفة ، وبعضهم يقول : لم يلق ابن عباس ، حدث عنه عمارة بن أبي حفصة وأبو سعد البقال وجوير بن سعيد ومقاتل وعلي بن الحكم وأبو روق عطية وأبو يحيى بن أبي حية وتمشل بن سعيد وعمر بن الرماح وعبد العزيز بن أبي رواد وقرّة بن خالد وآخرون ، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والعجلي وأبو زرعة وغيرهم ، وحديثه في السنن لا في الصحيحين ، وكان شعبة لا يحدث عنه وينكر أن يكون لقي ابن عباس ، وقال يحيى بن سعيد : الضحاك عندنا ضعيف ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٤٧٢) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٣٣٢) ، ابن حبان ، الثقات : (٦ / ٤٨٠) ، ابن الجوزي ، الضعفاء والمتروكين : (٢ / ٦٠) ، الذهبي ، السير : (٤ / ٥٩٨) .

^{١١٩} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٢٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٦٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٩١) .

من السفه وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم ، وقال هنا : [ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً] ، وكرر ذكر الحكمة ولم يضمها اعتناء بها وتبنيها على شرفها وفضلها^{١٢٠} ، وقيل : وأصح ما قيل في الحكمة أنها وضع الشيء في محله أو الفهم في كتاب الله فعلى التفسير الثاني قد يوجد الحكمة دون الإيمان وقد لا توجد ، وعلى الأول فقد يتلازمان لأن الإيمان يدل على الحكمة^{١٢١} ، وقيل : كل كلمة وعظمتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة تزيد الشريف شرفاً ، أي : رفعة وعلو قدر^{١٢٢} ، وقد جاء القول عن ابن عباس مبيناً لتلك الآية الكريمة على رأيه أن الحكمة هي القرآن ، وأن القرآن لما كان يقرأه البر والفاجر لم يستفد منه إلا البر الذي يعلم تفسيره والعمل به جميعاً ، والله أعلم ، ولم أقف على تخريج الحديث .

ما جاء في قوله تعالى : [للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم] آية : ٢٧٣ .
(٩٢) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف ، واقرأوا إن شئتم : [لا يسألون الناس إلحافاً])^{١٢٣} .

قال ابن كثير : (قوله : [للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله] ، يعني : المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم ولا يستطيعون ضرباً في الأرض يعني سفراً للتسبب في طلب المعاش ، والضرب في الأرض هو السفر ، قال الله تعالى : [وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة] ، وقال تعالى : [علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله] الآية ، وقوله : [يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف] ، أي : الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم)^{١٢٤} ، ومعنى أحصروا : حبسوا وضيق عليهم من : (حَصَرَهُ ضيق عليه وأحاط به ، والحَصِيرُ الضيق البخيل والحصير البالية والحصير أيضا المحبس قال الله تعالى : [وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً] ، والحَصْرُ العي وهو أيضا ضيق الصدر ، يقال : حَصِرَ صدره ، أي : ضاق ، وكل من امتنع من شيء فلم يقدر عليه فقد حُصر عنه ، ولهذا قيل : حصر في القراءة وحصر عن أهله ، والحَصْرُ بالضم اعتقال البطن ، قال ابن السكيت : أَحْصَرَهُ المرض ، أي : منعه من السفر أو من حاجة يريد بها ، قال الله تعالى : [فإن أحصرتم] ، قال : وقد حَصَرَهُ العدو يحصرونه ، أي : ضيقوا عليه وأحاطوا به ، وحاصروه أيضا مُحَاصِرَةً وحصاراً ، وقال الأخفش : حَصَرَتْ

^{١٢٠} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٣٣٠ / ٣) .

^{١٢١} ينظر : المباركفوري ، مصدر سابق : (١٩٣ / ٩) .

^{١٢٢} ينظر : المناوي ، مصدر سابق : (٤١٦ / ٣) .

^{١٢٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٩٠ / ٢) .

^{١٢٤} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (٣٢٥ / ١) .

الرجل فهو محصورٌ ، أي : حبسته وأحصَرَهُ بوله أو مرضه ، أي : جعله يحصر نفسه ، وقال أبو عمرو : حَصَرَهُ الشيء وأحصَرَهُ حبسه ^{١٢٥} ، وقوله : [لا يسألون الناس إلحافاً] ، قال ابن كثير : (أي لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه ، فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف) ^{١٢٦} ، والإلحاف : شدة الإلحاح في المسألة والسعي إليها بقوة لأخذها ^{١٢٧} ، وفي الحديث : (المسكين) ، وهو الفقير ، وقد يكون بمعنى المذلة والضعف ، يقال : تَسَكَّنَ وَتَمَسَّكَنَ كما قالوا تَمَدَّرَ وَتَمَنَّدَلُ مِنَ الْمَدْرَعَةِ وَالمَنَدِيلِ مثل تشجع وتحلم ، والمسكين الذي لا يسأل ولا يُفطن له فيعطى ^{١٢٨} .

أخرج الحديث : البخاري ^{١٢٩} ، ومسلم ^{١٣٠} ، والنسائي ^{١٣١} ، وأبو يعلى ^{١٣٢} ، والبيهقي ^{١٣٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] آية : ٢٧٤ .

(٩٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : نزلت في علي بن أبي طالب ، كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهما وبالنهار درهما ودرهما سرا ودرهما علانية) ^{١٣٤} .

في هذه الآية صفات المنفقين في سبيل الله تعالى الذين ينفقون أموالهم من غير أن تكون الدعاية مصاحبةً لما ينفقون ، فهم ينفقون في الليل والنهار متى ما كانت حاجة الفقراء إليهم من دون أن يكون لهم وقت معين حتى ينفقوا فيه ، وهم في السر والعلن ينفقون وهم في كل ذلك مبتغاهم أن يرضا الله تبارك وتعالى عنهم .

أخرج الحديث : الطبراني ^{١٣٥} ، والهيثمي وقال : (رواه الطبراني ، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف) ^{١٣٦} .

^{١٢٥} الرازي ، مصدر سابق : (١٣٩) .

^{١٢٦} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٢٦) .

^{١٢٧} ينظر : ابن منظور ، مصدر سابق : (٩ / ٣١٤) .

^{١٢٨} الرازي ، مصدر سابق : (٣٠٧) .

^{١٢٩} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٥١) .

^{١٣٠} مسلم ، الصحيح : (٢ / ٧١٩) .

^{١٣١} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٠٦) ، المحتجى : (٥ / ٨٤) .

^{١٣٢} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١١ / ٢٦٥) .

^{١٣٣} البيهقي ، السنن الكبرى : (٤ / ١٩٥) .

^{١٣٤} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٢٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٩٤) .

^{١٣٥} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٩٧) .

^{١٣٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ٣٢٤) .

ما جاء في قوله تعالى : [الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ] ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون [آية : ٢٧٥ .

(٩٤) (أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد الخدري قال : خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إني لعلي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم وأمركم بأشياء لا تصلح لكم ، وإن من آخر القرآن نزولا آية الربا ، وإنه قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه لنا فدعوا ما يريكم إلى ما لا يريكم)^{١٣٧} .

قوله تعالى : [الذين يأكلون الربا] ، يأكلون يأخذون فعبّر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ إنما يراد للأكل^{١٣٨} ، والربا من ربا الشيء إذا زاد ، والرأبئة ما ارتفع من الأرض وكذا الربوة بضم الراء وفتحها وكسرهما و الرباوة أيضا بفتح الراء و الرئو النفس العالي ، يقال : أربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت ، ورباه تربيته وترباه ، أي : غذاه وهذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه ، وزنجيل مربي ومربب ، أي : معمول بالرب^{١٣٩} ، وقال الطبري : (وإنما قيل للمربي مربب لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالا أو لزيادته عليه فيه لسبب الأجل الذي يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذي كان له قبل حل دينه عليه ، ولذلك قال جل ثناؤه : [يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة])^{١٤٠} ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الربا من الموبقات السبع التي تهلك من جاء بها ففي الحديث (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)^{١٤١} ، و (عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا ؟ ، فقال : الذي رأيته في النهر أكل الربا)^{١٤٢} ، وقد لعن من كان شاهداً على الربا ومن أكل الربا ومن أعطى الربا ، ففي الحديث (عن عون ابن أبي جحيفة قال : رأيت أبي فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم و ثمن الكلب وآكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة)^{١٤٣} ، و (عن مسروق قال : قال عبد الله بن مسعود : آكل الربا وموكله وشاهداه إذا علماه والواشمة والمستوشمة ولاوي

^{١٣٧} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٢٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ١٠٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٩٦) .

^{١٣٨} القرطبي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٤٨) .

^{١٣٩} الرازي ، مصدر سابق : (٢٣١) .

^{١٤٠} الطبري ، التفسير : (٣ / ١٠١) .

^{١٤١} مسلم ، الصحيح : (١ / ٩٢) .

^{١٤٢} البخاري ، الصحيح : (٢ / ٧٣٤) .

^{١٤٣} المصدر السابق : (٥ / ٢٢١٩) .

الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة^{١٤٤} ، قال ابن حجر : (واصل الربا الزيادة ، إما في نفس الشيء كقوله تعالى : [اهتزت وربت] ، وإما في مقابلة كدرهم بدرهمين ، فقيل : هو حقيقة فيهما ، وقيل : حقيقة في الأول مجاز في الثاني ، ويطلق الربا على كل بيع محرم)^{١٤٥} ،

وأما قوله تعالى : [يتخبطه الشيطان من المس] ، فقد قال أهل العلم : (قيل : ذلك حين يبعث من قبره ، قيل : تلك علامة أهل الربا يوم القيامة يبعثون وبهم خبل ، وقيل : معناه أن الناس يخرجون من الأحداث سراعاً لكن أكل الربا يربو الربا في بطنه فيريد الإسراع فيسقط فيصير بمنزلة المتخبط من الجنون)^{١٤٦} ، وقال ابن عبد البر : (وآكل الربا يبعثه الله يوم القيامة مختنقا يختنق)^{١٤٧} ، فالربا في جهنم يلقي صاحبه وقد جاء الحث على تركه وعدم أخذه مهما كانت الذرائع .

ولم يخرج الحديث إلا الدارمي في سننه^{١٤٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [فَإِنَّ لِمَ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ] آية : ٢٧٩ .

(٩٥) عن سليمان بن عمرو بن الأحوص^{١٤٩} ، عن أبيه^{١٥٠} قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع فلکم رءوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون)^{١٥١} .

قال القرطبي : (هذا وعيد إن لم يذروا الربا والحرب داعية القتل ، وروي عن ابن عباس : أنه يقال يوم القيامة لاآكل الربا خذ سلاحك للحرب ، وقال أيضا : من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستثيبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه ، وقال قتادة : أوعد الله أهل الربا بالقتل فجعلهم بهرجا أينما تقفوا ، وقيل : المعنى إن لم تنتهوا فأنتم حرب لله ولرسوله ، أي : أعداء ، وقال ابن خوزيمنداد : ولو أن أهل بلد اصطلحوا

^{١٤٤} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٤ / ٨) .

^{١٤٥} ابن حجر ، فتح الباري : (٤ / ٣١٣) .

^{١٤٦} ابن حجر فتح الباري : (٤ / ٣١٤) .

^{١٤٧} ابن عبد البر ، التمهيد : (٢ / ١٠) .

^{١٤٨} الدارمي ، مصدر سابق : (١ / ٦٤) .

^{١٤٩} سليمان بن عمرو بن الأحوص الجشمي ، ويقال : الأزدي الكوفي ، روى عن أبيه وأمه أم جندب ، وعنه شبيب بن غرقدة ويزيد بن أبي زياد ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٢٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ١٣٢) ، ابن حبان ، الثقات : (٤ / ٣١٤) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٤ / ١٨٦) .

^{١٥٠} عمرو بن الأحوص بن جعفر بن كلاب الجشمي الكلابي ، اختلف في نسبه هو : والد سليمان بن عمرو ، وروى عنه ابنه سليمان بن عمرو بن الأحوص حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ، وفي رمى الجمار أيضا ، يقال : إنه شهد حجة الوداع مع أمه وامرأته وحديثه في الخطبة عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيح ، وقد شهد اليرموك في زمن عمر ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٦ / ٣٠٥) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٢٢٠) ، ابن عبد البر ، الاستيعاب : (٣ / ١١٦١) ، ابن حجر ، الإصابة : (٤ / ٥٩٨) .

^{١٥١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٣٢) .

على الربا استحلالاً كانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة وإن لم يكن ذلك منهم استحلالاً جاز للإمام محاربتهم ألا ترى أن الله تعالى قد أذن في ذلك فقال : [فأذنوا بحرب من الله ورسوله] ^{١٥٢} ، فقد دلت الآية على حرمة الربا وأن من لم يتركه كان محارباً لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، فوجب الحذر من الربا والانتهاز منه حتى لا يقع المرء في المحذور ، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث : (ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع) ، قال النووي رحمه الله : (قوله صلى الله عليه وسلم في الربا أنه موضوع كله ، معناه : الزائد على رأس المال كما قاله الله تعالى : [وان تبتم فلکم رءوس أموالکم] ، وهذا الذي ذكرته إيضاح وإلا فالمقصود مفهوم من نفس لفظ الحديث ؛ لأن الربا هو الزيادة فإذا وضع الربا فمعناه وضع الزيادة ، والمراد بالوضع الرد والإبطال ^{١٥٣} ، وقد أبطل الحديث كل ربا كان في الجاهلية ، وكل دم كان فيها أيضاً .
أخرج الحديث : أبو داود ^{١٥٤} ، وابن ماجه ^{١٥٥} ، والبيهقي ^{١٥٦} .

ما جاء قوله تعالى : [واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ثم تُوفى كلُّ نفسٍ ما كسبتْ وهم لا يُظلمون] آية : ٢٨١ .

(٩٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت : [واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله] ^{١٥٧} . قلت : قال الطبري : (وقيل : هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن ، قال ابن جريج : يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال وبدا يوم السبت ومات يوم الاثنين) ^{١٥٨} ، وقال القرطبي : (قيل : إن هذه الآيات نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شيء قاله ابن جريج ، وقال ابن جبير ومقاتل : بسبع ليال ، وروي بثلاث ليال ، وروي أنها نزلت قبل موته بثلاث ساعات ، وأنه عليه السلام قال : اجعلوها بين آية الربا وآية الدين ، ثم قال : والآية وعظ لجميع الناس وأمر يخص كل إنسان ، قال ابن جني : كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين على أن يواجههم بذكر الرجعة إذ هي مما ينفطر لها القلوب فقال لهم : [واتقوا يوماً] ، ثم رجع في ذكر الرجعة إلى الغيبة رفقاً بهم ، وجمهور العلماء على أن هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية ، وقال قوم : هو يوم الموت ، وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الأعمال وهو رد على الجبرية) ^{١٥٩} ، فقد تضمنت الآية الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل وخشيته وتقواه وأن العبد راجع إلى ربه فيحاسب على ما كان من فعله .

^{١٥٢} القرطبي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٦٣ - ٣٦٤) .

^{١٥٣} النووي ، المنهاج : (٨ / ١٨٣) .

^{١٥٤} أبو داود ، السنن : (٣ / ٢٤٤) .

^{١٥٥} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٠١٥) .

^{١٥٦} البيهقي ، السنن الكبرى : (٥ / ٢٥٧) .

^{١٥٧} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٣٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ١١٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٢٩٩) .

^{١٥٨} الطبري ، التفسير : (٣ / ١١٥) .

^{١٥٩} القرطبي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٧٥ - ٣٧٦) .

أخرج الحديث : البخاري معلقاً^{١٦٠} ، والطبراني^{١٦١} ، والهيثمي وقال عقب ذكره الحديث : (رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات)^{١٦٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم] آية : ٢٨٢ .

(٩٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم ، رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل دفع مال يتيماً قبل أن يبلغ ، ورجل أقرض رجلاً ما لا فلم يشهد)^{١٦٣} .

هذه الآية الكريمة أطول آية في القرآن العظيم وهي آية الدين كما تسمى عند العلماء ، قوله : [يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه] ، هذا إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها وقد نبه على هذا في آخر الآية حيث قال : [ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا] ، وقوله : [فاكتبوه] ، أمر منه تعالى بالكتابة للتوثيق والحفظ وقوله تعالى : [وليكتب بينكم كاتب بالعدل] ، أي : بالقسط والحق ولا يجر في كتابته على أحد ولا يكتب إلا ما اتفقوا عليه زيادة أو نقصان ، وقوله : [ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب] ، أي : ولا يمتنع من يعرف الكتابة إذا سئل أن يكتب للناس ولا ضرورة عليه في علمه الله ما لم يكن يعلم فليصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة وليكتب وقوله : [وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه] ، أي : وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين وليتق الله في ذلك : [ولا يبخس منه شيئاً] ، أي : لا يكتب منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً محجوراً عليه بتبذير ونحوه أو ضعيفاً أي صغيراً أو مجنوناً : [أو لا يستطيع أن يمل هو] ، أما لعي أو جهل بموضع صواب ذلك من خطئه : [فليملل وليه بالعدل] ، وقوله : [واستشهدوا شهيدين من رجالكم] ، أمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق : [فإن لم يكونا رجلين فرجل

^{١٦٠} البخاري ، الصحيح : (٧٣٤ / ٢) .

^{١٦١} الطبراني ، المعجم الكبير : (٣٧١ / ١١) .

^{١٦٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣٢٤ / ٦) .

^{١٦٣} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (٣٣٧ / ١) .

وامرأتان] ، وهذا إنما يكون في الأموال وما يقصد به المال وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لتقصان عقل المرأة ، وقوله : [ممن ترضون من الشهداء] ، فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود ، وهذا مقيد حكم به الشافعي على كل مطلق في القرآن من الأمر بالإشهاد اشتراط وقد استدل من رد المستور بهذه الآية الدالة على أن يكون الشاهد عدلاً مرضياً ، وقوله : [أن تضل إحداهما] ، يعني المرأتين إذا نسيت الشهادة : [فتذكر إحداهما الأخرى] ، أي : يحصل لها ذكر بما وقع به من الإشهاد وبهذا قرأ آخرون فتذكر بالتشديد من التذكار ومن قال إن شهادتها معها تجعلها كشهادة ذكر فقد أبعد والصحيح الأول والله أعلم ، وقوله : [ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا] ، قيل : معناه إذا دعوا للتحمل فعليهم الإجابة وهذا كقوله : [ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب] ، ومن هاهنا استفيد أن تحمل الشهادة فرض كفاية فيها وهو مذهب الجمهور ، والمراد بقوله : [ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا] ، للأداء لحقيقة قوله الشهداء والشاهد حقيقة فيمن تحمل فإذا دعي لأدائها فعليه الإجابة إذا تعينت وإلا فهو فرض كفاية والله أعلم ، وقوله : [ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله] ، هذا من تمام الإرشاد وهو الأمر بكتابة الحق صغيراً كان أو كبيراً فقال : ولا تسأموا ، أي : لا تملوا أن تكتبوا الحق على أي حال كان من القلة والكثرة إلى أجله ، وقوله : [ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا] ، أي : هذا الذي أمرناكم به من الكتابة للحق إذا كان مؤجلاً هو أقسط عند الله ، أي : أعدل وأقوم للشهادة ، أي : أثبت للشاهد إذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة لاحتمال أنه لو لم يكتبه أن ينسأه كما هو الواقع غالباً وأدنى أن لا ترتابوا وأقرب إلى عدم الريبة بل ترجعون عند التنازع إلى الكتاب الذي كتبتموه فيفصل بينكم بلا ريبة ، وقوله : [إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها] ، أي : إذا كان البيع بالحاضر يدا بيد فلا بأس بعدم الكتابة لانتفاء المحذور في تركها فأما الإشهاد على البيع فقد قال تعالى : [وأشهدوا إذا تباعتم] ، وقوله تعالى : [ولا يضار كاتب ولا شهيد] ، قيل : معناه لا يضار الكاتب ولا الشاهد فيكتب هذا خلاف ما يملي ويشهد هذا بخلاف ما سمع أو يكتمها بالكلية ، وقوله : [وإن فعلوا فإنه فسوق بكم] ، أي : إن خالفتم ما أمرتم به أو فعلتم ما نهيتم عنه فإنه فسوق كائن بكم ، أي : لازم لكم لا تحيدون عنه ولا تنفكون منه ، وقوله : [واتقوا الله] ، أي : خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واركبوا زجره ، [ويعلمكم الله] ، كقوله : [يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً] ، وكقوله : [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به] ، وقوله : [والله بكل شيء عليم] ، أي : هو عالم بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها فلا يخفى عليه شيء من الأشياء بل علمه محيط بجميع الكائنات ، فقد دلت الآية على كيفية التعامل في موضوع الدين حتى يتحقق رد الأموال إلى أصحابها من دون أن يكون هناك أي نزاع بين الناس وترد الحقوق إلى أهلها ، وقد أشار الحديث إلى ذلك ، والله أعلم •

أخرج الحديث : الحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، لتوقيف أصحاب
شعبة هذا الحديث على أبي موسى)^{١٦٤} ،
والبيهقي^{١٦٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا
نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين
من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]
الآيتين : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٩٨) (أخرج ابن مردويه : عن حذيفة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : أعطيت هذه الآيات من آخر
سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي)^{١٦٦} .

هاتان الآيتان لهما فضل عظيم فقد جاء في فضلها أحاديث منها : (عن ابن عباس قال : بينما جبريل قاعد
عند النبي صلى الله عليه وسلم : سمع نقيضا من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم
يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا وقال : أبشر بنورين أوتيتهما
لم يؤتتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)^{١٦٧} ، و (عن أبي
مسعود البدري الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآيتان من آخر سورة البقرة
من قرأهما في ليلة كفتاه)^{١٦٨} ، قال النووي : (قيل : معناه كفتاه من قيام الليل ، وقيل : من الشيطان ، وقيل :
من الآفات ، ويحتمل من الجميع)^{١٦٩} ، وقال المناوي : (أغنتاه عن قيام تلك الليلة بالقرآن وأجزأتا عنه عن
قراءة القرآن مطلقا ، هبه داخل الصلاة أم خارجها أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملا عليه من الإيمان
والأعمال إجمالا ، أو وقتاه من كل سوء مكروه وكفتاه شر الشيطان أو الآفات ، أو دفعنا عنه شر الثقلين ، أو
كفتاه بما حصل له بسبب قراءتهما من الثواب عن طلب شيء آخر ، أو كفتاه قراءة آية الكرسي التي ورد أن من
قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله على داره ، وجاء في حديث إنه لم ينزل خير من خير الدنيا والآخرة إلا
اشتملت عليه هاتان الآيتان)^{١٧٠} ، وقد جاء الحديث يبين فضل هاتين الآيتين .
أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٧١} ، والنسائي^{١٧٢} ، وابن حبان^{١٧٣} ،

^{١٦٤} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٣١) .

^{١٦٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (١٠ / ١٤٦) .

^{١٦٦} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٤٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ١٣٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٣٠٩) .

^{١٦٧} مسلم ، الصحيح : (١ / ٥٥٤) .

^{١٦٨} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٤٧٢) ، مسلم ، الصحيح : (١ / ٥٥٥) .

^{١٦٩} النووي ، المنهاج : (٦ / ٩١ - ٩٢) .

^{١٧٠} المناوي ، مصدر سابق : (٦ / ١٩٧ - ١٩٨) .

^{١٧١} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٣٨٣) .

والطبراني^{١٧٤}، والحاكم^{١٧٥}، وأبو نعيم^{١٧٦}، والهيثمي وقال : (رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح)^{١٧٧} .

(٩٩) (أخرج ابن مردويه : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش)^{١٧٨} .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٧٩}، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)^{١٨٠}، والهيثمي^{١٨١} .

(١٠٠) (أخرج ابن مردويه : عن علي قال : لا أرى أحدا عقل الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة ، فإنها من كنز أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم من تحت العرش)^{١٨٢} ، وهذا الحديث يبين أنها من الأذكار التي تقال عند النوم ، ولم أقف على تخريج الحديث .

^{١٧٢} النسائي ، السنن الكبرى : (١٥ / ٥) .

^{١٧٣} ابن حبان ، الصحيح : (٥٩٥ / ٤) ، (٣١٠ / ١٤) .

^{١٧٤} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢٦٢ / ٤) ، المعجم الكبير : (١٦٩ / ٣) .

^{١٧٥} الحاكم ، المستدرک : (٧٥٠ / ١) .

^{١٧٦} أبو نعيم ، المسند المستخرج على صحيح مسلم : (١٢٥ / ٢) .

^{١٧٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣١٢ / ٦) .

^{١٧٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (٣٤٢ / ١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣١٠ / ١) .

^{١٧٩} الإمام أحمد ، المسند : (١٥٩ / ٥) ، (١٨٠ / ٥) .

^{١٨٠} الحاكم ، المستدرک : (٧٥٠ / ١) .

^{١٨١} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣١٢ / ٦) ، (٢٦٣ / ١٠) .

^{١٨٢} ابن كثير ، التفسير : (٣٤٢ / ١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣١٠ / ١) .

سورة آل عمران

سورة آل عمران سورة مدنية^١ نزلت بالمدينة المنورة وهي سورة تضمنت الكثير من الأحكام وكذلك ذكرت أحوال الأمم الماضية ، وقد ورد في فضلها أحاديث منها : (عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف)^٢ ، وفي حديث آخر عنه أيضاً (عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول : تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ، قال : ثم مكث ساعة ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له : هل تعرفني ؟ ، فيقول : ما أعرفك ! ، فيقول له : هل تعرفني ؟ ، فيقول : ما أعرفك ! ، فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان : بم كسينا هذه ؟ ، فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له : اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا)^٣ ، وعند مسلم من حديث (جبير بن نفير قال : سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال : كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما)^٤ ، و (عن أبي يحيى سليم بن عامر أنه سمع أبا أمامة يقول : إن أخا لكم أرى في المنام أن الناس يسلكون في صدع جبل ، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان تهتفان : من يقرأ سورة البقرة من يقرأ سورة آل عمران ، فإذا قال الرجل : نعم دن بأعناقهما حتى يتعلق بهما فتخطران به الجبل ، والأعناق الأغصان)^٥ ، و (عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خيب الله امرأً قام في جوف الليل فافتتح سورة البقرة وآل عمران)^٦ ، وقد جاء في أغلب الأحاديث المتقدمة قوله عليه الصلاة والسلام : (الزهراوان) ، قال السيوطي : (اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، سميت الزهراوين ؛ لنورهما وهدايتهما وعظم أجرهما كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان ، المراد : أن ثوابهما يأتي كغمامتين الغمامة ، والغيابة كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيره ، فرقان

^١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) .

^٢ الحاكم ، المستدرک : (١ / ٧٤٧) .

^٣ الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٣٤٨) .

^٤ مسلم ، الصحيح : (١ / ٥٥٤) .

^٥ الدارمي ، مصدر سابق : (٢ / ٥٤٣) .

^٦ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢ / ٢٥٤) .

بكسر الفاء وسكون الراء قطيعان وجماعتان الواحد فرق ، أي : جماعة)^٧ ، وقال المناوي : (اقرؤوا الزهراوين ، أي : النيرتين سميتا به لكثرة نور الأحكام الشرعية وكثرة أسماء الله تعالى فيهما أو لهديتهما قارئهما أو لما يكون له من النور بسببهما يوم القيامة والزهراوان تشية الزهراء تأنيث أزهر وهو المضيء الشديد الضوء ، فإنهما يأتيان أي : ثوابهما الذي استحقه التالي العامل بهما يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أي : سحابتان تظلان قارئهما من حر الموقف وكرب ذلك اليوم المهول أو غيابتان مثنى غيابة بمشاة تحتية وهي ما أظل الإنسان ، أو كأنهما فرقان بكسر فسكون ، أي : قطيعان وجماعتان من طير ، أي : طائفتان منهما صواف باسطات أجنحتها متصلا بعضها ببعض جمع صافة وهي الجماعة الواقعة على الصف)^٨ ، فلسورة آل عمران فضل عظيم وأجر كبير عند قراءتها

ما جاء في قوله تعالى : [هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ] آية : ٧ .

(١٠١) (أخرج ابن مردويه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : [يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم)^٩ .

(١٠٢) (وأخرج ابن مردويه : عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : [فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه] ، قال : هم الخوارج ، وفي قوله تعالى : [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] ، قال : هم الخوارج)^{١٠} .

(١٠٣) (قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم^{١١} ، حدثنا أحمد بن عمرو^{١٢} ، حدثنا هشام بن عمار^{١٣} ،

^٧ السيوطي ، الديباج ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري ، دار ابن عفان ، الخبز - السعودية (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) : (٢ / ٤٠٠) .

^٨ المناوي ، مصدر سابق : (٢ / ٦٣) .

^٩ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٤٧) .

^{١٠} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٤٧) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ١٤٨) .

^{١١} لم أقف على ترجمته .

^{١٢} لم أقف على ترجمته .

^{١٣} هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة بن أبان الإمام الحافظ العلامة المقرئ عالم أهل الشام أبو الوليد السلمي ، ويقال : الظفري خطيب دمشق ، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وسمع من مالك ومسلم الزنجي وعبد الرحمن بن أبي الرجال ويحيى بن حمزة وهقل بن زياد وإسماعيل بن عياش ورديح بن عطية ورفدة ابن قضاة والجراح بن مليح البهراني والبخاري بن عبيد الطائخي وحاتم بن إسماعيل وحفص بن سليمان المقرئ والحسن بن يحيى الخشني والربيع بن بدر السعدي وسعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وسعدان بن يحيى وسويد بن عبد العزيز القاضي وصدقة بن خالد وشعيب بن إسحاق والوليد بن مسلم ونصف بن يونس وبقية بن الوليد وسفيان بن عيينة وسليم بن مطير وسليمان بن عتبة وسليمان بن موسى الزهري وعبد العزيز بن أبي حازم والدراردي وعدة سواهم ، فلقد كان من أوعية العلم وكان ابتداء طلبه للعلم وهو حدث قبل السبعين ومائة ، وفيها قرأ القرآن على أيوب بن تميم وعلى الوليد بن مسلم ، وروى عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ومحمد بن سعد ومؤمل بن الفضل الحراني ويحيى بن معين ، وحدث عنه من كبار شيوخه الوليد بن مسلم ومحمد بن شعيب بن شابور ، وحدث عنه من

حدثنا ابن أبي حازم^{١٤}، عن أبيه^{١٥}، عن عمرو بن شعيب^{١٦}، عن أبيه^{١٧}، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به^{١٨}.

قال ابن كثير: (يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما أشبهه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس إنعكس، ولهذا قال تعالى: [هن أم الكتاب]، أي: أصله الذي يرجع إليه، ثم الإشتباه وأخر متشابهات، أي: تحتل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد^{١٩}).

أصحاب الكتب البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وروى الترمذي عن رجل عنه ولم يلقه مسلم ولا ارتحل إلى الشام ووهم من زعم انه دخل دمشق نعم وحدث عنه بشر كثير وجم غفير منهم ولده أحمد وأبو زرعة الدمشقي والرازي وأبو حاتم ودحيم ومحمد بن عوف والذهلي ونوح بن حبيب ويعقوب الفسوي ويزيد بن عبد الصمد وبقي بن مخلد وصالح بن محمد جزرة وابن أبي عاصم وأحمد بن يحيى البلاذري المؤرخ، وثقه يحيى بن معين، وروى أبو حاتم الرازي عن يحيى بن معين: كيس كيس، وقال أبو حاتم: صدوق لما كبر تغير وكل ما دفع إليه قرأه وكل ما لحن تلقن وكان قديما أصح كان يقرأ من كتابه، مات سنة خمس وأربعين ومائتين، ينظر: البخاري، التأريخ الكبير: (٨ / ١٩٩)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٩ / ٦٦)، ابن زبر الربيعي، مصدر سابق: (٢ / ٥٣٨)، الذهبي، السير: (١١ / ٤٢٠).

^{١٤} عبد العزيز بن أبي حازم أبو تمام مولى أسلم المدني، سمع أباه والعلاء بن عبد الرحمن، روى عنه عبد الرحمن بن شيبه وإسحاق بن إبراهيم، قال عبد الرحمن بن شيبه: مات سنة أربع وثمانين ومائة وهو ساجد، وقال غيره: مات سنة ثنتين وثمانين ومائة، ينظر: العجلي، مصدر سابق: (٢ / ٩٥)، البخاري، التأريخ الكبير: (٦ / ٢٥)، مسلم، الكنى والأسماء: (١ / ١٦٢)، ابن حجر، لسان الميزان: (٧ / ٢٨٨).

^{١٥} سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج مولى الأسود بن سفيان، روى عن سهل بن سعد والنعمان بن أبي عياش والمقبري وأبي صالح، روى عنه مالك بن أنس والثوري وعبيد الله بن عمرو المسعودي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وابن عيينة، وأسامة بن زيد الليثي وأبو ضمرة أنس بن عياض، قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل: قال أبي: أبو حازم المدني ثقة، يقال له: الأفرز، قال أبو محمد: سألت أبي عن أبي حازم المدني؟، فقال: ثقة، ينظر: الإمام أحمد، الأسماء والكنى: (٤١)، البخاري، التأريخ الكبير: (٤ / ٧٨)، مسلم، الكنى والأسماء: (١٠ / ٢٣٨)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٤ / ١٥٩).

^{١٦} عمرو بن شعيب بن محمد بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل الإمام المحدث أبو إبراهيم وأبو عبد الله القرشي السهمي الحجازي فقيه أهل الطائف ومحدثهم، وكان يتردد كثيرا إلى مكة وينشر العلم وله مال بالطائف وأمه حبيبة بنت مرة الجمحية، حدث عن أبيه فأكثر وعن سعيد بن المسيب وطاووس وسليمان بن يسار وعمرو بن الشريد بن سويد وعروة بن الزبير ومجاهد وعطاء وسعيد المقبري وعاصم بن سفيان والزهري وينزل إلى عبد الله بن أبي نجيح وطائفة، حدث عنه الزهري وقتادة وعطاء بن أبي رباح شيخه وعمرو بن دينار ومكحول ومطر الوراق ووهب بن منبه وحسان بن عطية وأيوب السختياني وابن طاووس وعاصم الأحول وعطاء الخراساني ويحيى بن سعيد الأنصاري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم، روى صدقة ابن الفضل عن يحيى القطان قال: إذا روى عن عمرو بن شعيب الثقات فهو ثقة محتج به هكذا نقل صدقة، وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد قال: حديثه عندنا واه، وروى علي عن ابن عيينة قال: كان إنما يحدث عن أبيه عن جده وكان حديثه عند الناس فيه شيء، وقال الأثرم: سئل أبو عبد الله عن عمرو بن شعيب فقال: ربما أحتجنا به وربما وجس في القلب منه شيء، ومالك يروي عن رجل عنه، أحتج به أرباب السنن الأربعة وابن خزيمة وابن حبان في بعض الصور والحاكم، الذهبي، السير: (٥ / ١٦٥)، وما بعدها.

^{١٧} شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي السهمي القرشي، روى عن جده عبد الله بن عمرو، روى عنه عمرو بن شعيب وثابت البناني وعطاء الخراساني، ينظر: البخاري، التأريخ الكبير: (٤ / ٢١٨)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٤ / ٣٥١)، ابن حبان، الثقات: (٤ / ٣٥٨).

^{١٨} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (١ / ٣٤٧)، السيوطي، الدر المنثور: (٢ / ١٤٩)، الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (٣ / ٨٤).

^{١٩} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (١ / ٣٤٥).

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فروي عن السلف عبارات كثيرة ، قيل : والمراد بالمحكم هو ما لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجهها واحدا ، وقيل : إن المتشابه ما يحتمل وجوها ، ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكما ، فالمحكم أبداً أصل ترد إليه الفروع والمتشابه هو الفرع^{٢٠} ، و (قال النحاس : أحسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات أن المحكم ما كان قائماً بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره نحو : [لم يكن له كفوا أحد] ، [وإني لغفار لمن تاب] ، والمتشابهات نحو : [إن الله يغفر الذنوب جميعا] ، يرجع فيه إلى قوله جل وعلا : [وإني لغفار لمن تاب] ، وإلى قوله عز وجل : [إن الله لا يغفر أن يشرك به] ، وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم والإحكام الإتقان ولا شك في ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبه ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال والله أعلم)^{٢١} ، وقال ابن عبد البر : (النص المحكم ما لا يختلف في تأويله)^{٢٢} ، قال ابن حجر : (المحكم من القرآن : ما وضع معناه ، والمتشابه نقيضه ، وسمي المحكم بذلك لوضوح مفردات كلامه وإتقان تركيبه بخلاف المتشابه ، وقيل : المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور)^{٢٣} ، وأحسن ما قيل في المحكم والمتشابه هو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار حيث قال : [منه آيات محكمات] ، فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه ، قال : والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق ولهذا قال تعالى : [فأما الذين في قلوبهم زيغ] ، أي : ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل فيتبعون ما تشابه منه ، أي : إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم ، ولهذا قال تعالى : [ابتغاء الفتنة] ، أي : الإضلال لأتباعهم أما إنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما قالوا احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله : [إن هو إلا عبد أنعمنا عليه] ، ويقولون : [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] ، وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله تعالى وعبد ورسول من رسل الله^{٢٤} ، وهذه الآية تعم كل طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق من طوائف البدعة ، فإنهم يتلاعبون بكتاب الله تلاعبا شديدا ويوردون منه لتفتيق جهلهم ما ليس من الدلالة في شيء طلبا منهم لفتنة الناس في دينهم والتلبس عليهم وإفساد ذوات بينهم لا تحريا للحق وابتغاء تفسيره على الوجه الذي يريدونه

^{٢٠} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٤ / ١٠) .

^{٢١} المصدر السابق : (٤ / ١١) .

^{٢٢} ابن عبد البر ، التمهيد : (١ / ١٤٧) .

^{٢٣} ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٢١٠) .

^{٢٤} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٤٨) ، شمس الحق العظيم آبادي ، مصدر سابق : (١٢ / ٢٢٦) .

ويوافق مذاهبهم الفاسدة ، وقيل : يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثره الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه ؛ فالإيمان به واجب ، وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب عبد الله بن مسعود وابن عباس في رواية عنه وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين^{٢٥} ، وقال الطبري في تفسير الآية : (يعني بقوله جل ثناؤه : [هو الذي أنزل عليك الكتاب] ، أن الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي أنزل عليك الكتاب ، يعني بالكتاب : القرآن ، وأما قوله : [منه آيات محكمات] ، فإنه يعني من الكتاب آيات يعني بالآيات آيات القرآن ، وأما المحكمات فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام ووعد ووعيد وثواب وعقاب وأمر وزجر وخبر ومثل وعظة وعبر وما أشبه ذلك ، ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن : [هن أم الكتاب] ، يعني بذلك أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم ، وإنما سماهن أم الكتاب لأنهن معظم الكتاب وموضع مفرع أهله ثم الحاجة إليه ، وقد قال : [هن] ؛ لأنه أراد جميع الآيات المحكمات ، وأما قوله : [وأخر] ، فإنها جمع أخرى ، وأما قوله : [متشابهات] ، فإن معناه متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى كما قال جل ثناؤه : [وأتوا به متشابهها] ، يعني في المنظر مختلفا في المطعم ، فتأويل الكلام : إن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن منه آيات محكمات بالبيان هن أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين وإليه مفرعك ومفرعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام وآيات أخر هن متشابهات في التلاوة مختلفات في المعاني^{٢٦} ، ثم إنه يجب أن يعلم أن التفسير لا يعلمه جميع الناس ، وأن الناس ليسوا في تفسير القرآن الكريم متساوين في العلم فيه فمنهم العالم في تفسيره ومنهم الذي يعلم فيه الشيء اليسير ومنهم غير ذلك ومنهم الجاهل الذي لا يعلم فيه ويقول فيه من دون علم عنده بل هو جاهل فيه ، (قال ابن عباس رضي الله عنه : التفسير على أربعة أنحاء : فتفسير لا يعذر أحد في فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم ، وتفسير لا يعلمه إلا الله)^{٢٧} ، و (عن مجاهد في قوله : [والراسخون في العلم] ، يعلمون تأويله ويقولون : آما به ، وعن قتادة قال : الراسخون كما يسمعون آما به كل من عند ربنا المتشابه والمحكم فأمنوا بمتشابهه وعملوا بمحكمه فأصابوا)^{٢٨} ، وقد دلت الآية على ذم متبعي المتشابه لوصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة ، ودلت الآية على مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب ، وقد دلت الأحاديث المتقدمة على الإيمان بجميع ما في القرآن من المحكم والمتشابه من دون تمييز فيما بين آيات القرآن بدعوى المحكم والمتشابه ، والله أعلم .

^{٢٥} ينظر : شمس الحق العظيم آبادي ، مصدر سابق : (١٢ / ٢٢٧) .

^{٢٦} الطبري ، التفسير : (٣ / ١٧٠ - ١٧١) .

^{٢٧} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٤٧) .

^{٢٨} ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٢١٠) .

أخرج الحديث الأول : الإمام أحمد^{٢٩}، والبخاري^{٣٠}، ومسلم^{٣١}، وأبو داود^{٣٢}، والترمذي^{٣٣}، والدارمي^{٣٤}، وابن حبان^{٣٥}، والدارقطني^{٣٦}.

أما الحديث الثاني وقد جاء في ذم الخوارج ، قال ابن القيم : (والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ذمهم من طوائف أهل البدع هم الخوارج فإنه قد ثبت فيهم الحديث من وجوه كلها صحاح ؛ لأن مقاتلتهم حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم)^{٣٧}، وقد أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٣٨}، وأبو عبد الله المرزوي^{٣٩}، والرويانى^{٤٠}، وأبو بكر الخلال^{٤١}، والطبراني^{٤٢}.

وأما الحديث الثالث فقد أخرجه : معمر بن راشد^{٤٣}، وأبو بكر الشيباني^{٤٤}، والإمام أحمد^{٤٥}، والطبراني^{٤٦}، والبيهقي^{٤٧}.

ما جاء في قوله تعالى : [رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ] آية : ٨ (١٠٤) (أخرج ابن مردويه : عن محمد بن بكار^{٤٨} ،

^{٢٩} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ٢٥٦) .

^{٣٠} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٥٥) .

^{٣١} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٠٥٣) .

^{٣٢} أبو داود ، السنن : (٤ / ١٩٨) .

^{٣٣} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٢٣) .

^{٣٤} الدارمي ، مصدر سابق : (١ / ٦٦) .

^{٣٥} ابن حبان ، الصحيح : (١ / ٢٧٤) .

^{٣٦} الدارقطني ، السنن : (١ / ٣١٤) .

^{٣٧} ابن القيم ، الحاشية : (١٢ / ٢٩٨) .

^{٣٨} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٢٦٢) .

^{٣٩} أبو عبد الله المرزوي ، السنة ، تحقيق : سالم أحمد السلفي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت (١٤٠٨ هـ) : (٢٢) .

^{٤٠} الرويانى ، مصدر سابق : (٢ / ٢٧٠) .

^{٤١} أبو بكر الخلال ، السنة ، تحقيق : د. عطية الزهراني ، دار الراجية ، الرياض (١٤١٠ هـ) : (١ / ١٥٧) .

^{٤٢} الطبراني ، المعجم الكبير : (٨ / ٢٧١) .

^{٤٣} معمر بن راشد ، الجامع ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني الجزء العاشر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة

الثانية (١٤٠٣ هـ) : (١١ / ٢١٦) .

^{٤٤} أبو بكر الشيباني ، مصدر سابق : (٢ / ١٠٩) .

^{٤٥} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ١٨١ - ١٨٥) .

^{٤٦} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ١٦٥) ، (٣ / ٢٢٧) .

^{٤٧} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٤١٧) .

^{٤٨} محمد بن بكار بن الريان الرصافي بغدادى أبو عبد الله ، روى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وعبد الحميد بن بمرام وأبي وكيع وفليح بن سليمان والفرج ابن فضالة وقيس بن الربيع وأبي معشر ، قال أبو محمد : روى عنه أبى وأبو زرعة ، قال يحيى بن معين : شيخ لا بأس به ، توفي في سنة ثمان وثلاثين ومائتين مولى بني هاشم ، ينظر ، البخاري ، التاريخ الكبير : (١ / ٤٤) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٥٠٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ٢١٢) .

عن عبد الحميد بن بهرام^{٤٩} ، عن شهر بن حوشب^{٥٠} ، عن أم سلمة ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن سمعتها تحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه : اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قالت : قلت يا رسول الله وإن القلب ليتقلب ؟ ، قال : نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا إن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه ، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب)^{٥١} .

(١٠٥) (أخرج ابن مردويه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قلت : يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء ؟ ، فقال : ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاعه أما تسمعين قوله : [ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب] ، قال ابن كثير : غريب من هذا الوجه ولكن أصله ثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة)^{٥٢} .

لما تحدثت الآية المتقدمة عن الراسخين في العلم المتواضعين لله المتدللين لله في مرضاته الذين لا يتعاضمون من فوقهم ولا يحقرون من دونهم ، قال تعالى مخبرا عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، أي : لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ؛ ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم وهب لنا من لدنك رحمة تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتزيدنا بها إيمانا وإيقانا إنك أنت الوهاب وهذا بعض دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حجر : (إن الآية نص في أن الله خلق الكفر والإيمان وأنه يحول بين قلب الكافر وبين الإيمان الذي أمره به فلا يكسبه إن لم يقدره عليه بل أقدره على ضده وهو الكفر ، وكذا في المؤمن بعكسه فتضمنت الآية أنه خالق جميع أفعال العباد خيرها وشرها ، وهو معنى قوله : مقلب القلوب ، لأن معناه تقلب قلب عبده عن إثارة الإيمان إلى إثارة الكفر وعكسه ، وقد صرح حديثنا الآية بهذا)^{٥٣} .
أخرج الحديث الأول : معمر بن راشد^{٥٤} ، والطيالسي^{٥٥} ،

^{٤٩} عبد الحميد بن بهرام الفزاري المدائني ، روى عن شهر بن حوشب ، روى عنه ابن المبارك ووكيع ومحمد بن يوسف الفريابي وأبو النضر هاشم بن القاسم وأبو الوليد وعمرو بن خالد ، عن يحيى بن سعيد قال : من أراد حديث شهر فعليه عبد الحميد بن بهرام ، وقال أحمد بن حنبل : عبد الحميد بن بهرام حديثه عن شهر مقارب كان يحفظها كأنه سورة من القرآن وهي سبعون حديثا طوال ، وقال يحيى بن معين : عبد الحميد بن بهرام ثقة ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن عبد الحميد ؟ ، فقال : هو في شهر بن حوشب مثل الليث بن سعد في سعيد المقرئ ، قلت : ما تقول فيه ؟ ، فقال : ليس به بأس أحاديثه عن شهر صحاح لا أعلم أحداً روى عن شهر بن حوشب أحاديث أحسن منها ولا أكثر منها ، قلت : يحتج به ؟ ، قال : لا ولا بحديث شهر بن حوشب ؛ ولكن يكتب حديثه ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٦ / ٥٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٨) .

^{٥٠} ينظر : الحديث رقم (٧٠) .

^{٥١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٤٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ١٥٤) .

^{٥٢} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٤٩) .

^{٥٣} معمر بن راشد ، مصدر سابق : (١٠ / ٤٤٢) .

^{٥٤} الطيالسي ، مصدر سابق : (٢٢٤) .

وعبد بن حميد^{٥٥}، وابن أبي شيبة^{٥٦}، والإمام أحمد^{٥٧}، والترمذي وقال : (هذا حديث حسن)^{٥٨}، وأبو يعلى^{٥٩}، والطبراني^{٦٠}، والهيثمي^{٦١}.

وأخرج الحديث الثاني : الإمام أحمد^{٦٢}، والترمذي وقال : (هذا حديث حسن)^{٦٣}، والنسائي^{٦٤}، وأبو يعلى^{٦٥}، وابن أبي شيبة^{٦٦}، والطبراني^{٦٧}، والهيثمي وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه العلاء بن الفضل ، قال ابن عدي : في بعض ما يرويه نكرة ، وبقية رجاله وثقوا وفيهم خلاف)^{٦٨}.

ما جاء في قوله تعالى : [إنَّ الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار] آية : ١٠ .

(١٠٦) (أخرج ابن مردويه : عن يزيد بن عبد الله بن الهاد^{٦٩}، عن هند بنت الحارث^{٧٠} امرأة عبد الله بن شداد ، عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة بمكة فقال : هل بلغت ؟ ، يقولها ثلاثاً ، فقام عمر بن الخطاب وكان أواها فقال : اللهم نعم وحرصت وجهدت ونصحت فاصبر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليظهروا الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه وليخوضن البحار بالإسلام وليأتين على

^{٥٥} عبد بن حميد مصدر سابق : (٤٤٣) .

^{٥٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ٢٥ - ١٦٨) .

^{٥٧} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ٣٠١ - ٣١٥) .

^{٥٨} الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٣٨) .

^{٥٩} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١٢ / ٣٥٠ - ٤١٩) .

^{٦٠} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٣ / ٣٣٤ - ٣٣٨ - ٣٦٦) .

^{٦١} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ٣٢٥) ، (٧ / ٢١٠) ، (١٠ / ١٧٦) ، وقال الهيثمي : (روى الترمذي بعضه ، ورواه أحمد ، وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف ، وقد وثق) .

^{٦٢} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ٩١ - ٢٥٠) .

^{٦٣} الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٣٨) .

^{٦٤} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٤١٤) .

^{٦٥} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٨ / ١٢٨) .

^{٦٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ٢٥ - ١٦٨) .

^{٦٧} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢ / ١٤٧) .

^{٦٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢١٠) .

^{٦٩} يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي أبو عبد الله المدني ، روى عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ومعاذ بن رفاع بن رافع الزرقني وعبد الله بن خباب وعبد الله بن دينار وزباد بن أبي زياد ومحمد بن كعب القرظي وسهيل بن أبي صالح وآخرين ، وعنه شيخه يحيى بن سعيد الأنصاري وإبراهيم بن سعد ومالك وعبد العزيز الدراوردي والليث بن سعد وعبد العزيز بن أبي حازم وحيوة بن شريح وابن عيينة وأبو ضمرة وآخرون ، قال الأثرم عن أحمد : لا أعلم به بأساً ، وقال ابن معين والنسائي ، ثقة ، توفي بالمدينة سنة تسع وثلاثين ومائة ، وقال يعقوب بن سفيان : مدني ثقة حسن الحديث يروي عن الصغار والكبار ، وقال العجلي : مدني ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٦٥) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٨ / ٣٤٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٩ / ٢٧٥) ، ابن حبان ، الثقات : (٥ / ٥٤٢) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (١١ / ٢٩٧) .

^{٧٠} (هند بنت الحارث ، تروى عن أم الفضل ، روى عنها يزيد بن عبد الله بن الهاد) ، ابن حبان ، الثقات : (٥ / ٥١٧) .

الناس زمان يقرؤون القرآن فيقرؤونه ويعلمونه فيقولون : قد قرأنا وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا ، فما في أولئك من خير ، قالوا : يا رسول الله فمن أولئك ؟ قال : أولئك منكم أولئك هم وقود النار (٧١) .

في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وليس ما كان عندهم في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله عز وجل ولا بمنجيتهم من عذابه وأليم عقابه بل كما قال تعالى : [فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون] ، وقال هاهنا : إن الذين كفروا أي بآيات الله وكذبوا رسله وخالفوا كتابه ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار ، أي : حطبها الذي تسجر به وتوقد به وعذابهم يوم القيامة أليم^{٧٢} ، وفي الحديث التأكيد على أن الأموال والأولاد لا تنفع يوم القيامة إلا من آمن وعمل صالحاً ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولا ولد ، وأن القرآن يجب ألا يقرأ فقط ؛ بل العمل بالذي جاء به وتضمنه .

وأخرج الحديث : الطبراني^{٧٣} ، والهيثمي وقال : (رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات ، إلا أن هند بنت الحارث الخثعمية التابعة لم أر من وثقها ولا جرحها)^{٧٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَثَابِ] آية : ١٤ .
(١٠٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية إلى ألف أصبح له قنطار من الأجر عند الله ، القنطار منه مثل الجبل العظيم)^{٧٥} .

(١٠٨) (أخرج ابن مردويه : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القنطار ألف دينار)^{٧٦} .
في الآية الكريمة يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد ، ففي الحديث (عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)^{٧٧} ، فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج ، ففي الحديث عن (أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباء وينهى عن التبتل نهياً شديداً ، ويقول : تزوجوا الودود

^{٧١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٥٠) .

^{٧٢} ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٥٠) .

^{٧٣} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ٢٥٠) .

^{٧٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ١٨٦) ، أقول : قد ذكرها ابن حبان في الثقات ، ينظر ترجمتها فيما سبق .

^{٧٥} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٥٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ١٦١) .

^{٧٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ١٦١) .

^{٧٧} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٠٩٧) .

الولود فإنني مكاثر الأنبياء يوم القيامة) ^{٧٨}، وقد ذكرت الآية النساء ؛ وخير تلك النساء الصالحات ، ففي الحديث (عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة) ^{٧٩}، ثم ذكر الخيل وفي الخيل فخر ورياء وفيها الجهاد في سبيل الله ففي الحديث (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل الفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم) ^{٨٠}، وفي الحديث (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر ؛ فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال بها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنه أنقطع طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي كان ذلك حسنات له فهي لذلك أجر ، ورجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك ستر ، ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام ، فهي على ذلك وزر) ^{٨١}، (وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقربات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعا ، وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره ، وقيل : ألف دينار ، وقيل : اثنا عشر ألفا ، وقيل : أربعون ألفا ، وقيل : ستون ألفا ، وقيل : سبعون ألفا ، وقيل : ثمانون ألفا) ^{٨٢}، وفي الحديثين الإشارة إلى كمية القنطار .

أخرج الحديث الأول : ابن أبي شيبه ^{٨٣} ، وعبد بن حميد ^{٨٤} ، والدارمي ^{٨٥} ، والهيثمي وقال : (فيه موسى بن عبيدة الرزدي ، والغالب عليه الضعف) ^{٨٦} .

وأخرج الحديث الثاني : الحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه) ^{٨٧} .

^{٧٨} ابن حبان ، الصحيح : (٣٣٨ / ٩) .

^{٧٩} مسلم ، الصحيح : (١٠٩٠ / ٢) .

^{٨٠} المصدر السابق : (٧٢ / ١) .

^{٨١} البخاري ، الصحيح : (٨٣٥ / ٢) .

^{٨٢} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (٣٥٢ / ١) .

^{٨٣} ابن أبي شيبه ، مصدر سابق : (١٣٤ / ٦) .

^{٨٤} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٩٨) .

^{٨٥} الدارمي ، مصدر سابق : (٥٥٨ / ٢) .

^{٨٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٦٨ / ٢) .

^{٨٧} الحاكم ، المستدرک : (١٩٤ / ٢) .

ما جاء في قوله تعالى : [الصابرينَ والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار] آية : ١٧ .
(١٠٩) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك قال : كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة)^{٨٨} .

في هذه الآية ذكر للذين يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ، فهم الصابرون على تحمل الأذى في سبيل الله تعالى ، والصادقون في إيمانهم ودعوتهم وكلامهم فقد أصبح كله لله تعالى لا شريك له ، والقانتون لربهم ، والمنفقون في سبيله والذين لا ينامون في وقت السحر بل هم مستيقظون يرجون رحمة ربهم سبحانه وتعالى ويستغفرون ربهم .

وقد أخرج الحديث : الطبراني وقال : (لم يرو هذا الحديث عن محمد بن جحادة إلا الحسن بن أبي جعفر)^{٨٩} ، والبيهقي^{٩٠} ، والهيثمي^{٩١} .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ، ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون] الآيات : ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ .

(١١٠) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله)^{٩٢} .

(١١١) (أخرج ابن مردويه : عن معاوية بن قررة^{٩٣} ، عن أبيه^{٩٤} قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)^{٩٥} .

^{٨٨} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (٣٥٤ / ١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٦٤ / ٢) ، الألويسي ، مصدر سابق : (١٠٢ / ٣) .

^{٨٩} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١٨٣ / ٩) .

^{٩٠} البيهقي ، شعب الإيمان : (١٧٩ / ٣) .

^{٩١} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٠٨ / ١٠) .

^{٩٢} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (٣٦٣ / ١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٩٤ / ٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣٤٠ / ١) .

^{٩٣} معاوية بن قررة بن إياس بن رثاب أبو إياس ، روى عن أنس وأبيه وعبد الله بن مغفل وعائذ بن عمرو وشهر بن حوشب ، روى عنه أبو إسحاق الهمداني وسماك بن حرب وابنه إياس بن معاوية وزياد بن مخراق وخالد الحذاء وشعبة بن الحجاج وجامع بن مطر وخالد بن ميسرة وشيب بن معاوية بن قررة وعبد الله بن المختار وحجاج الأسود ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ؟ ، فقال : ثقة ، وقال العجلي : تابعي ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢٨٤ / ٢) ،

البخاري ، التأريخ الكبير : (٣٣٠ / ٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣٧٨ / ٨) ، أبو نعيم ، حلية الأولياء : (٢٩٨ / ٢) .

^{٩٤} قررة بن إياس بن رثاب المزني سكن البصرة وداره بها بحضرة العوفة ، روى عنه ابنه معاوية بن قررة ، وهو جد إياس بن معاوية بن قررة الحكيم الذكي قاضي البصرة ، ويقال له : قررة بن الأعز ، قتلته الحرورية ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (١٨٠ / ٧) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (١٢٩ / ٧) ، ابن

عبد البر ، الاستيعاب : (١٢٨٠ / ٣) .

^{٩٥} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (٣٦٣ / ١) .

قال ابن كثير : (هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك أن الله قد اصطفاه ، أي : اختارها الله لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس ، واصطفاه ثانيا مرة بعد مرة لجلالته على نساء العالمين)^{٩٦} ، قال القرطبي : (كرر الاصطفاء ؛ لأن معنى الأول : لعبادته ، ومعنى الثاني : لولادة عيسى عليه السلام)^{٩٧} ، وفي الحديثين جاءت الإشارة إلى هذا المعنى الذي قصده الآية •

أخرج الحديث الأول : الحاكم^{٩٨} ، والضياء المقدسي^{٩٩} •

ورد في الحديث الثاني قوله عليه الصلاة والسلام : (وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ، والمراد : (فضل عائشة على النساء ، أي : على جنسهن من نساء الدنيا جميعهن أو على نساء الجنة أو على نساء زمانها ، أو على نساء هذه الأمة كفضل الثريد على سائر الطعام ، وهذا ليس فيه لبعض بأفضلية عائشة رضي الله تعالى عنها على غيرها ؛ لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة ، وكان أجل أطعمتهم يومئذ وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة فقد يكون مفضولا بالنسبة لغيره من جهات أخرى)^{١٠٠} •

وقد أنفرد ابن مردويه باللفظ السابق للحديث عن معاوية بن قره ، فقد أخرج الحديث عن معاوية بن قره بلفظ : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) وقد أخرجه بهذا اللفظ : الحاكم^{١٠١} ، والطبراني^{١٠٢} ؛ لكن للحديث شواهد من حديث أنس بن مالك و أبو موسى الأشعري ، بلفظ : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ، وقد أخرج هذا الحديث : الإمام أحمد^{١٠٣} ، والبخاري^{١٠٤} ، ومسلم^{١٠٥} ، والترمذي^{١٠٦} ، وابن ماجه^{١٠٧} •

^{٩٦} المصدر السابق : (١ / ٣٦٣) •

^{٩٧} القرطبي ، مصدر سابق : (٤ / ٨٢) •

^{٩٨} الحاكم ، المستدرك : (٣ / ١٧١) •

^{٩٩} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٧ / ٢٢) •

^{١٠٠} المباركفوري ، مصدر سابق : (٥ / ٤٦٠) •

^{١٠١} الحاكم ، المستدرك : (٣ / ٦٧٧) •

^{١٠٢} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٩ / ٢٨) ، (٢٣ / ٤٢) •

^{١٠٣} الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ٣٩٤) •

^{١٠٤} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٢٥٢) ، (٣ / ١٣٧٤) ، (٥ / ٢٠٦٧) •

^{١٠٥} مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٨٨٦) ، (٤ / ١٨٩٥) •

^{١٠٦} الترمذي ، السنن : (٤ / ٢٧٥) •

^{١٠٧} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٠٩١) •

ما جاء في قوله تعالى : [فلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] الآية ٥٢ ، ٥٣ .

(١١٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس في قوله : [فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] ، قال : مع محمد صلى الله عليه وسلم وأُمَّته أَنَّهُمْ شَهِدُوا لَهُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَشَهِدُوا لِلرَّسُولِ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوا)^{١٠٨} .

قال الطبري : (تأويل الكلام : فلما وجد عيسى من بني إسرائيل الذين أرسله الله إليهم جحوداً لنبوته وتكذيباً لقوله وصداً عما دعاهم إليه من أمر الله قال : من أنصاري إلى الله ، يعني بذلك : من أعواني على المكذبين بحجة الله والموليين عن دينه والجاحدين نبوة نبيه إلى الله عز وجل ، ويعني بقوله : إلى الله ، مع الله)^{١٠٩} ، ثم كان كلام الله عز وجل عن الخواريين ، قال الطبري : (إنهم قالوا : ربنا آمنة ، أي : صدقنا بما أنزلت يعني بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك واتبعنا الرسول يعني بذلك صرنا أتباع عيسى على دينك الذي ابتعثته به وأعوانه على الحق الذي أرسلته به إلى عبادك ، وقوله : [فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] ، يقول : فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق وأقروا لك بالتوحيد وصدقوا رسلك واتبعوا أمرك ونهيك فاجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك وأحلنا محلهم ولا تجعلنا ممن كفر بك وصد عن سبيلك ، فهو يعرف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضي أقوالهم وأفعالهم ليحتذوا طريقهم ويتبعوا منهاجهم فيصلوا إلى مثل الذي وصلوا إليه من درجات كرامته ويكذب بذلك الذين انتحلوا من الحنيفة المسلمة في دعواهم على أنبياء الله أنهم كانوا على غيرها ويحتج به على الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران بأنه قيل من رضي الله عنه من أتباع عيسى كان خلاف قيلهم منهاجهم)^{١١٠} ، وقال ابن كثير : (الخواريون ، قيل : كانوا قصارين ، وقيل : سمو بذلك لبياض ثيابهم ، وقيل : صيادين ، والصحيح أن الخواري الناصر)^{١١١} ففي الصحيحين (عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن لكل نبي خواريًا وخواري الزبير ، قال سفيان : الخواري الناصر)^{١١٢} .

أخرج الحديث ، الطبراني^{١١٣} ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١١٤} ، والهيشمي^{١١٥} .

^{١٠٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٢٢٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٣٤٥) .

^{١٠٩} الطبري ، التفسير : (٣ / ٢٨٣) .

^{١١٠} المصدر السابق : (٣ / ٢٨٤) .

^{١١١} ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : (١ / ٣٦٦) .

^{١١٢} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٠٩٢) ، مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٨٧٩) .

^{١١٣} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٢٧٩) .

^{١١٤} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٤٣) .

^{١١٥} الهيشمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١٨) .

ما جاء في قوله تعالى : [فمن حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ] آية : ٦١ .

(١١٣) (أخرج ابن مردويه : عن رافع بن خديج قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا فيهم اثنا عشر رجلا من أشرفهم يؤول أمرهم إليهم ، وهم العاقب وأسمه عبد المسيح والسيد وهو الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأويس بن الحارث وزيد وقيس ويزيد وابناه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم صاحب مدارستهم وكان رجلا من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر فعظمت الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وشأنه مما علمه منهم ولكن حمله ذلك على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه وأهلها ، قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جيب وأردية من جمال رجال بني الحارث بن كعب ، قال : يقول من رأيهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ما رأينا بعدهم وفد مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم فصلوا إلى المشرق ، قال : فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ويقولون : هو ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا وذلك كله بأمر الله وليجعله الله آية للناس ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله ، يقولون : لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله ، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة يقول الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون : لو كان واحدا ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقته ولكنه هو ونصف ومريم تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيرا وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلما ؟ ، قالوا : قد أسلمنا ، قال : إنكما لم تسلما فأسلما ، قالوا : بلى قد اسلمنا قبلك ، قال : كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير ، قالوا : فمن أبوه يا محمد ؟ ، فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما ، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاحظتهم أن ردوا ذلك عليه دعاءهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، ثم أنصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ ، فقال : والله يا معشر

النصارى لقد عرفتم إن محمداً لنبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط ، فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنه الاستئصال منكم إن فعلتم فإن كنتم أئبتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول : ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجرا فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه ، فقال : اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه ، قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه (١١٦ .

قال ابن كثير : (قال تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، أي : نحضرهم في حال المباهلة ثم نبتهل ، أي : نلتعن فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، أي : منا ومنكم ، وكان سبب نزول المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران حيث أن النصارى لما قدموا جعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلهية فأنزل الله صدر هذه السورة ردا عليهم (١١٧ ، و (البهل : اللعن وبهله الله بهلا لعنه وعليه بهلة الله وبهلهته ، أي : لعنته ، وباهل القوم بعضهم بعضاً وتباهلوا وابتهلوا تلاعنوا ، والمباهلة الملاءنة ، ويقال : باهلت فلاناً ، أي : لاعنته ، ومعنى المباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا ، قال تعالى : [ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] ، أي : يُخلص ويجهتد كلُّ منا في الدعاء واللعن على الكاذب منا (١١٨ وقال الطبري : (هذه السورة ابتداءً الله بتنزيل فاتحتها بالذي ابتداءً به من نفي الألوهية أن تكون لغيره ووصفه نفسه بالذي وصفها به ، ابتداءً احتجاجاً منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران فحاجوه في عيسى صلوات الله عليه وألحدوا في الله ، فأنزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفا وثلاثين آية من أولها احتجاجاً عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم لنبى محمد فأبوا إلا المقام على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم إلى المباهلة فأبوا ذلك وسألوا قبول الجزية منهم فقبلها منهم وانصرفوا إلى بلادهم ، إن الأمر وإن كان كذلك وإياهم فُصد بالحجاج فإن من كان معناه من سائر الخلق معناه في الكفر بالله واتخاذ ما سوى الله ربا وإلها ومعبودا معومون بالحجة التي حج الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه

^{١١٦} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٣٧٠) .

^{١١٧} المصدر السابق : (١ / ٣٦٨ - ٣٦٩) .

^{١١٨} ابن منظور ، مصدر سابق : (١١ / ٧٢) .

ومحجوجون في الفرقان الذي فرق به لرسول الله بينه وبينهم^{١١٩} ، وقد جاء الحديث يبين هذه الواقعة ويكشف حقيقة من لا يريد أن يؤمن بالله تبارك تعالى وحده ويكفر بما يعبد من دونه .
وقد أخرج جزء من هذه الرواية : البخاري^{١٢٠} ، وابن حبان^{١٢١} ، والحاكم^{١٢٢} ، وأخرجها كاملة : ابن هشام^{١٢٣} ، والطبري^{١٢٤} ، والطبراني^{١٢٥} ، والهيثمي^{١٢٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] آية : ١٠٢ .
(١١٤) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن مسعود قال : [اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ] ، أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى)^{١٢٧} .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله اتقوا الله خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه حق تقاته حق خوفه وهو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ، ولا تموتن أيها المؤمنون بالله ورسوله إلا وأنتم مسلمون لربكم مدعون له بالطاعة مخلصون له الألوهية والعبادة)^{١٢٨} ، وقد أمرهم الله عزوجل بقوله : [وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] ، بأن لا يموتوا إلا وهم على دين الإسلام لا غير دين ، فهذا حصن لهم على الموت على دين الإسلام ، لأن الموت على غيره هلكة في الآخرة .
(قال أهل التفسير : لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم ، فقالوا : يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى : [فاتقوا الله ما استطعتم] ، فنسخت هذه الآية ، وقيل : إنها ثابتة والآية الثانية مبينة ، [وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] ، النهي في ظاهر الكلام وقع على الموت وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام ، ومعناه : داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون)^{١٢٩} .

^{١١٩} الطبري ، التفسير : (٣ / ١٦١ - ١٦٢) .

^{١٢٠} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٥٩٢) .

^{١٢١} ابن حبان ، الصحيح : (١٥ / ٤٦١) .

^{١٢٢} الحاكم ، المستدرک : (٣ / ٢٩٩) .

^{١٢٣} ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجليل ، بيروت (١٤١١ هـ) : (٣ / ١١٢) .

^{١٢٤} الطبري ، التاريخ : (٢ / ٢٠٠) .

^{١٢٥} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٤ / ١٧٦) .

^{١٢٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٣٨) .

^{١٢٧} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٣٨٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٢٨٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٣٦٨) .

^{١٢٨} الطبري ، التفسير : (٤ / ٢٧) .

^{١٢٩} شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٦ / ١٠٩) .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{١٣٠} ، والطبراني^{١٣١} ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{١٣٢} ، والهيثمي وقال : (رواه الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح والآخر ضعيف)^{١٣٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون] آية : ١٠٣ .

(١١٥) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه)^{١٣٤} .

قال ابن كثير : (قيل : بحبل الله ، أي : بعهد الله ، كما قال في الآية بعدها : [ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس] ، أي : بعهد وذمة ، وقيل : بحبل من الله يعني القرآن ، وقوله : [ولا تفرقوا] ، أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة ، وقوله تعالى : [واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً] إلى آخر الآية ، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة وضغائن طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخواناً متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى)^{١٣٥} ، و (العصمة في كلام العرب : المنع ، وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يؤبؤه ، عصمه يعصمه عصماً منعه ووقاه ، واعتصم به و استعصم امتنع وأبى ، والاعتصام الامتسك بالشيء)^{١٣٦} ، وقد جاء الحديث لبيان معنى حبل الله وأنه القرآن الكريم فهو حبل الله المتين وهو النور المبين و الشفاء العظيم لمن تمسك به .

أخرج الحديث : عبد الرزاق^{١٣٧} ، وسعيد بن منصور^{١٣٨} ، والطبراني^{١٣٩} ،

^{١٣٠} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (١٠٧ / ٧) .

^{١٣١} الطبراني ، المعجم الكبير : (٩٢ / ٩) .

^{١٣٢} الحاكم ، المستدرک : (٣٢٣ / ٢) .

^{١٣٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣٢٦ / ٦) .

^{١٣٤} ابن كثير ، التفسير : (٣٩٠ / ١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢٨٤ / ٢) .

^{١٣٥} ابن كثير ، التفسير : (٣٨٩ - ٣٩٠ / ١) .

^{١٣٦} ابن منظور ، مصدر سابق : (٤٠٣ - ٤٠٤ / ١٢) .

^{١٣٧} عبد الرزاق ، مصدر سابق : (٣٧٥ / ٣) .

^{١٣٨} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٤٣ / ١) .

^{١٣٩} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٣٠ / ٩) .

والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٤٠} ، والبيهقي^{١٤١} ، والهيثمي وقال : (رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال هذه الطريق رجال الصحيح)^{١٤٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون] آية : ١٠٤ .

(١١٦) (أخرج ابن مردويه : قال أبو جعفر الباقر^{١٤٣} : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير] ، ثم قال : الخير إتباع القرآن وستي)^{١٤٤} .

في الآية الحض على أن تكون هناك أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهم إذا فعلوا هذا كانوا هم المفلحين ، وقد جاءت الأحاديث النبوية في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففي الحديث (عن حذيفة بن اليمان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)^{١٤٥} ، و (عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : [لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم] إلى قوله : [فاسقون] ، ثم

^{١٤٠} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٧٤١) .

^{١٤١} البيهقي ، السنن الصغرى : (٥٤١) .

^{١٤٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١٦٤) .

^{١٤٣} أبو جعفر الباقر هو السيد الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي الفاطمي المدني ولد زين العابدين ولد سنة ست وخمسين في حياة عائشة وأبي هريرة ، روى عن جديه النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه مرسلًا وعن جديه الحسن والحسين مرسلًا أيضا وعن ابن عباس وأم سلمة وعائشة مرسلًا وعن ابن عمر وجابر وأبي سعيد وعبد الله بن جعفر وسعيد بن المسيب وأبيه زين العابدين ومحمد بن الحنفية وطائفة ، وليس هو بالمكثر وهو في الرواية كأبيه وابنه جعفر ثلاثتهم لا يبلغ حديث كل واحد منهم جزءا ضخما ، حدث عنه ابنه وعطاء بن أبي رباح والأعرج مع تقدمهما وعمرو ابن دينار وأبو إسحاق السبيعي والزهرري وغيرهم ، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة ، وكان أهلا للخلافة وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم ومعرفةهم بجميع الدين فلا عصمة إلا للملائكة والنبیین وكل أحد يصيب ويخطئ ويؤخذ من قوله ويترك سوى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه معصوم مؤيد بالوحي ، وشهر أبو جعفر بالباقر من بقر العلم ، أي : شقه فعرف اصله وخفيه ولقد كان أبو جعفر إماما مجتهدا تاليا لكتاب الله كبير الشأن ؛ ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعة ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب ، فلا نحايه ولا تحيف عليه ونحوه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال ، قال ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة : سألت أبا جعفر وابنه جعفرا عن أبي بكر وعمر ؟ ، فقالا لي : يا سالم تولهما وبرا من عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى ، مات سنة أربع عشرة ومائة ، وقيل : سنة سبع عشرة ، ينظر : أبو الوليد الباجي ، مصدر سابق : (٢ / ٦٦٧) ، الذهبي ، السير : (٤ / ٤٠١) ، وما بعدها ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٩ / ٣٣١) .

^{١٤٤} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٣٩١) ، السيوطي ، الإتيقان : (٢ / ٥٠٦) ، الدر المنثور : (٢ / ٢٨٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٣٧١) .

^{١٤٥} الترمذي ، السنن : (٤ / ٤٦٨) .

قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا)^{١٤٦} .

و(عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^{١٤٧} ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر لازم لحياة الناس حياة مستقيمة طيبة كريمة من غير منكر ، لأن المنكر بالأمر بالمعروف ينتهي ويضمحل ويزول ، والخير في الحديث يكون بإتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .
قد ثبت أن الباقر يرسل الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والحديث هنا مرسل ، ولم أقف على تخريجه من حديث الباقر ومن حديث غيره .

ما جاء في قوله تعالى : [بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين] آية : ١٢٥ .

(١١٧) (أخرج ابن مردويه : عن عبد القدوس بن حبيب^{١٤٨} ، عن عطاء ابن أبي رباح^{١٤٩} ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله مسومين قال : معلمين ، وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم حمراء)^{١٥٠} .

قال ابن كثير : (قوله تعالى : [بلى إن تصبروا وتتقوا] ، يعني : تصبروا على مصابرة عدوكم وتتقوني وتطيعوا أمري ، وقوله تعالى : [ويأتوكم من فورهم هذا] ، قيل : من وجههم هذا ، وقيل : من غضبهم هذا ، وقيل : من غضبهم ووجههم ، وقيل : من سفرهم هذا ، وقوله تعالى : [يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين] ، أي : معلمين بالسيما)^{١٥١} ، ومسومين من (السومة والسيمة والسيما العلامة ، والسومة بالضم العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضاً ، قال ابن الأعرابي : السيمُ العلاماتُ على صُوف الغنم ، وقال تعالى : [من الملائكة مسومين] ، أراد مُعلمين ، والخيلُ المُسومةُ المرعيةُ المُسومةُ المُعلمةُ ، وقوله تعالى : [

^{١٤٦} أبو داود ، السنن : (٤ / ١٢١) .

^{١٤٧} مسلم ، الصحيح : (١ / ٦٩) .

^{١٤٨} عبد القدوس بن حبيب الكلاعي الشامي أبو سعيد ، روى عن عطاء وعكرمة والحسن ، روى عنه حيوة بن شريح وسعيد بن أبي أيوب وإبراهيم بن طهمان والوليد بن مسلم وعلى بن الجعد ، قال يحيى بن معين : عبد القدوس الشامي ضعيف ، قال عمرو بن علي الصيرفي : عبد القدوس الشامي أجمع أهل العلم على ترك حديثه ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي رحمه الله عن عبد القدوس بن حبيب ؟ ، فقال : متروك الحديث ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٦ / ١١٩) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٥٥) ، الذهبي ، المقتنى : (١ / ٢٧٠) .

^{١٤٩} ينظر : الحديث رقم (٣) .

^{١٥٠} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٠٣) ، السيوطي ، الإتقان : (٢ / ٥٠٦) .

^{١٥١} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٠٢) .

مُسَوِّمِينَ] ، قال الأَخْفَشُ : يَكُونُ مُعَلِّمِينَ وَيَكُونُ مُرْسَلِينَ مِنْ قَوْلِكَ : سَوَّيْتُ فِيهَا الْخَيْلَ ، أَي : أَرْسَلْتُهَا (١٥٢) ،
وفي الحديث الإشارة إلى علامات الملائكة يوم بدر .

أَخْرَجَ الْحَدِيثَ : الطَّبْرَانِيُّ ١٥٣ ، وَالْهَيْثَمِيُّ وَقَالَ : (رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَفِيهِ عَبْدُ الْقُدُوسِ بْنِ حَبِيبٍ وَهُوَ مَتْرُوكٌ
(١٥٤) .

مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : [الَّذِينَ يَنْفَقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ] آيَةٌ : ١٣٤ .

(١١٨) (أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ : عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا
تَجَرَّعَ عَبْدٌ مِنْ جُرْعَةٍ أَفْضَلَ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةٍ غَيْظَ كَظْمِهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) ١٥٥ .

قُلْتُ : قَالَ الطَّبْرِيُّ : (يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : [الَّذِينَ يَنْفَقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ] ، أَعَدَّتْ الْجَنَّةَ الَّتِي
عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَهُمْ الْمُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِمَّا فِي صَرْفِهِ عَلَى مَحْتَاغٍ وَإِمَّا فِي
تَقْوِيَةِ مَضْعَفٍ عَلَى النَّهْوِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَوْلُهُ فِي السَّرَّاءِ فَإِنَّهُ يَعْنِي فِي حَالِ السَّرْوَرِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ
وَرِخَاءِ الْعَيْشِ ، وَالضَّرَّاءِ إِذَا أَصَابَهُ الضِّيقُ وَالْجَهْدُ فِي عَيْشِهِ ، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي وَصَفَ صِفَتَهَا لِمَنْ
اتَّقَاهُ وَأَنْفَقَ مَالَهُ فِي حَالِ الرِّخَاءِ وَالسَّعَةِ وَفِي حَالِ الضِّيقِ وَالشَّدَةِ فِي سَبِيلِهِ ، وَقَوْلُهُ : [وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ] ،
يَعْنِي وَالْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ امْتِلَاءِ نَفْسِهِمْ مِنْهُ فَحَفِظَ نَفْسَهُ مِنْ أَنْ تَمْضِيَ مَا هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى إِمْضَائِهِ بِاسْتِمْكَانِهَا
مِمَّنْ غَاظَهَا وَانْتَصَارَهَا مِمَّنْ ظَلَمَهَا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ] ، فَإِنَّهُ يَعْنِي وَالصَّافِحِينَ عَنِ النَّاسِ عَقُوبَةَ
ذُنُوبِهِمْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ قَادِرُونَ فَتَارَكُوها لَهُمْ ، أَمَّا قَوْلُهُ : [وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ، فَإِنَّهُ يَعْنِي فَإِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عَمِلَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي وَصَفَ أَنَّهُ أَعَدَّ لِلْعَامِلِينَ بِهَا الْجَنَّةَ الَّتِي عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ،
وَالْعَامِلُونَ بِهَا هُمُ الْمُحْسِنُونَ وَإِحْسَانُهُمْ هُوَ عَمَلُهُمْ بِهَا) ١٥٦ ، وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ تَعْنِي أَنَّهُمْ اجْتَرَعُوا غَيْظَهُمْ
فَدَفَنُوهُ فِي دَاخِلِ نَفْسِهِمْ ١٥٧ ، وَقَدْ بَيَّنَّ الْحَدِيثَانِ أَنَّ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى وَهِيَ مَنْزِلَةٌ شَرِيفَةٌ لَا يِنَالُهَا إِلَّا مَنْ تَخَلَّقَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ وَكَظَمَ غَيْظَهُ وَعَفَا عَمَّنْ آذَاهُ وَظَلَمَهُ .

أَخْرَجَ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ : الْإِمَامُ أَحْمَدُ ١٥٨ ، وَالْبُخَارِيُّ ١٥٩ ، وَابْنُ مَاجَةَ ١٦٠ ، وَالطَّبْرَانِيُّ ١٦١ ، وَالْبَيْهَقِيُّ ١٦٢ .

١٥٢ ابن منظور ، مصدر سابق : (١٢ / ٣٠٣) .

١٥٣ الطَّبْرَانِيُّ ، الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ : (١١ / ١٩٣) .

١٥٤ الْهَيْثَمِيُّ ، مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ : (٦ / ٣٢٧) .

١٥٥ ابْنُ كَثِيرٍ ، التَّفْسِيرُ : (١ / ٤٠٧) .

١٥٦ الطَّبْرِيُّ ، التَّفْسِيرُ : (٤ / ٩٣) .

١٥٧ يَنْظُرُ ، الرَّازِيُّ ، مُصَدَّرٌ سَابِقٌ : (٥٧٢) .

١٥٨ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، الْمُسْتَدْرَكُ : (٢ / ١٢٨) .

١٥٩ الْبُخَارِيُّ ، الْأَدَبُ الْمَفْرُودُ : (٤٤٦) .

١٦٠ ابْنُ مَاجَةَ ، السُّنَنِ : (٢ / ١٤٠١) .

١٦١ الطَّبْرَانِيُّ ، الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ : (٧ / ٢٠٥) .

١٦٢ الْبَيْهَقِيُّ ، شُعَبُ الْإِيمَانِ : (٦ / ٣١٤) .

ما جاء في قوله تعالى : [إذ تُصعدون ولا تلوون على أحدٍ والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمًّا بغمٍ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبيرٌ بما تعملون] آية : ١٥٣ .

(١١٩) (أخرج ابن مردويه : قال ابن عباس : الغم الأول بسبب الهزيمة وحين قيل : قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل)^{١٦٣} ، (١٢٠) (وعن عبد الرحمن بن عوف : الغم الأول بسبب الهزيمة ، والثاني حين قيل : قتل محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة)^{١٦٤} .

يعني بذلك جل ثناؤه ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون إذ لم يستأصلكم إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم وهربكم ، وقد قرئت (تصعدون) بضم التاء وفتحها ، فأما الذين قرءوا تصعدون بضم التاء وكسر العين فإنهم وجهوا معنى ذلك إلى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم دخلوا في الوادي هارين وذكروا أن ذلك في قراءة أبي إذ تصعدون في الوادي ، فقالوا : الهرب في مستوى الأرض وبطن الأودية والشعاب إصعاد لا صعود ، قالوا : وإنما يكون الصعود على الجبال والسهول والدرج لأن معنى الصعود الارتقاء والارتفاع على الشيء علواً ، وقالوا : فأما الأخذ في مستوى الأرض الهبوط وإنما هو إصعاد ، قالوا : وإنما جاء تأويل أكثر أهل التأويل بأن القوم هربوا عند انهزامهم عن عدوهم في بطن الوادي ، وأما الحسن ذهب في قراءته إذ تصعدون بفتح التاء ، فتكون إلى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل^{١٦٥} ، (قال أبو جعفر : وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ إذ تصعدون بضم التاء وكسر العين بمعنى السبق والهرب في مستوى الأرض أو في المهابط لإجماع الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة ، ففي إجماعها على ذلك الدليل الواضح على أن أولى التأويلين بالآية تأويل من قال : أصعدوا في الوادي ومضوا فيه دون قول من قال صعدوا على الجبل)^{١٦٦} ، وأما قوله : [ولا تلوون على أحد] ، فإنه يعني ولا تعطفون على أحد منكم ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً من عدوكم مصعدين في الوادي ، ويعني بقوله : [والرسول يدعوكم في أخراكم] ورسول الله يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه في أخراكم يعني أنه يناديكم من خلفكم إلي عباد الله إلي عباد الله ، وقوله : [فأثابكم غمًا بغم] ، يعني : فجازاكم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم بكم غمًا بغم يقول غمًا على غم ، عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال إذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم ، فدل بذلك جل ثناؤه أن كل عوض كالمعوض من شيء من العمل خيراً كان أو شراً أو العوض الذي بذله رجل لرجل أو يد سلفت له إليه فإنه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة ، وأما قوله : [غمًا بغم] ، فإنه قيل : غمًا بغم معناه غمًا على غم^{١٦٧} ، وقد كانت هذه الواقعة يوم أحد إذ حلت الهزيمة بالمسلمين بسب ما كان منهم من عدم

^{١٦٣} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤١٨) .

^{١٦٤} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤١٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٣٥١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٣٩٠) .

^{١٦٥} ينظر : الطبري ، التفسير : (٤ / ١٣٢) .

^{١٦٦} الطبري ، التفسير : (١ / ١٣٢) .

^{١٦٧} ينظر : الطبري ، التفسير : (١ / ١٣٣ - ١٣٤) .

طاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت الهزيمة في أحد درساً للمسلمين ، فهم قد أُصيبوا في غميين عظيمين الهزيمة وعلو المشركين عليهم في الجبل وشائعة مقتل النبي عليه الصلاة والسلام فكان هذان غميين عظيمين .

ولقد اختلف العلماء في الغميين فمنهم من قال : الغم الأول القتل والجراح والغم الثاني إشراف أبي سفيان وخالد بن الوليد عليهم في الجبل^{١٦٨} ، وقيل : الغم الأول ما فاتهم من الغنيمة والفتح والغم الثاني إشراف العدو عليهم^{١٦٩} ، وقيل : الغم الأول حين سمعوا الصوت أن محمداً قد قتل والثاني لما انحازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصعدوا في الجبل فتذكروا قتل من قتل منهم فاغتموا^{١٧٠} ، فهذه أقوال في الغميين ، ولم أقف على تخريج القولين السابقين .

ما جاء في قوله تعالى : [فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين] آية : ١٥٩ .
(١٢١) (أخرج ابن مردويه : عن علي بن أبي طالب قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم ؟ ، قال : مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم)^{١٧١} .

عنى الله عز وجل ثناؤه بقوله : [فيما رحمة من الله] ، فبرحمة من الله ، وأما قوله : [ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك] ، فإنه يعني بالفظ الجافي وبالغليظ القلب القاسي ، فتأويل الكلام فبرحمة الله يا محمد ورافته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه وأغضبت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحمهم ورحمك معهم فبرحمة من الله لنت لهم ، وقوله تعالى : [فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين] ، إن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزه من أمر عدوه ومكايده حربه تألفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفاً منه أمته ما في الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها ليقصدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله ، وأما قوله : [فإذا عزمت فتوكل على الله] ، فإنه يعني فإذا صح عزمك بتبشيتنا إياك وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك وديناك فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به ، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها وتوكل فيما تأتي من أمورك وتدع وتحاول أو تزاو على ربك فثق به في كل ذلك وارض بقضائه في جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم فإن الله

^{١٦٨} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٤ / ٢٤٠) .

^{١٦٩} ينظر : الطبري ، التفسير : (٤ / ١٣٦) .

^{١٧٠} ينظر : ابن حجر ، فتح الباري : (٧ / ٣٦٤) .

^{١٧١} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٢١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٣٦٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٣٩٥) .

يحب المتوكلين وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم وافق ذلك منهم هوى أو خالفه^{١٧٢} ، وقال الشافعي : (إذا نزل بالحكم أمر يحتمل وجوها أو مشكل انبغى له أن يشاور من جمع العلم والأمانة وبسط الكلام فيه)^{١٧٣} ، وقيل : (المشاورة حصن من الندامة وأمن وسلامة ونعم المؤازرة المشاورة)^{١٧٤} ، وقال ابن حجر : (كان صلى الله عليه وسلم غنيا عن مشاورتهم ، وإنما أراد بذلك أن يستن الحكام بعده بهذا الأمر)^{١٧٥} ، وقال ابن حزم فيما تكون فيه المشاورة مما لا تكون فيه : (قال تعالى : [وشاورهم في الأمر] ، قلنا : نعم فيما أبيع له فعله وتركه لا في شرع الدين بما لم يأذن فيه الله تعالى ولا في إسقاط فرض فرضه الله تعالى ولا في إباحة ما حرمه الله تعالى ولا في تحريم ما أحله الله تعالى ولا في إيجاب ما لم يوجبه الله تعالى)^{١٧٦} ، فهذا الذي تكون عليه المشاورة في الأمور ، ويجب أن يشاور من كان صاحب لب ورأي سديد مجرب ، ثم بعد المشاورة يكون الإتياع في الرأي إذا لم يخالف الكتاب والسنة أو إجماع الأمة .

وقال البخاري : (باب قول الله تعالى : [وأمرهم شورى بينهم] ، [وشاورهم في الأمر] ، وأن المشاورة قبل العزم والتبين لقوله : [فإذا عزم فتوكل على الله] ، فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله ، وشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج فلما لبس لأتمته وعزم قالوا : أقم ، فلم يمل إليهم بعد العزم وقال : لا ينبغي لربي يلبس لأتمته فيضعها حتى يحكم الله ، وشاور عليا وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله ، وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم)^{١٧٧} ، وقد وضع الآن أن العزم إنما هو المشاورة ، فيكون معنى الحديث صحيحاً ، غير أنني لم أقف على تخريج الحديث .

ما جاء في قوله تعالى : [وما كان لنبى أن يغفل ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة ثم تُوفى كُلُّ نفسٍ بما كسبت وهم لا يُظلمون] آية : ١٦١ .
(١٢٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : أتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقد ، فأنزل الله تعالى : [وما كان لنبى أن يغفل])^{١٧٨} .

^{١٧٢} ينظر : الطبري ، التفسير : (٤ / ١٥٠) ، وما بعدها .

^{١٧٣} الشافعي ، أحكام القرآن : (٢ / ١١٩) .

^{١٧٤} المناوي ، مصدر سابق : (٦ / ٢٦٨) .

^{١٧٥} ابن حجر ، تلخيص الحبير ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم بمانى المدني ، المدينة المنورة (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) : (٤ / ١٩٥) .

^{١٧٦} ابن حزم الظاهري ، المحلى ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت : (٩ / ٣٦٤) .

^{١٧٧} البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٦٨٢) .

^{١٧٨} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٢٢) .

(١٢٣) (أخرج ابن مردويه : عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الحجر ليزن سبع حلقات ليلقى في جهنم فيهوي فيها سبعين خريفا ، ويؤتى بالغلول فيلقى معه ثم يكلف صاحبه أن يأتي به وهو قول الله : [ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة])^{١٧٩} .

ورد قوله : (الغل والغلول) و (الغل بالكسر والغليل الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد ، غل صدره يغل بالكسر غلاً إذا كان ذا غش أو ضغن وحقد ، ورجل مغلٌ مُضِبٌّ على حقد وغلٍ وغلٌ يغلٌ غلولاً و أغلٌ خان ، وفي التنزيل العزيز : [وما كان لنبي أن يغل] ، قال ابن السكيت : لم نسمع في المغمم إلا غلٌ غلولاً ، وقرئ : وما كان لنبي أن يغل ، فمن قرأ يغلٌ فمعناه يخون ، ومن قرأ يغلٌ فهو يحتمل معنيين : أحدهما يُحان يعني أن يؤخذ من عنيمة ، والآخر يخون ، أي : ينسب إلى الغلول ، وهي قراءة أصحاب عبد الله ، يريدون يسرق)^{١٨٠} ، قال الطبري : (أولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ : [وما كان لنبي أن يغل] ، بمعنى ما الغلول من صفات الأنبياء ولا يكون نبيا من غل ، وإنما اخترنا ذلك ؛ لأن الله عز وجل أوعد عقيب قوله : [وما كان لنبي أن يغل] ، أهل الغلول فقال : [ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة] الآية ، فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول ، والدليل الواضح على أنه إنما نهى بذلك عن الغلول وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله : [وما كان لنبي أن يغل] ، لأنه لو كان إنما نهى بذلك أصحاب رسول الله أن يتهموا رسول الله بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله لا بالوعيد على الغلول ، وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان أنه إنما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الأنبياء وأخلاقهم لأن ذلك جرم عظيم والأنبياء لا تأتي مثله)^{١٨١} ، وفي الآية تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك ، ثم قال تعالى : [ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون] ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد^{١٨٢} ، وقد وردت السنة بالنهاي عن الغلول في أحاديث كثيرة منها : (عن عبد الله بن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : فلان شهيد فلان شهيد حتى مروا على رجل ، فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، قال : فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)^{١٨٣} ، و (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، قال : لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس لها حمحمة ، يقول : يا رسول الله أغثنني ؟ ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكم ،

^{١٧٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٣٦٥) .

^{١٨٠} ابن منظور ، مصدر سابق : (١١ / ٤٩٩ - ٥٠٠) .

^{١٨١} الطبري ، التفسير : (٤ / ١٥٧) .

^{١٨٢} ينظر : ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٢٢) .

^{١٨٣} مسلم ، الصحيح : (١ / ١٠٧) .

وعلى رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثني ؟ ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت فيقول : يا رسول الله أغثني ؟ ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، أو على رقبته رقاع تخفق فيقول : يا رسول الله أغثني ؟ فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك (١٨٤ ، و (عن عبادة بن الصامت قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ الوبرة من جنب البعير من المغنم ثم يقول : ما لي فيه إلا مثل ما لأحدكم ، ثم يقول : إياكم والغلول فإن الغلول خزي على صاحبه يوم القيامة ، فأدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا في الله القريب والبعيد في الحضر والسفر فإن الجهاد باب من الجنة إنه ينجي صاحبه من الهم والغم ، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم) (١٨٥ .

أخرج الحديث الأول : أبو داود^{١٨٦} ، وأبو يعلى^{١٨٧} ، والطبراني^{١٨٨} ، والهيثمي وقال : (رجاله رجال الصحيح) (١٨٩ .

وأخرج الحديث الثاني : البيهقي^{١٩٠} .

ما جاء في قوله تعالى : [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون] الآية : ١٦٩ .

(١٢٤) (أخرج ابن مردويه : عن جابر بن عبد الله قال : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جابر ما لي أراك منكسراً ؟ قلت : يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا ، فقال : ألا أبشرك بما لقي الله به أباك ، قال : بلى ، قال : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا ، وقال : يا عبدي تمن علي أعطك ، قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب تعالى : سبق مني أنهم لا يرجعون ، قال : أي رب فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله هذه الآية : [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً] (١٩١ .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره ولا تحسبن ولا تظنن ، وقوله : [الذين قتلوا في سبيل الله] ، يعني الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواتا ، يقول : ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيئاً فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحيوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي جزاء لما صنعوا) (١٩٢ ، وقد وردت الأحاديث في فضل الشهداء ، ففي الحديث (عن مسروق قال

^{١٨٤} البخاري ، الصحيح : (١١١٨ / ٣) .

^{١٨٥} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٢٨٠ / ٨) .

^{١٨٦} أبو داود ، السنن : (٣١ / ٤) .

^{١٨٧} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٣٢٧ / ٤) ، (٦٠ / ٥) .

^{١٨٨} الطبراني ، المعجم الصغير : (٧٣ / ٢) ، المعجم الكبير : (١٠١ / ١١) ، (٣٦٤ / ١١) .

^{١٨٩} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣٨٢ / ٦) .

^{١٩٠} البيهقي ، شعب الإيمان : (٦٤ / ٤) .

^{١٩١} السيوطي ، الدر المنثور : (٣٧١ / ٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤٠١ / ١) .

^{١٩٢} الطبري ، التفسير : (١٧٠ / ٤) .

: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون] ، قال : أما إننا قد سألنا عن ذلك ، فقال : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم أطلاعة ، فقال : هل تشتبهون شيئا ؟ ، قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ؟ ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا (١٩٣) ، و (عن سمرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالوا : أما هذه الدار فدار الشهداء) (١٩٤) ، و (عن عتبة بن عبد السلمي وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : القتلى ثلاثة رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه ولا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فتلك مصمصة محت ذنوبه وخطاياها ، إن السيف محاء للخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق) (١٩٥) ، و (عن نمران بن عتبة الذماري قال : دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام صغار فمسحت رؤوسنا وقالت : ابشروا يا بني فإني أرجو أن تكونوا في شفاعتي أبيكم فإني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته) (١٩٦) .

وقد جاء الحديث يبين ما للشهيد عند الله عز وجل من الخير العظيم وما أعده سبحانه وتعالى للشهداء يوم القيامة ، حتى يتمنى أن يعود ويقتل في سبيله المرة بعد المرة .

أخرج الحديث : الترمذي وقال : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر شيئا من هذا ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ، ورواه علي بن عبد الله بن المديني وغير واحد من كبار أهل الحديث هكذا عن موسى بن إبراهيم) (١٩٧) ، وابن حبان (١٩٨) .

^{١٩٣} مسلم ، الصحيح : (٣ / ١٥٠٢) .

^{١٩٤} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٠٢٨) .

^{١٩٥} ابن حبان ، الصحيح : (١٠ / ٥١٩) .

^{١٩٦} المصدر السابق : (١٠ / ٥١٧) .

^{١٩٧} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٣٠) .

^{١٩٨} ابن حبان ، الصحيح : (١٥ / ٤٩٠) .

ما جاء في قوله تعالى : [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرخ للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيمٌ] آية : ١٧٢ .

(١٢٥) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : لما رجع المشركون عن أحد قالوا : لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتهم بس ما صنعتم أرجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة ، فقال المشركون : نرجع من قابل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تعد غزوة ، فأنزل الله تعالى : [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرخ للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] (١٩٩ .

(١٢٦) (قال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر^{٢٠٠} من أصل كتابه ، أنبأنا سمويه^{٢٠١} ، أنبأنا عبد الله بن الزبير^{٢٠٢} ، أنبأنا سفيان^{٢٠٣} ، أنبأنا هشام^{٢٠٤} ، عن أبيه^{٢٠٥} ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرخ) (٢٠٦ .

^{١٩٩} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٢٩) .

^{٢٠٠} ينظر : الحديث رقم (٣١) .

^{٢٠١} (سمويه الإمام الحافظ الثبت الرحال الفقيه أبو بشر إسماعيل بن عبد الله بن مسعود بن جبير العبدي الأصبهاني سمويه ، صاحب تلك الأجزاء التي تنبئ بحفظه وسعة علمه ، سمع بالكوفة من أبي نعيم الملائي وطبقته وبدمشق من أبي مسهر الغساني وأقرانه وبمصر من علي بن عياش وأبي اليمان وعدة وبمكة من الحميدي وبتنيس من عبد الله بن يوسف وبمصر من سعيد بن أبي مرثمة وأمثاله وبأصبهان من بكر بن بكار والحسين بن حفص ، حدث عنه محمد بن يحيى بن منددة ومحمد بن أحمد بن يزيد وأبو بكر بن أبي داود وعبد الله بن جعفر بن فارس وخلق سواهم ، قال أبو حاتم : سمعنا منه وهو ثقة صدوق ، وقال أبو الشيخ : كان حافظا متقنا ، وقال أبو نعيم الأصبهاني : كان من الحفاظ والفقهاء ، مات سنة سبع وستين ومائتين) ، الذهبي ، السير : (١٣ / ١١) .

^{٢٠٢} عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن الزبير بن عبيد الله بن حميد أبو بكر الحميدي ، سمع من سفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وبشر بن بكر وأبي معاوية والوليد بن مسلم وغيرهم وصنف المسند ، وحدث عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن سعد كاتب الواقدي والبخاري في صحيحه وحدث عنه بالمسند بشر بن موسى الأسدي أبو علي ، قال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي وهو رئيس أصحاب ابن عيينة ، وقال عبد الرحمن : سئل أبي عنه فقال : ثقة إمام ، توفي الحميدي سنة تسع عشرة ومائتين ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٥ / ٩٦) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ٥٦) ، عبد الغني البغدادي ، التقييد : (٣٠٨) .

^{٢٠٣} سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم أبو محمد كوفي سكن مكة ، روى عن الزهري وعمرو بن دينار وغيرهم ، روى عنه ابن المبارك ووكيع وأبو معاوية والضريير وأبو نعيم وغيرهم ، قال عبد الرحمن بن مهدي : كان سفيان بن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز ، وقال عبد الله بن وهب : لا أعلم أحدا أعلم بتفسير القرآن من سفيان بن عيينة ، وقال يحيى بن معين : سفيان بن عيينة ثقة ، وقال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول سفيان بن عيينة إمام ثقة وأثبت أصحاب الزهري مالك وابن عيينة وكان أعلم بحديث عمرو بن دينار من شعبة ، مات سنة ثمان وسبعين ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٩٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ٢٢٥) .

^{٢٠٤} هشام بن عروة بن الزبير بن العوام أبو المنذر ، وقد قيل : أبو بكر ، جالس ابن الزبير ورأى جابرا وابن عمر من حفاظ أهل المدينة ، سمع ابن عمر وابن الزبير وأباه والزهري ووهب بن كيسان ، روى عنه الثوري ومالك بن أنس وشعبة وابن عيينة ، وهو من أهل الورع والفضل في الدين ، كان مولده سنة ستين أو إحدى وستين ، ومات بعد الهزيمة سنة خمس أو ست وأربعين ومائة ، وكان ثقة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٨ / ١٩٣) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٧٧١) ، ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار : (٨٠) .

^{٢٠٥} ينظر : الحديث رقم (٨١) .

^{٢٠٦} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣٠) .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكولوم وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد في طلب العدو أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش عند منصرفهم عن أحد)^{٢٠٧} ، فقد ندم من تخلف يوم أحد عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو فأذن مؤذنه أن لا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس ، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة ، وقد مر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهمته صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا في أحد أصحابه وأشرفهم وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال : ويحك ما تقول ، قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال فإني أنهاك عن ذلك ، قال : فعادوا^{٢٠٨} ، وقد دل حديثا الآية على استجابة المؤمنين لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام .

أخرج الحديث الأول : النسائي^{٢٠٩} ، والطبراني^{٢١٠} ، والهيثمي وقال : (رواه الطبراني ، ورجاله رجال محمد بن منصور الجواز وهو ثقة)^{٢١١} ، قال ابن حجر معلقاً على الحديث : (أخرجه النسائي وابن مردويه ، ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس)^{٢١٢} .

الحديث الثاني أخرجه ابن مردويه مرفوعاً ولم يخرج مرفوعاً غيره ، وأخرجه الأئمة موقوفاً من حديث عائشة رضي الله عنها فقد أخرجه : ابن أبي شيبة^{٢١٣} ، وسعيد بن منصور^{٢١٤} ، ومسلم^{٢١٥} ، والحاكم^{٢١٦} ، والبيهقي^{٢١٧} ،

^{٢٠٧} الطبري ، التفسير : (٤ / ١٧٦) .

^{٢٠٨} ينظر : ابن هشام ، مصدر سابق : (٤ / ٥٢ - ٥٣) .

^{٢٠٩} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣١٧) .

^{٢١٠} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٢٤٧) .

^{٢١١} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ١٢١) .

^{٢١٢} ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٢٢٨) .

^{٢١٣} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ٣٧٧) .

قال ابن كثير : (ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة رضي الله عنها ، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير لأنه ابن أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم)^{٢١٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل] آية : ١٧٣ .

(١٢٧) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له يوم أحد : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فأنزل الله هذه الآية)^{٢١٩} .

(١٢٨) (أخرج ابن مردويه : عن أبي رافع ، أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان ، فلقاهم أعرابي من خزاعة ، فقال : إن القوم قد جمعوا لكم ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فنزلت فيهم هذه الآية)^{٢٢٠} .

(١٢٩) (قال ابن مردويه : حدثنا دعلج بن أحمد^{٢٢١} ، حدثنا الحسن بن سفيان^{٢٢٢} ، أنبأنا أبو خيثمة مصعب بن سعيد^{٢٢٣} ، أنبأنا موسى بن أعين^{٢٢٤} ، عن الأعمش^{٢٢٥} ، عن أبي صالح^{٢٢٦} ،

^{٢١٤} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٣ / ١١٢٥) .

^{٢١٥} مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٨٨٠ - ١٨٨١) .

^{٢١٦} الحاكم ، المستدرک : (٣ / ٤٠٩) .

^{٢١٧} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٦٨) .

^{٢١٨} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣٠) .

^{٢١٩} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٣٨٩) ، لباب القول : (٦١) .

^{٢٢٠} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٣٨٩) .

^{٢٢١} ينظر : الحديث رقم : (٣٦) .

^{٢٢٢} الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن عطاء بن النعمان أبو العباس النسوي ، طاف البلاد وسمع بما حدث عن صفوان بن صالح وهشام بن عمار

وسعد بن يزيد الفراء ويحيى بن موسى وقتيبة بن سعيد ويزيد بن صالح الإشكري وسعيد بن حفص النفيلي وركريا بن يحيى زحويه الواسطي وعاصم بن النفر

الأحول وعبد الرحمن بن سلام الجمحي وعبيد الله بن معاذ العنبري وغيرهم وصنف المسند ، وحدث عنه أبو عمرو بن حمدان الحيري ومحمد بن عبد الله بن

شيبويه وحدث عنه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي في صحيحه ، توفي أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي سنة ثلاث وثلاثمائة ، ينظر : عبد الغني

البغدادي ، التقييد : (٢٣٠) ، الذهبي ، السير : (١٤ / ١٥٧) .

^{٢٢٣} مصعب بن سعيد أبو خيثمة الضرير المصيبي الحرايبي ، روى عن عبيد الله بن عمر ونصف بن يونس وموسى بن أعين ومحمد بن سلمة وعمر بن أيوب

الموصلبي ، روى عنه أبو حاتم ، قال عبد الرحمن : سئل أبي عنه فقطب وجهه وقال : عبد الله بن جعفر الرقي أحب إلي منه وكان صدوقاً ، ينظر ، مسلم ،

الكنى والأسماء : (١ / ٢٩٠) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٣٠٩) .

^{٢٢٤} موسى بن أعين الجزري ، سمع ليث بن أبي سليم ومطرفاً وعطاء بن السائب ، روى عنه عبد الغفار بن داود ومعلی بن منصور ، كنيته أبو سعيد كناه

مصعب بن سعيد أبو خيثمة المكفوف ، وهو ثقة ، توفي سنة سبع وسبعين ومائة ، وقيل : ست وسبعين ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٧ / ٢٨٠) ،

الذهبي ، السير : (٨ / ٢٨٠) .

^{٢٢٥} ينظر : الحديث رقم (٤١) .

^{٢٢٦} ذكوان أبو صالح السمان الزيات التيمي ، كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة مولى جويرية بنت الحارث الغطفاني والد سهيل ، روى عن سعد بن أبي

وقاص مسألة واحدة وأبي سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر وجابر وأبي هريرة وعائشة ، روى عنه عطاء بن أبي رباح والزهرري وحبيب بن أبي ثابت والحكم بن

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل (٢٢٧) .

لما ذكر الله تعالى ما كان من استجابة الذين آمنوا لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، ذكر هنا ما من قولهم لما قيل لهم إن المشركين قد جاءوهم وهم كثرة أكثر منهم في أحد ، فقال المؤمنون : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وهم بذلك قد سلموا كامل أمرهم وفوضوه إلى الله عز وجل فهو خير حافظ وهو أرحم الراحمين .

في الحديث الصحيح (عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : [إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل] (٢٢٨) ، وقد وردت الأحاديث بهذا اللفظ عن أبي سعيد الخدري و ابن عباس وعكرمة ، وقد أخرجها عبد الرزاق (٢٢٩) ، والبخاري وقد تقدم ، والنسائي (٢٣٠) ، والحاكم (٢٣١) ، وقد انفرد ابن مردويه رحمه الله بتلك الأحاديث التي أخرجها ، وإن كانت الأحاديث التي أخرجها الأئمة شواهد لما أخرجه رحمه الله ، قال ابن كثير لما ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (هذا حديث غريب من هذا الوجه) (٢٣٢) ، وقد ذكر ابن هشام هذه الأحاديث وغيرها في سيرته (٢٣٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياءٌ سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياءَ بغير حقٍ ونقول ذوقوا عذاب الحريق] آية : ١٨١ .

(١٣٠) (أخرج ابن مردويه : قال سعيد بن جبيرة (٢٣٤) عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالى : [من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة] ، قالت اليهود : يا محمد أفتر ربك فسأل عباده القرض ، فأنزل الله : [لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء] (٢٣٥) .

عتيبة والأعمش وزيد بن أسلم وعاصم بن بحدلة والقعقاع بن حكيم وعبد الله بن دينار وأبو حصين وابنه سهيل ، قال ابن أبي حاتم : قلت لأبي أبو صالح ذكوان فوق عبد الرحمن بن يعقوب والد العلاء ؟ فقال : أبو صالح من أجلة الناس وأوثقهم ومن أصحاب أبي هريرة وقد شهد الدار - يعنى زمن عثمان رضي الله عنه - وهو ثقة ، مات سنة إحدى ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : ٣٠ / ٢٦٠) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٤٣٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٤٥٠) ، الذهبي ، المقتنى : (١ / ٣١١) .

٢٢٧ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٣٩٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٤٠٢) .

٢٢٨ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٦٢) .

٢٢٩ عبد الرزاق ، مصدر سابق : (٥ / ٣٦٦) .

٢٣٠ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ١٥٤) .

٢٣١ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٢٦) .

٢٣٢ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣١) .

٢٣٣ ينظر : ابن هشام ، مصدر سابق : (٤ / ٥٢) ، وما بعدها .

٢٣٤ ينظر : الحديث رقم (٤٥) .

٢٣٥ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣٤) .

إن هذه الآية وآيات بعدها نزلت في بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأويل الآية : لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا من الإفك والغفيرة على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق ، ونقول للقائلين بأن الله فقير ونحن أغنياء القائلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق ، يعني بذلك : عذاب نار محرقة ملتهبة ، والنار اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة ، والحريق صفة لها يراد أنها محرقة ، كما قيل : عذاب أليم يعني مؤلم ووجيع يعني موجه^{٢٣٦} ، وقال ابن هشام في سبب نزول الآية : (دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على زفر فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له : فنحاص وكان من علمائهم وأخبارهم ومعه حبر من أخبارهم يقال له : أشيع فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فو الله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله وقد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإننا عنه لأغنياء وما بغني ولو غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو غنيا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال : والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك أي عدو الله ، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت وجهه ، فجدد ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر : [لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق] (٢٣٧) ،
والحديث يبين هذا •

وأخرج الحديث : الضياء المقدسي^{٢٣٨} •

ما جاء في قوله تعالى : [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّنُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ] آية : ١٨٥ •
(١٣١) (أخرج ابن مردويه : عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم قرأ هذه الآية : [فمن زحرج عن النار وأدخل الجنة فقد فاز] (٢٣٩) •

^{٢٣٦} ينظر : الطبري ، التفسير : (٤ / ١٩٥) •

^{٢٣٧} ابن هشام ، مصدر سابق : (٣ / ٩٦ - ٩٧) •

^{٢٣٨} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ١١٢ - ١١٣) •

^{٢٣٩} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٣٩٩) ، الشوكاني ، الدر المنثور : (١ / ٤٠٩) •

قال ابن كثير : (يخبر تعالى إخبارا عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، فهو تعالى وحده الذي لا يموت والجن والإنس يموتون وكذلك الملائكة وحملة العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخر كما كان أولا ، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا أنقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وأنتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها قليلها وكثيرها كبيرها وصغيرها فلا يظلم أحدا مثقال ذرة ولهذا قال تعالى : وإنما توفون أجوركم يوم القيامة)^{٢٤٠} وقال : [زحزح] ، و (زُحْزِحَ أَي نُحِّيَ وَبُعِدَ زَحَّ الشَّيْءِ يَزُحُّهُ زَحًّا جَذِبَهُ فِي عَجَلَةٍ ، وَزَحَّةٌ يَزُحُّهُ زَحًّا وَزَحْزَحَهُ فَتَزَحَّزَحَ دَفَعَهُ وَنَحَّاهُ عَنْ مَوْضِعِهِ فَتَنَحَّى وَبَاعَدَهُ مِنْهُ)^{٢٤١} ، فمن باعده الله تعالى عن النار فقد فاز فوزاً عظيماً ، وقد أشار الحديث إلى هذا الأمر وبين أن الموضع الصغير في الجنة هو الفوز والنجاة من النار نجانا الله منها .

وأخرج الحديث : الإمام أحمد^{٢٤٢} ، والبخاري^{٢٤٣} ، والترمذي^{٢٤٤} ، والطبراني^{٢٤٥} ، والبيهقي^{٢٤٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم] آية : ١٨٨ .

(١٣٢) (أخرج ابن مردويه : عن زيد بن أسلم^{٢٤٧} قال : كان أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت عند مروان فقال : يا أبا سعيد أرايت قوله تعالى : [لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا] ، ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل ، فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذاك إنما ذاك أن ناسا من المنافقين يتخلفون إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا فإن كان فيه نكبة فرحوا بتخلفهم وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح ، فقال مروان : أين هذا من هذا ؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ، فقال مروان : أكذاك يا زيد ، قال : نعم صدق أبو سعيد ، ثم قال أبو سعيد : وهذا يعلم ذاك يعني رافع بن خديج ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة ، فلما

^{٢٤٠} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣٥) .

^{٢٤١} ابن منظور ، مصدر سابق : (٢ / ٤٦٨) .

^{٢٤٢} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٣٣٩) .

^{٢٤٣} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٠٥٩) ، (٥ / ٢٣٥٨) .

^{٢٤٤} الترمذي ، السنن : (٤ / ١٨٨) .

^{٢٤٥} الطبراني ، المعجم الكبير : (٦ / ١٩٠) .

^{٢٤٦} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٣٨) .

^{٢٤٧} زيد بن أسلم أبو أسامة مولى عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، قال أبو نعيم : الحلیم الأحلم والسليم الأسلم كان بالعدل قائلا وبالفضل عاملا وعن الجهل عادلا ، سمع ابن عمر وأباه روى عنه الثوري وأيوب السختياني ومالك وابن عيينة ، مات سنة ست وثلاثين ومائة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٣ / ٣٨٧) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ١٠٤) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٣٢٢) ، أبو نعيم ، حلية الأولياء : (٣ / ٢٢١) .

خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري : ألا تحمدي علي ما شهدت لك ، فقال له أبو سعيد : شهدت الحق ، فقال زيد : أو لا تحمدي علي ما شهدت الحق (٢٤٨) .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عنى بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا العدو فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وقال آخرون : عنى بذلك قوم من أحرار اليهود كانوا يفرحون بإضلالهم الناس ونسبة الناس إليهم إلى العلم ، وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بأن يقال لهم أهل صلاة وصيام ، وقال آخرون : بل معنى ذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك ، وقال آخرون : معنى ذلك أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم عليه السلام ، وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه ففرحوا بكتمانهم ذلك إياه ، وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل الآية قول من قال : عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم ليبين للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونونه ؛ لأن الآية في سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعينون بذلك فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية : لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس التابعين وأنتك لي رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم في كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك وبيان التابعين للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقى الذي أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك ومخالفتهم أمري ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوجيه وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم لم يفعلوا شيئا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ، وقوله : [فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب] ، فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعده لأعدائه في الدنيا من الخسف والمسح والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه ٢٤٩ ، وفي الحديث (عن أبي سعيد الخدري : أن رجلا من المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت : [لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب] (٢٥٠) ، و (عن ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لعذببن أجمعون ؟ فقال ابن عباس : وما لكم ولهذه إنما دعا

٢٤٨ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣٨) ، ابن حجر ، العجائب : (٢ / ٨١٢) .

٢٤٩ ينظر : الطبري ، التفسير : (٤ / ٢٠٥) ، وما بعدها .

٢٥٠ مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢١٤٢) .

النبي صلى الله عليه وسلم اليهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس : [وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب] الآية حتى قوله : [يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا] (٢٥١) ، قال ابن كثير : (ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع ما ذكر والله أعلم) (٢٥٢) ، وقد بين الحديث إن ذلك إنما كان في المنافقين الذين كانوا يتخلفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الغزو ، وقد أشار حديث ابن عباس المتقدم إلى حديث الآية ، ولم أقف على تخريج الحديث ، لكن كما ذكرنا فإن للحديث شاهد من حديث ابن عباس •

ما جاء في قوله تعالى : [إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب] آية : ١٩٠ •

(١٣٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة بعد ما مضى ليل فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية : [إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب] ، إلى آخر السورة ثم قال : اللهم أجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا ومن بين يدي نورا ومن خلفي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا وأعظم لي نورا يوم القيامة) (٢٥٣) •

(١٣٤) (و) عن عطاء^{٢٥٤} قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول الشاعر زد غبا تزدد حبا ، فقال ابن عمر : ذرينا أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت : كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ، ثم قال : ذريني أتعبد لربي عز وجل : قالت : فقلت : والله إنني لأحب قريك وإنني أحب أن تعبد ربك فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ثم أضطجع على جنبه فبكى ، حتى إذا أتى بلال الصبح قالت : فقال : يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة : [إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب] ، ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) (٢٥٥) •

^{٢٥١} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٦٥) •

^{٢٥٢} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٣٨) •

^{٢٥٣} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٤١) •

^{٢٥٤} هو ابن أبي رباح ، ينظر : الحديث رقم (٣) •

^{٢٥٥} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٤١) •

في الآية الكريمة الدعوة إلى التفكير بما خلق الله تعالى ، ففي خلقه السماوات والأرض لأكبر الدليل على ألوهيته سبحانه وتعالى ، وفي اختلاف الليل والنهار أكبر الدليل على قدرته وعلى خلقه العجيب ففي الليل الراحة والاطمئنان وفي النهار العمل والكد والمعاش ، فتلك آيات دعا الله تعالى عباده إلى التفكير بها وأنها آيات لأصحاب العقول حتى يتفكروا في خلق الله ، قال الطبري : (قال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس واعتبروا ففيما أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم وفيما عقبته بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويتعاقبان عليكم تتصرفون في هذا لمعاشكم وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم معتبر ومدكر وآيات وعظات ، فمن كان منكم ذا لب وعقل يعلم أن ذلك كله بيدي أمله وأصرفه ، ولو أبطلت ذلك لهلكتم فكيف ينسب فقر إلى من كان كل ما به عيش ما في السماوات والأرض بيده وإليه ، أم كيف يكون غنيا من كان رزقه بيد غيره إذا شاء رزقه وإذا شاء حرمه ، فاعتبروا يا أولي الألباب)^{٢٥٦} ، وقد أشار الحديثان إلى التفكير الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له وهو التفكير بما خلق الله تعالى وخصوصاً السماوات والأرض ؛ لأن فيهما آية عظيمة دالة على الخلق ومقدرة الله سبحانه والليل والنهار وما احتويا من أدلة دامغة على وجود الله ووحدانيته وآيات خلقه العظيمة .

أخرج الحديث الأول : الإمام أحمد^{٢٥٧} ، ومسلم^{٢٥٨} ، وأبو داود^{٢٥٩} ، وأبو عوانة^{٢٦٠} ، وأبو نعيم^{٢٦١} .
وأخرج الحديث الثاني : أبو موسى المدني^{٢٦٢} ، ولم أجد من أخرجه غيره .

ما جاء في قوله تعالى : [لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلًا من عند الله وما عند الله خير للأبرار] آية : ١٩٨ .

(١٣٥) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما سمو الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقا كذا لولدك عليك حق)^{٢٦٣} .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه لكن الذين اتقوا ربهم ، لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه لهم جنات يعني بساتين تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، يقول : باقين فيها أبدا ، نزلا من عند الله ، يعني : إنزالا من الله إياهم فيها أنزلهموها ، وقوله من عند الله ، يعني : من قبل الله ومن كرامة الله إياهم وعطاياهم لهم ، وقوله وما عند الله خير للأبرار ، يقول : وما عند الله من الحياة

^{٢٥٦} الطبري ، التفسير : (٤ / ٢٠٩) .

^{٢٥٧} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٣٧٣) .

^{٢٥٨} مسلم ، الصحيح : (١ / ٥٣٠) .

^{٢٥٩} أبو داود ، السنن : (٢ / ٤٤) .

^{٢٦٠} أبو عوانة ، المسند ، دار المعرفة ، بيروت : (٢ / ٣٢١) .

^{٢٦١} أبو نعيم ، المسند المستخرج : (٢ / ٣٦٠) .

^{٢٦٢} أبو موسى المدني ، نزهة الحفاظ ، تحقيق : عبد الرضى محمد عبد الحسن ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت (١٤٠٦ هـ) : (١٠٣) .

^{٢٦٣} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٤٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٤١٥) .

والكرامة وحسن المآب خير للأبرار مما يتقلب فيه الذين كفروا ، فإن الذي يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس ، وما عند الله خير من كرامته للأبرار وهم أهل طاعته (٢٦٤ ، وقوله : [نزلا] و (التَّنْزِيلُ بوزن القفل ما يُهَيَأُ للنزِيل ، والمَنْزِلَةُ أيضا المرتبة ، واستَنْزَلَ فلان أي : حُطَّ عن مرتبته ، والمُنْزَلُ بضم الميم وفتح الزاي الإنزالُ تقول : أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا و المَنْزِلُ بفتح الميم والزاي التَّنْزُولُ وهو الحُلُولُ ، تقول : نَزَلَ يَنْزِلُ نُزُولًا وَمَنْزَلًا وَأَنْزَلَهُ غَيْرَهُ واستَنْزَلَهُ بمعنى وَنَزَلَهُ تَنْزِيلًا و التَّنْزِيلُ أيضا الترتيب والتَّنْزِيلُ النُّزُولُ في مُهَلَّة ، والنَّزِيلُ الضيف) ٢٦٥ .

وفي الحديث : (الأبرار) و (البرُّ : الصَّدْقُ والطاعةُ والصالح والخير ، قال أبو منصور : والبرُّ خير الدنيا والآخرة ، فخير الدنيا ما يبسر الله تبارك وتعالى للعبد من الهدى والتَّعَمَّةِ والخيرات ، وخَيْرُ الآخِرَةِ الفَوْزُ بالنعيم الدائم في الجنة ، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته ، وَبَرٌّ يَبْرُ إِذَا صَلَحَ ، وَبَرٌّ فِي يَمِينِهِ يَبْرُ إِذَا صَدَقَهُ وَلَمْ يَحْنَثْ ، وَبَرٌّ رَحِمَهُ يَبْرُ إِذَا وَصَلَهُ ، وَالْبَرُّ الصَّادِقُ ، وَالْبَرُّ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَهِيَ تَعْنِي الْعَطُوفُ الرَّحِيمُ اللَّطِيفُ الْكَرِيمُ ، وَالْبَرُّ ضِدُّ الْعَقُوقِ) ٢٦٦ ، وقيل : (الأبرار الراغبون إلى الله جل ثناءه فيما أعد لهم من ثوابه ، وهم يؤتون بالنجائب) ٢٦٧ ، وقال المناوي : (إنما سمي الله تعالى الأبرار أبرارا في القرآن ؛ لأنهم بروا الآباء والأمهات والأبناء ، أي : أحسنوا إلى آبائهم وأمهاتهم وأبنائهم ورفقوا بهم وتحروا محابهم وتوقوا مكارههم ولم يوقعوا الضغائن بينهم بتفضيل بعضهم على بعض بنحو عطية أو إكرام بلا موجب شرعي ، كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا ، أي : حقوقا كثيرة منها تعليمهم الفروض العينية وتأديبهم بالآداب الشرعية والعدل بينهم في العطية سواء كانت هبة أم هدية أم وقفا أم تبرعا ، فإن فضل بلا عذر بطل عند بعض العلماء وكرهه بعضهم) ٢٦٨ وقد أشار الحديث إلى البرُّ الذي هو ضد العقوق ، وأخرج الحديث : البخاري ٢٦٩ ، وأبو أمية الطرسوسي ٢٧٠ ، والديلملي ٢٧١ ، والهيثمي وقال : (فيه الوصافي وهو ضعيف) ٢٧٢ .

ما جاء في قوله تعالى : [وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] آية : ١٩٩ .

٢٦٤ الطبري ، التفسير : (٤ / ٢١٧) .

٢٦٥ الرازي ، مصدر سابق : (٦٥٥) .

٢٦٦ ابن منظور ، مصدر سابق : (٤ / ٥١ - ٥٢) .

٢٦٧ البيهقي ، شعب الإيمان : (١ / ٣١٨) .

٢٦٨ المناوي ، مصدر سابق : (٢ / ٥٧٤) .

٢٦٩ البخاري ، الأدب المفرد : (٤٧) .

٢٧٠ أبو أمية الطرسوسي ، مسند عبد الله بن عمر ، تحقيق : أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت : (٢٤) .

٢٧١ الديلملي ، مصدر سابق : (١ / ٣٤٦) .

٢٧٢ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ١٤٦) .

(١٣٦) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك قال : لما توفي النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استغفروا لأخيكم ، فقال بعض الناس : يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة ، فنزلت : [وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله] ، الآية)^{٢٧٣} .

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ويؤمنون بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مع ما هم مؤمنون به من أنهم خاشعون لله ، أي : مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشتركون بآيات الله ثمنا قليلا ، أي : لا ينكرون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هودا أو نصارى وقد قال تعالى : [الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ثم وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ثم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا] ، وقد قال تعالى : [الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به] ، وقال تعالى : [ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون] ، وقال تعالى : [ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون] ، وقال تعالى قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا] ، توجد في اليهود ولكن قليلا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس وأما النصارى منهم يهتدون وينقادون للحق كما قال تعالى : [لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى] إلى قوله تعالى : [فأتابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها] ، وهكذا قال هاهنا : أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، الآية ، وفي الحديث قوله : (العليج) ، و (العليج الواحد من كفار العجم ، وجمعه علوج)^{٢٧٤} ، والنجاشي ملك الحبشة كما هو معلوم واسمه مصحمة وهو بالعربية عطية ، وإنما النجاشي اسم الملك كقولنا : كسرى وهرقل^{٢٧٥} .

وأخرج الحديث : النسائي^{٢٧٦} ، والطبراني^{٢٧٧} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ، ورجالهما ثقات)^{٢٧٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون] آية : ٢٠٠ .

^{٢٧٣} ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٤٤) .

^{٢٧٤} الرازي ، مصدر سابق : (٤٤٩) .

^{٢٧٥} ينظر : الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٦٧٩) .

^{٢٧٦} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣١٩) .

^{٢٧٧} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣ / ١٢٠) .

^{٢٧٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٩ / ٤١٩ - ٤٢٠) .

(١٣٧) (وأخرج ابن مردويه : عن أبي سلمة بن عبد الرحمن^{٢٧٩} قال : أقبل عليّ أبو هريرة يوما ، فقال : أتدري يا ابن أخي فيم نزلت هذه الآية ؟ ، قلت : لا ، قال : أما إنه لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابطون فيه ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم أنزلت ، اصبروا ، أي : على الصلوات الخمس ، وصابروا أنفسكم وهواكم ، ورابطوا في مساجدكم ، واتقوا الله عليكم ، لعلكم تفلحون)^{٢٨٠} .

(١٣٨) (أخرج ابن مردويه : عن أبي أيوب قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل لكم إلى ما يمحو الله تعالى به الذنوب ويعظم به الأجر ؟ فقلنا : نعم يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، قال وهو قول الله : [يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا] ، فذلكم هو الرباط في المساجد)^{٢٨١} .

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم ، وقال آخرون : معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا وعدي إياكم على طاعتكم لي ورابطوا أعداءكم ، وقال آخرون : معنى ذلك اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوهم ، وقال آخرون : معنى ورابطوا ، أي : رابطوا على الصلوات ، أي : انتظروها واحدة بعد واحدة ، وأولى تلك التأويلات بتأويل الآية قول من قال في ذلك : يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعة ربكم وذلك أن الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئا فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل ، فلذلك قلنا إنه عنى بقوله : اصبروا ، الأمر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها)^{٢٨٢} ، وقال القرطبي : (ختم تعالى السورة بما تضمنته هذه الآية من الوصاة التي جمعت الظهور في الدنيا على الأعداء والفوز بنعيم الآخرة فحضر على الصبر على الطاعات وعن الشهوات ، وأمر بالمصابرة فليل : معناه مصابرة الأعداء ، وقيل : على الصلوات الخمس ، وقيل : إدامة مخالفة النفس عن شهواتها فهي تدعو وهو ينزع ، وقيل : صابروا الوعد الذي وعدتم ، أي : لا تياسوا وانتظروا الفرج ، وقوله : ورابطوا ، فقال الجمهور : رابطوا أعداءكم بالخيال ، أي : ارتبطوها كما يرتبطها أعداءكم)^{٢٨٣} ، وأشار الحديث الأول إلى الصلاة والأمر بالصبر عليها والمرابطة فيها ، وأشار الحديث الثاني إلى إسباغ الوضوء كذلك وانتظارها الوقت بعد الوقت والفرض بعد الفرض وكثرة المسير والخطا إلى مساجد الله .

٢٧٩ أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الحافظ اسمه كنيته ، وقيل : عبد الله ، روى عن أبيه وعن عثمان وأبي قتادة وعائشة وأبي هريرة وحسان بن ثابت وعدة ، وعنه سالم أبو النضر وسعد بن إبراهيم القاضي وأبو الزناد والزهري ويحيى بن سعيد وخلق ، قال الزهري : أربعة وجدتهم بحورا : عروة بن الزبير ، وابن المسيب ، وأبو سلمة ، وعبيد الله بن عبد الله ، مات سنة أربع ومائة ، ينظر : القيسراني ، تذكرة الحفاظ : (١ / ٦٣) ، الذهبي ، المقتنى : (١ / ٢٨٢) .

٢٨٠ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٤٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٤١٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٤١٥) .

٢٨١ السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٤١٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١ / ٤١٦) .

٢٨٢ الطبري ، التفسير : (٤ / ٢٢٠) .

٢٨٣ القرطبي ، مصدر سابق : (٤ / ٣٢٢ - ٣٢٣) .

أخرج الحديث الأول : عبد الله بن المبارك^{٢٨٤} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٢٨٥} ، والبيهقي^{٢٨٦} ، والحديث الثاني له شواهد من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب ، ولفظ حديث أبي هريرة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط)^{٢٨٧} ، ولفظ حديث أبي سعيد الخدري : (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد به الحسنات : قالوا بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة)^{٢٨٨} ، وحديث علي بن أبي طالب بلفظ (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إسباغ الوضوء على المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا)^{٢٨٩} ، هذه شواهد الحديث عن أبي أيوب الذي أخرجه ابن مردويه ، ولم أقف على تخريجه .

٢٨٤ عبد الله بن المبارك ، الزهد ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (١٣٨) .

٢٨٥ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٢٩) .

٢٨٦ البيهقي ، شعب الإيمان : (٣ / ٧٠) .

٢٨٧ أخرجه : مسلم ، الصحيح : (١ / ٢١٩) ، الترمذي ، السنن : (١ / ٧٢) ، النسائي ، السنن الكبرى : (١ / ٩٤) ، ابن ماجه ، السنن : (١ /

١٤٨) ، ابن خزيمة ، مصدر سابق : (١ / ٦) ، ابن حبان ، الصحيح : (٣ / ٣١٣) .

٢٨٨ أخرجه : ابن ماجه ، السنن : (١ / ١٤٨) ، ابن خزيمة ، مصدر سابق : (١ / ٩٠) .

٢٨٩ أخرجه : الحاكم ، المستدرک : (١ / ٢٢٣) .

سورة النساء

نزلت سورة النساء في المدينة المنورة^١، وهو قول أكثر أهل العلم^٢، وهو قول ابن عباس وقتادة^٣، وفي الحديث عن (عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده)^٤، ومعلوم أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم ودخوله بها كان في المدينة المنورة^٥، وقد تضمنت سورة النساء الكثير من الأحكام والفرائض وأحكام الجهاد ما يشير إلى أنها نزلت بالمدينة ؛ فقد تضمنت أحكام الزواج والصداق وما يجوز للرجل أن يتزوج من النساء وما لا يجوز ، وبينت حقوق اليتيم ، وأحكام الرجم للشيب والجلد للبكر ، ثم بينت أحكام الميراث والقسمة بين الورثة بالعدل ، وفيها أحكام الوضوء والصلاة في السفر والجهاد وكيفية صلاة الخوف ، وغير ذلك من الأحكام والحدود والفرائض ما يبين أنها قد نزلت في المدينة المنورة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم .

(١٣٩) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت : نزلت سورة النساء بالمدينة)^٦ .

ولم أقف على تخريج قول ابن الزبير وزيد بن ثابت ؛ لكن هذا الأثر صحيح له شواهد فيما قدمنا والله أعلم ، وقد ورد في فضل سورة النساء أحاديث منها : (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها : [إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما] ، و [إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما] ، و [إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] ، [ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا] ، [ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا] ، قال عبد الله : ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها)^٧ .

^١ ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) .

^٢ ينظر : ابن حجر ، فتح الباري : (١٦٠ / ٨) .

^٣ ينظر : السيوطي ، الدر المنثور : (٤٢٢ / ٢) .

^٤ البخاري ، الصحيح : (١٩١٠ / ٤) .

^٥ ينظر : ابن حجر ، فتح الباري : (١٦٠ / ٨) .

^٦ ابن كثير ، التفسير : (٤٤٩ / ١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤٢٢ / ٢) .

^٧ الحاكم ، المستدرک : (٣٣٤ / ٢) .

ما جاء في قوله تعالى : [وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنّه كان حوباً كبيراً] آية : ٢ .

(١٤٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : [حوبا كبيرا] ، قال : إنما كبيرا)^٨ .

قال الطبري : (يعني بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى يقول لهم : وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى أموالهم إذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد ، ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم)^٩ ، وقال ابن كثير : (يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم كاملة موفرة وينهى عن أكلها وضمها إلى أموالهم ، ولهذا قال : ولا تبدلوا الخبيث بالطيب)^{١٠} ، وقوله تعالى : [حوبا كبيرا] ، و (الحوب ، هاهنا ، الإثم ، وتُفْتَحُ الحاء وتُضَم ، وهو من قوله عزّ وجلّ : [إنّه كان حوباً كبيراً] ، وكل مأثم حوبٌ وحوبٌ ، والواحدة حوبة)^{١١} ، وقيل : (المراد بالحوب الذنب المتعمد)^{١٢} ، وقد أشار الحديث إلى هذا المعنى ، ولم أقف على تخريج الحديث ؛ لكن قال ابن كثير : (في إسناد محمد بن يوسف الكديمي وهو ضعيف)^{١٣} .

(١٤١) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن سيرين^{١٤} ، عن ابن عباس ، أن أبا أيوب طلق امرأته ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا أيوب إن طلاق أم أيوب كان حوبا ، قال ابن سيرين : الحوب الإثم)^{١٥} .

أخرج الحديث : الطبراني^{١٦} ، والهيثمي وقال : (رواه الطبراني ، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف)^{١٧} .

٨ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٥٠) .

٩ الطبري ، التفسير : (٤ / ٢٢٨) .

١٠ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٥٠) .

١١ ابن منظور ، مصدر سابق : (١ / ٣٣٩) .

١٢ شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (١٠ / ٢٧٤) .

١٣ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٥٠) .

١٤ محمد بن سيرين أبو بكر مولى أنس بن مالك البصري ، روى عن أبي هريرة وعمران بن حصين وأنس بن مالك وعدى بن حاتم وابن الزبير وحبيبة ، روى عنه الشعبي وقتادة وابن عون وسليمان التيمي وخالد الحذاء وعوف وداود بن أبي هند ، قال ابن عون : كان بصر محمد بالعلم كبصر التاجر الأريب بتجارته ، وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : محمد بن سيرين من الثقات ، وسئل أبو زرعة عن محمد بن سيرين فقال : بصرى ثقة ، توفي سنة عشر ومائة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٤٠) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ١١٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ٢٨٠) .

١٥ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٥٠) .

١٦ الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ١٩٥) .

١٧ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٩ / ٢٦٢) .

(١٤١) (وأخرج ابن مردويه : عن حميد الطويل^{١٨} سمعت أنس بن مالك يقول : أراد أبو طلحة أن يطلق أم سليم امرأته ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن طلاق أم سليم لحوب فكف)^{١٩} .

أخرج الحديث : الحاكم وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٢٠} ، والبيهقي^{٢١} .

ما جاء في قوله تعالى : [وإن خفتن ألا تُقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدةً أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا] آية : ٣ .

(١٤٢) (أخرج ابن مردويه : عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : [ذلك أدنى ألا تعولوا] قال : لا تجوروا)^{٢٢} .

قال القرطبي : (أي إن خفتن ألا تعدلوا في مهورهن وفي النفقة عليهن فأنكحوا ما طاب لكم ، أي : غيرهن ، وقال ابن عباس وابن جبير وغيرهما : المعنى وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ؛ لأنهم كانوا يتخرجون في اليتامى ولا يتخرجون في النساء ، وخفتن من الأضداد فإنه يكون المخوف منه معلوم الوقوع وقد يكون مظنوناً ، فلذلك اختلف العلماء في تفسير هذا الخوف ، فقال أبو عبيدة : خفتن بمعنى أيقنتن ، وقال آخرون : خفتن ظننتن)^{٢٣} ، وقد أشارت الآية إلى العدل بين النساء وإلى العدد الذي أباح الله عز وجل الزواج به من النساء ، وبينت كذلك إلى أن العدل شرط لازم في الجمع بين ذلك العدد من الزوجات ، فليس القصد من التعدد في الزوجات مجرد إقامة السنة في ذلك الأمر بل القصد منه العدل إلى جانب التعدد ، ثم أشارت الآية إلى حقيقة وهي عدم القدرة على العدل عند البعض ، فقال تعالى مبيناً الحكم في هذا الأمر : [فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا] ، وتعولوا ، من (عالَ الميزان فهو عائلٌ ، أي : مال ، قال مجاهد : لا تميلوا ولا تجوروا ، يقال : عالَ في الحكم ، أي : جار ومال)^{٢٤} ، وقد أشار الحديث إلى معنى الجور والظلم الذي يكون بسبب تعدد الزوجات من دون أن يكون هذا التعدد مبنياً على العدل .

١٨ حميد الطويل وهو حميد بن تيرويه ، ويقال : ابن مقلوعين ، ويقال : ابن تير ، ويقال : ابن مهرا ، ويقال : ابن عبد الرحمن ، ويقال : ابن داور أبو عبيدة البصري ، روى عن أنس بن مالك ، روى عنه عبيد الله بن عمر ويحيى بن سعيد والثوري ومالك وشعبة ، قال يحيى بن معين : حميد الطويل ثقة ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمعت أبي يقول حميد الطويل ثقة لا بأس به ، وعن يحيى بن معين أنه قال : حميد الطويل ثقة ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٢ / ٣٤٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٢١٩) .

١٩ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٥٠) .

٢٠ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٣٠) .

٢١ البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ٣٢٣) .

٢٢ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٥٢) .

٢٣ القرطبي ، مصدر سابق : (٥ / ١١) .

٢٤ الرازي ، مصدر سابق : (٤٦٣) .

أخرج الحديث : ابن حبان^{٢٥} ، والهيثمي^{٢٦} .

ما جاء قوله تعالى : [للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً] آية : ٧ .

(١٤٣) (و) عن جابر قال : أتت أم كجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء ، فأنزل الله تعالى : [للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون] ، الآية (٢٧) .

ويسب ذلك : أن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامرأة يقال لها : أم كجة الأنصارية ، فقام رجلان من بني عمه يقال لهما : سويد وعرفجة ، فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً ، فجاءت أم كجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فنزلت آية المواريث^{٢٨} ، وقال الطبري : (يعني بذلك تعالى ذكره للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللإناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة ، وأن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث)^{٢٩} ، وقال ابن كثير : (أي : الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدلي به إلى الميت من قرابة أو زوجية أو ولاء)^{٣٠} ، وقد أشار الحديث إلى فعل الجاهلية من تورث الرجال دون النساء والأطفال ، ولم أقف غلى تخريج الحديث ، سوى ما ذكره ابن حجر في الإصابة^{٣١} .

ما جاء في قوله تعالى : [إنَّ الذين يَأْكُلُونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّمَا يَأْكُلُونَ في بطونهم ناراَ وسيصلون سعيراً] آية : ١٠ .

(١٤٤) (أخرج ابن مردويه : عن نافع بن الحارث^{٣٢} ، عن أبي برزة^{٣٣} ،

٢٥ ابن حبان ، الصحيح : (٣٣٨ / ٩) .

٢٦ الهيثمي ، موارد الظمآن : (٤٢٨) .

٢٧ ابن كثير ، التفسير : (٤٥٥ / ١ - ٤٥٦) ، ابن حجر ، العجائب : (٨٣٦ / ٢) .

٢٨ ينظر : ابن حجر ، الإصابة : (٢٨٤ / ٨) .

٢٩ الطبري ، التفسير : (٢٦٢ / ٤) .

٣٠ ابن كثير ، التفسير : (٤٥٥ / ١) .

٣١ ينظر : ابن حجر ، الإصابة : (٢٨٤ / ٨) .

٣٢ نافع بن الحارث ، يروى عن أبي برزة ، روى عنه زياد بن المنذر ، ينظر : ابن حبان ، الثقات : (٤٧١ / ٥) ، ابن حجر ، لسان الميزان : (١٤٥ / ٦) .

٣٣ (نضلة بن عبيد بن الحارث أبو برزة الأسلمي ، غلبت عليه كنيته ، واختلف في اسمه فقيل : نضلة بن عبيد بن الحارث ، وقيل : نضلة بن عبد الله بن الحارث ، وقيل : عبد الله بن نضلة ، وقيل : سلمة بن عبيد ، قال أحمد بن زهير : سمعت أبي يحيى بن معين يقولان : اسم أبي برزة نضلة بن عبيد ، أسلم أبو

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا ، قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : ألم تر أن الله قال : [إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما] ، الآية (٣٤) .

(١٤٥) (وأخرج : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرج مال الضعيفين المرأة واليتيم ، أي : أوصيكم بإجتنب مالهما) (٣٥) .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بغير حق إنما يأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة بأكلهم أموال اليتامى ظلما في الدنيا نار جهنم ، وسيصلون بأكلهم سعيرا ، وأما السعير فإنه شدة حر جهنم ، فتأويل الكلام إذاً : وسيصلون نارا مسعرة ، أي : موقودة مشعلة شديدا حرها ، وإنما قلنا ذلك لأن الله جل ثناؤه قال : [وإذا الجحيم سعرت] ، فوصفها بأنها مسعورة ، ثم أخبر جل ثناؤه أن أكلة أموال اليتامى يصلونها وهي كذلك ، فالسعير إذاً في هذا الموضع صفة للجحيم) (٣٦) ، وقد جاء في الصحيح أن أكل مال اليتيم من الموبقات المهلكات يوم القيامة ، ففي الحديث (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) (٣٧) ، و (عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها ، مدمن الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه) (٣٨) .

أخرج الحديث الأول : أبو يعلى^{٣٩} ، والمنذري^{٤٠} ، والهيثمي^{٤١} ، وقال الهيثمي : (رواه أبو يعلى ، وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب) (٤٢) .

وأخرج الحديث الثاني : ابن حبان^{٤٣} ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) (٤٤) ، والبيهقي^{٤٥} ، والهيثمي^{٤٦} .

برزة قبلما وشهد فتح مكة ثم تحول إلى البصرة وولده بها ثم غزا خراسان ومات بها في أيام يزيد بن معاوية أو في آخر خلافة معاوية) ، ابن عبد البر ، الاستيعاب (٤ / ١٤٩٥) .

٣٤ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٥٧) .

٣٥ المصدر السابق : (١ / ٤٥٧) .

٣٦ الطبري ، التفسير : (٤ / ٢٧٣) .

٣٧ البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٥١٥) ، مسلم ، الصحيح : (١ / ٩٢) .

٣٨ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٣) .

٣٩ أبو يعلى ، مصدر سابق : (١٣ / ٤٣٤) .

٤٠ المنذري ، الترغيب والترهيب ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٧ هـ) : (٤ / ١٨٩) .

٤١ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢) ، موارد الظمان : (٦٣٩) .

٤٢ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢) .

٤٣ ابن حبان ، الصحيح : (١٢ / ٣٧٦) .

٤٤ الحاكم ، المستدرک : (٤ / ١٤٢) .

٤٥ البيهقي ، شعب الإيمان : (٦ / ٤٨) .

ما جاء في قوله تعالى : [إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالةً ثم يتوبون من قريبٍ فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً] آية : ١٧ .

(١٤٦) (وأخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر)^{٤٧} .

قال ابن كثير : (يقول سبحانه وتعالى إنما يقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب ولو بعد معاناة الملك يقبض روحه قبل الغرغرة ، قال مجاهد وغير واحد : كل من عصى الله خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب)^{٤٨} ، وقال الطبري : (يعني بقوله جل ثناؤه إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ما التوبة على الله لأحد من خلقه إلا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ، ثم يتوبون من قريب يقول ما الله برافع لأحد من خلقه إلى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه إلا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون ثم يرجعون طاعة الله ويتوبون منه إلى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود إلى مثله من قبل نزول الموت بهم ، وذلك هو القريب الذي ذكره الله تعالى ذكره فقال : [ثم يتوبون من قريب])^{٤٩} ، فباب التوبة مفتوح من عند الله تبارك وتعالى ما لم يغرغر العبد ، والله عز وجل يفرح بتوبة عبده فرحا شديدا ، ففي الحديث (عن الحارث بن سويد قال : دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض فحدثنا بحديثين حديثا عن نفسه وحديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دورية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ، ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه ، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)^{٥٠} ، وعند الإمام أحمد من حديث (أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني ، والله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن يتقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أقبل يمشي أقبلت أهروا)^{٥١} ، وللتوبة شروط ، قال ابن حجر : (شروط التوبة : الندم والعزم على عدم العود ورد المظلمة ، وأداء ما ضيع من الفرائض ، وأن يعمد إلى البدن الذي رباه بالسحت فيذيبه بالهم والحزن حتى ينشأ له لحم طيب وأن يذيق نفسه ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية)^{٥٢} و قيل : (شروط التوبة

٤٦ الهيثمي ، موارد الظمان : (٣٠٨) .

٤٧ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٦٥) .

٤٨ المصدر السابق : (١ / ٤٦٤) .

٤٩ الطبري ، التفسير : (٤ / ٢٩٨) .

٥٠ مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢١٠٣) .

٥١ الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٥٢٤) .

٥٢ ابن حجر ، فتح الباري : (١١ / ١٠٣) .

ثلاثة : الإقلاع والندم والعزم على أن لا يعود ، والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنى الندم بل هو إلى معنى الإقلاع أقرب ، وقال بعضهم : يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه فإنه يستلزم الإقلاع عنه والعزم على عدم العود فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه)^{٥٣} ، والندم ركن عظيم في التوبة ؛ لأن الندم شيء متعلق بالقلب والجوارح تبع له فإذا ندم القلب انقطع عن المعاصي فرجعت برجوعه الجوارح^{٥٤} ، وقد جاء الحديث في الحض على التوبة قبل أن يغرغر العبد حيث لا تقبل توبته عندها ، و (يغرغر بغينين معجمتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبراء مكررة ، معناه : ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به)^{٥٥} .
وأخرج الحديث : القضاء^{٥٦} ، وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن عمر^{٥٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا] آية : ١٩ .

(١٤٧) (أخرج ابن مردويه : عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف^{٥٨} ، عن أبيه^{٥٩} قال : لما توفي أبو قيس بن الأسلت^{٦٠} أراد ابنه أن يتزوج امرأته في الجاهلية ، فأنزل الله : [لا يحل لكم أن تراثوا النساء كرها] ، الآية)^{٦١} .

قيل : (لما مات أبو قيس بن الأسلت خطب ابنه قيس امرأة أبيه ، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن أبا قيس قد هلك وإن ابنه قيسا بن خيار الحبي خطبني إلى نفسي ، فقلت : ما كنت

٥٣ المصدر السابق : (١٣ / ٤٧١) .

٥٤ ينظر : المناوي ، مصدر سابق : (٦ / ٢٩٨) .

٥٥ المنذري ، مصدر سابق : (٤ / ٤٨) .

٥٦ القضاء ، مسند الشهاب ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) : (٢ / ١٥٤) .

٥٧ ينظر : الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ١٥٣) ، الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٤٧) ، ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٤٢٠) ، ابن حبان ، الصحيح : (٢ / ٣٩٥) .

٥٨ محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف واسم أبيه أسعد ، روى عن أبيه وأبان بن عثمان وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري وابن إسحاق ومالك ، قال يحيى بن معين : ثقة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (١ / ٢٩) ، الذهبي ، الكاشف : (٢ / ١٥٩) ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب : (٩ / ٥٨) .

٥٩ (أسعد بن بينها بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن المدجار الأنصاري الخزرجي النجاري أبو أمامة ، غلبت عليه كنيته واشتهر بها وكان عقيبها نقيباً شهد العقبة الأولى والثانية وباع فيهما ، مات أسعد بن بينها في شوال على رأس ستة أشهر من الهجرة ومسجد رسول الله يبنى يومئذ وذلك قبل بدر) ، ابن عبد البر ، الاستيعاب : (١ / ٨٠ - ٨١) .

٦٠ (أبو قيس بن الأسلت ، واسم الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس الأوسي ، مختلف في اسمه فقيل : صيفي ، وقيل : الحارث ، وقيل : عبد الله ، وقيل : صرمة ، قال عبد الله بن محمد بن عمارة بن القداح : كان يعدل بقيس بن الخطيم في الشجاعة والشعر وكان يحض قومه على الإسلام ويقول : استبقوا إلى هذا الرجل وذلك بعد أن اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه وكان قبل ذلك في الجاهلية يتأله ويدعى الحنيف ، مات قبل أن يحول الحول على رأس عشرة أشهر من الهجرة) ، ابن حجر ، الإصابة : (٧ / ٣٣٤ - ٣٣٥) .

٦١ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٦٦) ، ابن حجر ، العجائب : (٢ / ٨٤٨) .

أعدك إلا ولدا ، قالت : وما أنا بالتي أسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء^{٦٢} ، وقال الطبري : (يعني تبارك وتعالى بقوله : يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، يقول : لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرها ، فإن قال قائل : كيف كانوا يرثونهن وما وجه تحريم وراثتهن فقد علمت أن النساء مورثات كما الرجال مورثون ؟ قيل : إن ذلك ليس من معنى وراثتهن إذا هن متن فتركن مالا وإنما ذلك أنهن في الجاهلية كانت إحداهن إذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت ، فحرم الله تعالى ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهم عن النكاح)^{٦٣} ، والآية نزلت في (كبشة بنت يعقوب بن عاصم من الأوس ، وكانت تحت أبي قيس بن الأسلت فتوفي عنها فجنح عليها ابنه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ولا تركت فأنكح ، فنزلت هذه الآية)^{٦٤} ، و (قال ابن عباس : كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجها وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك)^{٦٥} ، والحديث يبين هذه الواقعة التي نزلت الآية بسببها .
وأخرج الحديث : النسائي^{٦٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الْآتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرضاعةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُم الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُم الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً] آية : ٢٣ .
((١٤٨))) أخرج ابن مردويه : عن كثير بن مرة^{٦٧} ، عن الديلمي^{٦٨} قال : قلت يا رسول الله إن تحتني أختين ؟ قال : طلق أيهما شئت) ،

٦٢ ابن عبد البر ، الاستيعاب : (٤ / ١٧٣٥) .

٦٣ الطبري ، التفسير : (٤ / ٣٠٥) .

٦٤ شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٦ / ٨٠) .

٦٥ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٧٠) .

٦٦ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٢١) .

٦٧ كثير بن مرة الحضرمي أبو شجرة الحمصي ، روى عن معاذ بن جبل وعمرو بن عبسة وعقبة بن عامر ، وروى يزيد بن أبي حبيب أنه قال : أدرك كثير سبعين بدريا ، روى عنه خالد بن معدان ومكحول وأبو الزاهرية والحسن بن عبد الرحمن ويزيد بن أبي حبيب ، قال العجلي : كثير بن مرة الحضرمي شامي تابعي ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٢٤) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٧ / ٢٠٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٧ / ١٥٧) .
٦٨ (فيروز الديلمي ، ويقال : ابن الديلمي ، أبا الضحاك ، ويقال : أبا عبد الرحمن بمانى كنانى من أبناء الأساورة من فارس كان كسرى بعثهم إلى قتال الحبشة ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال له : الحميري لنزوله بجمير ومحالفته إياهم ، وروى عنه أحاديث ثم رجع إلى اليمن فأعان على قتل الأسود العنسي ، وروى عنه أولاده الثلاثة الضحاك وعبد الله وسعيد وأبو الخير البزني وأبو خراش الرعيني وغيرهم ، مات في خلافة عثمان ، وقيل : في خلافة معاوية سنة ثلاث وخمسين) ، ابن حجر ، الإصابة : (٥ / ٣٧٩ - ٣٨٠) .

(١٤٩) (و) عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب : حرمتها آية وأحلتها آية ، يعني الأختين))^{٦٩} .
في هذه الآية يبين الله عز وجل ما يحل وما يحرم من نكاح النساء ، فقد حرم الأم والبنت والأخت والعممة
والخالدة وبنت الأخ وبنت الأخت والأم المرضعة والأخت في الرضاعة وأم الزوجة والريبة وهي : (بنت امرأة
الرجل ، قيل لها ذلك لأنها مربوبة ، وغلط من قال هو من التريبة)^{٧٠} ، وحرم زوجة الابن والجمع بين الأختين ،
فقد حرم الله تعالى الزواج من هذه النساء ، (عن ابن عباس قال : حرم من النسب سبع ، ومن الصهر سبع ، ثم
قرأ : [حرمت عليكم أمهاتكم] ، الآية)^{٧١} ، وقال الطحاوي : (قال الله عز وجل : [حرمت عليكم أمهاتكم
وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ] ، فحرم هؤلاء جميعا بالأنساب ، ثم قال : [وأمهاتكم
اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة] ، ولم يذكر في التحريم هاتين فكان ذكره ذلك دليلا على أن سائر من
حرم بالنسب في حكم الرضاع سواء وأغناه ذكر هاتين بالتحريم بالرضاع عن ذكر من سواهما في ذلك إذ كان قد
جمع بينهما جميعا في التحريم بالأنساب فجعل حكمهن حكما واحدا بعضهن أيضا بالرضاع أن حكمهن في
ذلك حكم واحد)^{٧٢} .

والتحريم للنكاح ضربان : تحريم عين ، وتحريم جمع ، ويتنوع أيضا نوعين تحريم نسب وتحريم سبب ،
والأصل في ذلك الكتاب والسنة والإجماع ، فأما الكتاب فقول الله تعالى : [حرمت عليكم أمهاتكم] ، الآية ،
وأما السنة فروى (أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يجمع الرجل بين المرأة وعمتها ولا
بينها وبين خالتها)^{٧٣} ، (و) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرضاعة تحرم
ما تحرم الولادة)^{٧٤} ، وأجمعت الأمة على تحريم ما نص الله تعالى ، والمحرمات نكاحهن بالأنساب : الأمهات
والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ ، والمحرمات بالأسباب : الأمهات المرضعات والأخوات من
الرضاعة وأمهات النساء وبنات النساء اللاتي دخل بهن وحلائل الأبناء وزوجات الأب والجمع بين الأختين ،
وجملة ذلك أن المنصوص على تحريمهن في الكتاب أربع عشرة سبع بالنسب واثنتان بالرضاع وأربع بالمصاهرة
وواحدة بالجمع ، فأما اللواتي بالنسب فأولاهن الأمهات وهن كل من انتسبت إليها بولادة سواء وقع عليها اسم
الأم حقيقة وهي ولدتك أو مجازا وهي التي ولدت من ولدك وإن علت من ذلك جدتك أم أمك وأم أبيك
وجدتا أمك وجدتا أبيك وجدات جداتك وجدات أجدادك ، والبنات وهن كل أنثى انتسبت إليك بولادتك كابنة
الصلب وبنات البنين والبنات وإن نزلت درجاتهن وارثات وارثات كلهن بنات محرمات ، والأخوات من الجهات

٦٩ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٧٣ - ٤٧٤) .

٧٠ ابن حجر ، فتح الباري : (٩ / ١٥٨) .

٧١ البخاري ، الصحيح : (٥ / ١٩٦٣) .

٧٢ الطحاوي ، مصدر سابق : (٤ / ٨٠) .

٧٣ البخاري ، الصحيح : (٥ / ١٩٦٥) ، مسلم ، الصحيح : (٢ / ١٠٣٠) .

٧٤ مسلم ، الصحيح : (٢ / ١٠٦٨) .

الثلاث من الأبوين أو من الأب أو من الأم ، ولا تفرغ عليهن ، والعمات أخوات الأب من الجهات الثلاث وأخوات لأجداد من قبل الأب ومن قبل الأم قريبا كان الجد أو بعيدا وارثا وارث ، والخالات أخوات الأم من الجهات الثلاث وأخوات الجدات وإن علون ، وبنات الأخ كل امرأة انتسبت إلى أخ بولادة فهي بنت من أي جهة كان الأخ ، وبنات الأخت كذلك أيضا محرّمات فهؤلاء المحرّمات بالأنساب ، النوع الثاني المحرّمات تحريم السبب وهو قسمان : رضاع ، ومصاهرة ، فأما الرضاع : فالمنصوص على التحريم فيه اثنتان الأمهات المرضعات وهن اللاتي أرضعنك وأمهاتهن وجدتهن وإن علت درجاتهن ، وأخواتكم من الرضاعة كل امرأة أرضعتك أمها أو أرضعتها أمك أو أرضعتك وإياها امرأة واحدة أو ارتضعت أنت وهي من لبن رجل واحد كرجل له امرأتان لهما منه لبن أرضعتك إحدهما وأرضعتها الأخرى فهي عليك حرام ، القسم الثاني : تحريم المصاهرة ، والمنصوص عليه أربع ، فمن تزوج امرأة حرم عليه كل أم لها من نسب أو رضاع وهو قول أكثر أهل العلم منهم ابن مسعود وابن عمر وجابر وعمران بن حصين وكثير من التابعين وبه يقول مالك والشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن علي رضي الله عنه أنها لا تحرم إلا بالدخول بابنتها كما لا تحرم ابنتها إلا بالدخول ، ولنا قول الله تعالى : [وأمّهات نسائكم] ، والمعقود عليها من نسائه فتدخل أمها في عموم الآية ، الثانية بنات النساء اللاتي دخل بهن وهن الربائب فلا يحرمن إلا بالدخول بأمهاتهن وهن كل بنت للزوجة من نسب أو رضاع أو بعيدة وارثة وارثة إذا دخل بالأم حرمت عليه سواء كانت في حجره أو لم تكن في قول عامة الفقهاء ، الثالثة حلائل الأبناء يعني أزواجهم سميت امرأة الرجل حليلة لأنها محل إزار زوجها وهي محللة له فيحرم على الرجل أزواج أبنائه وأبنائه بناته من نسب أو رضاع قريبا كان أو بعيدا بمجرد العقد ، الرابعة زوجات الأب فتحرم على الرجل امرأة أبيه قريبا أو بعيدا وارثا وارث من نسب أو رضاع^{٧٥} ، وقد أشار الحديث إلى تحريم الجمع بين في عقد واحد ، وأن الجمع بينهما يجوز إذا حدث التفريق بالموت أو الطلاق ، والله أعلم .

أخرج الحديث الأول : الإمام أحمد^{٧٦} ، والطبراني^{٧٧} ، والدارقطني^{٧٨} .

وأخرج الحديث الثاني : عبد الرزاق^{٧٩} ، وسعيد بن منصور^{٨٠} ، وابن أبي شيبة^{٨١} ، والدارقطني^{٨٢} .

٧٥ ينظر : ابن قدامة المقدسي ، المغني ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٥ هـ) : (٧ / ٨٤ - ٨٥) .

٧٦ الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ٢٣٢) .

٧٧ الطبراني ، المعجم الكبير : (١٨ / ٣٣٠) .

٧٨ الدارقطني ، السنن : (٣ / ٢٧٣) .

٧٩ عبد الرزاق ، مصدر سابق : (٧ / ١٨٩ - ١٩٢) .

٨٠ سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٤٤٦) .

٨١ ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٣ / ٤٨١) .

٨٢ الدارقطني ، السنن : (٣ / ٢٨٢) .

ما جاء في قوله تعالى : [إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مداخلاً كريماً] آية :

٣١

(١٥٠) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال : لا أقسم لا أقسم ، ثم نزل فقال : أبشروا أبشروا من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر السبع نودي من أبواب الجنة أدخل) ^{٨٣} .

(١٥١) (وأخرج ابن مردويه : عن عمرو بن حزم قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن كتاباً فيه الفرائض والسنن والديات وبعث به معي ، وكان في الكتاب إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة إشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمي المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم) ^{٨٤} .

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في معنى الكبائر التي وعد الله جل ثناؤه عباده باجتنابها تكفير سائر سيئاتهم عنهم ، فقال بعضهم : الكبائر التي قال الله تبارك وتعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم هي ما تقدم الله إلى عباده بالنهي عنه من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها ، وقال آخرون الكبائر سبع ، وقال آخرون : كل موجبة وكل ما أوعده الله أهله عليه النار فكبيرة) ^{٨٥} ، وقال ابن كثير : (أي : إذا اجتبتكم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة ، ولهذا قال : [وندخلكم مداخلاً كريماً]) ^{٨٦} ، وقال ابن عبد البر : (إن الكبائر أكثر ما تكون والله أعلم من الفم والفرج ، ووجدنا الكفر وشرب الخمر وأكل الربا وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم ظلماً من الفم واللسان ، ووجدنا الزنا من الفرج) ^{٨٧} ، وقد تعددت الكبائر فقد ذكرت الأحاديث النبوية الكثير منها ووردت فيها أحاديث شتى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال العلماء رحمهم الله ولا انحصار للكبائر في عدد مذكور ^{٨٨} ، وقد ذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر ، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها ، حيث أن بعضها أعظم من بعض وتنقسم باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم عرفة أو صوم عاشوراء أو فعل الحسنة ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة وإلى ما لا يكفره ذلك ، فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر وما لا تكفره كبائر ولا شك في حسن هذا ولا يخرجها هذا عن كونها قبيحة بالنسبة إلى جلال الله

٨٣ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٨٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٠١) .

٨٤ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٨٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٠١) .

٨٥ الطبري ، التفسير : (٥ / ٣٦) .

٨٦ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٨١) .

٨٧ ابن عبد البر ، التمهيد : (٥ / ٦٧) .

٨٨ ينظر : النووي : المنهاج : (٢ / ٨٤) .

تعالى فإنها صغيرة بالنسبة إلى ما فوقها لكونها أقل قبحا ولكونها متيسرة التكفير والله أعلم ، وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقد اختلفوا في ضبطها اختلافا كثيرا منتشرا جدا ، فقليل : الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ، وقيل : هي ما أوعد الله عليه بنار أو أحد في الدنيا ، وقيل : أن كل معصية يقدم المرء عليها استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمتجريء عليه اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس أو اللسان وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة ، ثم لها امارات منها إيجاب الحد ومنها الابعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق نسا ومنها اللعن^{٨٩} ، وقد وردت أحاديث في الكبائر منها : (عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر قال : الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقول الزور)^{٩٠} ، و (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السبع الموبقات ، قيل : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)^{٩١} ، و (عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الكبائر ؟ قال : الإشراف بالله ، قال : ثم ماذا ، قال : عقوق الوالدين ، قال : ثم ماذا ، قال : اليمين الغموس ، قلت : وما اليمين الغموس ؟ قال : الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب)^{٩٢} ، ثم بينت الأحاديث أن الكبائر عظام أمرها إلى الله ، ففي الحديث (عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر)^{٩٣} ، و (عن نعيم المجرم أن صهيبا مولى العتوريين حدثه أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد الخدري يخبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جلس على المنبر ثم قال : والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم سكت فأكب كل رجل منا ييكي حزنا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويحجج الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى إنها لتصطفق ، ثم قال : [إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم])^{٩٤} ، وقد جاء الحديث يبين هذا المعنى ، من أن اجتناب الكبائر وإقامة الصلاة وصيام رمضان على الوجه الذي أمر الله تعالى به يدخل صاحبه الجنة ، والله أعلم .

أخرج الحديث الأول : المنذري^{٩٥} ، والهيثمي ، وقال : (فيه مسلم بن الوليد بن العباس ولم أر من ذكره)^{٩٦} ،

٨٩ ينظر : المصدر السابق : (٢ / ٨٥) .

٩٠ مسلم ، الصحيح : (١ / ٩١) .

٩١ المصدر السابق : (١ / ٩٢) .

٩٢ البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٥٣٥) .

٩٣ ابن خزيمة ، مصدر سابق : (١ / ١٦٢) .

٩٤ ابن حبان ، الصحيح : (٥ / ٤٣) .

٩٥ المنذري ، مصدر سابق : (٢ / ١٩٧) .

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري المتقدم^{٩٧} .

وأخرج الحديث الثاني : النسائي^{٩٨} ، وأبو عبد الله المرزوي^{٩٩} ، وابن حبان^{١٠٠} ، والبيهقي^{١٠١} ، والهيثمي^{١٠٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله والاتي تخافون نُشوزهنَّ فعظوهنَّ واهجروهنَّ في المضاجع واضربوهنَّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً] آية : ٣٤ .

(١٥٢) (أخرج ابن مردويه : عن علي قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الأنصار بامرأة له فقال : يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري وإنه ضربها فأثر في وجهها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس له ذلك فأنزل الله تعالى : [الرجال قوامون على النساء] ، أي : في الأدب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أردت أمرا وأراد الله غيره)^{١٠٣} .

قال ابن كثير : (يقول تعالى الرجال قوامون على النساء ، أي : الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت بما فضل الله بعضهم على بعض ، أي : لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم)^{١٠٤} ، وقال القرطبي : (أي : يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن ، وأيضا فإن فيهم الحكام والأمراء ومن يغزو وليس ذلك في النساء)^{١٠٥} ، وقال الطبري : (يعني بقوله جل ثناؤه الرجال قوامون على النساء : الرجال أهل قيام على نساءهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم بما فضل الله بعضهم على بعض ، يعني بما فضل الله به الرجال على أزواجهم من سوقهم إليهن مهورهن وإنفاقهم عليهن أموالهم وكفائتهم إياهن مؤنهن وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهم عليهن ولذلك صاروا قواما عليهن نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن)^{١٠٦} ، وقال المناوي : (الرجال قوامون ، أي : أهل قيام على النساء قيام الولاية على الرعايا ؛ فيؤدبونهن ويأخذون على أيديهن فيما يجب عليهن لله وفي أنفسهن فحق عليهم أن يمنعوهن مما فيه فتنة منهن أو عليهن علموهن الأحكام الشرعية

٩٦ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ١٠٤) .

٩٧ ينظر : ابن خزيمة ، مصدر سابق : (١ / ١٦٣) ، ابن حبان ، الصحيح : (٥ / ٤٣) ، الحاكم ، المستدرک : (١ / ٣١٦) .

٩٨ النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٢٤٥) .

٩٩ أبو عبد الله المرزوي ، مصدر سابق : (٦٦) .

١٠٠ ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ٥٠١) .

١٠١ البيهقي ، السنن الكبرى : (١ / ٨٧) ، (١ / ٣٠٩) ، (٤ / ٨٩) .

١٠٢ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣ / ٧١) .

١٠٣ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٩٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥١٣) .

١٠٤ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٤٩٢) .

١٠٥ القرطبي ، مصدر سابق : (٥ / ١٦٨) .

١٠٦ الطبري ، التفسير : (٥ / ٥٧) .

والآداب المرعية التي منها قصرهن في البيوت وعدم دخولهن الحمامات) ^{١٠٧} ، وقد دل الحديث على حق الرجل في أن يضرب زوجته إذا هي خرجت عن أمره وعن قوله فيما إذا كان في غير معصية الله سبحانه ، ولم أقف على تخريج الحديث •

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيلٍ حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائطٍ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيتموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً] آية : ٤٣ •

(١٥٣) (أخرج ابن مردويه : عن عمر أنه قال : لما نزل تحريم الخمر ، قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في البقرة : [يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير] ، فدعي عمر فقُرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في النساء : [يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى] ، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقُرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في المائدة ، فدعي عمر فقُرئت عليه فلما بلغ : [فهل أنتم منتهون] قال عمر : انتهينا انتهينا) ^{١٠٨} •

(١٥٤) (وأخرج : عن الأسلع بن شريك ^{١٠٩} قال : كنت أرحل ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابتنى جنابة في ليلة باردة وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحلة فكرهت أن أرحل ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض ، فأمرت رجلا من الأنصار فرحلتها ثم وضعت أحجارا فأسخنت بها ماء واغتسلت ثم لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال : يا أسلع مالي أرى رحلتك قد تغيرت ؟ قلت : يا رسول الله لم أرحلها رحلتها رجل من الأنصار ، قال : ولم ؟ قلت : إني أصابتنى جنابة فخشيت القر على نفسي فأمرتته أن يرحلها ووضع أحجارا فأسخنت بها ماء فاغتسلت به ، فأنزل الله تعالى : [لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون] إلى قوله : [إن الله كان عفوا غفورا] ^{١١٠} •

قال الطبري : (يعني بقوله جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله لا تقربوا الصلاة لا تصلوا وأنتم سكارى وهو جمع سكران حتى تعلموا ما تقولون في صلاتكم وتقرؤون فيها مما أمركم الله به أو ندبكم إلى قيله فيها مما نهاكم عنه وزجركم ، ثم اختلف أهل التأويل في السكر الذي عناه الله بقوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، فقال بعضهم : عنى بذلك السكر من الشراب ، وقال آخرون : معنى ذلك لا تقربوا الصلاة وأنتم

١٠٧ المناوي ، مصدر سابق : (٥٤ / ٢) •

١٠٨ ينظر : الحديث رقم (٧٥) •

١٠٩ (الأسلع الأعرجي بالراء من بني الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في التيمم) ، ابن حجر ، الإصابة :

(١ / ٥٩ - ٦٠) •

١١٠ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٠٧) ، ابن حجر ، العجائب : (٢ / ٨٧٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٤٧) •

سكارى من النوم ، وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية تأويل من قال : ذلك نهى من الله للمؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله بأن ذلك كذلك نهى من الله وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه (١١١) ، ثم قال : (القول في تأويل قوله تعالى : [ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا] ، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوها جنبا إلا عابري سبيل يعني إلا أن تكونوا مجتازي طريق أي مسافرين حتى تغتسلوا ، وقال آخرون : معنى ذلك لا تقربوا المصلى للصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوه جنبا حتى تغتسلوا إلا عابري سبيل يعني إلا مجتازين فيه للخروج منه ، وأولى القولين بالتأويل لذلك تأويل من تأوله : ولا جنبا إلا عابري سبيل إلا مجتازي طريق فيه ، وذلك أنه قد بين حكم المسافر إذا عدم الماء وهو جنب في قوله : [وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا] ، فكان معلوما بذلك أن قوله ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا لو كان معنيا به المسافر لم يكن لإعادة ذكره في قوله وإن كنتم مرضى أو على سفر معنى مفهوم (١١٢) ، ثم قال : (القول في تأويل قوله تعالى : [وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط] ، أي : وإذا كنتم جرحى أو بكم قروح أو كسر أو علة لا تقدرن معها على الاغتسال من الجنابة وأنتم مسافرون فتيمموا صعيدا طيبا ، وأما قوله أو على سفر أو إن كنتم مسافرين وأنتم أصحاب جنب فتيمموا صعيدا وكذلك تأويل قوله أو جاء أحد منكم من الغائط يقول أو جاء أحد منكم من الغائط قد قضى حاجته وهو مسافر صحيح فليتيمم صعيدا طيبا ، والغائط ما اتسع من الأودية ، وجعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان ؛ لأن العرب كانت تختار قضاء حاجتها في الغيطان فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك فقليل لكل من قضى حاجته التي كانت تقضى في الغيطان حيث قضاها من الأرض (١١٣) ، وقد ورد ذكر التيمم ، قال ابن قدامة : (التيمم في اللغة القصد ، ثم نقل في عرف الفقهاء إلى مسح الوجه واليدين بشيء من الصعيد ، وهو جائز بالكتاب والسنة والإجماع (١١٤) ، وفي الحديث إشارة إلى التيمم ، وقد وردت كيفية التيمم في الحديث (عن عمار بن ياسر قال ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن التيمم فأمرني بالوجه والكفين) (١١٥) ، قال أبو حاتم : (علمه التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين لما سأل عمار النبي صلى الله عليه وسلم عن التيمم) (١١٦) قال ابن عبد البر : (أكثر الآثار المرفوعة عن عمار في هذا الحديث إنما فيها ضربة واحدة للوجه واليدين ، وكل ما يروى في هذا الباب عن عمار فمضطرب مختلف فيه وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أن أصح حديث روي عن مالك عن عمار

١١١ الطبري ، التفسير : (٩٥ / ٥ - ٩٦) .

١١٢ المصدر السابق : (٩٧ - ٩٨ / ٥) .

١١٣ المصدر السابق : (١٠١ / ٥) .

١١٤ ابن قدامة ، مصدر سابق : (١٩٨ / ١) .

١١٥ ابن حبان ، الصحيح : (٤ / ١٣٢) .

١١٦ المصدر السابق : (٤ / ١٣٤) .

حديث قتادة عن عذرة ، وقال بعض من يقول بالتييم إلى المرفقين قتادة إذا لم يقل سمعت أو حدثنا فلا حجة في نقله وهذا تعسف والله أعلم^{١١٧} ، وقد اختلف أهل العلم في كيفية التيمم ، فقالت طائفة : يبلغ به الوجه واليدين إلى الآباط هكذا قال الزهري ، وقالت طائفة : التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين هذا قول ابن عمر والحسن والشعبي وسالم وروي ذلك عن جابر ، وقال النخعي : أعجب إلى أن يبلغ به إلى المرفقين وهذا قول مالك والليث وعبد العزيز بن أبي سلمة وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي ، وقال أبو ثور : ضربتان أحب إلي ، وقالت طائفة : التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى الرسغين روى هذا القول عن علي ، وفيه قول رابع وهو : أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهذا قول عطاء ومكحول والشعبي^{١١٨} .

أخرج الحديث : الطبراني^{١١٩} ، والضياء المقدسي^{١٢٠} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الهيثم ابن ذريق ، قال بعضهم : لا يتابع علي حديثه)^{١٢١} .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا] آية : ٤٨ .

(١٥٥) (أخرج ابن مردويه : عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بأكبر الكبائر الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ : [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا] ، وعقوق الوالدين ثم قرأ : [أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير])^{١٢٢} .

(١٥٦) (و) عن أبي ذر قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ثلاثا ، ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر)^{١٢٣} .

(١٥٧) (و) عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يقول : يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان فيك ويا عبدي لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة)^{١٢٤} .

الآية واضحة صريحة في بيان أن الشرك بالله تعالى آفة الآفات والداء العضال الذي لا شفاء معه إلا بتركه والرجوع إلى الله تعالى بتوحيده وإفراده بالعبادة التي أمر عباده بها دون غيرها ، وقد بينت الآية أن الذي يأتي ربه

١١٧ ابن عبد البر ، التمهيد : (٢٨٧ / ١٩) .

ينظر : أبو بكر النيسابوري ، الأوسط ، تحقيق : د. صغير أحمد محمد حنيف ، دار طيبة ، الرياض (١٤٠٥ هـ) : (٢ / ٤٧) ، وما بعدها .

١١٩ الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٩٩ / ١) .

١٢٠ الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٤ / ٢١٦) .

١٢١ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ٢٦٢) .

١٢٢ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥١٢) .

١٢٣ السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٥٨ - ٥٥٩) .

١٢٤ المصدر السابق : (٢ / ٥٥٩) .

يوم القيامة وهو يشرك معه غيره في عبادته لا يغفر له ويدخله إلى النار التي أعد للمشركين والعاصين ، نسأل الله العليّ القدير أن يمتتنا على توحيدده وعلى لا إله إلا الله ، وقد وردت أحاديث كثيرة تبين أن الشرك لا يغفره سبحانه وأن صاحبه إلى النار ، ففي الحديث : (عن عمرو بن شرحبيل قال : قال عبد الله بن مسعود : قال رجل : يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : أن تدعو الله ندا وهو خلقك ، قال : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قال : ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك)^{١٢٥} ، وقد جعله من المهلكات التي تصل بصاحبها إلى النار ففي الحديث : (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر)^{١٢٦} ، وقال الزرقاني : (والظلم حرام قليله وكثيره وأعظمه الشرك بالله ، كن كيف شئت فإن الله ذو كرم لا تجز عن فما في ذلك من باس إلا اثنتان فلا تقربهما أبدا الشرك بالله والإضرار للناس)^{١٢٧} ، فالشرك لا يغفره الله تعالى ويعاقب عليه بالنار ، وقد أشارت الأحاديث المتقدمة إلى الشرك بالله من أكبر الكبائر وأن الله يغفر الذنوب جميعا لا الشرك بالله لا يغفره ويعاقب عليه بالنار .

أخرج الحديث الأول : البخاري^{١٢٨} ، والترمذي^{١٢٩} ، والبيهقي^{١٣٠} .

وأخرج الحديث الثاني : الإمام أحمد^{١٣١} ، والبخاري^{١٣٢} ، ومسلم^{١٣٣} ، والنسائي^{١٣٤} .

وأخرج الحديث الثالث : ابن الجعد^{١٣٥} ، والإمام أحمد^{١٣٦} ، والدارمي^{١٣٧} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٣٨} ، والبيهقي^{١٣٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [ألم تر إلى الذين يُرْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُزَكِّي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا] آية : ٤٩ .

١٢٥ مسلم ، الصحيح : (١ / ٩١) .

١٢٦ البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢١٧٥) .

١٢٧ الزرقاني ، مصدر سابق : (٣ / ٤١٢) .

١٢٨ البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢٣١٤) .

١٢٩ الترمذي ، السنن : (٤ / ٥٤٨) .

١٣٠ البيهقي ، السنن الكبرى : (١٠ / ١٢١) .

١٣١ الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ١٦٦) .

١٣٢ البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢١٩٣) .

١٣٣ مسلم ، الصحيح : (١ / ٩٥) .

١٣٤ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢٧٧) .

١٣٥ ابن الجعد ، مصدر سابق : (٤٦١) .

١٣٦ الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ١٥٤) .

١٣٧ الدارمي ، مصدر سابق : (٢ / ٤١٤) .

١٣٨ الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٢٦٩) .

١٣٩ البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ١٦) .

(١٥٨) (أخرج ابن مردويه : عن عمر أنه قال : إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ، فمن قال : إنه مؤمن فهو كافر ، ومن قال : هو عالم فهو جاهل ، ومن قال : هو في الجنة فهو في النار) ^{١٤٠} .

قلت : (قال الحسن وقتادة : نزلت هذه الآية وهي قوله : [ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم] ، في اليهود والنصارى حين قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقال ابن زيد : نزلت في قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وفي قولهم : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، وقال مجاهد وعكرمة : كان أئمتهم في الدعاء والصلاة يؤمنونهم ويزعمون أنهم لا ذنوب لهم) ^{١٤١} ، وقال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه ألم تر يا محمد بقلبك الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرئونها من الذنوب ويطرونها ، واختلف أهل التأويل في المعنى الذي كانت اليهود تزكي به أنفسها ، فقال بعضهم : كانت تزكيهم أنفسهم قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقال آخرون : بل كانت تزكيهم أنفسهم تقديمهم أطفالهم لإمامتهم في صلاتهم زعما منها أنهم لا ذنوب لهم ، وقال آخرون : بل تزكيهم أنفسهم كانت قولهم إن أبناءنا سيشفعون لنا ويزكونا ، وقال آخرون : بل ذلك كان منهم تزكية من بعضهم لبعض) ^{١٤٢} ، و (قال الطيبي : وإعجاب المرء برأيه أن لا يرجع إلى العلماء فيما فعل بل يكون مفتي نفسه) ^{١٤٣} ، وقد أشار الحديث إلى هذا

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة ^{١٤٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كَلِماً نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً] آية : ٥٦ .

(١٥٩) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر قال : قرأ رجل عند عمر هذه الآية : [كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها] ، فقال عمر : أعدها عليّ ، فأعادها ، فقال معاذ بن جبل : عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة ، فقال عمر : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ^{١٤٥} .

قال الطبري : (هذا وعيد من الله جل ثناؤه للذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد من بني إسرائيل وغيرهم من سائر الكفار برسوله ، يقول الله لهم : إن الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد صلى الله عليه وسلم من آياتي يعني من آيات تنزيله ووحى كتابه وهي دلالاته وحججه على صدق محمد صلى الله

١٤٠ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥١٣) .

١٤١ المصدر السابق : (١ / ٥١٢) .

١٤٢ الطبري ، التفسير : (٥ / ١٢٦ - ١٢٧) .

١٤٣ السيوطي ، عبد الغني ، وفخر الحسن الدهلوي ، مصدر سابق : (٢٩٠) .

١٤٤ ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٥٠٣) .

١٤٥ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥١٥) ، الكناي ، مصدر سابق : (١ / ١٢٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٦٨) ، الألوسي ، مصدر سابق : (٥ / ٥٩) .

عليه وسلم فلم يصدقوا به من بني إسرائيل وغيرهم من سائر أهل الكفر به سوف نصليهم نارا ، يقول : سوف ننضجهم في نار يصلون فيها أي : يشوون فيها كلما نضجت جلودهم ، يقول : كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت بدلناهم جلودا غيرها الجلود التي قد نضجت فانشوت (١٤٦) ، وقال القرطبي : (ا لمعنى في الآية تبدل الجلود جلودا آخر ، فإن قال من يطعن في القرآن من الزنادقة : كيف جاز أن يعذب جلدا لم يعصه ؟ قيل له : ليس الجلد بمعذب ولا معاقب وإنما الألم يقع على النفوس ؛ لأنها هي التي تحس وتعرف ، فتبدل الجلود زيادة في عذاب النفوس يدل عليه قوله تعالى : [ليذوقوا العذاب] ، وقوله تعالى : [كلما خبت زنادهم سعيرا] ، فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلاء الأرواح ولو أراد الجلود لقال : ليذقن العذاب (١٤٧) ، وقال البيهقي : (وتبديلها تغيير صورتها إلى غيرها ؛ لأنها كانت ناعمة فاسودت بالعذاب فردت صورة جلودهم الأولى لما نضجت تلك الصورة ، والجوهرة واحدة والصور مختلفة) (١٤٨) ، وقال الإمام أحمد : (قالت الزنادقة : فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم جلودا غيرها فلا نرى إلا أن الله يعذب جلودا لم تذب حين يقول : [بدلناهم جلودا غيرها] ، فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض ، فقلت : إن قول الله بدلناهم جلودا غيرها ليس يعني جلودهم وإنما يعني بدلناهم جلودا غيرها تبديلها تجديدها ؛ لأن جلودهم إذا نضجت جددتها الله وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء) (١٤٩) ، وقد أشار الحديث إلى هذا .
أخرج الحديث : الطبراني (١٥٠) ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه نافع مولى يوسف السلمي وهو متروك) (١٥١) .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا] آية : ٥٨ .
(١٦٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي صالح (١٥٢) عن ابن عباس في قوله عز وجل : [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] ، قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة فلما أتاه قال : أرني المفتاح فأتاه به فلما بسط يده إليه قام إليه العباس قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية ، فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرني المفتاح يا عثمان فبسط يده يعطيه ، فقال العباس مثل كلمته الأولى ، فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عثمان إن كنت تؤمن

١٤٦ الطبري ، التفسير : (٥ / ١٤٢) .

١٤٧ القرطبي ، مصدر سابق : (٥ / ٢٥٣ - ٢٥٤) .

١٤٨ البيهقي ، شعب الإيمان : (١ / ٣٥٢) .

١٤٩ الإمام أحمد ، الرد على الزنادقة والجهمية : (٧) .

١٥٠ الطبراني ، المعجم الأوسط : (٥ / ٧) .

١٥١ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٦) .

١٥٢ ينظر : الحديث رقم (١٢٩) .

بالله واليوم الآخر فهاته ، فقال : هاك أمانة الله ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم عليه الصلاة والسلام معه قداح يستقسم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما للمشركين قاتلهم الله وما شأن إبراهيم وشأن القداح ، ثم دعا بحفنة فيها ماء فأخذ ماء فغمسه فيه ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة فألزقه الكعبة ، ثم قال : يا أيها الناس هذه القبلة ، قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطا أو شوطين ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا برد المفتاح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] ، حتى فرغ من الآية (١٥٣) .

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها ولاة أمور المسلمين ، وقال آخرون : أمر السلطان بذلك أن يعطي الناس ، وقال آخرون : الذي خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في مفاتيح الكعبة أمر بردها على عثمان بن طلحة ، وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال هو خطاب من الله ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا في فيئهم وحقوقهم وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية ، والقسم بينهم بالسوية يدل على ذلك ما وعظ به الرعية في أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فأمرهم بطاعتهم وأوصى الراعي بالرعية وأوصى الرعية بالطاعة)^{١٥٤} ، وقال القرطبي : (هذه الآية تضمنت جميع أحكام الدين والشرع ، واختلفن فيها ، فقال البعض : هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة فهي للنبي صلى الله عليه وسلم وامرائه ثم تتناول من بعدهم وهو قول علي وزيد بن أسلم ، وقال ابن جريج وغيره : ذلك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة في أمر مفاتيح الكعبة حين أخذه من عثمان بن أبي طلحة الحجبي العبدي من بني عبدالدار ومن ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة وكانا كافرين وقت فتح مكة فطلبه العباس بن عبدالمطلب لتضاضف له السدانة إلى السقاية ، وقال ابن عباس : الآية في الولاة خاصة في أن يعظوا النساء في النشوز ونحوه ويردوهن إلى الأزواج ، والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلمات والعدل في الحكومات ، وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات وغير ذلك كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه والصلاة والزكاة وسائر العبادات أمانة الله تعالى ، وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار)^{١٥٥} ، والحديث يبين أن الآية كانت في حق عثمان بن طلحة وفي رد مفاتيح الكعبة عليه ، ولم أقف على تخريج الحديث عن ابن عباس ؛ لكن للحديث شاهد من حديث ابن عمر عند مسلم^{١٥٦} ، وابن خزيمة^{١٥٧} ، وقال ابن

١٥٣ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥١٧) ، ابن حجر ، العجائب : (٢ / ٨٩٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٧٠) ، الألويسي ، مصدر سابق : (٥ / ٦٣) .

١٥٤ الطبري ، التفسير : (٥ / ١٤٤ - ١٤٥) .

١٥٥ القرطبي ، مصدر سابق : (٥ / ٢٥٥ - ٢٥٦) .

١٥٦ مسلم ، الصحيح : (٢ / ٩٦٦) .

١٥٧ ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٤ / ٣٣١) .

كثير رحمه الله : (وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام ، ولهذا قال ابن عباس ومحمد ابن الحنفية : هي للبر والفاجر ، يعني : هي أمر لكل واحد)^{١٥٨} .
ما جاء في قوله تعالى : [فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً] آية : ٦٥ .

(١٦١) (أخرج ابن مردويه : عن أم سلمة قالت : خاصم الزبير رجلاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للزبير ، فقال الرجل له : إنما قضى له لأنه ابن عمته ، فنزلت : [فلا وربك لا يؤمنون] ، الآية)^{١٥٩} .
في الآية بيان أن الإيمان لا يتم حتى يحكم الناس شرع الله عز وجل ، ثم بعد هذا التحكيم يكون التسليم الكامل لحكم الله تعالى من غير رفض للحكم ومن غير طعن أو تقليل من شأن الحكم ، ويجب أن يعلم أن الأحكام التي قام بوضعها البشر إنما هي أحكام ناقصة غير عادلة لا يكون معها حق للبشر .
أخرج الحديث : أبو عبد الله المروري^{١٦٠} ، والطبراني^{١٦١} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، وفيه يعقوب بن حميد وثقه ابن حبان وضعفه غيره)^{١٦٢} ، وللحديث شاهد من حديث عروة بن الزبير عند البخاري^{١٦٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً] آية : ٦٩ .

(١٦٢) (أخرج ابن مردويه : عن عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه : [ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً])^{١٦٤} .
قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما وإخلاص الرضا بحكهما والانتهاج إلى أمرهما والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه وفي الآخرة إذا دخل الجنة)^{١٦٥} ، وقال ابن كثير : (أي من عمل بما أمره الله به ورسوله

١٥٨ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥١٧) .

١٥٩ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٢٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٨٥) .

١٦٠ أبو عبد الله المروري ، مصدر سابق : (٢ / ٦٥٦) .

١٦١ الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٣ / ٢٩٤) .

١٦٢ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٦) .

١٦٣ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٧٤) .

١٦٤ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٢٤) ، ابن حجر ، فتح الباري : (١ / ٤٨٥) ، (السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٥٨٨) .

١٦٥ الطبري ، التفسير : (٥ / ١٦٢) .

وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلائيتهم ثم أثنى عليهم تعالى فقال وحسن أولئك رفيقا (١٦٦) .

وقد بين الحديث أن من أحب الرسول صلى الله عليه وسلم فإن له يوم القيامة مصاحبة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ثم بين أن هذه المصاحبة لا تقتصر على أولئك المحبين ؛ بل لكل من أطاع الله ورسوله .

أخرج الحديث : الطبراني^{١٦٧} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله رجال عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة) (١٦٨) .

ما جاء في قوله تعالى : [فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً] آية : ٨٤ .

(١٦٣) (أخرج ابن مردويه : عن أبي بكر بن عياش^{١٦٩} ، عن أبي إسحاق^{١٧٠} قال : قلت للبراء الرجل يحمل على المشركين أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة ؟ قال : لا ، إن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : [فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك] ، إنما ذلك في النفقة) (١٧١) .

قال الطبري : (يعني بقوله جل ثناؤه فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك فجاهد يا محمد أعداء الله من أهل الشرك به في سبيل الله يعني في سبيل دينه الذي شرعه لك وهو الإسلام وقاتلهم فيه بنفسك ، فأما قوله لا تكلف إلا نفسك فإنه يعني لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك إلا ما حملك من ذلك دون ما حمل غيرك منه ، أي : إنك إنما تتبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك وإنما عليك ما كلفته دون ما كلفه غيرك ، ثم قال له وحرّض المؤمنين ، يعني : وحثهم على قتال من أمرتك بقتالهم معك ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يقول لعل الله أن يكف قتال من كفر بالله ووجد وحدانيته وأنكر رسالتك عنك وعنهم ونكايتهم) (١٧٢) ، وقال ابن كثير : (يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يباشر القتال بنفسه ومن نكل

١٦٦ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٢٣) .

١٦٧ الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ١٥٣) ، المعجم الصغير : (١ / ٥٣) .

١٦٨ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٧) .

١٦٩ أبو بكر بن عياش ، اختلف في اسمه ، قال بعضهم : اسمه وكنيته واحد ، وقال آخرون : اسمه سالم ، وقال بعضهم : اسمه شعبة ، وقال بعضهم : اسمه عبد الله ، سمع أبا إسحاق وأبا حصين ، روى عنه ابن مهدي وأبو نعيم ، قال أحمد بن محمد بن حنبل : أبو بكر بن عياش صدوق ثقة ، وقال العجلي : أبو بكر بن عياش كوفي ثقة مولى بني أسد ، مات أبو بكر بن عياش سنة اثنتين وتسعين ومائة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٨٨) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ١٢٦) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٩ / ٣٤٨) ، ابن زبير الرعي ، مصدر سابق : (١ / ٤٣٢) .

١٧٠ ينظر : الحديث رقم (٤٢) .

١٧١ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٣١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٦٠٢) .

١٧٢ الطبري ، التفسير : (٥ / ١٨٥) .

عنه فلا عليه منه ولهذا قال لا تكلف إلا نفسك^{١٧٣} ، وقد جاء الحديث يبين أن حمل الرجل على المشركين وأعداء الدين ليس من التهلكة في شئ إنما هو من الجهاد في سبيل الله تعالى .
أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٧٤} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد ، ورجاله رجال سليمان بن داود الهاشمي ، وهو ثقة)^{١٧٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً] آية : ٨٩ .
(١٦٤) (أخرج ابن مردويه : عن الحسن^{١٧٦} أن سراقه بن مالك المدلجي^{١٧٧} حدثهم قال : لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل بدر وأسلم من حولهم ، قال سراقه : بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج ، فأتيته فقلت : أنشدك النعمة ، فقالوا : مه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه ما تريد ؟ قال : بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام وإن لم يسلموا لم تخشن قلوب قومك عليهم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد بن الوليد فقال : اذهب معه فافعل ما يريد ، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أسلمت قريش أسلموا فأنزل الله : [ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء]^{١٧٨} .
قال ابن كثير : (أي هم يودون لكم الضلالة لتستوتوا أنتم وإياهم فيها وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبعضهم لكم ولهذا قال : فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله)^{١٧٩} وقال ابن حزم : (قد كان يمكن أن

١٧٣ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٣١) .

١٧٤ الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ٢٨١) .

١٧٥ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٥ / ٣٢٨) .

١٧٦ الحسن بن يسار مولى الأنصار سيد التابعين في زمانه بالبصرة ، كان ثقة في نفسه حجة رأسا في العلم والعمل عظيم القدر وقد بدت منه هفوة في القدر لم يقصدها لذاتها فتكلموا فيه فما التفت إلى كلامهم لأنه لما حوقق عليها تبرأ منها ، وقد سئل عن آدم أخلق للجنة أم للأرض ؟ قال : بل للأرض ، قيل : أكان يستطيع أن يكون من أهل الجنة ولا يصير إلى الأرض ؟ قال : لا ، فهذا هو سر المسألة فإن العبد لا يقدر أن يستقيم إلا أن يشاء الله له أن يستقيم ، كان الحسن كثير التذليل ، مات الحسن في رجب سنة عشر ومائة بالبصرة ، ينظر : ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٢٦٣) ، الذهبي ، ميزان الاعتدال : (٢ / ٢٨١) .

١٧٧ سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن علي بن كنانة المدلجي الكناني ، أبو سفيان ، كان ينزل قديدا يعد في أهل المدينة ، ويقال : إنه سكن مكة ، روى البخاري قصته في إدراكه النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ودعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه حتى ساحت رجلا فرسه ثم أنه طلب منه الخلاص وألا يدل عليه ففعل وكتب له أمانا وأسلم يوم الفتح ، وقال ابن عيينة عن إسرائيل أبي موسى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسراقه بن مالك : كيف بك إذا لبست سواربي كسرى ، قال : فلما أتى عمر بسواربي كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقه فألبسه ، روى عنه ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب وطاوس ، مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب : (٢ / ٥٨١) ، ابن حجر ، الإصابة : (٣ / ٤١) .

١٧٨ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٣٤) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٦١٣) .

١٧٩ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٣٤) .

يظن أنه تعالى عنى بذلك أولئك المنافقين وهو كان الأظهر لولا قوله تعالى : فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله] ، فهذا يوضح غاية الإيضاح أنه ابتداء حكم في قوم أولئك المنافقين لأن أولئك كانوا من سكان المدينة بلا شك وليس على سكان المدينة هجرة بل الهجرة كانت إلى دارهم ، فإذا كان ذلك كذلك فحكم الآية كلها أنها في قوم كفار لم يؤمنوا بعد وادعوا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ، وكان الحكم حينئذ أن من آمن ولم يهاجر لم ينتفع بإيمانه وكان كافرا كسائر الكفار ولا فرق حتى يهاجر إلا من أبيع له سكنى بلده كمن بأرض الحبشة والبحرين وسائر من أبيع له سكنى أرضه إلا المستضعفين ، فإن قال قائل معنى : [حتى يهاجروا في سبيل الله] ، أي : حتى يجاهدوا معكم بخلاف فعلهم حين انصرفوا عن أحد وأرادوا أن يجعلوا الآية كلها في المنافقين المنصرفين عن أحد ، قيل له وبالله تعالى التوفيق : هذا ممكن ولكن قد قال تعالى : [فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم] ، فأخبرونا هل فعل ذلك النبي عليه السلام فقتل الراجعين عن أحد حيث وجدهم وهل أخذهم أم لا ؟ فإن قالوا : قد فعل ذلك كذبوا كذبا لا يخفى على أحد وما عند مسلم شك في أنه عليه السلام لم يقتل منهم أحدا ولا نبذ العهد إلى أحد منهم ، وإن قالوا : لم يفعل ذلك عليه السلام ولا المؤمنون ، قيل لهم : صدقتم ولا يحل لمسلم أن يظن أن النبي عليه السلام خالف أمر ربه فأمره تعالى إن تولوا بقتلهم حيث وجدهم فلم يفعل وهذا كفر ممن ظنه بلا شك ، فإن قالوا : لم يتولوا بل تابوا ورجعوا وجاهدوا قيل : لهم فقد سقط حكم النفاق عنهم بلا شك وحصل لهم حكم الإعلام بظاهر الآية بلا شك فقد بطل تعلقهم بهذه الآية جملة في أنه عليه السلام كان يعرف المنافقين ، ولكن في قوله تعالى : [إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلونكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا] النساء ٩٠ ، بيان جلي بأن هؤلاء لم يكونوا قط من الأوس ولا من الخزرج لأنهم لم يكن لهم قوم محاربون للنبي عليه السلام ولا نسبوا قط إلى قوم معاهدين للنبي عليه السلام بميثاق معقود هذا مع قوله تعالى : [إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلونكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا] ، فإن هذا بيان جلي على أنهم ليسوا من الأنصار المنافقين لكن من الكفار المجاهرين بالكفر^{١٨٠} ، وقد أشار الحديث إلى هذا الذي ذهب إليه ابن حزم رحمه الله تعالى .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{١٨١} ، والحاثر بن أبي أسامة^{١٨٢} ، وقد أخرج البخاري بعضه^{١٨٣} .

١٨٠ ابن حزم ، مصدر سابق : (١١ / ٢٠٢ - ٢٠٣) .

١٨١ ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٣٤٥) .

١٨٢ الحارث بن أبي أسامة ، المسند ، تحقيق : د. حسين أحمد صالح البكري ، مركز خدمة السنة والسيرة الشريفة ، المدينة المنورة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) :

(٢ / ٦٩٢) .

١٨٣ البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٤٢٠) .

ما جاء في قوله تعالى : [ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً] آية : ٩٣ .

(١٦٥) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجىء المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذاً رأسه بيده الأخرى فيقول : يا رب سل هذا فيم قتلني ؟ قال : فيقول : قتلته لتكون العزة لك ، فيقول ، فإنها لي : قال : ويجىء آخر متعلقاً بقاتله ، فيقول : رب سل هذا فيم قتلني ؟ قال : فيقول : قتلته لتكون العزة لفلان ، قال : فإنها ليست له بوء يائمه ، قال : فيهوي في النار سبعين خريفاً)^{١٨٤} .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه ومن يقتل مؤمناً عامداً قتلته مريداً إتلاف نفسه فجزاؤه جهنم يقول : فتوابه من قتلته إياه جهنم يعني عذاب جهنم خالداً فيها يعني باقياً فيها ، وغضب الله عليه يقول : وغضب الله عليه بقتله إياه متعمداً ولعنه ، يقول : وأبعده من رحمته وأخزاه وأعد له عذاباً عظيماً ، وذلك ما لا يعلم قدر مبلغه سواه تعالى ذكره)^{١٨٥} ، و (قال ابن عباس : نزلت هذه الآية : [ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم] ، آخر ما نزل وما نسخها شيء)^{١٨٦} ، و (عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة ؟ قال : لا ، قال : فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان : [والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق] إلى آخر الآية ، قال : هذه آية مكية نسختها آية مدنية : [ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً])^{١٨٧} ، ولا تكون توبة للذي يقتل عمداً ، للآية المتقدمة وللحديث المتقدم ، و (عن عبد الله بن عمر قال : إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله)^{١٨٨} ، و (عنه رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)^{١٨٩} ، و (عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجىء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً ، يقول : يا رب هذا قتلني حتى يدنيه من العرش ، قال : فذكروا لابن عباس التوبة ، فتلا هذه الآية : [ومن يقتل مؤمناً متعمداً] ، قال : وما نسخت هذه الآية ولا بدلت وأنى له التوبة)^{١٩٠} ، قال ابن حجر : (يقال : نزلت في مقيس بن ضبابة وكان أسلم هو وأخوه هشام ، فقتل هشاماً رجل من الأنصار غيلة ، فلم يعرف فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يأمرهم أن يدفعوا إلى مقيس دية أخيه ، ففعلوا فأخذ الدية وقتل الرسول ولحق بمكة مرتداً ، فنزلت فيه ، وهو ممن أهدر

١٨٤ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٣٧) .

١٨٥ الطبري ، التفسير : (٥ / ٢١٥) .

١٨٦ مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٣١٧) .

١٨٧ المصدر السابق : (٤ / ٢٣١٨) .

١٨٨ البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٥١٧) .

١٨٩ المصدر السابق : (٦ / ٢٥١٧) .

١٩٠ الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٤٠) .

النبى صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح (١٩١) ، وقال ابن حزم : (والقتل قسماً عمد وخطأ ، ولم يجعل عز وجل في القتل قسماً ثالثاً ، وادعى قوم أن هاهنا قسماً ثالثاً وهو عمد الخطأ وهو قول فاسد لأنه لم يصح في ذلك نص أصلاً) (١٩٢) ، والقتل العمد فيه القود ، والقتل الخطأ فيه الدية ، كما هو مبين في كتب الفقه ، والحديث يشير إلى القتل العمد وإلى عقوبة الله عز وجل عليه .
أخرج الحديث : ابن أبي شيبه (١٩٣) ، والنسائي (١٩٤) ، والطبراني (١٩٥) ، والبيهقي (١٩٦) .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيمًا ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيمًا ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطًا ، هآ أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ، ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا ومن يكسب أثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً ، ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً] الآيات : ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ .

(١٦٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس : أن نفراً من الأنصار غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فسرقت درع لأحدهم ، فأظن بها رجلاً من الأنصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن طعمة بن أبيرق سرق درعي ، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل برئ ، وقال لنفر من عشيرته : إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده ، فانطلقوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فقالوا : يا نبي الله إن صاحبنا برئ وإن صاحب الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علماً فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤوس الناس ، فأنزل الله : [إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيمًا ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم] ، الآية ثم قال تعالى للذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب : [يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله] ، الآيتين يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين ، ثم قال عز وجل : [ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه] ، الآية يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين

١٩١ ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٢٥٨) .

١٩٢ ابن حزم ، مصدر سابق : (١٠ / ٣٤٣) .

١٩٣ ابن أبي شيبه ، مصدر سابق : (٥ / ٤٥٧) .

١٩٤ النسائي ، السنن الكبرى : (٢ / ٢٨٦) ، المحتجى : (٧ / ٨٤) .

١٩٥ الطبراني ، المعجم الكبير : (١٠ / ٩٦) .

١٩٦ البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ١٩١) ، شعب الإيمان : (٤ / ٣٤١) .

بالكذب ، ثم قال : [ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً] ، يعني السارق والذين جادلوا عن السارق (١٩٧) .

(١٦٧) (قال علي رضي الله عنه : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفعتني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له ، وقرأ هاتين الآيتين : [ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه] ، الآية : [والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم] ، الآية (١٩٨) .

قال الطبري : (يعني جل ثناؤه إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب يعني القرآن لتحكم بين الناس لتقضي بين الناس فتفصل بينهما بما أراك الله ، يعني : بما أنزل الله إليك من كتابه ، ولا تكن للخائنين خصيماً ، يقول : ولا تكن لمن كان مطلوباً مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ماله خصيماً تخاصم عنه وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانته فيه ، واستغفر الله يا محمد وسله أن يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك عن الخائن من المطلوب مالا لغيره ، إن الله كان غفوراً رحيماً ، يقول : إن الله لم يزل يصفح عن ذنوب عباده المؤمن بتركه عقوبتهم عليها إذا استغفروه منها رحيماً بهم فافعل ذلك أنت يا محمد يغفر الله لك ما سلف من خصومتك عن هذا الخائن ، وقد قيل : إن النبي لم يكن خاصم عن الخائن ولكنه هم بذلك فأمره الله بالاستغفار مما هم به من ذلك) (١٩٩) ، وقد أشارت الآيات المتقدمة إلى : أن هؤلاء القوم يستخفون في ذنبهم من الناس ويخافون منهم ولا يخلفون من الله تعالى ، مع العلم أن الله تعالى حاضر معهم لا تخفى عليه خافية ، ثم ذكرتهم الآية التي بعدها بأنهم يدافعون عنهم في هذه الحياة ؛ لكن من الذي سيدافع عنهم يوم القيامة ومن يكون لهم عوناً على الذنب الذي ارتكبه ، إن الله تعالى غفور رحيم يقبل توبة عبده الذي أذنب إذا عاد ورجع إليه فلم هذا الإثم ولم هذه الزيادة في الذنب والله تعالى يقول : [ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً] ، وقد أشار حديثنا الآية إلى هذا ، والله أعلم .

الحديث الأول لم أقف على تخريجه ، قال ابن كثير بعد ذكر الحديث : (هذا سياق غريب) (٢٠٠) ، لكن للحديث شاهد من حديث قتادة بن النعمان الذي أخرجه : الترمذي (٢٠١) ، الطبراني (٢٠٢) ، والحاكم (٢٠٣) .

١٩٧ ابن كثير ، التفسير : (١٠ / ٥٥١) .

١٩٨ المصدر السابق : (١ / ٥٥٤) .

١٩٩ الطبري ، التفسير : (٥ / ٢٦٤) .

٢٠٠ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٥١) .

٢٠١ الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٤٤) .

٢٠٢ الطبراني ، المعجم الكبير : (١٩ / ١٠) .

٢٠٣ الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٤٢٦) .

وأخرج الحديث الثاني : الإمام أحمد^{٢٠٤} ، وأبو داود^{٢٠٥} ، والنسائي^{٢٠٦} ، والطبراني^{٢٠٧} ، والضياء المقدسي ، وقال : (إسناده صحيح)^{٢٠٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [ليس بأمانيتكم ولا أمانيتي أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجْزَ بهِ ولا يجد له من دونِ الله ولياً ولا نصيراً] آية : ١٢٣ .

(١٦٨) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر قال : سمعت أبا بكر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا)^{٢٠٩} .

(١٦٩) (وأخرج : عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله إني لأعلم أشد آية في القرآن ، قال : ما هي يا عائشة ؟ قلت : من يعمل سوءاً يجز به ، فقال : هو ما يصيب العبد من سوء حتى النكبة ينكبها يا عائشة من نوقش هلك ومن حوسب عذب ، فقلت : يا رسول الله أليس الله يقول : [فسوف يحاسب حسابا يسيرا] ، قال : ذاك العرض يا عائشة من نوقش الحساب عن هذه الآية : [من يعمل سوءاً يجز به] ، قال : إن المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في الغط عند الموت)^{٢١٠} .

(١٧٠) (وأخرج : عن أبي هريرة قال : لما نزلت : [من يعمل سوءاً يجز به] ، شق ذلك على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سددوا وقاربوا فإن في كل ما أصاب المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها)^{٢١١} .

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله : ليس بأمانيتكم ولا أمانيتي أهل الكتاب ، فقال بعضهم : عني بقوله ليس بأمانيتكم أهل الإسلام ، وقال آخرون : بل عني الله بقوله ليس بأمانيتكم ولا أمانيتي أهل الكتاب أهل الشرك به من عبدة الأوثان ، وأولى التأويلين بالصواب في ذلك ما قال مجاهد من أنه عني بقوله ليس بأمانيتكم مشركي قريش)^{٢١٢} ، ومما يجب أن يلاحظ في هذه الآية أن رحمة الله فيها ظاهر لهذه الأمة المرحومة فقد جعل تكفير ذنوبها في أبسط الأسباب كما هو الحال في الشوكة التي يشاكها المسلم ، (قال القاري : بل غالب عذابهم أنهم مجزيون بأعمالهم في الدنيا بالمحن والأمراض وأنواع البلايا ، كما حقق في قوله تعالى : [

٢٠٤ الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٨) .

٢٠٥ أبو داود ، السنن : (٢ / ٨٦) .

٢٠٦ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ١١٠) .

٢٠٧ الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ١٨٥) .

٢٠٨ ، الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١ / ٨٢) .

٢٠٩ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٨٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٦٩٦) .

٢١٠ السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٦٩٧) .

٢١١ المصدر السابق : (٢ / ٦٩٧) .

٢١٢ الطبري ، التفسير : (٥ / ٢٨٨) .

من يعمل سوءاً يجز به]^{٢١٣}، فقد بينت الآية والأحاديث أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لهذه الأمة مكفريات لذنوبها مختلفة من الأمراض والأوجاع و والمحن والفتن والمصائب ، حتى ما يصاب به المسلم من الشوكة البسيطة جعله كفارة للذنوب .

أخرج الحديث الأول عن ابن عمر : الإمام أحمد^{٢١٤}، وأبو يعلى^{٢١٥}، والحاكم^{٢١٦} .
وأخرج الحديث الثاني عن عائشة رضي الله عنها : البخاري^{٢١٧}، ومسلم^{٢١٨}، وأبو داود^{٢١٩}، والترمذي^{٢٢٠}،
والنسائي^{٢٢١} .

وأخرج الحديث الثالث عن أبي هريرة : سعيد بن منصور^{٢٢٢}، ومسلم^{٢٢٣}، والترمذي^{٢٢٤}، والنسائي^{٢٢٥}،
والبيهقي^{٢٢٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يَصِلحا بينهما صلحاً والصلحُ خير وأحضرت الأنفسُ الشحَّ وإن تحسَّنوا وتَّقوا فإنَّ اللهَ كانَ بما تعملونَ خبيراً] آية : ١٢٨ .
(١٧١) (أخرج ابن مردويه : عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له : يا ابن أخي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا فيدنو من كل امرأة مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها ، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله يومي هذا لعائشة ، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ففي ذلك أنزل الله : [وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً]^{٢٢٧} .

٢١٣ شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (١١ / ٢٤١) .

٢١٤ الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٦) .

٢١٥ أبو يعلى ، مصدر سابق : (١ / ٢٧) .

٢١٦ الحاكم ، المستدرک : (٣ / ٦٣٧) .

٢١٧ البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢٣٩٤) .

٢١٨ مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٢٠٤) .

٢١٩ أبو داود ، السنن : (٣ / ١٨٤) .

٢٢٠ الترمذي ، السنن : (٤ / ٦١٧) .

٢٢١ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤٩٧) .

٢٢٢ سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٤ / ١) .

٢٢٣ مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٩٩٣) .

٢٢٤ الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٤٧) .

٢٢٥ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٢٨) .

٢٢٦ البيهقي ، السنن الكبرى : (٣ / ٣٧٣) .

٢٢٧ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٦٣) .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه وإن امرأة خافت من بعلها ، يقول : علمت من زوجها نشوزا يعني استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها وارتفاعا بها عنها إما لبغضة وإما لكراهة منه بعض أشياء بها إما دمامتها وإما سنها وكبرها وما إلى ذلك من أمورها أو إعراضا يعني انصرافا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، يقول : فلا حرج عليهما يعني على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها أن يصلحا بينهما صلحا وهو أن تترك له يومها أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح ، يقول : والصلح خير ، يعني : والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتماسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والطلاق)^{٢٢٨} ، ثم قال : (القول في تأويل قوله تعالى : وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه وأحضرت أنفس النساء الشح على أنصباتهن من أنفس أزواجهن وأموالهن ، وقال آخرون : معنى ذلك وأحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه ، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى بذلك أحضرت أنفس النساء الشح بأنصباتهن من أزواجهن في الأيام والنفقة ، والشح الإفراط في الحرص على الشيء وهو في هذا الموضوع إفراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها ، فتأويل الكلام : وأحضرت أنفس النساء أهواءهن من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن والشح بذلك على ضرائهن)^{٢٢٩} ، وقال ابن كثير : (يقول تعالى مخبرا ومشعرا من حال الزوجين تارة في حال نفور الرجل عن المرأة وتارة في حال إتفاقه معها وتارة في حال فراقه لها ، فالحالة الأولى : ما إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت ذلك من حقوقها عليه وله أن يقبل ذلك منها فلا حرج عليها في بذلها ذلك له ولا عليه في قبوله منها ، ولهذا قال تعالى : [فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا] ، ثم قال : [والصلح خير] ، أي : من الفراق ، وقوله : [وأحضرت الأنفس الشح] ، أي : الصلح ثم المشاحة خير من الفراق ، ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة فقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك)^{٢٣٠} ، وفي الحديث (عن عائشة في قوله تعالى : [وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا] ، الآية ، قالت : أنزلت في المرأة تكون عند الرجل فتطول صحبتها فيريد طلاقها ، فتقول : لا تطلقني وامسكني وأنت في حل مني ، فنزلت هذه الآية)^{٢٣١} ، وقد بين الحديث هذا الذي وقع بين زمعة رضي الله عنها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٢٨ الطبري ، التفسير : (٣٠٥ / ٥) .

٢٢٩ الطبري ، التفسير : (٣١٠ - ٣١١ / ٥) .

٢٣٠ ابن كثير ، التفسير : (٥٦٢ - ٥٦٣ / ١) .

٢٣١ مسلم ، الصحيح : (٢٣١٦ / ٤) .

وأخرج الحديث : أبو داود^{٢٣٢} ، والطبراني^{٢٣٣} ، والبيهقي^{٢٣٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا] آية : ١٤٢ .

(١٧٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ، ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح فإنه يناجي الله وإن الله تجاهه يغفر له ويجيبه إذا دعاه ، ثم يتلو هذه الآية : [وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى])^{٢٣٥} .

تشير الآية إلى المنافقين وبعض صفاتهم ، وهنا هذه الآية تذكر صفة من صفاتهم وهي أنهم إذا قاموا يريدون الصلاة قاموا إليها وهم كسالى عاجزين عن القيام إليها ، وهم بذلك إنما يريدون أن يظهرُوا أمام الناس بغير صفتهم وهي صفة النفاق ، فهم يراءون الناس فقط ، وهم قليل ما يذكرون الله تعالى ، ولم أقف على تخريج الحديث .

ما جاء في قوله تعالى : [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا] آية :
١٥٩

(١٧٣) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ، قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ] ، موت عيسى ابن مريم ، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات)^{٢٣٦} .

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به يعني عيسى قبل موته يعني قبل موته عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم ، وقال آخرون : يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي ، وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده

٢٣٢ أبو داود ، السنن : (٢ / ٢٤٢) .

٢٣٣ الطبراني ، المعجم الأوسط : (٥ / ٢٥٩) .

٢٣٤ البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ٧٤) .

٢٣٥ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٦٩) .

٢٣٦ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٧٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٢ / ٧٣٥) .

بحكمه في الملة فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام إن كان له ولد صغير مسلم وإن لم يكن له ولد صغير مسلم كان ميراثه مصروفا حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره لأن من مات مؤمنا بعيسى فقد مات مؤمنا بمحمد وبجميع الرسل وذلك أن عيسى صلوات الله عليه جاء بتصديق المرسلين فالمصدق بعيسى والمؤمن به مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله جازئ أن يكون مؤمنا بعيسى من كان بمحمد مكذبا^{٢٣٧}، فلا يخفى على كل منصف أن نزول عيسى بن مريم عليه السلام إلى الأرض حكما مقسطا بذاته الشريفة ثابت بالأحاديث الصحيحة والسنة المطهرة واتفاق أهل السنة وأنه الآن حي في السماء لم يمت بيقين، وأما ثبوته من الكتاب فقال الله عز وجل ردا على اليهود المغضوب عليهم الزاعمين أنهم قتلوا عيسى بن مريم عليه السلام: [وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه] ، ففي هذه الآية الكريمة أخبرنا الله تعالى أن الذي أراد اليهود قتله وأخذه وهو عيسى بجسمه رفعه الله إليه ولم يظفروا منه بشيء كما وعده الله تعالى قبل رفعه بقوله: [وما يضرونك من شيء] ، فثبت بهذا أن عيسى عليه السلام رفع حيا ويدل على ما ذكرناه الأحاديث الصحيحة المتواترة المذكورة المصرحة بنزوله بذاته الشريفة التي لا تحتمل التأويل ، وقال الله تعالى: [وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته] ، أي: قبل موت عيسى بن مريم عليه السلام كما قال أبو هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة والسلف الصالحين وهو الظاهر كما في تفسير ابن كثير فثبت أن عيسى عليه السلام لم يمت بل يموت في آخر الزمان ويؤمن به كل أهل الكتاب ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن نزوله إلى الأرض من علامات الساعة ، قال الله تعالى: [وإنه لعلم للساعة] ، وأن المراد نزوله قبل يوم القيامة^{٢٣٨}، وقد وردت الأحاديث بنزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال في آخر الزمان ومنها: (عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول: أميرهم تعال صل لنا ، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمه الله هذه الأمة)^{٢٣٩}، و (عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلا مربوعا إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعوا الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الآمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع

٢٣٧ الطبري ، التفسير : (٦ / ٢٢) .

٢٣٨ ينظر : شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (١١ / ٣١١) .

٢٣٩ مسلم ، الصحيح : (١ / ١٣٧) .

البقر والذئب مع الغنم بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة^{٢٤٠} ، و (عن النعمان بن سالم قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ فقال : سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما ، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ، قال : سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فيبقى شرار الناس في خفة الطير لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان ، فيقول : ألا تستجيبيون ؟ فيقولون : فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا ، قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال : فيصعق ويصعق الناس ، ثم يرسل الله أو قال : ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك فتبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ، قال : ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقال ، من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق^{٢٤١} ، وقد بين الحديث حقيقة نزول عيسى عليه السلام ، وأخرج الحديث : الإمام أحمد^{٢٤٢} ، والبخاري^{٢٤٣} ، ومسلم^{٢٤٤} ، والبيهقي^{٢٤٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا] آية : ١٦٤ .

(١٧٤) (أخرج ابن مردويه : عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، قلت : يا رسول الله كم الرسل منهم ؟ قال : ثلاث مائة وثلاثة عشر جم غفير ، قلت : يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال : آدم ، قلت : يا رسول الله نبي مرسل ؟ قال : نعم خلقه الله

٢٤٠ الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٤٠٦) .

٢٤١ مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٢٥٨) .

٢٤٢ الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٢٩٠) .

٢٤٣ البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٢٧٢) .

٢٤٤ مسلم ، الصحيح : (١ / ١٣٥) .

٢٤٥ البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ١٨٠) .

بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبيلًا ثم قال : يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيت ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر ، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى ، وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك (٢٤٦) .

(١٧٥) (وأخرج : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف وكساء صوف ونعلان من جلد ذكي) (٢٤٧) .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه : إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل قد قصصناهم عليك ورسلم لم نقصصهم عليك ، وأما قوله : وكلم الله موسى تكليماً ، فإنه يعني بذلك جل ثناؤه : وخاطب الله بكلامه موسى خطاباً) (٢٤٨) ، وفي هذه الآية إثبات صفة الكلام لله رب العالمين ، وأن موسى عليه السلام كلم الله ، قال الإمام أحمد : (إثبات أن الله كلم موسى عليه السلام ، فقلنا أنكروا ذلك قالوا : إن الله لم يتكلم ولا يتكلم إنما كون شيئاً فعبر عن الله وخلق صوتاً فأسمع وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفيتين ، فقلنا : هل يجوز لمكون الله أن يقول : [يا موسى إني أنا ربك] طه : ١٢ ، أو يقول : [أني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري] طه : ١٤ ، فمن زعم ذلك فقد زعم الله ادعى الربوبية كما زعم الجهم أن الله كون شيئاً كان يقول ذلك المكون : [يا موسى إني أنا الله رب العالمين] القصص : ٣٠ ، وقل قال جل ثناؤه : [وكلم الله موسى تكليماً] ، وقال : [ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه] الأعراف : ١٤٣ ، وقال : [إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي] الأعراف : ١٤٤ ، فهذا منصوص القرآن فأما ما قالوا : إن الله لا يتكلم فكيف يصنعون بحديث الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان ، وأما قولهم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفيتين ولسان أليس الله قال للسموات والأرض : [ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين] فصلت : ١١ ، أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفيتين ولسان وأدوات وقال : [وسخرنا مع داود الجبال يسبحن] الأنبياء : ٧٩ ، أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفيتين والجوارح إذ شهدت على الكافر فقالوا : [لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء] ، أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان ولكن الله أنطقها كيف شاء ، وكذلك الله تكلم كيف شاء أن يقول بلا جوف ولا فم ولا شفيتين ولا لسان (٢٤٩) ، فيجب إثبات صفة الكلام لله رب العالمين من دون تحريف أو تغير .

أخرج الحديث الأول عن أبي ذر : الإمام أحمد (٢٥٠) ، والبزار (٢٥١) ،

٢٤٦ ابن كثير ، التفسير : (١ / ٥٨٦) .

٢٤٧ المصدر السابق : (١ / ٥٨٩) .

٢٤٨ الطبري ، التفسير : (٦ / ٢٩) .

٢٤٩ الإمام أحمد ، الرد على الزنادقة والجهمية : (٣٤ - ٣٥) .

٢٥٠ الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٢٦٥) .

٢٥١ البزار ، مصدر سابق : (٩ / ٤٢٧) .

والطبراني^{٢٥٢}، وابن حبان^{٢٥٣}، والهيثمي، وقال : (رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف)^{٢٥٤} .

وأخرج الحديث الثاني : سعيد بن منصور^{٢٥٥}، والبزار^{٢٥٦}، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)^{٢٥٧} .

٢٥٢ الطبراني ، المعجم الكبير : (٨ / ٢١٧) .

٢٥٣ ابن حبان ، الصحيح : (٢ / ٧٧) .

٢٥٤ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ١٥٩) .

٢٥٥ سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ١٥٢) .

٢٥٦ البزار ، مصدر سابق : (٥ / ٤٠٠) .

٢٥٧ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤١١) .

سورة الإسراء

سورة الإسراء نزلت بمكة^١، وتسمى أيضا سورة بني إسرائيل، قال ابن شهاب الزهري: (نزلت سورة بني إسرائيل بمكة)^٢، وتسمى أيضا سورة سبحان^٣.

(٣٧٨) (أخرج ابن مردويه: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت سورة بني إسرائيل بمكة)^٤، وتسميتها ببني إسرائيل بسبب ذكر قصة بني إسرائيل فيها وما كان من شأنهم وتلاعبهم بأمر دينهم ومكرهم وحيلهم في الدين وما كان من علوهم في الدنيا ثم غضب الله تعالى عليهم، وجعلهم أذلة بسبب الذي كان من أفعالهم وسوء عملهم.

وقد ورد في فضل سورة الإسراء أحاديث منها:

(٣٧٩) (أخرج ابن مردويه: عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: أنهن من العتاق الأول وهن من تلادي)^٥.

(٣٨٠) (وأخرج: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمير)^٦.

أخرج الحديث عن ابن مسعود: ابن الجعد^٧، وابن أبي شيبة^٨، والبخاري^٩، والبيهقي^{١٠}.

وأخرج الحديث عن عائشة: إسحاق بن راهويه^{١١}، والترمذي، وقال: (هذا حديث حسن غريب)^{١٢}، والنسائي^{١٣}، وابن خزيمة^{١٤}، والحاكم^{١٥}.

^١ ينظر: الطبري، التفسير: (١٥ / ١)، ابن الجوزي، زاد المسير: (٣ / ٥).

^٢ ابن شهاب الزهري، مصدر سابق: (٢٧).

^٣ ينظر: ابن كثير، التفسير: (٣ / ٣).

^٤ السيوطي، الدر المنثور: (١٨١ / ٥)، الشوكاني، فتح القدير: (٣ / ٢٠٥)، الألوسي، مصدر سابق: (٢ / ١٥).

^٥ السيوطي، الدر المنثور: (١٨١ / ٥)، الشوكاني، فتح القدير: (٣ / ٢٠٥)، الألوسي، مصدر سابق: (٢ / ١٥).

^٦ السيوطي، الدر المنثور: (١٨١ / ٥)، الشوكاني، فتح القدير: (٣ / ٢٠٥).

^٧ ابن الجعد، مصدر سابق: (٧٨).

^٨ ابن أبي شيبة، مصدر سابق: (٧ / ٢٥٨).

^٩ البخاري، الصحيح: (٤ / ١٧٤١).

^{١٠} البيهقي، شعب الإيمان: (٢ / ٤٧٦).

^{١١} إسحاق بن راهويه، مصدر سابق: (٣ / ٧٥٨).

^{١٢} الترمذي، السنن: (٥ / ١٨١).

^{١٣} النسائي، السنن الكبرى: (٦ / ١٧٩).

^{١٤} ابن خزيمة، مصدر سابق: (٢ / ١٩١).

^{١٥} الحاكم، المستدرک: (٢ / ٤٧٢).

ما جاء في قوله تعالى : [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] آية : ١٠

(٣٨١) (أخرج ابن مردويه : عن أنس قال : ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال أحدهم : خذوا ، فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب محشوا إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديدته ، يعني : عروق حلقه ، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً به وأهلاً ، ووجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلم عليه ورد عليه آدم وقال : مرحباً وأهلاً بابني نعم الابن أنت ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال : ما هذان النهرين يا جبريل ؟ قال : هذا النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ما هذا يا جبريل : قال : هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً به وأهلاً ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى الخامسة فقالوا مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم منهم : إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله ، فقال موسى : رب لم أظن أن ترفع علي أحداً ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما يوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى ، فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك أرجع فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يستشيرهم فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى ، فقال وهو مكانه : يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع ذلك ، فوضع عنه عشرات صلوات ، ثم رجع إلى موسى واحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال : يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصارنا وأسماعنا فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة ، فقال : يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم

وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا ، فقال الجبار : يا محمد ، قال : لييك وسعديك ، قال : إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب وكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى ، فقال : كيف فعلت ؟ فقال : خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها ، فقال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا موسى قد والله استحيت من ربي مما اختلفت إليه ، قال : فاهبط بسم الله ، واستيقظ وهو في المسجد الحرام^{١٦} .

(٣٨٢) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : [سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير] ، قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ومعه ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل عليهما السلام : ائني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح صدره فشق عن بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف إليه ميكائيل عليه السلام بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدره ونزع ما كان فيه من غل وملاه حلما وعلما وإيمانا ويقينا وإسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه منتهى بصره فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمئة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة ، ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويتركون النضيج الطيب ، قلت : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حالالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا تبيت معه حتى تصبح ، ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها ، ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع

^{١٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ١٨٤ - ١٨٥) .

صوتا فقال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : يا رب ائنتي بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فائنتي ما وعدتني ؟ فقال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، قالت : رضيت ، ثم أتى علي واد فسمع شكوى ووجد ريحا منتنة ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : رب ائنتي بما وعدتني فلقد كثرت سلاسل وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقبي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فائنتي ما وعدتني ؟ قال : لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت ، ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة عليهم السلام ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل من هذا معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياها الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، ثم لقي أرواح الأنبياء عليهم السلام فأتوا على ربهم ، فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ، ثم إن موسى عليه السلام أتنى على ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون سورة الأعراف الآية ١٥٩ ، ونص الآية : [ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون] ، ثم إن داود عليه السلام أتنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ، ثم إن سليمان عليه السلام أتنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ، ثم إن عيسى عليه السلام أتنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعلني كالمثل مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهرني وأعادني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل ، ثم إن محمد صلى الله عليه وسلم أتنى على ربه عز وجل فقال : كلكم أتنى على ربه وإني مشن على ربي ، فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون والآخرون وشرح لي صدري ووضعت عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما ، فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواهاها فأتي بإناء منها فيه ماء ، فقيل : اشرب فشرب منه يسيرا ثم رفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقيل : اشرب فشرب منه حتى روي ثم رفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب ، فقال : لا أريده قد رويت ، فقال له جبريل عليه السلام : أما أنها ستحرم على أمتك

ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل ، ثم صعدوا بي إلى السماء فاستفتح ، فقيل : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياها الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه فرح وضحك وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى وحزن ، فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر من يدخله بكى وحزن ، ثم صعد بي جبريل عليه السلام إلى السماء الثانية فاستفتح قيل : من هذا معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياها الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فإذا هو بشابين قال : يا جبريل من هذان ؟ قال : عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ، فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياها الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو برجل قد فضل على الناس كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قال : من هذا يا جبريل : قال : هذا أخوك يوسف عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياها الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو برجل قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إدريس رفعه الله مكان عليا ، ثم صعد إلى السماء الخامسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحبا به حياها الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ثم دخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال : من هذا يا جبريل ومن هؤلاء حوله ؟ قال : هذا هارون المحب وهؤلاء بنو إسرائيل ، ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فقيل له : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياها الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فإذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل قال : يا جبريل من هذا ؟ قال : موسى ، قال : فما له يبكي ؟ قال : زعم بنو إسرائيل أنني أكرم بني آدم على الله وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته ، ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياها الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانها شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص ولم يكن في أبدانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فجاؤوا

فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : يا جبريل من هذا الأشمط ومن هؤلاء بيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وما هذه الأنهار التي دخلوا ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم وأما الأنهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقايم ربهم شرابا طهورا ، ثم انتهى إلى السدرة قيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل واحد خلا من أمتك على نسك فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها الورقة منها مغطية للأمة كلها فغشيتها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة عليهم السلام أمثال الغربان حين تقع على الشجرة ، فكلمه الله تعالى عند ذلك فقال له : سل ، فقال : اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يريئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى يا ذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له ربه عز وجل : وقد اتخذتك خليلا وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وأرسلتكم إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا وذكرت معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتكم أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطاها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطاها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلتكم فاتحا وخاتما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فضلني ربي وأرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وألقى في قلب عدوي الرعب من مسيرة شهر وأحل لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض كلها مسجدا وطهورا وأعطيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه وعرضت علي أمتي فلم يخف علي التابع والمتبوع ورأيتهم أتوا علي قوم ينتعلون الشعر ورأيتهم أتوا علي قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأنما خرمت أعينهم بالمخيطة فلم يخف علي ما هم لاقون من بعدي وأمرت بخمسين صلاة ، فلما رجع إلى موسى عليه السلام قال : بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرا ، ثم رجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ، قال : بأربعين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجع فوضع عنه عشرا إلى أن جعلها خمسا ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه فما أنا براجع إليه ، قيل له : أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزيين عنك خمسين صلاة وإن كل حسنة

بعشر أمثالها فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا ، قال : وكان موسى عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع إليه (١٧) .

(٢٨٣) (أخرج ابن مردويه : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : أسري بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة) (١٨) .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا : تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا وأن له صاحبة وولدا وعلوا له وتعظيما عما أضافوه إليه ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم ، سبحان الله ، إنزاه الله عن السوء ، والإسراء والسرى سير الليل ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى نائما في بيت أم هانئ ابنة أبي طالب) (١٩) ، وقال القرطبي : (سبحان اسم موضوع متمكن لأنه لا يجري بوجوه الإعراب ولا تدخل عليه الألف واللام ولم يجر منه فعل ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين ، سبحان الله ، تنزيه الله من كل سوء ، أسرى بعبده ، أسرى فيه لغتان سرى وأسرى ، والإسراء سير الليل ، بعبده ، قال العلماء : لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه به وهو في تلك الحالة العلية) (٢٠) ، وقال ابن كثير : (يمجد تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره ولا رب سواه ، الذي أسرى بعبده ، يعني : محمدا صلى الله عليه وسلم ، ليلا ، أي : في جنح الليل ، من المسجد الحرام ، وهو مسجد مكة ، إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وقوله تعالى : الذي باركنا حوله ، أي : في الزروع والثمار ، لنبيه ، أي : محمدا ، من آياتنا ، أي : العظام ، كما قال تعالى : [لقد رأى من آيات ربه الكبرى] ، وقوله تعالى : إنه هو السميع البصير ، أي : السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم مصدقهم ومكذبهم البصير بهم فيعطى كلا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة) (٢١) ، والأحاديث ذكرت ليلة الإسراء والمعراج وفصلت الذي جرى بها .

أخرج الحديث عن أنس : البخاري (٢٢) ، وأبو عوانة (٢٣) ، وابن منده (٢٤) ، وأخرج الحديث عن أبي هريرة : الهيثمي (٢٥) ، وقال : (رجاله موثقون) (٢٦) ، وقد أخرج البخاري ومسلم جزء من الحديث (٢٧) ، ولم أقف على تخريج حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

١٧ المصدر السابق : (٥ / ١٩٨ - ٢٠٤) .

١٨ الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٢٠٨) .

١٩ الطبري ، التفسير : (١٥ / ١ - ٢) .

٢٠ القرطبي ، مصدر سابق : (١٠ / ٢٠٥) .

٢١ ابن كثير ، التفسير : (٣ / ٣) .

٢٢ البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٧٣٠) .

٢٣ أبو عوانة ، مصدر سابق : (١ / ١١٣) .

٢٤ ابن منده ، مصدر سابق : (٢ / ٧١٥) .

ما جاء في قوله تعالى : [وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا] آية : ٢٦ .
 (٣٨٤) ((أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : [وآتِ ذِي الْقُرْبَى حَقَّهُ] ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فأعطها فذك) ، (٣٨٥) (وأخرج : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعطي وكيف يعطي وبمن يبدأ ، فأنزل الله : [وآتِ ذِي الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ] ، فأمر الله أن يبدأ بذِي الْقُرْبَى ثم بالمسكين وابن السبيل ومن بعدهم))^{٢٨} .

في هذه الآية يبين لنا رب العزة من يعطى ، فبدأ بذِي الْقُرْبَى ثم المسكين ثم ابن السبيل ، ثم كانت النصيحة بعدم التبذير وهدر الأموال دون وجه استحقاقها الذي أمر الله تعالى به ، أخرج الحديث عن أبي سعيد : أبو يعلى^{٢٩} ، والهيثمي ، وقال : (فيه عطية العوفي وهو ضعيف متروك)^{٣٠} ، وأخرج الحديث عن ابن عباس : البخاري^{٣١} .

ما جاء في قوله تعالى : [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا] آية :
 ٥٦

(٣٨٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك)^{٣٢} .
 هذا توبيخ من الله تعالى لأولئك المشركين بربهم الذين يجعلون معه آلهة أخرى فهو هنا يقرر لهم أن هذه الألهة لا تستطيع أن تفعل لهم شيئا ، قال البيضاوي : (قل ادعوا الذين زعمتم ، أنهم آلهة ، من دونه ، كالملائكة والمسيح وعزير ، فلا يملكون ، فلا يستطيعون ، كشف الضر عنكم ، كالمرض والفقر والقحط ، ولا تحويلا ، ولا تحويل ذلك منكم إلى غيركم)^{٣٣} .
 أخرج الحديث : البزار^{٣٤} ، والنسائي^{٣٥} ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه)^{٣٦} .

^{٢٥} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ٦٧) .

^{٢٦} المصدر السابق : (١ / ٧٢) .

^{٢٧} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٠٧١) ، مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٢٣٣) .

^{٢٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٢٧٣ - ٢٧٤) .

^{٢٩} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٢ / ٣٣٤) ، (٢ / ٥٣٤) .

^{٣٠} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٧٩) .

^{٣١} البخاري ، الأدب المفرد : (٣٢) .

^{٣٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٠٥) .

^{٣٣} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٤٥٢) .

^{٣٤} البزار ، مصدر سابق : (٥ / ١٦٥) .

^{٣٥} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٧٩) .

ما جاء في قوله تعالى : [وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا] ، وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] الآيتان : ٨٠ - ٨١ .

(٣٨٧) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله تعالى : [قل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا]) ، (٣٨٨) (وأخرج : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : [جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا] ، [وجاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد] سبأ : ٤٩)) ٣٧ .

يخبر الله تعالى عن حال النبي عليه الصلاة والسلام في دعاء ربه عز وجل في أن يدخل مدخل الصدق وأن يخرج مخرجه حتى لا يكون لأحد عليه قول ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه : وقل يا محمد يا رب أدخلني مدخل صدق ، واختلف أهل التأويل في معنى مدخل الصدق الذي أمره الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إليه في أن يدخله إياه وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرج إياه ، فقال بعضهم : عنى بمدخل الصدق مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حين هاجر إليها ومخرج الصدق مخرجه من مكة حين خرج منها مهاجرا إلى المدينة ، وقال آخرون : بل معنى ذلك وقل رب أمتني إماتة صدق وأخرجني بعد الممات من قبري يوم القيامة مخرج صدق ، وقال آخرون : بل عنى بذلك أدخلني في أمرك الذي أرسلتني من النبوة مدخل صدق وأخرجني منه مخرج صدق ، وقال آخرون : بل معنى ذلك أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة ، وقال آخرون : بل معنى ذلك أدخلني في الإسلام مدخل صدق ، وقال آخرون : بل معنى ذلك أدخلني مكة آمنا وأخرجني منها آمنا ، وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال : معنى ذلك وأدخلني المدينة مدخل صدق وأخرجني من مكة مخرج صدق ، واجعل لي من لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ، واجعل لي ملكا ناصرنا ينصرني على من ناوأني وعزا أقيم به دينك وأدفع به عنه من أراد به سوء) ٣٨ ، وقال أبو السعود : (وقل جاء الحق ، أي : الإسلام والوحي الثابت الراسخ ، وزهق الباطل ، أي : ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويات الشيطان من زهق روحه إذا خرج ، إن الباطل ، كائنا ما كان ، كان زهوقا ، أي : شأنه أن يكون مضمحلا غير ثابت) ٣٩ ، وقد أشار الحديث ابن عباس إلى هجرته عليه الصلاة والسلام وأشار حديث ابن مسعود إلى سقوط الأوثان وهزيمة الشرك والمشركين .

^{٣٦} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٩٤) .

^{٣٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٢٨ - ٣٢٩) .

^{٣٨} الطبري ، التفسير : (١٥ / ١٤٨ - ١٤٩) .

^{٣٩} أبو السعود ، مصدر سابق : (٥ / ١٩٠) .

أخرج الحديث عن ابن عباس : الإمام أحمد^{٤٠} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح)^{٤١} ، والضياء المقدسي^{٤٢} .

وأخرج الحديث عن ابن مسعود : الحميدي^{٤٣} ، والبخاري^{٤٤} ، والنسائي^{٤٥} ، وأبو عوانة^{٤٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غمياً وئكماً وضمماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً] آية : ٩٧ .
(٣٨٩) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم ، قيل : يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك)^{٤٧}

(٣٩٠) ((وأخرج : عن أنس رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم) ، (٣٩١) (وأخرج : عن أبي ذر رضي الله عنه أنه تلا هذه الآية : [ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً] ، فقال : حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج : فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم))^{٤٨} .

قال ابن كثير : (يقول تعالى مخبراً عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ، أي : يهدونهم كما قال : من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)^{٤٩} ، وقال البيضاوي : (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ، يهدونه ، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ، يسحبون عليها أو يمشون بها ، عمياً وبكماً وصماً ، لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دينهم لم يستبصروا بالآيات

^{٤٠} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٢٢٣) .

^{٤١} الترمذي ، السنن : (٥ / ٣٠٤) .

^{٤٢} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٩ / ٥٣٥) .

^{٤٣} الحميدي ، مصدر سابق : (١ / ٤٦) .

^{٤٤} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٥٦١) ، (٤ / ١٧٤٩) .

^{٤٥} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤٣٨) .

^{٤٦} أبو عوانة ، مصدر سابق : (٤ / ٢٩٢) .

^{٤٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٤١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٢٦٢) .

^{٤٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٤١) .

^{٤٩} ابن كثير ، التفسير : (٣ / ٦٦) .

والعبر وتصاموا عن سماع الحق وأبو أن ينطقوا بالصدق ، ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار مؤفي القوى والحواس ، مأواهم جهنم كلما خبت ، سكن لهيبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ، زدناهم سعيرا ، توقدا بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود متلهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الإعادة والإفناء) ^{٥٠} ، وإلى هذا أشارت الأحاديث .

أخرج الحديث عن أبي هريرة : الطيالسي ^{٥١} ، وإسحاق بن راهويه ^{٥٢} ، والإمام أحمد ^{٥٣} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن) ^{٥٤} ، والبيهقي ^{٥٥} .

وأخرج الحديث عن أنس : الإمام أحمد ^{٥٦} ، والنسائي ^{٥٧} ، وأبو يعلى ^{٥٨} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ^{٥٩} .

وأخرج الحديث عن أبي ذر : البزار ^{٦٠} ، والنسائي ^{٦١} ، والطبراني ^{٦٢} .

^{٥٠} البيضاوي ، مصدر سابق : (٤٦٨ / ٣) .

^{٥١} الطيالسي ، مصدر سابق : (٣٣٤) .

^{٥٢} إسحاق بن راهويه ، مصدر سابق : (١٨١ / ١) .

^{٥٣} الإمام أحمد ، المسند : (٣٥٤ / ٢) ، (٣٦٣ / ٢) .

^{٥٤} الترمذي ، السنن : (٣٠٥ / ٥) .

^{٥٥} البيهقي ، شعب الإيمان : (٣١٨ / ١) .

^{٥٦} الإمام أحمد ، المسند : (١٦٧ / ٣) .

^{٥٧} النسائي ، السنن الكبرى : (٤٢٠ / ٦) .

^{٥٨} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٢٦٤ - ٢٦٥) .

^{٥٩} الحاكم ، المستدرک : (٤٣٧ / ٢) .

^{٦٠} البزار ، مصدر سابق : (٣٣٦ / ٩) .

^{٦١} النسائي ، السنن الكبرى : (٦٦٨ / ١) ، المجتبى : (١١٦ / ٤) .

^{٦٢} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢١٤ / ٨) ، المعجم الصغير : (٢٣٣ / ٢) .

سورة الكهف

- سورة الكهف نزلت بمكة^{٦٣} ، وهو قول جميع المفسرين^{٦٤} ، وهي تتحدث عن الأمم الغابرة ، ففيها الحديث أهل الكهف التي سميت باسم الكهف ، وفيها الحديث عن ذي القرنين وغيرهم من الأمم التي قضت .
- (٣٩٢) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سور الكهف بمكة) ، (٣٩٣)) وأخرج : عن ابن الزبير رضي الله عنه قال : نزلت سورة الكهف بمكة ((^{٦٥} .
- وورد في فضلها أحاديث منها :
- (٣٩٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : أنهن من العتاق الأول ، وهن من تلامي)^{٦٦} .
- (٣٩٥) (وأخرج : عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة ، وغفر له ما بين الجمعتين)^{٦٧} .
- (٣٩٦) (وأخرج : عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)^{٦٨} .
- (٣٩٧) (وأخرج : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال ، ومن قرأ خاتمتها عند رقاذه كان له نورا من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة)^{٦٩} .
- (٣٩٨) (وأخرج : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الكهف كانت له نورا من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره)^{٧٠} .
- فالأحاديث كلها تشير إلى فضل هذه السورة العظيمة ومكانتها بين سور القرآن الكريم ، وفي الحديث (عن النواس ابن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال قال : من رآه منكم فليقرأ

^{٦٣} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٨) ، الطبري ، التفسير : (١٥ / ١٩٠) ، ابن كثير ، التفسير : (٣ / ٧١) .

^{٦٤} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (١٠ / ٣٤٦) .

^{٦٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٥٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٢٦٨) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٥ / ١٩٩) .

^{٦٦} ينظر : الحديث رقم : (٣٧٨) .

^{٦٧} ابن كثير ، التفسير : (٣ / ٧١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٢٦٨) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٥ / ٢٠٠) .

^{٦٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٥٤) .

^{٦٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٥٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٢٦٨) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٥ / ٢٠٠) .

^{٧٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣٥٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٢٦٨) .

فواتح سورة الكهف) ^{٧١}، لم أقف على تخريج حديث عبد الله بن عمر؛ لكن قال ابن كثير: (إسناده غريب، وفي رفعه نظر، وأحسن أحواله الوقف) ^{٧٢} .
وأخرج الحديث عن أبي الدرداء: الإمام أحمد ^{٧٣}، ومسلم ^{٧٤}، وأبو داود ^{٧٥}، والترمذي ^{٧٦}، والنسائي ^{٧٧}، وابن حبان ^{٧٨}، والبيهقي ^{٧٩} .
ولم أقف على تخريج حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرج الحديث عن أبي سعيد الخدري: النسائي ^{٨٠}، والحاكم، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ^{٨١} .

ما جاء في قوله تعالى: [المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً] آية: ٤٦ .

(٣٩٩) (أخرج ابن مردويه: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله) ^{٨٢} .

(٤٠٠) (وأخرج: عن النعمان بن بشير، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر من الباقيات الصالحات) ^{٨٣} .

(٤٠١) (وأخرج: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا جنتكم، قيل: يا رسول الله أمن عدو قد حضر؟ قال: لا؛ بل جنتكم من النار قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات معقبات محسنات وهن الباقيات الصالحات) ^{٨٤} .

^{٧١} النسائي، فضائل القرآن: (٩٥) .

^{٧٢} ابن كثير، التفسير: (٧١ / ٣) .

^{٧٣} الإمام أحمد، المسند: (٤٤٦ / ٦)، (٤٤٩ / ٦) .

^{٧٤} مسلم، الصحيح: (٥٥٥ / ١) .

^{٧٥} أبو داود، السنن: (١١٧ / ٤) .

^{٧٦} الترمذي، السنن: (١٦٢ / ٥) .

^{٧٧} النسائي، السنن الكبرى: (١٥ / ٥)، (٢٣٥ / ٦) .

^{٧٨} ابن حبان، الصحيح: (٦٥ / ٣) .

^{٧٩} البيهقي، السنن الكبرى: (٢٤٩ / ٣) .

^{٨٠} النسائي، السنن الكبرى: (٢٣٦ / ٦) .

^{٨١} الحاكم، المستدرک: (٧٥٢ / ١) .

^{٨٢} السيوطي، الدر المنثور: (٣٩٦ / ٥)، الشوكاني، فتح القدير: (٢٩٠ / ٣)، الألوسي، مصدر سابق: (٢٨٧ / ١٥) .

^{٨٣} السيوطي، الدر المنثور: (٣٩٦ / ٥)، الشوكاني، فتح القدير: (٢٩٠ / ٣) .

^{٨٤} السيوطي، الدر المنثور: (٣٩٦ / ٥) .

قال القرطبي : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، ويجوز زينتا وهو خبر الابتداء في التشية والإفراد وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا ؛ لأن في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا ، لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين لأن المعنى : المال والبنون زينة هذه الحياة المحترقة فلا تتبعوها نفوسكم وهو رد على عيينة بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف فأخبر تعالى أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى كالهشيم حين ذرته الريح إنما يبقى ما كان من زاد القبر وعدد الآخرة وكان يقال : لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغدا مع غيرك ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغدا لغيرك ويكفي في هذا قول الله تعالى : [إنما أموالكم وأولادكم فتنة] وقال تعالى : [إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم] ، والباقيات الصالحات ، أي : ما يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الطاعات خير عند ربك ثوابا ، أي : أفضل وخير أملا ، أي : أفضل أملا من ذي المال والبنين دون عمل صالح وليس في زينة الدنيا خير ولكنه مخرج)^{٨٥} ، وقال البيضاوي : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، يتزين بها الإنسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب ، والباقيات الصالحات ، وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الأبدن ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب ، خير عند ربك ، من المال والبنين ، ثوابا ، عائدة ، وخير أملا ، لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا)^{٨٦} ، وقد فسرت الأحاديث الباقيات الصالحات بسبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر .

أخرج الحديث عن أبي سعيد ، الإمام أحمد^{٨٧} ، وأبو يعلى^{٨٨} ، ابن حبان^{٨٩} ، والحاكم ، وقال : (هذا أصح إسناد المصريين ولم يخرجاه)^{٩٠} ، والبيهقي^{٩١} ، والهيثمي^{٩٢} ، وقال : (رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسنادهما حسن)^{٩٣} .

وأخرج الحديث عن النعمان بن بشير : الإمام أحمد^{٩٤} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد ، وفيه راو لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح)^{٩٥} .

^{٨٥} القرطبي ، مصدر سابق : (٤١٣ / ١٠ - ٤١٤) .

^{٨٦} البيضاوي ، مصدر سابق : (٥٠٠ / ٣ - ٥٠١) .

^{٨٧} الإمام أحمد ، المسند : (٧٥ / ٣) .

^{٨٨} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٥٢٤ / ٢) .

^{٨٩} ابن حبان ، الصحيح : (١٢١ / ٣) .

^{٩٠} الحاكم ، المستدرک : (٦٩٤ / ١) .

^{٩١} البيهقي ، شعب الإيمان : (٤٢٥ / ١) .

^{٩٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨٧ / ١٠) ، موارد الظمان : (٥٧٩) .

^{٩٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨٧ / ١٠) .

^{٩٤} الإمام أحمد ، المسند : (٢٦٧ / ٤) .

^{٩٥} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٤٧ / ٥) .

وأخرج الحديث عن أبي هريرة : النسائي^{٩٦} ، والطبراني^{٩٧} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٩٨} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله في الصغير رجال داود بن بلال وهو ثقة)^{٩٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا] الآيتان : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٤٠٢) (أخرج ابن مردويه : عن مصعب بن سعد قال : سألت أبي : قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا أهم الحرورية ؟ قال : لا هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأما النصارى فكذبوا بالجنة وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان سعد يسميهم الفاسقين)^{١٠٠} .

هذا أخبار من الله تعالى عن أولئك الذين خسروا أنفسهم بسبب ما كان من أعمالهم التي لا تصلح لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأشركوا به ، فكان عملهم سيئا قبيحا وهم يظنون أنهم يحسنون العمل ، وهذا ما نبه إلى الحديث .

أخرج الحديث ، ابن أبي شيبة^{١٠١} ، وأبو عبد الله الدورقي^{١٠٢} ، والبخاري^{١٠٣} ، والنسائي^{١٠٤} .

^{٩٦} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢١٢) .

^{٩٧} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٤ / ٢٢٠) ، المعجم الصغير : (١ / ٢٤٩) .

^{٩٨} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٧٢٥) .

^{٩٩} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٨٩) .

^{١٠٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٤٦٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٣١٧) .

^{١٠١} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٥٦٠) .

^{١٠٢} أبو عبد الله الدورقي ، مسند سعد ، تحقيق : عامر حسن صبري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت (١٤٠٧ هـ) : (١٢٣) .

^{١٠٣} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٥٨) .

^{١٠٤} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٩٢) .

سورة مريم

سورة مريم نزلت بمكة^{١٠٥}، وقد تضمنت هذه السورة قصة مريم وابنها عليهما السلام إضافة إلى قصص بعض الأمم الغابرة التي ذكرها الله تعالى على سبيل العظة لكفار قريش .

(٤٠٣) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة مريم بمكة) ، (٤٠٤) (وأخرج : عن ابن الزبير قال : نزلت سورة مريم بمكة) ، (٤٠٥) (وأخرج : عن عائشة قالت : نزلت سورة مريم بمكة))^{١٠٦} .
وورد في فضلها أحاديث منها :

(٤٠٦) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم :
أنهن من العتاق الأول وهن من تلامي)^{١٠٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [كهيعص] آية : ١ .

(٤٠٧) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس في قوله : [كهيعص] ، قال : كبير هاد أمين عزيز صادق)^{١٠٨} ،
(٤٠٨) (وأخرج : عن ابن عباس في قوله تعالى : [كهيعص] ، قال : كاف من كريم وهاء من هاد وياء من
حكيم وعين من عليم وصاد من صادق)^{١٠٩} .

أخرج الحديث الأول : ابن الجعد^{١١٠} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم
يخرجاه)^{١١١} ، والضياء المقدسي^{١١٢} .
وأخرج الحديث الثاني : الطبري^{١١٣} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١١٤} ،
والضياء المقدسي^{١١٥} .

^{١٠٥} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) .

^{١٠٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٤٧٦ / ٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٣٢٠) .

^{١٠٧} ينظر : الحديث رقم : (٣٧٨) .

^{١٠٨} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٥٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٤٧٧) .

^{١٠٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٤٧٨) .

^{١١٠} ابن الجعد ، مصدر سابق : (٣٢٣) .

^{١١١} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٠٣) .

^{١١٢} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٥٦) .

^{١١٣} الطبري ، التفسير : (١٦ / ٤٢) .

^{١١٤} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٠٣) .

^{١١٥} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٣٠٠) .

سورة طه

سورة طه نزلت بمكة^{١١٦}، وهي مكية بالإجماع^{١١٧}، (٤٠٩) ((أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة طه بمكة) ، (٤١٠) (وأخرج : عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : نزلت سورة طه بمكة))^{١١٨} .

وفي فضلها ورد حديث : (٤١١) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليها هذا ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا)^{١١٩} .
أخرج الحديث عن أبي هريرة : الدارمي^{١٢٠} ، وابن أبي عاصم الشيباني^{١٢١} ، والطبراني^{١٢٢} ، والالكائي^{١٢٣} ، والبيهقي^{١٢٤} ، والديلمي^{١٢٥} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه إبراهيم بن مهاجر بن مسمار وضعفه البخاري بهذا الحديث ووثقه ابن معين)^{١٢٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي] آية : ١٤ .

(٤١٢) (أخرج ابن مردويه : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل غفل عن الصلاة حتى طلعت الشمس أو غربت ما كفارتها ؟ قال : يتقرب إلى الله ويحسن وضوءه ويصلي الصلاة ويستغفر الله فلا كفارة لها إلا ذلك إن الله يقول : أقم الصلاة لذكرك)^{١٢٧} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : إني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي فاعبدني ، يقول : فأخلص العبادة لي دون كل ما عبد من دوني ، وأقم الصلاة لذكرك ، واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك أقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني ، وقال آخرون : بل معنى ذلك وأقم الصلاة حين تذكرها ، وأولى التأويلين في ذلك بالصواب

^{١١٦} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) ، الطبري ، التفسير : (١٦ / ١٣٥) ، ابن كثير ، التفسير : (٣ / ١٤٢) .

^{١١٧} ينظر : ابن الجوزي ، زاد المسير : (٥ / ٢٦٨) .

^{١١٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٥٤٨) ، الشوكلي ، فتح القدير : (٣ / ٣٥٤) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٦ / ١٤٧) .

^{١١٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٥٤٨) ، الشوكلي ، فتح القدير : (٣ / ٣٥٤) .

^{١٢٠} الدارمي ، مصدر سابق : (٢ / ٥٤٧) .

^{١٢١} ابن أبي عاصم الشيباني ، مصدر سابق : (١ / ٢٦٩) .

^{١٢٢} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٥ / ١٣٣) .

^{١٢٣} الالكائي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٢٦) .

^{١٢٤} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٤٧٧) .

^{١٢٥} الديلمي ، مصدر سابق : (١ / ١٦٢) .

^{١٢٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٥٦) .

^{١٢٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٥٦١ - ٥٦٢) .

تأويل من قال : معناه أقم الصلاة لتذكرني فيها ؛ لأن ذلك أظهر معنييه ولو كان معناه حين تذكرها لكان التنزيل أقم الصلاة لذكرها (١٢٨) ، وقد أشار الحديث إلى إقامة الصلاة حتى يتقرب بها إلى الله تعالى ويذكر بها الله سبحانه .

أخرج الحديث : الطبراني (١٢٩) ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في المعجم الكبير ، وفيه إسحاق بن يحيى ولم يسمع من عبادة) (١٣٠) ، وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة (١٣١) ، وأنس بن مالك (١٣٢) .

ما جاء في قوله تعالى : [إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا] آية : ٤٠ .

(٤١٣) (أخرج ابن مردويه : عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : سألت ابن عباس عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام : [وفتناك فتونا] ، فسألت عن الفتون ما هو ؟ فقال : استأنف النهار يا ابن جبير ، فإن لها حديثا طويلا ، فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأتجز ما وعدني من حديث الفتون ، فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله عز وجل وعد إبراهيم عليه السلام من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا : ليس هذا كان وعد الله إبراهيم ، قال فرعون : فكيف ترون ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معه الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودا إلا ذبحوه ففعلوا ، فلما رأوا أن الكبار يموتون بأجالهم وأن الصغار يذبحون قالوا : يوشك أن يفنى بنو إسرائيل فتصيروا تباشروا الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فتقل أبناءهم ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثروا فتخافون مكائرتهم إياكم ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك ، فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدت علانية آمنة حتى إذا كان في قابل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن فذلك من الفتون يا ابن جبير لما دخل عليه في بطن أمه ما يراد به فأوحى الله إليها : [أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين] القصص آية ٧ ، وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ما أمرت به حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها الشيطان ، وقالت في نفسها : ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيثانه ، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند مستقى جوارى امرأة فرعون فرأينه فأخذته فهممن أن يفتح الباب فقال بعضهن لبعض : إن في هذا لمالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته بهيئته لم

١٢٨ الطبري ، التفسير : (١٦ / ١٤٧) .

١٢٩ الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٥ / ٣٥) .

١٣٠ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ٣٢٣) .

١٣١ أخرجه : مسلم ، الصحيح : (١ / ٤٧١) ، الترمذي ، السنن : (٥ / ٤١٩) .

١٣٢ أخرجه : الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ١٨٤) ، الطبراني ، المعجم الأوسط : (٦ / ١٨٢) .

يحركن منه شيئاً حتى دفعنه إليها فلما فتحت رأت فيه الغلام فألقي عليها محبة لم تلق منها على أحد من البشر قط : [وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً] القصص آية ١٠ ، من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى ، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت للذباحين : إن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل وإني آتي فرعون فأستوهبه منه فإن وهبه لي فقد أحسنتم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم ألكم فلما أتت به فرعون قالت : [قرّة عين لي ولك لا تقتلوه] القصص آية ٩ ، قال فرعون : يكون لك وأما لي فلا حاجة لي فيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون قرّة عين له كما قالت امرأته لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله عز وجل حرمه ذلك فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظئراً فكلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئراً يأخذ منها فلم يفعل ، وأصبحت أم موسى والهيا فقالت لأخته : قصي أثره واطلبه هل تسمعين له ذكراً أحي أم قد أكلته الدواب ونسيت الذي كان وعد الله فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو لا يشعر به ، فقالت : من الفرح حين أعياهم الظوائر : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟ فأخذوها ، فقالوا : وما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه ؟ حتى شكوا في ذلك ، وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في جانب الملك رجاء شفقتهم ، فتركوها فانطلقت إلى أمه فأخبرتها الخبر فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ربا وانطلق البشري إلى امرأة فرعون يبشرونها إنا قد وجدنا لابنك ظئراً ، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع قالت لها : امكثي عندي أرضعي ابني هذا فإنني لم أحب حبه شيئاً قط ، قالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيراً فعلت وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي ، فذكرت أم موسى ما كان الله عز وجل وعدا فتعاسرت على امرأة فرعون لذلك وأيقنت أن الله عز وجل منجز وعده ، فرجعت بابنها من يومها فأنبته الله نباتاً حسناً وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو إسرائيل وهم يجتمعون في ناحية القرية يمتنعون به من الظلم والسخرة منذ كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تريني ابني فوعدها يوماً تزورها فيه به ، فقالت لخزانها وجواربها وقهارمتها : لا يبقى منكم اليوم واحد إلا استقبل ابني بهدية وكرامة أرى ذلك فيه وأنا باعثة أمينا يحضر ما صنع كل إنسان منكم فلم تزل الهدايا والنحل والكرامة تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل عليها ، فلما دخل عليها أكرمته ونحلته وفرحت به وأعجبها ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت لأنطلقن به إلى فرعون فلينحله وليكرمنه ، فلما دخلت به عليه وجعلته في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض فقالت له الغواة من أعداء الله : ألا ترى إلى ما وعد الله إبراهيم إنه يرثك ويصرعك وبعوك ، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به فتونا ، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي ؟ قال : ألا ترينه يزعم أنه سيصرعني

ويعلونى ، قالت له : اجعل بينى وبينك أمرا تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أن يعقل وإن هو تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحد لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ؟ فلما قرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين أخذ الجمرتين فانترعهما منه مخافة أن يحرقا بدنه ، فقال للمرأة : لا يذبح ، وصرفه الله عنه بعد أن كان هم به وكان الله بالغ أمره فيه فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا بسخرة حتى امتنعوا كل الإمتناع ، فبينما هو يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى واشتد غضبه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم إلا أن ذلك من الرضاع من أم موسى إلا أن يكون الله تعالى أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع غيره عليه فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله وموسى والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل : [هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين] القصص آية ١٥ ، ثم قال : [ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم] القصص آية ١٧ ، فأتي فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم ، فقال : ائتوني به ومن شهد عليه فإن الملك وإن كان صفوه مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا علم ذلك آخذ لكم بحقكم فبينما هم يطوفون فلا يجدون بينة ولا ثبنا إذا موسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان من وكزه الذي رأى فغضب من الإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم وقال : [إنك لغوي مبين] القصص آية ١٨ ، فنظر الإسرائيلي إلى موسى حين قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس فخاف بعدما قال له : إنك لغوي مبين أن يكون إياه أراد وإنما أراد الفرعوني فقال : يا موسى : [أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس] القصص آية ١٩ ، وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فيتداركا فانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي حين يقول : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ، فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هينتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم وجاء رجل من شيعة موسى : [من أقصى المدينة] القصص آية ٢٠ فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء مثل ذلك وليس له بالطريق علم ، الأحسن ظنه بربه فإنه قال : [عسى ربي أن يهديني سواء السبيل] القصص آية ٢٢ ، [ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان] القصص آية ٢٣ ، يعني فلم تسقيا غنمهما : [قال ما خطبكما] القصص آية ٢٣ ، معتزلتين لا تسقيان مع الناس قالتا ليست لنا قوة نزاحم القوم وإنما ننتظر فضول حياضهم : [فسقى لهما] القصص آية ٢٤ ، فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا حتى كانتا أول الرعاة فراغا ، فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما وانصرف موسى إلى شجرة فاستظل بها فقال : رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ، فاستنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا وقال : إن لكما اليوم لشأنا فحدثناه بما صنع موسى ، فأمر

إحدهما أن تدعوه له فأنته فدعته ، فلما كلمه قال : [لا تخف نجوت من القوم الظالمين] القصص آية ٢٥ ، ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته ، قالت ابنته : [يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين] القصص آية ٢٦ ، فحملته الغيرة أن قال : وما يدريك ما قوته وما أمانته ، قالت : أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه حين سقى لنا وأمانته فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أني امرأة صوب رأسه ولم يرفعه ولم ينظر إلي حين أقبلت إليه حتى بلغته رسالتك ، فقال لي : امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يقل هذا إلا وهو أمين ، فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت ، فقال : هل لك : [أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك] القصص آية ٢٧ ، ففعل وكانت على موسى ثماني حجج واجبة وكانت ستتان عدة منه فقضى الله عدته فأتمها عشرا ، قال سعيد : فسألني رجل من أهل النصرانية من علمائهم هل تدري أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا ، وأنا يومئذ لا أعلم ، فلقيت ابن عباس فذكرت له الذي قال النصراني ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانيا واجبة لم يكن موسى لينتقص منها وتعلم أن الله تعالى كان قاضيا عن موسى عدته التي وعد فإنه قضى عشرا فأخبرت النصراني ، فقال : الذي أخبرك بهذا هو أعلم منك ، قلت : أجل وأولى سار موسى بأهله ورأى من أمر النار ما قص الله عليك في القرآن وأمر العصا ويده فشكا إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام فسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون ليكون له رداء ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به فأثاه الله سؤله فحل عقدة من لسانه وأوحى إلى هارون وأمره أن يلقي موسى فاندفع موسى بالعصا ولقي هارون فانطلقا جميعا إلى فرعون فأقاما ببابه حين لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا : إنا رسولا ربك : فقال : ومن ربكما يا موسى ، فأخبراه بالذي قص الله في القرآن ، قال : فما تريدان وذكره بالقتيل فاعتذر بما قد سمعت قال : أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل ، فأبى عليه ذلك وقال : ائت بآية إن كنت من الصادقين فألقى بعصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه خافها فارتجف عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل وأخرج يده من جيبه بيضاء من غير سوء يعني : برص ثم أعادها إلى كفه فصارت إلى لونها الأول فاستشار الملاء فيما رأى ، فقالوا له : هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ، يعنون : ملكهم الذي هم فيه والعيش فأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له : أجمع لهم السحرة فإنهم بأرضنا كثير حتى تغلب بسحرهم سحرهما : [فأرسل فرعون في المدائن حاشرين] الشعراء آية ٥٤ ، فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيات والحبال ، قال : فلا والله ما في الأرض قوم يعملون بالحيات والحبال والعصي بالسحر ما نعمل به فما أجرنا إن غلبناه ؟ قال لهم : أنتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع بكم كل شيء أحببتم فتواعدوا ليوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ، قال سعيد : فحدثني ابن عباس إن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة وهو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد واحد ، قال الناس بعضهم لبعض : اذهبوا بنا فلنحضر هذا الأمر ونتبع السحرة : [إن كانوا

هم الغالبين [الشعراء آية ٤٠ ، يعنون بذلك موسى وهارون استهزاء بهما ، فقالوا : يا موسى لقدرتهم بسحرهم : [إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين] الأعراف آية ١١٥ ، قال : ألقوا ، [فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون] الشعراء آية ٤٤ ، فرأى موسى من سحرهم ما أوجس منه خيفة فأوحى الله إليه [أن ألق عصاك] القصص آية ٣١ ، فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيما فاغرة فاها فجعل العصا بدعوة موسى تلتبس بالحبال حتى صارت جردا إلى الثعبان حتى تدخل فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبالا إلا ابتلعته فلما عاين السحرة ذلك قالوا : لو كان هذا سحرا لم تبتلع من سحرنا كل هذا ، ولكن هذا من أمر الله عز وجل فأما بالله وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله عز وجل مما كنا فيه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه فظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون [فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين] الأعراف الآيات ١١٩ ، وامرأة فرعون بارزة مبتذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون فمن رآها من آل فرعون ظن أنها تبذلت شفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى ، فلما طال مكث موسى لمواعد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعد عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كشف ذلك عنه نكث عهده واختلف وعده حتى أمر موسى بقومه فخرج بهم ليلا فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا بعث في المدينة وحولها حاشرين فتبعتهم جنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبدي موسى فانفرق له اثني عشر فرقا حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق بعد على من بقي من قوم فرعون وأشياعه ، فسي موسى أن يضرب بعصاه فدفع إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى : [إنا لمدركون] الشعراء الآيات ٦١ ، فافعل ما أمرك به ربك فإنك لم تكذب ولم تكذب ، قال : وعدني ربي إذا انتهيت إلى البحر أن ينفرق لي حتى أجوز ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب البحر حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره الله وكما وعد موسى فلما جاز أصحاب موسى كلهم ودخل أصحاب فرعون كلهم التقى البحر عليهم كما أمره الله عز وجل فما أن جاوز البحر قال أصحاب موسى : [إنا لمدركون] الشعراء الآيات ٦١ ، إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نأمن هلاكه فدعا ربه فأخرجه له بيدنه من البحر حتى استيقنوا ، ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا : [يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون] الأعراف آية ١٣٨ ، قد رأيتم من العبر ما يكفيكم وسمعتم به فمضى حتى أنزلهم منزلا ثم قال لهم : أطيعوا هارون فإنني قد استخلفته عليكم وإني ذاهب إلى ربي وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوما فصامهن ليلهن ونهارهن كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فمضغه ، فقال له ربه : حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان ، قال : يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا فمي طيب الريح ، قال : وما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ارجع حتى تصوم عشرة أيام ثم اتني ، ففعل موسى الذي أمره الله به فلما رأى قوم موسى أنه لم يأتهم للأجل ساءهم ذلك وقد كان هارون خطبهم وقال لهم : إنكم خرجتم من مصر وعندكم ودائع لقوم فرعون وعوار ولكم فيهم مثل ذلك وأنا أرى أن تحتسبوا ما كان لكم عندهم ولا أحل لكم وديعة

استودعتموها أو عارية ولسنا نرى أداء شيء من ذلك إليهم ولا ممسكيه ، فحفر حفرة وأمر كل قوم عندهم شيء من ذلك من متاع أو حلية بأن يدفونه في الحفرة ثم أوقد عليه النار فأحرقه وقال : لا يكون لنا ولا لهم ، وكان السامري رجلا من قوم يعبدون البقر ليس من بني إسرائيل جار لهم فاحتمل مع بني إسرائيل حين احتملوا فقبض له أن رأى أثر الفرس فقبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون : يا سامري ألا تلقي ما في يديك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك ، فقال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر فلا ألقها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد ، قال : فألقاها ودعا له هارون ، قال : أريد أن يكون عجلا فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع نحاس أو حديد أو حلى فصار عجلا أجوف ليس فيه روح له خوار ، فقال ابن عباس : والله ما كان له صوت ولكن الريح كانت تدخل في دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك ، فنفرق بنو إسرائيل فقالت فرقة : يا سامري ما هذا فإنك أنت أعلم به ؟ فقال : هذا ربكم ولكن موسى أخطأ الطريق ، فقالوا : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن يك ربنا لم يكن ضيعنا وعجزنا حين رأيناه وإن لم يكن ربنا فإننا نتبع قول موسى ، وقالت فرقة : هذا من عمل الشيطان وليس ربنا ولا نصدق به ولا نؤمن به وأشرب فرقة في قلوبهم التصديق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب وقال لهم هارون : يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن وليس بهكذا ، قالوا : فما بال موسى وعدنا ثلاثين ليلة ثم أخلفنا فهذه أربعون ليلة فقال سفهاؤهم : أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه ، فلما كلم الله موسى وقال ما قال له وأخبره بما لقي قومه من بعده فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم في القرآن وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه من الغضب غير أنه عذر أخاه واستغفر ربه ثم انصرف إلى السامري فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت وعميت عليكم فقدفتها وكذلك سولت لي نفسي ، قال : فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس إلى قوله : في اليم نسفا ، ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغبط الذين كان رأيهم رأي هارون فقالوا : يا موسى سل ربك أن يفتح لنا باب توبة نعملها ونكفر عنا ما عملنا فاختر موسى من قومه سبعين رجلا لذلك لا يألون لخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم ليسأل ربهم التوبة فرجفت الأرض بهم فاستحيا موسى عليه السلام من قومه ووفده حين فعل بهم ذلك ، فقال : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء ، ومنهم من قد اطلع الله منه على ما أشرب قلبه العجل والإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض ، فقال : رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ، فقال : رب سألتك التوبة لقومي فقلت : إن رحمتك كتبتها لقوم غير قومي فليتك أخرتني حتى أخرج في أمة ذلك الرجل المرحومة ، قال الله عز وجل : فإن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والد أو ولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قبل ذلك الموطن ، فتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون وما طلع الله عابهم من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول ، ثم سار بهم موسى متوجها نحو الأرض المقدسة فأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمره الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها حتى نتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون

ينظرون الأرض والكتاب الذي أخذوه بأيديهم وهم ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا فيها مدينة جبارين خلقهم خلق منكر وذكروا من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها فقالوا : يا موسى إن فيها قوم جبارين لا طاقة لنا اليوم بهم ولا ندخلها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون قال رجلان من الجبارين : آما بموسى فخرجنا إليه فقالا : نحن أعلم بقومنا إن كنتم تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم ليس لهم قلوب ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، ويقول أناس ، إنهما من قوم موسى ، وزعم سعيد : أنهما من الجبارين آما بموسى ، يقول : من الذين يخافون أنعم الله عليهما ، وإنما يعني بذلك الذين يخافهم بنو إسرائيل ، فقالوا : [يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون] المائدة آية ٢٤ ، فأغضبوا موسى فدعا عليهم فسامهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى فيهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فدعا عليهم فاستجاب الله له وسامهم كما سامهم موسى فاسقين فحرمها عليهم أربعين يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ، ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاث عيون وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها لا يرتحلون بها من مرحلة إلا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول) ١٣٣ .

أخرج الحديث : النسائي^{١٣٤} ، وأبو يعلى^{١٣٥} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه)^{١٣٦} ، والهيثمي^{١٣٧} ، وقال : (رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب ، وهما ثقتان)^{١٣٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى] آية : ٧٤ .
(٤١٤) (أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فأتى على هذه الآية : [إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا بأهلها فإن النار تميتهم إماتة ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم ضبائر على نهر يقال له : الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت القثاء في حميل السيل)^{١٣٩} .

^{١٣٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٥٦٩ / ٥) ، وما بعدها .

^{١٣٤} النسائي ، السنن الكبرى : (٣٩٦ / ٦) .

^{١٣٥} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١٠ / ٥) .

^{١٣٦} الحاكم ، المستدرک : (٢٥٨ / ٢) .

^{١٣٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٥٦ / ٧) .

^{١٣٨} المصدر السابق : (٦٦ / ٧) .

^{١٣٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥٨٧ / ٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣٧٧ / ٣) ، الألويسي ، مصدر سابق : (٢٣٥ / ١٦) .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون : إنه من يأت ربه من خلقه مجرما ، يقول : مكتسبا الكفر به ، فإن له جهنم ، يقول : فإن له جهنم مأوى ومسكنا جزاء له على كفره ، لا يموت فيها ، فتخرج نفسه ، ولا يحيا ، فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن ولكنها تتعلق بالحناجر منهم)^{١٤٠} ، وأشار الحديث إلى عدم موت أهل النار ولا يحيون فيها حياة مستقرة فيها .
أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٤١} ، مسلم^{١٤٢} ، وأبو يعلى^{١٤٣} ، وابن حبان^{١٤٤} ، وابن منده^{١٤٥} .

^{١٤٠} الطبري ، التفسير : (١٦ / ١٩٠) .

^{١٤١} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ١١) .

^{١٤٢} مسلم ، الصحيح : (١ / ١٧٢) .

^{١٤٣} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٢ / ٥١٨) .

^{١٤٤} ابن حبان ، الصحيح : (١ / ٤١١) .

^{١٤٥} ابن منده ، مصدر سابق : (٢ / ٨٠٨) .

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء نزلت بمكة^{١٤٦} ، (قال القرطبي : مكية في قول الجميع)^{١٤٧} ، وهي تتحدث عن الأقوام التي مضت وعن أنبياء الله تعالى الذين أرسلوا إليهم •

(٤١٥) ((أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن عباس قال : نزلت سورة الأنبياء بمكة) ، (٤١٦) (وأخرج : عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت سورة الأنبياء بمكة))^{١٤٨} •

ما جاء في قوله تعالى : [ونضعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكفى بنا حاسبين] آية : ٤٧ •

(٤١٧) (أخرج ابن مردويه : عن عائشة رضي الله عنها ، أن رجلا قال : يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل ، فجعل الرجل يبكي ويهتف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما تقرأ كتاب الله : [ونضع المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكفى بنا حاسبين] ، فقال الرجل : يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئا خيرا من مفارقتهم ، أشهدك أنهم أحرار)^{١٤٩} •

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره ونضع المَوازِينَ العدل وهو القسط وجعل القسط وهو موحد من نعت المَوازِينَ وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر ، ليوم القيامة ، يقول : لأهل يوم القيامة ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه ، وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى في كأن معناه عنده : ونضع المَوازِينَ القسط في يوم القيامة ، فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، يقول فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنوب لم يعملها أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها ولكن يجازي المحسن بإحسانه ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته)^{١٥٠} ، وقال البيضاوي : (ونضع المَوازِينَ القسط ، العدل توزن بها صحائف الأعمال ، وقيل : وضع المَوازِينَ تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف

^{١٤٦} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٨) ، الطبري ، التفسير : (١٧ / ١) •

^{١٤٧} القرطبي ، مصدر سابق : (١١ / ٢٦٦) •

^{١٤٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٦١٥) ، الألويسي ، مصدر سابق : (١٧ / ٢) •

^{١٤٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٦٣٢ - ٦٣٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٤١٢) •

^{١٥٠} الطبري ، التفسير : (١٧ / ٣٣) •

به للمبالغة ، ليوم القيامة ، لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه كقولك جئت لخمسة خلون من الشهر ، فلا تظلم نفس شيئا ، من حقها أو من الظلم ، وإن كان مثقال حبة من خردل ، أي : وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة ، ورفع نافع مثقال على كان التامة ، أتينا بها ، أحضرناها ، وقرىء : آتينا ، بمعنى : جازينا بها من الإيتاء فإنه قريب من أعطينا أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأتينا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأتيه لإضافته إلى حبة ، وكفى بنا حاسبين ، إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (١٥١) .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٥٢} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن غزوان ، وقد روى ابن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث) (١٥٣) ، والبيهقي^{١٥٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [يومَ نطوي السَّمَاءَ كطَيِّ السَّجْلِ للكتبِ كما بدأنا أوَّلَ خلقِ نُعيدُهُ وعداً علينا إنا كنا فاعلين] آية : ١٠٤ .

(٤١٨) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى : [يومَ نطوي السماء كطي السجل للكتب] ، قال : السجل هو الرجل ، زاد ابن مردويه : والسجل هو الرجل بالحبشة) (١٥٥) .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : لا يحزنهم يوم نطوي السماء ، فيوم من صلة يحزنهم ، واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو اسم ملك من الملائكة ، وقال آخرون : السجل رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل هو الصحيفة التي يكتب فيها ، وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : السجل في هذا الموضع الصحيفة لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه ، فإن قال قائل : وكيف تطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة ؟ قيل : ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه يوم نطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ثم جعل نطوي مصدرا ، فقيل : كطي السجل للكتاب ، واللام في قوله للكتاب بمعنى على) (١٥٦) .

أخرج الحديث : الطبراني^{١٥٧} ، والبيهقي^{١٥٨} .

^{١٥١} البيضاوي ، مصدر سابق : (٩٦ / ٤) .

^{١٥٢} الإمام أحمد ، المسند : (٢٨٠ / ٦) .

^{١٥٣} الترمذي ، السنن : (٣٢٠ / ٥) .

^{١٥٤} البيهقي ، شعب الإيمان : (٣٧٧ / ٦) .

^{١٥٥} ابن حجر ، الإصابة : (٣٣ - ٣٤) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٦٨٤ / ٥) ، شمس الحف عظيم آبادي ، مصدر سابق : (١١٠ / ٨) ،

الشوكاني ، فتح القدير : (٤٣٢ / ٣) .

^{١٥٦} الطبري ، التفسير : (٩٩ / ١٧) .

^{١٥٧} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٧٠ / ١٢) .

^{١٥٨} البيهقي ، السنن الكبرى : (١٢٦ / ١٠) .

سورة الحج

سورة الحج نزلت بالمدينة المنورة^{١٥٩}، قال القرطبي : (وهي من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحريريا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابهها مختلف العدد)^{١٦٠}، وهو يشير بهذا إلى بعض الآيات التي نزلت بمكة منها .

(٤١٩) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الحج بالمدينة) ، (٤٢٠))
وأخرج : عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت بالمدينة سورة الحج)^{١٦١} .

ما جاء في قوله تعالى : [وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطانُ في أمنيه فينسخُ الله ما يلقي الشيطانُ ثم يحكمُ الله آياته والله عليمٌ حكيمٌ] آية : ٥٢ .

(٤٢١) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، ففرح المشركون بذلك وقالوا : قد ذكر آلهتنا ، فجاءه جبريل فقال : اقرأ علي ما جئتك به فقرأ : أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فقال : ما أتيتك بهذا هذا من الشيطان ، فأنزل الله : [وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى] ، إلى آخر الآية)^{١٦٢} .

الآية في ذكر القصة عن الغرائق وما كان من أمر إلقاء الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو السعود : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ، الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبيا بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ، وقيل : الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له ، وقيل : الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحي إليه في المنام ، إلا إذا تمنى ، أي : هيا في نفسه ما يهواه ، ألقى الشيطان في أمنيه ، في تشبيهه ما يوجب اشتغاله بالدنيا ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه وإرشاده إلى ما يزيحه ، ثم يحكم الله آياته ، أي : يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في شؤون الحق ، والله عليم ، مبالغ في العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفصل عمدا أو خطأ ، حكيم ، في كل ما

^{١٥٩} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) ، الطبري ، التفسير : (١٧ / ١٠٩) ، ابن كثير ، التفسير : (٣ / ٢٠٤) .

^{١٦٠} القرطبي ، مصدر سابق : (١ / ١٢) .

^{١٦١} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٤٣٤) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٧ / ١٠٩) .

^{١٦٢} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٩٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٦٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٤٦٣) .

يفعل ، قيل : حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت ، وقيل : تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ : ومناة الثالثة الأخرى ، وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال : تلك الغرائق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ، ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ، ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية ، وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه ، وقيل : تمنى بمعنى قرأ كقوله : تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل ، وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى : فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، لأنه أيضا يحتمله ، وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة إليهم^{١٦٣} ، قال المباركفوري : (قال صاحب العرف الشذي : التحقيق أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا اللفظ يعني : تلك الغرائق العلى ، إلخ ، بطوعه وأنه آية من القرآن نسخ تلاوتها ، قال : والمشار إليه بتلك الغرائق ، الملائكة ، قال : وأتى العيني والحافظ بروايتين صحيحتين مرفوعتين على هذا القول الصحيح انتهى كلامه ، قلت : كلامه هذا مردود عليه فإنه لم يثبت برواية مرفوعة صحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا اللفظ بطوعه وأنه آية من القرآن نسخ تلاوتها ، وأما قوله : وأتى العيني والحافظ بروايتين صحيحتين مرفوعتين على هذا القول الصحيح ، فخطأ فاحش ووهم قبيح فإنه لم يأت العيني ولا الحافظ برواية مرفوعة صحيحة على هذا القول فضلا عن روايتين مرفوعتين صحيحتين)^{١٦٤} ، والحديث أشار إلى هذا .

أخرج الحديث : الطبراني^{١٦٥} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)^{١٦٦} .

^{١٦٣} أبو السعود ، مصدر سابق : (١١٣ / ٦) .

^{١٦٤} المباركفوري ، مصدر سابق : (١٣٨ / ٣) .

^{١٦٥} الطبراني ، المعجم الكبير : (٥٣ / ١٢) .

^{١٦٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١١٥ / ٧) .

سورة الأعراف

سورة الأعراف مكية^١، (٢٣٢) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : سورة الأعراف نزلت بمكة) ، (٢٣٣) (وأخرج : عن عبد الله بن الزبير قال : أنزل بمكة الأعراف))^٢ .
وقد تضمنت السورة الكثير من مشاهد يوم القيامة ، وبيان عذاب الكافرين ، ونعيم المؤمنين الصادقين ، مما يدعو الناس للإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر والبعث والنشور والأنبياء والملائكة ، ولم أقف على تخريج الحديثين .

ما جاء في قوله تعالى : [فلنستلنَّ الذين أرسلَ إليهم ولنستلنَّ المرسلينَ] آية : ٦ .

(٢٣٤) (قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم^٣ ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن^٤ ، حدثنا أبو سعيد سنان^٥ ، حدثنا المحاربي^٦ ، عن الليث^٧ ، عن نافع^٨ ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ؛ فالإمام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله والمرأة تسأل عن بيت زوجها والعبد يسأل عن مال سيده)^٩ .

الإشارة في هذه الآية واضحة بينة وهي أن الله تعالى يسأل المرسلين مع علمه عنهم كل شيء عن تبليغهم الرسالة التي أمر بها ، وهو مع هذا يسأل الذين أرسل إليهم المرسلين حتى تقوم الحجة على الذيت لم يتبعوا أمر الله تبارك وتعالى ، ثم أكد الحديث هذا ، حيث اعتبر الجميع مسؤولين عن رعاياهم ، قال ابن حجر : (قوله عليه الصلاة والسلام : كلكم راع ، يعم جميع الناس ، فيدخل فيه المرعى أيضا ، فالجواب : أنه مرعى باعتبار حتى ولو لم يكن له

^١ ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) .

^٢ السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٤١٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١٨٧) .

^٣ ينظر : الحديث رقم : (٥٤) .

^٤ (ابن متويه الإمام المأمون القدوة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسن بن متويه الأصبهاني إمام جامع أصبهان ، كان من العباد والسادة يسرد الصوم وكان حافظا حجة من معادن الصدق ويعرف أيضا بأبه وبابن فيرة الطيان ، سمع بالشام والعراق والحرم ومصر سمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وبشر بن معاذ وأحمد بن منيع ومحمد بن هاشم البعلبكي وعبد الجبار بن العلاء العطار وهشام بن خالد الأزرق ومحمد بن إسماعيل بن علية وهناد بن السري وأبا همام الوليد بن شجاع ويونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان وطبقتهم فأكثر وجود ، حدث عنه أبو الشيخ ابن حبان وأبو القاسم الطبراني وأبو علي ابن هارون وأبو أحمد العسال وأحمد بن بندار الشعار وأبو بكر بن المقرئ وقال : هو أول شيخ كتبت عنه الحديث ، وقال أبو الشيخ : كان من معادن الصدق ، وقال أبو نعيم : كان من العباد الفضلاء ، مات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاث مائة) ، الذهبي ، السير : (١٤ / ١٤٢ - ١٤٣) .

^٥ لم أقف على ترجمته .

^٦ لم أقف على ترجمته .

^٧ ينظر : الحديث رقم : (٣١) .

^٨ ينظر : الحديث رقم : (٣٦) .

^٩ ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٠٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٤١٦) .

أحد كان راعيا لجوارحه وحواسه ، لأنه يجب عليه أن يقوم بحق الله وحق عباده (١٠) ، و (الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما أوتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه ، وكلكم مسئول عن رعيته ، أي : في الآخرة فإن وفي ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر وإلا طالبه كل أحد منهم بحقه) (١١) .
أخرج الحديث ، الإمام أحمد^{١٢} ، والبخاري^{١٣} ، ومسلم^{١٤} ، وأبو داود^{١٥} ، والترمذي^{١٦} ، وابن حبان^{١٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون] الآيتان : ٨ - ٩ .

(٢٣٥) (أخرج ابن مردويه : عن أنس رفعه قال : إن ملكا موكل بالميزان ، فيؤتى بالعبء يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه نادى الملك : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا) (١٨) .

قال الطبري : (معنى الكلام : والوزن يوم نسال الذين أرسل إليهم والمرسلين الحق ، ويعني بالحق العدل ، وكان مجاهد يقول : الوزن في هذا الموضع القضاء ، وقال آخرون : معنى قوله والوزن يومئذ الحق وزن الأعمال ، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : فمن ثقلت موازينه ، فقال بعضهم : معناه فمن كثرت حسناته ، وقال آخرون : معنى ذلك فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته ، قالوا : وذلك هو الميزان الذي يعرفه الناس له لسان وكفتان ، والصواب من القول في ذلك عندي القول : من أن ذلك هو الميزان المعروف الذي يوزن به وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات ، فمن ثقلت موازينه ، موازين عمله الصالح فأولئك هم المفلحون ، يقول : فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات والخلود والبقاء في الجنات) (١٩) ، ثم قال : (يقول جل ثناؤه : ومن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله والإيمان به وبرسوله واتباع أمره ونهيه فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته ، بما كانوا بآياتنا يظلمون ، يقول : بما كانوا بحجج الله وأدلتها يجحدون فلا يقرون بصحتها ولا يوقنون بحقيقتها) (٢٠) ، وقال ابن كثير : (يقول تعالى : والوزن ، أي : للأعمال يوم القيامة ، الحق ، أي : لا يظلم تعالى أحدا ، والذي يوضع

^{١٠} ابن حجر ، فتح الباري : (٢ / ٣٨١) .

^{١١} شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٨ / ١٠٤) .

^{١٢} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٥) ، (٢ / ٥٤) .

^{١٣} البخاري ، الصحيح : (٢ / ٨٤٨) ، (٢ / ٩٠١) .

^{١٤} مسلم ، الصحيح : (٣ / ١٤٥٩) .

^{١٥} أبو داود ، السنن : (٣ / ١٣٠) .

^{١٦} الترمذي ، السنن : (٤ / ٢٠٨) .

^{١٧} ابن حبان ، الصحيح : (١٠ / ٣٤٢) .

^{١٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٤١٩) .

^{١٩} الطبري ، التفسير : (٨ / ١٢٣) .

^{٢٠} المصدر السابق : (٨ / ١٢٤ - ١٢٥) .

في الميزان يوم القيامة ، قيل : الأعمال وإن كانت أعراضاً إلا أن الله تعالى يقبلها يوم القيامة أجساماً ، وقيل : يوزن كتاب الأعمال ، وقيل : يوزن صاحب العمل ، فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم^{٢١} ، وقد دل الحديث على وزن فاعل الأعمال .
أخرج الحديث : الحارث بن أبي أسامة^{٢٢} ، والديلمي^{٢٣} ، والهيثمي ، وقال : (فيه صالح المري ، وهو مجمع على ضعفه)^{٢٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ]
آية : ١٢ .

(٢٣٦) (أخرج ابن مردويه : عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله الملائكة من نور العرش ، وخلق الجان من مارح من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)^{٢٥} .
قال الطبري : (هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قبيله لإبليس إذ عصاه فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له يقول قال الله لإبليس : ما منعك ، أي شيء منعك ألا تسجد أن تدع السجود لآدم إذ أمرتك أن تسجد ؟ قال : أنا خير منه ، يقول قال إبليس : أنا خير من آدم خلقتني من نار وخلقته من طين)^{٢٦} ، وقال القرطبي : (قوله : ما منعك ، أي : أي شيء منعك وهذا سؤال توبيخ ، قيل : في الكلام حذف ، والتقدير : ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى ألا تسجد ، قال العلماء : الذي أحوجه إلى ترك السجود هو الكبر والحسد وكان أضمر ذلك في نفسه إذا أمر بذلك وكان أمره من قبل خلق آدم يقول الله تعالى : [إني خالق بشرٍ من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين] ، فكأنه دخله أمر عظيم من قوله : فقعوا له ساجدين ، قوله تعالى : قال أنا خير منه ، أي : منعني من السجود فضلي عليه فهذا من إبليس جواب على المعنى ، فرأى أن النار أشرف من الطين لعلوها وصعودها وخفتها ولأنها جوهر مضيء ، وقالت الحكماء : أخطأ عدو الله من حيث فضل النار على الطين وإن كانا في درجة واحدة من حيث هي جماد مخلوق فإن الطين أفضل من النار من وجوه أربعة ، أحدها : أن جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والأناة والحلم والحياء والصبر وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه المغفرة والاجتباء والهداية ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع والاضطراب وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء قاله القفال ، الثاني : إن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك

^{٢١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٠٣) .

^{٢٢} الحارث بن أبي أسامة ، مصدر سابق : (٢ / ١٠٠٤) .

^{٢٣} الديلمي ، مصدر سابق : (٥ / ٤٦٢) .

^{٢٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٥٠) .

^{٢٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٠٤) .

^{٢٦} الطبري ، التفسير : (٨ / ١٢٩) .

أذفر ولم ينطق الخبر بأن في الجنة نارا وأن في النار ترابا ، الثالث : أن النار سبب العذاب وهي عذاب الله لأعدائه وليس التراب سببا للعذاب ، الرابع : أن الطين مستغن عن النار والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب ، ويحتمل قولاً خامساً : وهو أن التراب مسجد وطهور^{٢٧} ، فقد بين الحديث كون إبليس عليه اللعنة من الجن ، وأنه خلق من نار ، قال النابوي : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، أي : من نار مختلطة بهواء مشتعل ، والمرج الاختلاط فهو من عنصرين هواء ونار ، كما أن آدم من عنصرين تراب وماء عجن به فحدث له اسم الطين كما حدث للجان اسم المارج ، وخلق آدم مما وصف لكم ببناء وصف للمفعول ، أي : بما وصفه الله لكم في مواضع من كتابه ففي بعضها أنه خلقه من ماء وفي بعضها من تراب وفي بعضها من المركب منهما وهو الطين وفي بعضها من تراب وفي بعضها من صلصال وهو طين ضربته الشمس والريح حتى صار كالفضار)^{٢٨} .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٢٩} ، وعبد بن حميد^{٣٠} ، ومسلم^{٣١} ، والبيهقي^{٣٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [فدلّهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرةَ بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفانِ عليهما من ورق الجنةِ ونادهما ربُّهما ألم أنهما عن تلكما الشجرةِ وأقل لكم إنَّ الشيطانَ لكما عدوٌّ مبينٌ] آية : ٢٢ .
 (٢٣٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان آدم رجلاً طويلاً كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس ، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها ، فانطلق هاربا في الجنة ، فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أرسليني ؟ فقالت : إنني غير مرسلتك ، فناداه ربه عز وجل : يا آدم أمني تفر ؟ قال : يا رب إنني استحييتك)^{٣٣} .
 (٢٣٨) (وأخرج : عن ابن عباس قال : كان لباس آدم وحواء كالظفر ، فلما أكلا من الشجرة لم يبق عليهما إلا مثل الظفر ، وطفقا يخصفان من ورق الجنة ، قال : ينزعان ورق التين فيجعلانه على سوءاتهما)^{٣٤} .
 قال الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله : فدلاهما بغرور ، فخدعهما بغرور ، يقال : منه ما زال فلان يدلي فلانا بغرور ، بمعنى : ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل ، فلما ذاقا الشجرة ، يقول : فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة ، يقول : طعماه ، بدت لهما سوءاتهما ، يقول : انكشفت لهما سوءاتهما ؛ لأن الله عراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطئا أو المعصية التي

^{٢٧} القرطبي ، مصدر سابق : (٧ / ١٧٠ - ١٧١) .

^{٢٨} المناوي ، مصدر سابق : (٣ / ٤٥٠) .

^{٢٩} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ١٥٣) ، (٦ / ١٦٨) .

^{٣٠} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٤٣٠) .

^{٣١} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٢٩٤) .

^{٣٢} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٣) .

^{٣٣} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٠٧) .

^{٣٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٤٣٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١٩٦) .

ركبا ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، يقول : أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليواربا سواتهما (٣٥) ، وقال ابن الهائم : (فدلأهما بغرور ، يقال لكل من ألقى إنسانا في بلية : قد دلأه في كذا ، والغرور هو إظهار النصح مع إبطان الشر ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، جعللا يلصقان عليهما من ورق التين وهو يتهافت عنهما ، يقال : طفق يفعل كذا وأقبل يفعل كذا وجعل يفعل كذا بمعنى واحد ، ويخصفان يلصقان الورق بعضه على بعض ، ومنه خصفت نعلي إذا أطبقت رقعة وأطبقت طاقا على طاق) (٣٦) ، وقال البيضاوي : (فدلأهما ، فنزلهما إلى الأكل من الشجرة ، نبه به على انه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة ، فإن التذلية والإدلاء إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل ، بغرور ، بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا أو ملتبسين بغرور ، فلما ذاقا وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما ، واختلف في أن الشجرة كانت السنبله أو الكرم أو غيرها ، وان اللباس كان نورا أو حلة أو ظفرا ، وطفقا يخصفان ، أخذوا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة ، قيل : كان ورق التين ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو ، وفيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم) (٣٧) .

أخرج الحديث الأول عن أبي بن كعب : عبد الرزاق (٣٨) ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٣٩) .

وأخرج الحديث الثاني : الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٤٠) ، والبيهقي (٤١) .

ما جاء في قوله تعالى : [يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين] آية : ٣١ .

(٢٣٩) (أخرج ابن مردويه : عن أنس مرفوعا : أنها نزلت في الصلاة في النعال) (٤٢) .

(٢٤٠) (وأخرج : عن ابن عباس في قوله : [خذوا زينتكم عند كل مسجد] ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله بالزينة ، والزينة اللباس وهو ما يوارى السوءة) (٤٣) .

^{٣٥} الطبري ، التفسير : (١٤٢ / ٨) .

^{٣٦} ابن الهائم المصري ، مصدر سابق : (٢٠٢ / ١) .

^{٣٧} البيضاوي ، مصدر سابق : (١٣ / ٣) .

^{٣٨} عبد الرزاق ، المصنف : (٤٠٠ / ٣) .

^{٣٩} الحاكم ، المستدرک : (٢٨٨ / ٢) .

^{٤٠} المصدر السابق : (٣٥٠ / ٢) .

^{٤١} البيهقي ، السنن الكبرى : (٢٤٤ / ٢) .

^{٤٢} ابن كثير ، التفسير : (٢١١ / ٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤٤١ / ٣) .

^{٤٣} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١١٧ / ١٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤٣٩ / ٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢٠١ / ٢) .

(٢٤١) (وأخرج : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوا زينة الصلاة ، قالوا : وما زينة الصلاة ؟ قال : البسوا نعالكم فصلوا فيها)^{٤٤} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرون عند طوافهم بيته الحرام ويبدون عوراتهم هنالك من مشركي العرب والمحرمين منهم أكل ما لم يحرمه الله عليهم من حلال رزقه تبررا عند نفسه لربه : يا بني آدم خذوا زينتكم من الكساء واللباس عند كل مسجد ، وكلوا من طيبات ما رزقتكم وحللته لكم واشربوا من حلال الأشربة ولا تحرموا إلا ما حرمت عليكم في كتابي أو على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم)^{٤٥} ، وقال البغوي : (قوله تعالى : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، قال أهل التفسير : كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة فأنزل الله عز وجل : [يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد] ، يعني الثياب ، قال مجاهد : ما يوارى عورتك ولو عباءة ، وكلوا واشربوا ، قيل : كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم ، فقال المسلمون : نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فأنزل الله عز وجل : [وكلوا] ، يعني : اللحم والدسم : [واشربوا ولا تسرفوا] ، بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم ، إنه لا يحب المسرفين ، الذين يفعلون ذلك ، قال ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأت خصلتان سرف ومخيلة)^{٤٦} ، وقال أبو السعود : (يا بني آدم خذوا زينتك ، أي : ثيابكم لمواراة عورتكم ، عند كل مسجد ، أي : طواف أو صلاة ، ومن السنة : أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة ، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة ، وكلوا واشربوا ، مما طاب لكم ، ولا تسرفوا ، بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام والشرب عليه ، قال علي ابن الحسين بن واقد : جمع الله الطب في نصف آية فقال : [كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين])^{٤٧} ، وقال ابن الهائم : (خذوا زينتكم الزينة ، ما يتزين به الإنسان من لبس وحلي وأشياء ذلك ، أي : ثيابكم عند كل صلاة ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل إلا الحمس وهم قريش ومن دان بدينهم فإنهم كانوا يطوفون في ثيابهم وكانت المرأة تتخذ نسائج من سيور فتعلقها على حقوتها ، وفي ذلك تقول العامرية : اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله)^{٤٨} ، وقد جاءت الأحاديث في بيان ذلك .

أخرج الحديث الأول عن أنس والثالث عن أبي هريرة : الترمذي ، وقال في كل واحد منها : (حديث حسن صحيح)^{٤٩} .

وأخرج الحديث الثاني عن ابن عباس : الضياء المقدسي^{٥٠} .

^{٤٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٤٤١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٠١) ، الألوسي ، مصدر سابق : (٨ / ١١٠) .

^{٤٥} الطبري ، التفسير : (٨ / ١٥٩) .

^{٤٦} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ١٥٧) .

^{٤٧} أبو السعود ، مصدر سابق : (٣ / ٢٢٤) .

^{٤٨} ابن الهائم المصري ، مصدر سابق : (١ / ٢٠٣) .

^{٤٩} الترمذي ، السنن : (٢ / ٢٤٩) .

^{٥٠} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٣٠٧) .

ما جاء في قوله تعالى : [ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهارُ وقالوا الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رُسُلُ ربنا بالحقِ ونودوا أن تلكمُ الجنةُ أورثتموها بما كنتم تعملونَ] آية : ٤٣ •

(٢٤٢) (أخرج ابن مردويه : عن أبي بكر بن عياش^{٥١} ، عن الأعمش^{٥٢} ، عن أبي صالح^{٥٣} ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل أهل الجنة يرى مقعده من النار ، فيقول : لولا أن الله هداني فيكون له شاكرًا ، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة ، فيقول : لو أن الله هداني ، فيكون له حسرة ، ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النار من الجنة : [نودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون])^{٥٤} •

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم وأخبر أنهم أصحاب الجنة ما فيها من حقد وغل وعداوة كان من بعضهم في الدنيا على بعض فجعلهم في الجنة على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه : الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله يقول : وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنه ورحمته ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ، يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم يقولون عند دخولهم الجنة ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها وهو أن أعداء الله في النار : والله لقد جاءتنا في الدنيا وهؤلاء الذين في النار رسل ربنا بالحق من الأخبار عن وعد الله أهل طاعته والإيمان به وبرسله ووعيده أهل معاصيه والكفر به ، وأما قوله : ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ، فإن معناه : ونادى مناد هؤلاء الذين وصف الله صفتهم وأخبر عما أعد لهم من كرامته أن يا هؤلاء تلكم الجنة التي كانت رسلي في الدنيا تخبركم عنها أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله لتصديقكم إياهم وطاعتكم ربكم وذلك هو معنى قوله : بما كنتم تعملون)^{٥٥} ، وقد أشار الحديث إلى هذا المعنى الذي ذهب إليه الطبري •

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{٥٦} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٥٧} ، والهيثمي ، وقال : (رواه كله أحمد ، ورجال الرواية رجال الصحيح)^{٥٨} •

^{٥١} ينظر : الحديث رقم : (١٦٣) •

^{٥٢} ينظر : الحديث رقم : (٤١) •

^{٥٣} ينظر : الحديث رقم : (١٢٩) •

^{٥٤} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢١٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٤٥٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٠٦) •

^{٥٥} الطبري ، التفسير : (٨ / ١٨٣ - ١٨٤) •

^{٥٦} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٥١٢) •

^{٥٧} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٧٣) •

^{٥٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٩٩) •

ما جاء في قوله تعالى : [ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذناً بينهم أن لعنة الله على الظالمين] الآية : ٤٤ .
 (٢٤٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر من المشركين فقال : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فقال له الناس : أليسوا أمواتاً ؟ فيقول : إنهم يسمعون كما تسمعون)^{٥٩} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهم يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً في الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الإيمان به وبهم وعلى طاعته فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب ؟ فأجابهم أهل النار : بأن نعم قد وجدنا ما وعد ربنا حقاً)^{٦٠} ، وقال البغوي : (قوله تعالى : ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقاً ، أي : صدقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقاً ؟ قالوا : نعم ، فأذن مؤذناً بينهم ، أي : نادى مناد أسمع الفريقين أن لعنة الله على الظالمين ، أي : الكافرين)^{٦١} ، وقال البيضاوي : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، إنما قالوه تبجحاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيرا لهم ، وإنما لم يقل : ما وعدكم ، كما قال : ما وعدنا ؛ لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة ، قالوا نعم ، فأذن مؤذناً ، قيل : هو صاحب الصور ، بينهم ، أي : بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار)^{٦٢} ، وقد ورد القليب ، والقليب هو : (البئر التي لم تطو ، وإنما هي حفيرة قلب ترابها ، فسميت قليباً)^{٦٣} ، وقد جاء الحديث ليبين ما ينال ويستحق كل فرد على أعماله .

أخرج الحديث : أبو يعلى^{٦٤} ، وابن أبي شيبة^{٦٥} ، الإمام أحمد^{٦٦} ، والبخاري^{٦٧} ، والنسائي^{٦٨} .

^{٥٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٤٦٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٠٨) .

^{٦٠} الطبري ، التفسير : (٨ / ١٨٦) .

^{٦١} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ١٦١) .

^{٦٢} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٢٢) .

^{٦٣} شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٧ / ٢٤٦) .

^{٦٤} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١٠ / ٤٧) .

^{٦٥} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٣٦١) .

^{٦٦} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٨) .

^{٦٧} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٤٦٢) .

^{٦٨} النسائي ، السنن الكبرى : (١ / ٦٦٥) .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين] آية : ١٧٢ .

(٢٤٤) (أخرج ابن مردويه : عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أتبدأ الأعمال أم قد قضى القضاء ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار)^{٦٩} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبية محمد : واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهدهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به)^{٧٠} ، وقال أبو السعود : (واذكر لهم ربك من بني آدم ، المراد بهم الذين ولد لهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الأسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وإيثار الأخذ على الإخراج للإيدان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الأنباء عن الاجتناء والاصطفاء هو السبب في إسناده إلى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي وإضافته إلى ضميره للتشريف ، وقوله تعالى : من ظهورهم ، بدل من بني آدم بدل البعض فيه تنبيه على أن الميثاق قد أخذ منهم وهم في أصلاب الأباء ولم يستودعوا في أرحام الأمهات ، وقوله تعالى : ذريتهم ، المراد بهم أولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله اندراجا أوليا كما اندرج أسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع أن ما أريد بيانه من بديع صنع الله تعالى عز وجل شامل لكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل)^{٧١} ، وقد بين الحديث ذلك .

أخرج الحديث : ابن أبي عاصم ، وقال : (إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات وقد صرح فيه بقية بالتحديث)^{٧٢} ، والطبراني^{٧٣} ، والهيثمي^{٧٤} .

^{٦٩} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٦٤) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٦٠٣) .

^{٧٠} الطبري ، التفسير : (٩ / ١١٠) .

^{٧١} أبو السعود ، مصدر سابق : (٣ / ٢٨٩) .

^{٧٢} ابن أبي عاصم ، مصدر سابق : (١ / ٧٤) .

^{٧٣} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٢ / ١٦٨) .

^{٧٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١٨٦) .

ما جاء في قوله تعالى : [هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشاكرين ، فلما آتاها صالحاً جعلاً له شركاءً فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون] آية : ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢٤٥) (أخرج ابن مردويه : عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما ولدت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره)^{٧٥} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، يعني بالنفس الواحدة آدم ، ويعني بقوله ليسكن إليها ، ليأوي إليها لقضاء الحاجة ولذته ، ويعني بقوله فلما تغشاها فلما تدرتها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها ، حملت حملاً خفيفاً ، وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف وذلك قوله فلما تغشاها حملت ، وإنما الكلام فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت ، وقوله حملت حملاً خفيفاً ، يعني بخفة الحمل الماء الذي حملته حواء في رحمها من آدم أنه كان حملاً خفيفاً وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها ، وأما قوله : فمرت به ، فإنه يعني استمرت بالماء قامت به وقعدت وأتمت الحمل ، وقوله فمرت به يقول : استمرت به وقال آخرون : معنى ذلك فشكت فيه ، ويعني بقوله : فلما أثقلت فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفاً ثقيلاً ودنت ولادتها ، دعوا الله ربهما ، يقول : نادى آدم وحواء ربهما وقالوا : يا ربنا لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشاكرين)^{٧٦} ، وقال ابن كثير : (ينسب تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، أي : ليألفها ويسكن بها ، فلا ألفة بين شخصين أعظم مما بين الزوجين ، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيدته إلى التفرقة بين المرء وزوجه ، فلما تغشاها ، أي : وطئها ، حملت حملاً خفيفاً ، وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له ألماً إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة ، وقوله : فمرت به ، قال مجاهد : استمرت بحمله)^{٧٧} ، وقال البيضاوي : (فلما آتاها صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها ، أي : جعلاً أولادهما له ، شركاء فيما آتى أولادهما ، فسموه : عبد العزى وعبد مناف على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، ويدل عليه قوله : [فتعالى الله عما يشركون])^{٧٨} ، وقال المباركفوري : (قوله : طاف بها إبليس ، أي : جاءها ، وكان لا يعيش لها ولد ، من العيش وهو الحياة ، أي : لا يحيى لها ولد ولا يبقى بل كان يموت ، فقال أي : إبليس : سميه عبد الحارث ، قال كثير من المفسرين : إنه جاء إبليس إلى حواء ، وقال لها : إن ولدت ولداً فسميه باسمي ، فقالت : ما

^{٧٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٧٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٦٢٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٧٦) .

^{٧٦} الطبري ، التفسير : (٩ / ١٤٣ - ١٤٤) .

^{٧٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٧٥) .

^{٧٨} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٨٢) .

اسمك؟ قال : الحارث ، ولو سمي لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث فكان هذا شركا في التسمية ولم يكن شركا في العبادة)^{٧٩} ، وقد أشار الحديث إلى إشراك حواء بتسمية الولد بعبد الحارث .
أخرج الحديث : الترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه عمر بن إبراهيم شيخ بصري)^{٨٠} ، والطبراني^{٨١} .

ما جاء في قوله تعالى : [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] آية : ١٩٩ .
(٢٤٦) ((أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن الزبير قال : ما نزلت هذه الآية إلا في أخلاق الناس : [خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين]) ، (٢٤٧) (وعن ابن عمر في قوله تعالى : [خذ العفو] ، قال : أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس))^{٨٢} .

هذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بأن يأخذ الناس بأحسن الأخلاق ، والعرف السليم الذي لا يتعارض مع الشرع الحنيف ، ثم أمره بأن يعرض عن الجهال من الناس سفهاء الرأي والمعتقد الجاحدين أمر الله تبارك وتعالى ، وهذه الآية عامة لجميع المسلمين وهي أمر لهم ، وقد بين حديثنا الآية هذا ، قال البيضاوي : (خذ العفو ، أي : خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد ، أو خذ العفو عن المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة ، وأمر بالعرف ، المعروف المستحسن من الأفعال ، وأعرض عن الجاهلين ، فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم ، وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها)^{٨٣} .

أخرج الحديث الأول عن عبد الله بن الزبير : سعيد بن منصور^{٨٤} ، البخاري^{٨٥} ، وأبو داود^{٨٦} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين)^{٨٧} .

وأخرج الحديث الثاني ، عن ابن عمر : الطبراني^{٨٨} ، والحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري)^{٨٩} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات)^{٩٠} .

^{٧٩} المباركفوري ، مصدر سابق : (٨ / ٣٦٥) .

^{٨٠} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٦٧) .

^{٨١} الطبراني ، المعجم الكبير : (٧ / ٢١٥) .

^{٨٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٦٢٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٨١) .

^{٨٣} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٨٤) .

^{٨٤} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ١٧٤) .

^{٨٥} البخاري ، الأدب المفرد : (٩٥) .

^{٨٦} أبو داود ، السنن : (٤ / ٢٥٠) .

^{٨٧} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٢١٣) .

^{٨٨} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢ / ٥١) .

^{٨٩} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٢١٣) .

^{٩٠} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢٥) .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] آية : ٢٠١ .
(٢٤٨) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبها طيف ، فقالت : يا رسول الله أدع الله أن يشفيني ؟ فقال : إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك ، فقالت : بل أصبر ولا حساب عليّ)^{٩١} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله من خلقه فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، يقول : إذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق فعملوا به وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان)^{٩٢} ، وقال ابن كثير : (يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر : أنهم إذا مسهم ، أي : أصابهم طيف ، وقرأ الآخرون : طائف ، وهما قراءتان مشهورتان ، ف قيل : بمعنى واحد ، وقيل : بينهما فرق ، ومنهم من فسر ذلك بالغضب ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ومنهم من فسره بالهم بالذنب ومنهم من فسره بإصابة الذنب ، وقوله : تذكروا ، أي : عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب ، فإذا هم مبصرون ، أي : قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه)^{٩٣} ، وقال ابن الهائم : (إذا مسهم طائف من الشيطان ، أي : ملم ، وطائف فاعل منه يقال طاف يطيف طيفا فهو طائف)^{٩٤} ، أخرج الحديث عن أبي هريرة : الإمام أحمد^{٩٥} ، وابن حبان^{٩٦} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح)^{٩٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] آية : ٢٠٤ .
(٢٤٩) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة في قوله : [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا] ، قال : نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة)^{٩٨} .
(٢٥٠) (وأخرج : عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : كان الناس يتكلمون في الصلاة فأنزل الله هذه الآية : [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] ، فهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلام في الصلاة)^{٩٩} .

^{٩١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٨٠) .

^{٩٢} الطبري ، التفسير : (٩ / ١٥٧) .

^{٩٣} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٨٠) .

^{٩٤} ابن الهائم المصري ، مصدر سابق : (١ / ٢١٥) .

^{٩٥} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٤٤١) .

^{٩٦} ابن حبان ، الصحيح : (٧ / ١٦٩) .

^{٩٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٥ / ١١٦) .

^{٩٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٦٣٤) .

^{٩٩} المصدر السابق : (٣ / ٦٣٦) .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة : إذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له ، يقول : أصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه ، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه ، لعلكم ترحمون ، يقول : ليرحمكم ربكم باتعاطكم بمواعظه واعتباركم بعبره واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه)^{١٠٠} ، وقال ابن كثير : (لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاما له واحتراما لا كما كان يتعمده كفار قريش المشركين في قولهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة)^{١٠١} ، وقال أبو السعود : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له ، إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن ، أي : وإذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول ، وأنصتوا ، أي : واسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع ، لعلكم ترحمون ، أي : تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته ، وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ، وقيل : معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له ، وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على أنه في استماع المؤتم ، وقد روي أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له)^{١٠٢} ، وفي الحديث : (عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر الإمام فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا)^{١٠٣} ، و (عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا وإذا قال : المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقولوا : آمين ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ، وإذا سجد فاسجدوا ، وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعين)^{١٠٤} ، وقد أشار حديثنا الباب إلى هذا الذي ذكر .

أخرج الحديث عن أبي هريرة : البيهقي^{١٠٥} ، وأخرج الحديث عن عبد الله بن مغفل : ابن أبي شيبة^{١٠٦} .

^{١٠٠} الطبري ، التفسير : (٩ / ١٦٢) .

^{١٠١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٨١) .

^{١٠٢} أبو السعود ن مصدر سابق : (٣ / ٣١٠) .

^{١٠٣} مسلم ، الصحيح : (١ / ٣٠٤) .

^{١٠٤} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٢٧٦) .

^{١٠٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٢ / ١٥٥) .

^{١٠٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٢ / ٢٢٥) .

سورة الأنعام

سورة الأنعام نزلت مكية^١، وقد نزلت جملة واحدة ليلاً^٢، وقد تضمنت الدعوة إلى الله عز وجل وأركان الإيمان والترغيب والترهيب حتى يؤمن الكفار بالله تعالى، قال القرطبي: (وهي مكية في قول الأكثرين، قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا في المدينة، قوله تعالى: [وما قدروا الله حق قدره]، نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين، والأخرى قوله: [وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات]، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وقال ابن جريج: نزلت في معاذ بن جبل وقاله الماوردي، وقال الثعلبي: سورة الأنعام مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة، [وما قدروا الله حق قدره]، إلى آخر ثلاث آيات، و: [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم]، إلى آخر ثلاث آيات، قال ابن عطية: وهي الآيات المحكمات، وذكر ابن العربي: أن قوله تعالى: [قل لا أجد]، نزل بمكة يوم عرفة^٣، وقد ورد في فضلها أحاديث: (عن جابر قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق)^٤، (أخرج ابن مردويه: عن نافع بن مالك أبي سهيل^٥، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج، ورسول الله يقول: سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم)^٦.

(٢١٢) (وأخرج: عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت علي الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد)^٧.

أخرج الحديث الأول عن أنس: الطبراني^٨، والبيهقي^٩، والهيثمي، وقال: (رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات)^{١٠}.

^١ ينظر: ابن الزهري، مصدر سابق: (٢٧).

^٢ ينظر: البغوي، مصدر سابق: (٨٣ / ٢).

^٣ القرطبي، مصدر سابق: (٣٨٢ / ٦).

^٤ البيهقي، شعب الإيمان: (٤٧٠ / ٢).

^٥ نافع بن مالك أبو سهيل بن مالك بن أبي عامر الأصبحي حليف بني تيم من قريش عم مالك بن أنس، مديني، روى عن أنس بن مالك وابن عمر وعن أبيه وعن حزم بن عبد الخنعمي، روى عنه الزهري ومالك بن أنس وعبد العزيز بن محمد وعاصم بن عبد العزيز ويحيى بن النعمان وعمر بن طلحة، قال الإمام أحمد: نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل من الثقات، وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبي سهيل بن مالك؟ فقال: ثقة، ينظر: البخاري التاريخ الكبير: (٨ / ٨٦)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٤٥٣ / ٨)، ابن حبان، الثقات: (٤٧١ / ٥).

^٦ ابن كثير، التفسير: (١٢٣ / ٢).

^٧ ابن كثير، التفسير: (١٢٣ / ٢)، السيوطي، الدر المنثور: (٢٤٣ / ٣).

^٨ الطبراني، المعجم الأوسط: (٢٩٢ / ٦).

^٩ البيهقي، السنن الصغرى: (٥٥١)، شعب الإيمان: (٤٧٠ / ٢).

^{١٠} الهيثمي، مجمع الزوائد: (٢٠ / ٧).

وأخرج الحديث الثاني عن ابن عمر : الطبراني^{١١} ، والديلمى^{١٢} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الصغير ، وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف)^{١٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَي نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] آية : ١٢ .

(٢١٣) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله الخلق كتب كتابا بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي)^{١٤}

(٢١٤) (وأخرج : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلق كثير لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عتقاء الله)^{١٥} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبىه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم لمن ما في السماوات والأرض ، يقول : لمن ملك ما في السماوات والأرض ، ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبد كل شيء وقهر كل شيء بملكه وسلطانه لا للأوثان والأنداد ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلهًا من الأصنام التي لا تملك لأنفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرا ، وقوله : كتب على نفسه الرحمة ، يقول : قضى أنه بعباده رحيم لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الإنابة والتوبة ، وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة ، يقول تعالى ذكره : أن هؤلاء العادلين بي الجاحدين نبوتك يا محمد إن تابوا وأنا بوا قبلت توبتهم وإنى قد قضيت في خلقي أن رحمتي وسعت كل شيء)^{١٦} ، و (قال العلماء : غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة وإرادته الإثابة للمطيع ومنفعة العبد تسمى ، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبا ، وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد به جميع المرادات ، قالوا : والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها ، كما يقال : غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثر منه ، وقوله : إن رحمتي تغلب غضبي ، قال الطبري رحمه الله : يعني إن قسطهم من الرحمة أكثر من قسطهم من الغضب)^{١٧} ، وإلى هذا أشار حديثنا الآتية .

^{١١} الطبراني ، المعجم الصغير : (١ / ١٤٥) .

^{١٢} الديلمي ، مصدر سابق : (٤ / ٢٧٥) .

^{١٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢٠) .

^{١٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٥٣) ، الألويسي ، مصدر سابق : (٧ / ١٠٤) .

^{١٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٥٣) .

^{١٦} الطبري ، التفسير : (٧ / ١٥٤ - ١٥٥) .

^{١٧} السيوطي وعبد الغني وفخر الحسن الدهلوي ، مصدر سابق : (٣١٨) .

أخرج الحديث الأول : الإمام أحمد^{١٨} ، والبخاري^{١٩} ، ومسلم^{٢٠} ، والترمذي^{٢١} ، والنسائي^{٢٢} ، وابن ماجه^{٢٣} ، وأخرج الحديث الثاني عن ابن عباس : معمر بن راشد^{٢٤} ، وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد^{٢٥} ، والبخاري^{٢٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ] آية : ١٩ .

(٢١٥) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك قال : لما نزلت هذه الآية : [وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به] ، كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والنجاشي وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه)^{٢٧} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لبييه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك أي شيء أعظم شهادة وأكبر ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب ، ثم قل لهم إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بيني وبينكم بالمحق منا من المبطل والرشيد منا في فعله وقوله من السفية وقد رضينا به حكما بيننا ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل)^{٢٨} ، وقال البغوي : (قوله عز وجل : قل أي شيء أكبر شهادة ، الآية ، قال الكلبي : أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أرنا من يشهد أنك رسول الله فإننا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عند اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس عندهم ذكر ؟ فأنزل الله تعالى : قل أي شيء أكبر شهادة ، فإن أجابوك وإلا ، قل الله شهيد بيني وبينكم ، على ما أقول ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل ، وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ، لأخوفكم به يا أهل مكة ، ومن بلغ ، ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة)^{٢٩} ، أما النجاشي الذي جاء في هذه الرواية فهو غير النجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حجر : (كاتب النجاشي الذي

^{١٨} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٤٣٣) .

^{١٩} البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٦٩٤) .

^{٢٠} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢١٠٧) .

^{٢١} الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٤٩) .

^{٢٢} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٤١٧) .

^{٢٣} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٤٣٥) .

^{٢٤} معمر بن راشد ، مصدر سابق : (١١ / ٤١١) .

^{٢٥} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٩٧) .

^{٢٦} البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٧٠٠) .

^{٢٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٥٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١٠٦) .

^{٢٨} الطبري ، التفسير : (٧ / ١٦١ - ١٦٢) .

^{٢٩} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٨٩) .

أسلم وصلى عليه لما مات ، ثم كاتب النجاشي الذي ولي بعده وكان كافراً^{٣٠} ، أخرج الحديث : مسلم^{٣١} ، والنسائي^{٣٢} ، وأبو عوانة^{٣٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [وأندر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ايس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ، ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ، وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفورٌ رحيمٌ] آيات : ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ .

(٢١٦) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن مسعود قال : مر الملاء من قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك من الله عليهم من بيننا أو نحن نكون تبعاً لهؤلاء أطردهم عنك فالعلك إن طردتهم أن نتبعك ؟ فأنزل فيهم القرآن : [وأندر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم] ، إلى قوله : [والله أعلم بالظالمين]^{٣٤} .

(٢١٧) (وأخرج : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتاباً من تحت العرش : أن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقاً لم يعملوا خيراً مكتوب بين أعينهم عتقاء الله)^{٣٥} .

قال ابن جوزي : (قوله تعالى : وأندر به ، قال الزجاج : يعني بالقرآن ، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم وإن كان منذراً لجميع الخلق لأن الحجة على الخائفين الحشر أظهر لا اعترافهم بالمعاد فهم أحد رجلين إما مسلم فينذر ليؤدي حق الله عليه في إسلامه وإما كتابي فأهل الكتاب مجمعون على البعث ، وذكر الولي والشفيع لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحباؤه فأعلم عز وجل أن أهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ، وقال غيره : ليس لهم من دونه ولي أي ليس لهم غير الله ولي ولا شفيع لأن شفاعته الشافعين بأمره ، وقال أبو سليمان الدمشقي : هذه الآية متعلقة بقوله : وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ، وقوله : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليه من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، قوله تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم ، روى سعد بن أبي وقاص قال : نزلت

^{٣٠} ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ١٢٩) .

^{٣١} مسلم ، الصحيح : (٣ / ١٦٥٧) .

^{٣٢} النسائي ، السنن الكبرى : (٥ / ٢٦٦) .

^{٣٣} أبو عوانة ، مصدر سابق : (٤ / ٢٧٤) .

^{٣٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٧٢) .

^{٣٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٣٧) .

^{٣٦} ينظر : الحديث رقم : (٢١٤) .

هذه الآية في ستة في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال ، قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهؤلاء فاطردهم عنك فدخل على رسول الله من ذلك ما شاء الله أن يدخل فنزلت هذه الآية ^{٣٧} ، وقال البغوي : (قوله : وكذلك فتنا ، أي : ابتلينا بعضهم ببعض أراد ابتلى الغني بالفقير والشريف بالوضيع وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله : ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، فقال الله تعالى : أليس الله بأعلم بالشاكرين ، فهو جواب لقوله أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فهو استفهام بمعنى التقرير ، أي : الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عز وجل ، وقوله : وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، قال عكرمة : نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآهم هم بالسلام ، كتب ريكم على نفسه الرحمة ، أي : قضى على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة قال مجاهد : لا يعلم حلالا من حرام فمن جهالته ركب الذنب) ^{٣٨} .

أخرج الحديث عن ابن مسعود : الإمام أحمد ^{٣٩} ، والبزار ^{٤٠} ، والطبراني ^{٤١} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال كردوس وهو ثقة) ^{٤٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون] آية : ٦٠ .

(٢١٨) (أخرج ابن مردويه : عن الضحاك ^{٤٣} ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ويرده إليه فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلا رد إليه ، فذلك قوله : وهو الذي يتوفاكم بالليل ، وقوله : ليقضى أجل مسمى ، يعني به : أجل كل واحد من الناس ، ثم إليه مرجعكم ، أي : يوم القيامة ، ثم ينبئكم ، أي : فيخبركم ، بما كنتم تعملون ، أي : ويجزيكم على ذلك إن خيرا فخييرا وإن شرا فشر) ^{٤٤} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وقل لهم يا محمد والله أعلم بالظالمين والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم ويعلم ما جرحتم بالنهار ، يقول : ويعلم ما كسبتم من

^{٣٧} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٤٣ - ٤٤) .

^{٣٨} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ١٠٠) .

^{٣٩} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٤٢٠) .

^{٤٠} البزار ، مصدر سابق : (٥ / ٤٠٩) .

^{٤١} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٠ / ٢١٧) .

^{٤٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢١) .

^{٤٣} الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الهلالي ، ويقال : أبو محمد ، روى عن ابن عمر وابن عباس ، قال العجلي : ثقة ، مات سنة اثنتين ومائة ، وقيل : مات سنة خمس ومائة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٤٧٢) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٤ / ٣٣٢) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٦٨٧) .

^{٤٤} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٣٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٨٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١٢٥) .

الأعمال بالنهار ، ومعنى التوفي في كلام العرب : استيفاء العدد ، وأما الاجترار عند العرب فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه وهي الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم ثم يقال لكل مكتسب عملا جارح لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبا بأي أعضاء جسمه اكتسب مجترح ، وهذا الكلام وإن كان خيرا من الله تعالى عن قدرته وعلمه فإن فيه احتجاجا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم ويعتصمون بعد فنائهم فقال تعالى محتجا عليهم : وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، يقول : فالذي يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم في النهار لتبلغوا أجلا مسمى وأنتم ترون ذلك وتعلمون ثم تنكرون له القدرة على قبض أرواحكم وإفنائكم ثم ردها إلى أجسادكم وإنشائكم بعد مماتكم فإن ذلك نظير ما تعينون وتشاهدون وغير منكر لمن قدر على ما تعينون من ذلك القدرة على ما لم تعينوه وإن الذي لم تروه ولم تعينوه من ذلك شبيه ما رأيتم وعايتم ، ثم قال : ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ، يعني تعالى ذكره : ثم يبعثكم يثيرون ويوظفكم من منامكم فيه يعني في النهار ، والهاء التي في فيه راجعة على النهار ، ليقضى أجل مسمى ، يقول : ليقضى الله الأجل الذي سماه لحياتكم وذلك الموت فيبلغ مدته ونهايته ، ثم إليه مرجعكم ، يقول : ثم إلى الله معادكم ومصيركم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ، يقول : ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا ثم يجازيكم بذلك إن خيرا فخير وإن شرا فشر (٤٥) ، وقد جاء الحديث مبينا للآية ، ولم أقف على تخريج الحديث .

ما جاء في قوله تعالى : [قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِعْرًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ] آية : ٦٥ .

(٢١٩) (أخرج ابن مردويه : عن جابر قال : لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بالله من ذلك ، أو من تحت أرجلهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بالله من ذلك ، أو يلبسكم شيعا ، قال : هذا أيسر وإن استعاذه لأعاده) (٤٦) .

(٢٢٠) و(عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل لي خرج قبل ، قال : فجعلت لا أمر بأحد إلا قال من قبل حتى مررت فوجدته قائما يصلي ، قال : فجئت حتى قمت خلفه فأطال الصلاة فلما قضى صلاته ، قلت : يا رسول الله قد صليت صلاة طويلة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني صليت صلاة رغبة ورهبة ، إني سألت الله عز وجل ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألته أن لا يهلك

^{٤٥} الطبري ، التفسير : (٧ / ٢١٤ - ٢١٥) .

^{٤٦} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٤١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٨٤) .

أمتي غرقا فأعطاني ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها عليّ (٤٧) .

(٢٢١) (عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أربعاً فرفع الله عنهم اثنتين وأبى علي أن يرفع عنهم اثنتين ، دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والغرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيئا وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض ، وأبى الله أن يرفع اثنتين القتل والهرج) (٤٨) .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبية : قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان يا محمد إن الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثم تعودون للإشراك به ، وهو القادر على أن يرسل عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، لشرككم به وادعائكم معه إلها آخر غيره وكفرانكم نعمه مع إسباغه عليكم آلاءه ومنه) (٤٩) ، وقال ابن الجوزي : (قوله تعالى : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، فيه قولان ، أحدهما : أن الذي فوقهم العذاب النازل من السماء كما حصب قوم لوط وأصحاب الفيل والذي من تحت أرجلهم كما خسف بقارون قاله ابن عباس والسدي ومقاتل وقال غيرهم : ومنه الطوفان والريح والصيحة والرجفة ، والقول الثاني : أن الذي من فوقهم من قبل أمرائهم والذي من تحتهم من سفلتهم رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال في رواية أخرى : الذي من فوقهم أئمة السوء والذي من تحت أرجلهم عبيد السوء ، قوله تعالى : أو يلبسكم شيئا ، قال ابن عباس : يلبسكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا ، قال ابن قتيبة : يلبسكم من الالتباس عليهم والمعنى حتى تكونوا شيئا ، أي : فرقا مختلفين ثم يذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والحرب ، وقال الزجاج : يلبسكم ، أي : يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق يقال لبست عليهم الأمر ألبسه إذا لم أبينه ومعنى شيئا ، أي : يجعلكم فرقا فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا ، قوله تعالى : ويذيق بعضكم بأس بعض ، أي : يقتل بعضكم بيد بعض) (٥٠) ، وقال البيضاوي : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ، كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل ، أو من تحت أرجلكم ، كما أغرق فرعون وخسف بقارون ، وقيل : من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم ، أو يلبسكم ، يخلطكم ، شيئا ، فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، يقاتل بعضكم بعضا ، انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد) (٥١) ، وقد أشارت الأحاديث إلى هذا

^{٤٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٤١) .

^{٤٨} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٤٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٨٤) .

^{٤٩} الطبري ، التفسير : (٧ / ٢١٩) .

^{٥٠} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٥٨ - ٥٩) .

^{٥١} البيضاوي ، مصدر سابق : (٢ / ٤١٨) .

أخرج الحديث الأول عن جابر : البخاري^{٥٢} ، والترمذي^{٥٣} ، والنسائي^{٥٤} ، والطبراني^{٥٥} .
وأخرج الحديث الثاني عن معاذ بن جبل ، ابن أبي شيبة^{٥٦} ، والإمام أحمد^{٥٧} ، وابن ماجه^{٥٨} ، وابن خزيمة^{٥٩} ،
والطبراني^{٦٠} .

وأخرج الحديث الثالث عن ابن عباس : الطبراني^{٦١} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو
الدرداء وعبد الغفار بن المنيب عن إسحق بن عبدالله عن أبيه عن عكرمة ومن عدا عكرمة لم أعرفهم ولم أر من
ذكرهم)^{٦٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً
فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن إن كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون
[الأيتان : ٨١ - ٨٢] .

(٢٢٢) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
[، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيل لي : أنت منهم)^{٦٣} .

قال الطبري : (هذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه
، فقال لهم : وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه وهو لا يضر ولا ينفع ولو
كانت تنفع أو تضر لدفعت عن أنفسها كسري إياها وضربي لها بالفأس ، وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم
ورزقكم وهو القادر على نفعكم وضرركم في إشراككم في عبادتكم إياه ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، يعني : ما
لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حجة ولم يضع لكم عليه برهانا ولم يجعل لكم به عذرا ، فأبي الفريقين
أحقُّ بالأمن ، يقول : أنا أحقُّ بالأمن من عاقبة عبادتي ربي مخلصاً له العبادة حنيفاً له ديني بريئاً من عبادة
الأوثان والأصنام أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناماً لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانا ولا حجة ، إن
كنتم تعلمون ، يقول : إن كنتم تعلمون صدق ما أقول وحقيقة ما أحتج به عليكم فقولوا وأخبروني أي الفريقين

^{٥٢} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٩٤) .

^{٥٣} الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٦١) .

^{٥٤} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٤١٢) .

^{٥٥} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٩ / ٣٦) .

^{٥٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ٦٤) .

^{٥٧} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٢٤٠) .

^{٥٨} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٣٠٣) .

^{٥٩} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٢ / ٢٢٥) .

^{٦٠} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٠ / ٤٤) ، مسند الشاميين : (٢ / ١٣٢) .

^{٦١} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٣٧٤) .

^{٦٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ١١٧) .

^{٦٣} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٥٤) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣٠٨) .

أحق بالأمن ؟^{٦٤}، ثم قال : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ، اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول أعني الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، فقال بعضهم : هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حازه من قومه من أهل الشرك بالله ، وقال آخرون : هذا جواب من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم حين قال لهم : أي الفريقين أحق بالأمن فقالوا له الذين آمنوا بالله فوحده أحق بالأمن إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن وفصل قضاء منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه)^{٦٥}، وقال البيضاوي : (وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا يتعلق به ضرر ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ، وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشارك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدر العاجز بالقادر الضار النافع ، ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، ما لم ينزل بإشراكه كتابا أو لم ينصب عليه دليلا ، فأى الفريقين أحق بالأمن ، أي : الموحدون والمشركون ، وإنما لم يقل أينما أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه ، إن كنتم تعلمون ، ما يحق أن يخاف منه ، ثم قال : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ، استئناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه ، والمراد بالظلم ها هنا الشرك)^{٦٦} .

أخرج الحديث : البزار^{٦٧} ، ومسلم^{٦٨} ، وأبو يعلى^{٦٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [لا تُدرِكُهُ الأبْصَارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو الطيفُ الخبيرُ] آية : ١٠٣ .

(٢٢٣) (أخرج ابن مردويه : عن الحكم بن أبان^{٧٠} قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : رأى محمد ربه تبارك وتعالى ، فقلت : أليس الله يقول : [لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار] ، الآية ، فقال لي : لا أم لك ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء ، وفي رواية : لا يقوم له شيء)^{٧١} .

^{٦٤} الطبري ، التفسير : (٧ / ٢٥٣) .

^{٦٥} المصدر السابق : (٧ / ٢٥٤ - ٢٥٥) .

^{٦٦} البيضاوي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٢٥) .

^{٦٧} البزار ، مصدر سابق : (٤ / ٣٢٥) .

^{٦٨} مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٩١٠) .

^{٦٩} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٨ / ٤٧٥) .

^{٧٠} الحكم بن أبان العديني ، روى عن طائوس وعكرمة ، روى عنه ابن جريج ومعمر وابن عيينة وابن علية والمعتز ويزيد بن أبي حكيم وابنه إبراهيم ، قال سفيان بن عيينة : أتيت عدن فقلت إما أن يكون القوم كلهم علماء أو يكون كلهم جهلاء فلم أر مثل الحكم بن أبان ، قال يحيى بن معين : الحكم بن أبان ثقة ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عن الحكم بن أبان ؟ فقال : صالح ، وقال العجلي : الحكم بن أبان عدني ثقة صاحب سنة كان إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبته يذكر الله حتى يصبح ، قال : نذكر الله مع حيتان البحر ودوابه ، مات سنة أربع وخمسين ومائة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٣١١) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٢ / ٣٣٦) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ١١٣) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٣٥٩) .

^{٧١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٦٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣٣٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١٤٨) .

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : [لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار] ، فقال بعضهم : معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها ، قالوا فمعنى قوله : لا تدركه الأبصار ، بمعنى : لا تراه بعيدا ؛ لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه ، وقال آخرون : معنى ذلك لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار ، فقال قائلو هذه المقالة : معنى الإدراك في هذا الموضع الرؤية وأنكروا أن يكون الله يرى بالأبصار في الدنيا والآخرة ، وتأولوا قوله : [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] ، بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه ، وقال آخرون : معنى ذلك لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا وأما في الآخرة فإنها تدركه ، وقال أهل هذه المقالة : الإدراك في هذا الموضع الرؤية ، وقال آخرون من أهل هذه المقالة : الآية على الخصوص إلا أنه جائز أن يكون معنى الآية : لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله ، قالوا : وجائز أن يكون معناها لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة وأما بالرؤية فبلى ، قالوا : وجائز أن يكون معناها : لا تدركه الأبصار في الدنيا وتدركه في الآخرة ، وجائز أن يكون معناها : لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذي يدرك به القديم أبصار خلقه فيكون الذي نفى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه هو الذي أثبتته لنفسه إذ كانت أبصارهم كمال لا تنفذ إلا فيما قواها جل ثناؤه على النفوذ فيه وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شيء ، قالوا : ولا شك في خصوص قوله : لا تدركه الأبصار ، وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة ، وقال آخرون : الآية على العموم ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها ، واعتلوا لقولهم هذا بأن الله تعالى ذكره نفى عن الأبصار أن تدركه أن يدل فيها أو بآية غيرها على خصوصها ، قالوا وكذلك أخبر في آية أخرى أن وجوها إليه يوم القيامة ناظرة ، قالوا : فأخبار الله لا تتباين ولا تتعارض وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل^{٧٢} ، قال الطبري : (والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب ، فالمؤمنون يرونه والكافرون عنه يومئذ محجوبون كما قال جل ثناؤه : [كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون])^{٧٣} ، فرؤية الله في الدنيا محال ، ففي الحديث : (عن عائشة رضي الله عنها قالت : من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب وهو يقول : [لا تدركه الأبصار] ، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : [لا يعلم الغيب إلا الله])^{٧٤} ، فإن كان محمد عليه الصلاة والسلام لم ير ربه في الدنيا فكيف بباقي البشر ، و (قال أبو حاتم : وقوله : لا تدركه الأبصار ، فإنما معناه : لا تدركه الأبصار يرى في القيامة ولا تدركه الأبصار إذا رآته ، لأن الإدراك هو الإحاطة والرؤية هي النظر والله يرى ولا يدرك كنهه لأن الإدراك يقع على المخلوقين والنظر يكون من العبد ربه ، وخبر عائشة أنه لا تدركه الأبصار فإنما معناه : لا تدركه الأبصار في الدنيا وفي الآخرة إلا من يتفضل عليه من عباده بأن يجعل أهلا لذلك)^{٧٥} ، وقال

^{٧٢} ينظر : الطبري ، التفسير : (٧ / ٢٩٩) ، وما بعدها ، محسن عبد الحميد ، تفسير آيات الصفات : (٦٣) ، وما بعدها .

^{٧٣} الطبري ، التفسير : (٧ / ٣٠٣) .

^{٧٤} البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٦٨٧) .

^{٧٥} ابن حبان ، الصحيح : (١ / ٢٥٩ - ٢٦٠) .

الإمام أحمد يرد على الزنادقة والمشككين بالقرآن : (وأما قوله : [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] ، القيامة : ٢٣ ، وقال في آية أخرى : [لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار] الأنعام : ١٠٣ ، فقالوا : كيف يكون هذا يخبر أنهم ينظرون إلى ربهم وقال في آية أخرى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ؟ فشكوا في القرآن وزعموا أنه ينقض بعضه بعضا ، وأما قوله : وجوه يومئذ ناضرة ، يعني : الحسن والبياض ، إلى ربها ناظرة ، يعني : تعاین ربها في الجنة ، وأما قوله : لا تدركه الأبصار ، يعني : الدنيا دون الآخرة ، وذلك أن اليهود قالوا لموسى : [أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة] النساء : ١٥٣ ، فماتوا وعوقبوا لقولهم أرنا الله جهرة ، وقد سأل مشركو قريش النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : [أو تأتي بالله والملائكة قبيلا] الأسراء : ٩٢ ، فلما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسألة قال الله تعالى : [أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل] البقرة : ١٠٨ ، حين قالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة الآية ، فأنزل الله سبحانه يخبر أنه لا تدركه الأبصار ، أي : أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة فقال : لا تدركه الأبصار ، يعني : في الدنيا أما في الآخرة فإنهم يرونه فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة ^{٧٦} ، وقال علي بن أبي العز الحنفي : (المعنى : أنه يرى ولا يُدرك ولا يحاط به ، فقوله : لا تدركه الأبصار ، يدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شيء وأنه لكامل عظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : [فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا] الشعراء : ٦٢ ، فلم ينف موسى الرؤية ، وإنما نفى الإدراك ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد من الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يرى ولا يُدرك ، كما يُعلم ولا يُحاط به علما ، وهذا الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية الكريمة ^{٧٧} .

أخرج الحديث ، الترمذي ^{٧٨} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ^{٧٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ذالكم وصّاكم به لعلكم تعقلون] آية : ١٥١ .

(٢٢٤) (أخرج ابن مردويه : عبادة وأبي الدرداء : لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتهم) ^{٨٠} .

(٢٢٥) (وأخرج : عن أبي الدرداء ، وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول : أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل) ^{٨١} .

^{٧٦} الإمام أحمد ، الرد على الزنادقة والجهمية : (١٣ - ١٤) .

^{٧٧} علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النذير للطباعة والنشر ، بغداد : (٦٢) .

^{٧٨} الترمذي ، السنن : (٣٩٥ / ٥) .

^{٧٩} الحاكم ، المستدرک : (٣٤٦ / ٢) .

^{٨٠} ابن كثير ، التفسير : (١٨٩ / ٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣٨١ / ٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١٧٨ / ٢) .

^{٨١} ابن كثير ، التفسير : (١٨٩ / ٢) .

(٢٢٦) (وأخرج : عن ابن مسعود قال : من سره أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] ، إلى قوله : [لعلمهم يتقون])^{٨٢} .

(٢٢٧) (وأخرج : عن ابن عباس في قوله تعالى : [ولا تقتلوا أولادكم من إملاق] ، قال : خشية الفقر ، [ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن] ، قال : كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأسا في السر ويستقبحونه في العلانية فحرم الله الزنا في السر والعلانية)^{٨٣} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حرثهم وأنعامهم على ما ذكرت لك في تنزيل عليك تعالوا أيها القوم اقرأ عليكم ما حرم ربكم حقا يقينا لا الباطل تخرصا كخرصكم على الله الكذب والفرية ظنا ولكن وحيا من الله أوحاه إلي وتنزيلا أنزله علي ألا تشركوا بالله شيئا من خلقه ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ولا تعبدوا شيئا سواه ، وبالوالدين إحسانا ، يقول : وأوصى بالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، يعني تعالى ذكره بقوله ولا تقتلوا أولادكم من إملاق : ولا تتدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم فإن الله هو رازقكم وإياهم ليس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، يقول تعالى ذكره : ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرمة عليكم التي هي علانية بينكم لا تناكرونها والباطن منها الذي تأتونه سرا في خفاء لا تجاهرون به فإن كل ذلك حرام ، وقد قيل : إنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضا وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ولا خبر يقطع العذر بأنه عنى به بعض دون جميع وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، يقول تعالى ذكره : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، يعني بالنفس التي حرم الله قتلها : نفس مؤمن أو معاهد ، وقوله : إلا بالحق ، يعني : بما أباح قتلها به من أن تقتل نفسا فتقتل قودا بها أو تزني وهي محصنة فترجم أو ترتد عن دينها الحق فتقتل فذلك الحق الذي أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التي حرم على المؤمنين قتلها به ، ذلكم ، يعني : هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به ، لعلكم تعقلون ، يقول : وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم)^{٨٤} ، وقال ابن الجوزي : (قوله تعالى : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا

^{٨٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣٨١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١٧٨) .

^{٨٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣٨٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١٧٩) .

^{٨٤} الطبري ، التفسير : (٨ / ٨١ - ٨٢) .

، ما بمعنى الذي ، حرم ربكم ، في قوله : عليكم قولان ، أحدهما : أنها إغراء كقوله : عليكم أنفسكم ، فالتقدير : عليكم أن لا تشركوا ، والثاني : أن يكون بمعنى فرض عليكم ووجب عليكم أن لا تشركوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، يريد دفن البنات أحياء ، من إملاق ، أي : من خوف فقر ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فيه خمسة أقوال ، أحدها : أن الفواحش الزنا وما ظهر منه الإعلان به وما بطن الاستسرار به قاله ابن عباس والحسن والسدي ، والثاني : أن ما ظهر الخمر ونكاح المحرمات وما بطن الزنا قاله سعيد ابن جبير ومجاهد ، والثالث : أن ما ظهر الخمر وما بطن الزنا قاله الضحاك ، والرابع : أنه عام في الفواحش وظهرها علانيتها وباطنها سرها قاله قتادة ، والخامس : أن ما ظهر أفعال الجوارح وما بطن اعتقاد القلوب ذكره الماوردي ، والنفس التي حرم الله ، نفس مسلم أو معاهد ، والمراد بالحق إذن الشرع ^{٨٥} ، وقوله : من إملاق ، قال ابن الهائم : (أي : فقر أو جوع ، وهي بلغة لحم) ^{٨٦} ، وقد جاءت الأحاديث في الحث على عدم الشرك والبراءة منه ومن أهله ، وفي خشية الله عز وجل في السر والعلن .

أخرج الحديث الأول : البيهقي ^{٨٧} ، الضياء المقدسي ^{٨٨} .

وأخرج الحديث الثاني : اللالكائي ^{٨٩} .

وأخرج الحديث الثالث عن ابن مسعود : الترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب) ^{٩٠} ، والطبراني ^{٩١} .

ولم اقف على تخريج الحديث الرابع عن ابن عباس .

ما جاء في قوله تعالى : [ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قُلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذالكم وصاكم به لعلكم تذكرون] آية : ١٥٢ .

(٢٢٨) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم معشر التجار قد بشركم الله بخصلتين بها هلكت القرون المتقدمة ، المكيال والميزان) ^{٩٢} .

قال الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتشميره ، وأما قوله حتى يبلغ أشده فإن الأشد جمع شد كما الأضر جمع ضر وكما الأشر جمع شر والشد القوة وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، فأما أهل التأويل فإنهم مختلفون في الحين الذي إذا بلغه الإنسان قيل بلغ أشده ، فقال بعضهم : يقال ذلك له إذا بلغ الحلم ، وقال آخرون : إنما يقال ذلك له إذا بلغ ثلاثين

^{٨٥} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ١٤٧ - ١٤٨) .

^{٨٦} ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٠٠) .

^{٨٧} البيهقي ، شعب الإيمان : (٥ / ١١) .

^{٨٨} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٨ / ٢٨٨) .

^{٨٩} اللالكائي ، مصدر سابق : (٤ / ٨٢٣) .

^{٩٠} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٦٤) .

^{٩١} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢ / ٤٣) .

^{٩٢} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٩٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣٨٥) .

سنة ، وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف ، وذلك أن معنى الكلام : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده فإذا بلغ أشده فأنستم منه رشدا فادفعوا إليه ماله ، لأنه جل ثناؤه لم يمه أن يقرب مال اليتيم في حال يتمه إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ويحل لوليه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتي هي أسوأ ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له وحفظا عليه ليسلموه إليه إذا بلغ أشده ، قوله تعالى : وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها ، يقول تعالى ذكره : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وأن أوفوا الكيل والميزان ، يقول : لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتوهم والوزن إذا وزنتموهم ولكن أوفوهم حقوقهم وإيفاؤهم ذلك إعطاؤهم حقوقهم تامة بالقسط ، يعني : بالعدل)^{٩٣} ، وقوله أشده ، قال ابن الهائم : (قيل : إنه اسم جمع لا واحد له بمنزلة الآنك وهو الرصاص ، وقيل : جمع واحدة شد مثل فلس وأفلس وشد مثل قولهم : فلان ود والقوم أود وشددة مثل نعمة وأنعم ، وأشد اليتيم ، قالوا : ثماني عشرة سنة ، وقيل : إذا احتلم ، وقيل : حتى يبلغ الحنث ، وقيل : ثلاثين سنة)^{٩٤} ، وقال البيضاوي : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، أي : بالفعل التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثمينه ، حتى يبلغ أشده ، حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد كصر وأصر ، وقيل : مفرد كأنك ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، بالعدل والتسوية ، لا نكلف نفسا إلا وسعها ، إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الأمر معناه : أن إيفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه مغفو عنكم ، وإذا قلتم ، في حكومة ونحوها ، فاعدلوا ، فيه ، ولو كان ذا قربي ، ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم ، وبعهد الله أوفوا ، يعني : ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، تتعظون به)^{٩٥} وقال أبو السعود : (ولا تقربوا مال اليتيم ، توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله وإخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء ، أي : لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه ، إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمين ونحو ذلك ، والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تعالى : حتى يبلغ أشده ، فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي ، كأنه قيل : احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه إليه ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، أي : بالعدل والتسوية ، لا نكلف نفسا إلا وسعها ، إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للإيدان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه مغفو عنكم ، وإذا قلتم ، قولا في حكومة أو شهادة أو نحوهما ، فاعدلوا ، فيه ، ولو كان ، أي : المقول له أو عليه ، ذا قربي ، أي : ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا ، وبعهد الله أوفوا ، أي : ما عهد إليكم من الأمور المعدودة أو أي عهد كان ، ذالكم ، إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل ، وصاكم به ، أمركم به أمرا مؤكدا ، لعلكم تذكرون ، تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه)^{٩٦} .

^{٩٣} الطبري ، التفسير : (٨ / ٨٤ - ٨٥) .

^{٩٤} ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٠٠) .

^{٩٥} البيضاوي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٦٥) .

^{٩٦} أبو السعود ، مصدر سابق : (٣ / ١٩٩ - ٢٠٠) .

أخرج الحديث : الترمذي ، وقال : (هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث حسين بن قيس وحسين بن قيس يضعف في الحديث ، وقد روي هذا بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفاً)^{٩٧} ، والبيهقي^{٩٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون] آية : ١٥٣ .

(٢٢٩) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله ابن مسعود قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ : [وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله])^{٩٩} .

(٢٣٠) (وأخرج : عن جابر قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط عن يمينه خطاً وخط عن يساره خطاً ووضع يده على الخط الأوسط وتلا هذه الآية : [وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه])^{١٠٠} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآيتين من قوله : قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ، وأمركم بالوفاء به هو صراطه ، يعني : طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده ، مستقيماً ، يعني : قويمًا لا اعوجاج به عن الحق ، فاتبعوه ، يقول : فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل ، يقول : ولا تسلكوا طريقاً سواه ولا تركبوا منهاجاً غيره ولا تبغوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات ، فتفرق بكم عن سبيله ، يقول : فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثه التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان اتباعكم عن سبيله ، يعني : عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم ، ذلكم وصاكم به ، يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وصاكم به ، لعلكم تتقون ، يقول : لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها فيحل بكم نقمته وعذابه)^{١٠١} ، فالواجب على المرء أن يلزم السبيل المستقيم الذي ارتضاه الله تعالى ليس غيره من طرق البدع والضلال .

وأخرج الحديث : سعيد بن منصور^{١٠٢} ، والإمام أحمد^{١٠٣} ، والدارمي^{١٠٤} ، والترمذي ، وقال رحمه الله : (هذا حديث صحيح)^{١٠٥} ، والنسائي^{١٠٦} ، والبزار^{١٠٧} ، وابن حبان^{١٠٨} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، وشاهده لفظاً واحداً حديث الشعبي عن جابر)^{١٠٩} .

^{٩٧} الترمذي ، السنن : (٣ / ٥٢١) .

^{٩٨} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٢) .

^{٩٩} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٩١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣٨٥) .

^{١٠٠} ابن كثير ، التفسير : (٢٠ / ١٩١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣٨٥) .

^{١٠١} الطبري ، التفسير : (٨ / ٨٧ - ٨٨) .

^{١٠٢} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ١١٢) .

^{١٠٣} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٤٣٥) .

ما جاء في قوله تعالى : [هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إننا منتظرون] آية : ١٥٨

(٢٣١) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين : [لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل] ، الآية)^{١١٠} .

في هذه الآية يتوعد رب العزة تبارك وتعالى الكافرين به والمخالقين لرسوله والمكذبين آياته والصادقين عن سبيله : هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وذلك كائن يوم القيامة أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها وذلك قبل يوم القيامة كائن من إمارات الساعة وأشراتها الكثيرة ، وقد جاء لبيان نفي الإيمان بعد طلوع الشمس من مغربها .

أخرج الحديث ، الإمام أحمد^{١١١} ، والبخاري^{١١٢} ، ومسلم^{١١٣} ، وأبو داود^{١١٤} ، وابن ماجه^{١١٥} ، وابن حبان^{١١٦} .

^{١٠٤} الدارمي ، مصدر سابق : (٧٨ / ١) .

^{١٠٥} الترمذي ، السنن : (٦٣٥ / ٤) .

^{١٠٦} النسائي ، السنن الكبرى : (٣٤٣ / ٦) .

^{١٠٧} البزار ، مصدر سابق : (١٣١ / ٥) ، (٢٥١ / ٥) .

^{١٠٨} ابن حبان ، الصحيح : (١٨٠ / ١ - ١٨١) .

^{١٠٩} الحاكم ، المستدرک : (٢٤٨ / ٢) .

^{١١٠} ابن كثير ، التفسير : (١٩٤ / ٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣٨٩ / ٣) .

^{١١١} الإمام أحمد ، المسند : (٢٣١ / ٢) ، (٣١٣ / ٢) .

^{١١٢} البخاري ، الصحيح : (١٦٩٧ / ٤) ، (٢٣٨٦ / ٥) .

^{١١٣} مسلم ، الصحيح : (١٣٧ / ١) .

^{١١٤} أبو داود ، السنن : (١١٥ / ٤) .

^{١١٥} ابن ماجه ، السنن : (١٣٥٢ / ٢) .

^{١١٦} ابن حبان ، الصحيح : (٢٥٢ / ١٥) .

سورة الأنفال

نزلت سورة الأنفال في المدينة^١، قال أبو السعود : (النفل : الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخرى ، ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ عنفل بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام)^٢، وقال الشوكاني : (الأنفال جمع نفل محركا وهو الغنيمة ، ومنه قول عنترة : إنا إذا احمر الوغى نروى القنا ونعف عند مقاسم الأنفال ، أي : الغنائم ، وأصل النفل الزيادة ، وسميت الغنيمة به لأنها زيادة فيما أحل الله لهذه الأمة مما كان محرما على غيرهم أو لأنها زيادة على ما يحصل للمجاهد من أجر الجهاد ، ويطلق النفل على معان أخر منها : اليمين ، والابتغاء ، ونبت معروف ، والنافلة التطوع لكونها زائدة على الواجب ، والنافلة ولد الولد لأنه زيادة على الولد)^٣.

(٢٥١) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة الأنفال بالمدينة) ، (٢٥٢) (وأخرج : عن عبد الله ابن الزبير قال : نزلت بالمدينة سورة الأنفال) ، (٢٥٣) (وأخرج : عن زيد بن ثابت قال : نزلت الأنفال بالمدينة) ، (٢٥٤) (وأخرج : عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر ، وفي لفظ : تلك سورة بدر))^٤.

فقد دلت الأحاديث على نزول سورة الأنفال في المدينة ، وما تضمنته الأنفال يشير إلى ذلك أيضاً ، فقد تضمنت أمر الغنائم ، والغنائم إنما كانت بعد الأذن بالقتال وهذا ما كان في المدينة ، وتضمنت أمر الأسرى وكيفية التعامل معهم ، وتضمنت الدعوة إلى الشدة في القتال والصبر والثبات على الدين الحنيف .
والأحاديث يعضد بعضها بعضاً ، ولم أقف على تخريج الحديث الأول والثاني والثالث ، وأخرج الحديث الرابع عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : البخاري^٥ ، ومسلم^٦ ، والبيهقي^٧.

^١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٩) ، البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٢٧) .

^٢ أبو السعود ، مصدر سابق : (٢ / ٤) .

^٣ الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٨٣) .

^٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٨٢) .

^٥ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٠٣) ، (٤ / ١٨٥٢) .

^٦ مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٣٤٤) .

^٧ البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٥٨) .

ما جاء في قوله تعالى : [يسئلونك عن الأنفالِ قُلِ الأنفالُ لله والرسولِ فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين] آية : ١ .

(٢٥٥) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت المغانم جاءتوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال : لا تستأثروا علينا فإننا كنا لكم لو انكشفتم لفتتم إلينا فتنازعوا فأنزل الله تعالى : [يسألونك عن الأنفالِ] إلى قوله : [وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين] ^٨ .

وقع في هذه الآية السؤال عن الأنفال ، وقد تقدم الكلام عن معنى الأنفال في الآية ، فلما كان من الصحابة رضوان الله عليه السؤال عنها والاستفسار ، كان من الله تعالى الإجابة عنها وعن أمرها وكيفية تقسيمها بينهم ، وكان الأمر بالطاعة لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^٩ ، والنسائي^{١٠} ، وابن حبان^{١١} ، والحاكم في مستدركه ، وقال : (هذا حديث صحيح ولم يخرجاه) ^{١٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون] آية : ٥ .

(٢٥٦) (أخرج ابن مردويه : عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة وبلغه أن غير أبي سفيان قد أقبلت فقال : ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا ، فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتعاد ففعلنا فإذا نحن ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بعدتنا فسر بذلك وحمد الله وقال : عدة أصحاب طالوت ، فقال : ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ فقلنا : يا رسول الله لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للغير ، ثم قال : ما ترون في قتال القوم ؟ فقلنا مثل ذلك ، فقال المقداد : لا تقولوا كما قال أصحاب موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، فأنزل الله : [كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون] إلى قوله : [وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم] ، فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين إما القوم وإما الغير طابت أنفسنا ، ثم إنا اجتمعنا مع القوم فصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أنشدك وعدك ، فقال ابن رواحة : يا رسول الله إني أريد أن أشير عليك ورسول الله أفضل من أن نشير عليه : إن الله أجل وأعظم

^٨ ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٨٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٨٤) ، شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر

سابق : (٧ / ٢٩٥) ، الألوسي ، مصدر سابق : (٩ / ١٦٠) .

^٩ ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٣٥٤) .

^{١٠} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٤٩) .

^{١١} ابن حبان ، الصحيح : (١١ / ٤٩٠) .

^{١٢} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٤١) .

من أن تنشده وعده ، فقال : يا ابن رواحة لأنشدن الله وعده فإن الله لا يخلف الميعاد ، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوه القوم فانهمزوا ، (الحديث) ١٣ .

قلت : قال أبو السعود : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، الكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك ، يعني : أن حالهم في كراحتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراحتهم لخروجك للحرب وهو حق ، أو في محل النصب على أنه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى : الأنفال لله ، أي : الأنفال ثبتت لله والرسول مع كراحتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك في المدينة أو من المدينة إخراجا ملتبسا بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، أي : والحال أن فريقا منهم كارهون للخروج إما لنفرة الطبع عن القتال أو لعدم الاستعداد ، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام ، فأخبر جبريل رسول الله فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنأدى أبو جهل فوق الكعبة بأهل مكة النجاة النجاة على كل صعب وذلول غيركم أموالكم إن أصابها محمد لم تفلحوا بعدها أبدا) ١٤ ، وقوله في الحديث : (عدة أصحاب طالوت) وطالوت هو : (طالوت بن قيس من ذرية بنيامين بن يعقوب شقيق يوسف عليه السلام ، يقال : إنه كان سقاء ، ويقال : إنه كان دباغا) ١٥ ، وفي الحديث : (عن البراء رضي الله عنه قال : حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا : أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاث مائة ، قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن) ١٦ .
أخرج الحديث الطبراني ١٧ ، والهيثمي ، وقال : (أخرجه الطبراني ، وهو حديث حسن) ١٨ .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يؤمئذٍ ذُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ المصيرُ] الآيتان : ١٥ - ١٦ .

(٢٥٧) (أخرج ابن مردويه : عن نافع أنه سأل ابن عمر رضي الله عنهما قال : إنا قوم لا نشب عند قتال عدونا ولا ندرى من الفئة أماننا أو عسكرنا ؟ فقال لي : الفئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إن الله تعالى يقول : [إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار] ، قال : إنما أنزلت هذه الآية في أهل بدر لا قبلها ولا بعدها) ١٩ .

١٣ ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٨٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٤) .

١٤ أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ٥) .

١٥ ابن حجر ، فتح الباري : (٧ / ٢٩٢) .

١٦ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٤٥٧) .

١٧ الطبراني ، المعجم الكبير : (٤ / ١٧٥) .

١٨ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٦ / ٧٣ - ٧٤) .

١٩ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٩٥) .

(٢٥٨) (أخرج ابن مردويه : عن داود بن أبي هند^{٢٠} ، عن أبي نضرة^{٢١} ، عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية : [ومن يولهم يومئذ دبره] ، إنما أنزلت في أهل بدر)^{٢٢} .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم الذين كفروا في القتال زحفا ، يقول : متزاحفا بعضكم إلى بعض والتزاحف التداني والتقارب ، فلا تولوهم الأدبار ، يقول ، فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم فإن الله معكم عليهم ، ومن يولهم يومئذ دبره ، يقول : ومن يولهم منكم ظهره إلا متحرفا لقتال ، يقول : إلا مستطردا لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه إصابتها فيكر عليه أو متحيزا إلى فئة ، أو إلا أن يولهم ظهره متحيزا إلى فئة ، يقول : صائرا إلى حيز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم ويرجعون به معهم إليهم)^{٢٣} ، وقال القرطبي : (قوله تعالى : زحفا ، الزحف الدنو قليلا قليلا ، وأصله الاندفاع على الألية ، ثم سمي كل ماش في الحرب إلى آخر زاحفا ، والتزاحف التداني والتقارب ، يقال : زحف إلى العدو زحفا وازدحف القوم ، أي : مشى بعضهم إلى بعض ، والأدبار جمع دبر ، والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة ، لأنها بشعة على الفار دامة له ، وقد أمر الله عز وجل في هذه الآية ألا يولي المؤمنون أمام الكفار ، والفرار كبيرة موبقة بظاهر القرآن وإجماع الأكثر من الأئمة)^{٢٤} ، وقد أشار الحديثان إلى هذا .

أخرج الحديث الأول عن ابن عمر : النسائي^{٢٥} .

وأخرج الحديث الثاني عن أبي سعيد : أبو داود^{٢٦} ، والنسائي^{٢٧} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٢٨} .

^{٢٠} داود بن أبي هند أبو محمد ، ويقال : أبو بكر ، واسم أبي هند دينار ، ويقال : طهمان ، مولى قشير ، روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة والحسن والشعبي وابن سيرين وأبي العالية ، روى عنه الثوري وشعبة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ووهيب وهشيم وخالد ويزيد بن زريع وابن علية ، قال يحيى بن معين : داود بن أبي هند ثقة ، وقال أحمد بن حنبل : داود بن أبي هند ثقة ثقة ، وقال عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معين داود أحب إليك أو خالد الخذاء ؟ فقال : داود أحب إلي وهو ثقة ، مات سنة تسع وثلاثين ومائة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٣ / ٢٣١) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٤١١) .

^{٢١} منذر بن مالك بن قطعة أبو نضرة العبدي ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وسمرة بن جندب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ، روى عنه قتادة وسليمان التيمي والحريري وداود بن أبي هند وأبو مسلمة ، قال يحيى بن معين : أبو نضرة ثقة ، وسئل أبو زرعة عن أبي نضرة ؟ فقال : بصري ثقة ، مات سنة تسع ومائة : ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٧ / ٣٥٥) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٢٤١) .

^{٢٢} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٢٩٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٢٩٥) .

^{٢٣} الطبري ، التفسير : (٩ / ٢٠٠ - ٢٠١) .

^{٢٤} القرطبي ، التفسير : (٧ / ٣٨٠) .

^{٢٥} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٤٩) .

^{٢٦} أبو داود ، السنن : (٣ / ٤٦) .

^{٢٧} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٥٠) .

^{٢٨} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٥٧) .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله مُعذبهم وهم يستغفرون ، وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون] الآيات : ٣٢ - ٣٤ .

(٢٥٩) (أخرج ابن مردويه : عن بريدة رضي الله عنه قال : رأيت عمرو بن العاص واقفا على فرس يوم أحد وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فاحسف بي وبفرسي) ٢٩ .

(٢٦٠) (وأخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أبو جهل بن هشام : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فنزلت : [وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون]) ٣٠ .

(٢٦١) (وأخرج : عن أبي موسى رضي الله عنه قال : إنه قد كان فيكم أمانان مضى أحدهما وبقي الآخر : [وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون] ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مضى بسبيله ، وأما الاستغفار فهو كائن إلى يوم القيامة) ٣١ .

(٢٦٢) (قال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد هو الطبراني ٣٢ ، حدثنا جعفر بن الياس بن صدقة المصري ٣٣ ، حدثنا نعيم بن حماد ٣٤ ، حدثنا نوح بن أبي مريم ٣٥ ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ٣٦ ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آلك ؟ قال : كل تقى ، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أولياؤه إلا المتقون) ٣٧ .

هذا حال الكافرين المعاندين الجاحدين لنعم الله المنكرين لرسوله المحاربين لله عز وجل ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، فهم ينكرون نعم الله عليهم وينكرون قدرة الله عليهم وينكرون أن مصيرهم إلى الله تعالى ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد أيضا ما حل بمن قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر

^{٢٩} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٠٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٥) .

^{٣٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٥) .

^{٣١} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٧) .

^{٣٢} ينظر : الحديث رقم : (٢) .

^{٣٣} لم أقف على ترجمته .

^{٣٤} نعيم بن حماد وكنيته أبو عبد الله المروري الخزاعي الأعور المعروف بالفارص سكن مصر ، روى عن عبد المؤمن بن خالد ونصف بن عبيد وأبي حمزة السكري وسمع من إبراهيم بن طهمان حديثا واحدا ويحيى بن حمزة وابن المبارك وابن عيينة ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمعت أبي يقول لمحله الصدق ، ينظر : البحاري ، التأريخ الكبير : (٨ / ١٠٠) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٥٠٥) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٨ / ٤٦٣) .

^{٣٥} (نوح بن أبي مريم أبو عصمة واسم أبي مريم يزيد بن جعونة ، يروي عن الزهري ومقاتل بن حيان ، قال أحمد : يروي مناكير ، وقال يحيى : ليس بشيء ولا يكتب حديثه ، وقال ابن حماد : يروي مناكير ، وقال ابن حماد ومسلم بن الحجاج والرازي والدرقاظني : متروك ، وقال ابن حبان : كان يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديث الأثبات لا يجوز الاحتجاج به بحال) ، ابن الجزري ، الضعفاء والمتروكين : (٣ / ١٦٧) .

^{٣٦} (أبو سعيد يحيى بن سعيد الأنصاري ، سمع أنسا وابن المسيب ، روى عنه الثوري ومالك وابن عيينة) ، مسلم ، الكنى والأسماء : (١ / ٣٥٧) .

^{٣٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٠٧) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٦٠) .

علينا حجارة من السماء أو اتتنا بعذاب أليم ، إذ مكرت لهم فأتيتهم بعذاب أليم ، وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر^{٣٨} ، وقال القرطبي : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، الاستغفار وإن وقع من الفجار يدفع به ضرب من الشرور والإضرار ، وقيل : إن الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم ، أي : وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين فلما خرجوا عذبهم الله يوم بدر قاله الضحاك وغيره ، وقيل : إن الاستغفار هنا يراد به الإسلام ، أي : وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، أي : يسلمون قاله مجاهد وعكرمة ، وقيل : وهم يستغفرون ، أي : في أصلابهم من يستغفر الله ، وقيل : معنى يستغفرون لو استغفروا ، أي : لو استغفروا لم يعذبوا استدعاهم إلى الاستغفار قاله قتادة وابن زيد)^{٣٩} ، ثم قال تعالى : [وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم] الآية ، أي : وأنت مقيم بين أظهرهم بمكة ، وما كان الله معذب من كان يستغفره ، وأن أولياء الله المتقون الذين يخافون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون .

لم أقف على تخريج حديث بريدة ، وأخرج الحديث الثاني عن أنس : البخاري^{٤٠} ، ومسلم^{٤١} . وأخرج الحديث عن أبي موسى : الإمام أحمد^{٤٢} ، والطبراني^{٤٣} ، والحاكم^{٤٤} ، والبيهقي^{٤٥} ، وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة وابن عباس^{٤٦} . وأخرج الحديث عن أنس بن مالك : الطبراني^{٤٧} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه نوح بن أبي مریم وهو ضعيف)^{٤٨} .

^{٣٨} الطبري ، التفسير : (٢٣٢ / ٩) .

^{٣٩} القرطبي ، مصدر سابق : (٣٩٩ / ٧) .

^{٤٠} البخاري ، الصحيح : (١٧٠٤ / ٤ - ١٧٠٥) .

^{٤١} مسلم ، الصحيح : (٢١٥٤ / ٤) .

^{٤٢} الإمام أحمد ، المسند : (٣٩٣ / ٤) ، (٤٠٣ / ٤) .

^{٤٣} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣٤٢ / ٣) .

^{٤٤} الحاكم ، المستدرک : (٧٢٦ / ١) .

^{٤٥} البيهقي ، شعب الإيمان : (٤٤٢ / ١) .

^{٤٦} ينظر : الحاكم ، المستدرک : (٧٢٦ / ١) ، البيهقي ، السنن الكبرى : (٤٥ / ٥) .

^{٤٧} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣٣٨ / ٣) ، المعجم الصغير : (١٩٩ / ١) .

^{٤٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٢٦٩ / ١٠) .

ما جاء في قوله تعالى : [واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأنّ لله خمسُهُ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكينِ وابن السبيلِ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يومَ الفرقانِ يومَ التقى الجمعانِ والله على كلّ شيءٍ قديرٌ] آية : ٤١ .

(٢٦٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة ، ضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ : [واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسهُ وللرسول])^{٤٩} .

(٢٦٤) (وأخرج : عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب^{٥٠} ، عن علي قال : كانت ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان في صبيحتها ، ليلة الجمعة لسبع عشر مضت من رمضان)^{٥١} .

(٢٦٥) (وأخرج : عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله : [يوم الفرقان] ، قال : هو يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل)^{٥٢} .

قال الطبري : (هذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم إذا غنموها يقول تعالى ذكره : واعلموا أيها المؤمنون إنّما غنمتم من غنيمة ، واختلف أهل العلم في معنى الغنيمة والفية ، فقال بعضهم : فيهما معنيان كل واحد منهما غير صاحبه ، وقال آخرون : الغنيمة ما أخذ عنوة والفية ما كان عن صلح ، وقال آخرون : الغنيمة والفية بمعنى واحد ، الغنيمة المال يوصل إليه من مال من خول الله ماله أهل دينه بغلبة عليه وقهر بقتال ، وأما الفية فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك وهو ما رده عليهم منها بصلح ، وأما قوله : من شيء ، فإنه مراد به كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسمة حتى الخيط والمخيط ، وقوله تعالى : فأن لله خمسهُ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : قوله فأن لله خمسهُ مفتاح كلام والله الدنيا والآخرة وما فيهما وإنما معنى الكلام فأن للرسول خمسهُ ، وقال آخرون : معنى ذلك فإن لبيت الله خمسهُ وللرسول ، وقال آخرون : ما سمي لرسول الله من ذلك فإنما هو مراد به قرابته وليس لله ولا لرسوله منه شيء ، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : قوله فأن لله خمسهُ افتتاح كلام وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم)^{٥٣} ، وقال البغوي : (قوله تعالى : واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسهُ ، الغنيمة والفية اسمان لما يصيبه المسلمون من أموال الكفار ، فذهب جماعة إلى أنّها واحد وذهب قوم أنّهما يختلفان ، فالغنيمة ما أصابه المسلمون منهم عنوة بقتال والفية ما كان عن صلح بغير قتال فذكر الله عز وجل في هذه

^{٤٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٦٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣١٢) .

^{٥٠} ينظر : الحديث رقم : (٤١) .

^{٥١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣١٤) .

^{٥٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٧١) .

^{٥٣} الطبري ، التفسير : (١٠ / ٢ - ١) .

الآية حكم الغنيمة ، فقال : فإن لله خمسة وللرسول ، فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه وليس المراد منه أن سهما من الغنيمة لله منفردا فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي قالوا سهم الله وسهم الرسول واحد والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال بعضهم : يقسم الخمس على ستة أسهم وهو قول أبي العالية سهم لله فيصرف إلى الكعبة والأول أصح أن خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام وهو قول الشافعي رحمه الله ، قوله : ولذي القربى ، أراد أن سهما من الخمس لذوي القربى وهم أقارب النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم ، فقال قوم : جميع قريش ، وقال قوم : هم الذين لا تحل لهم الصدقة ، وقال مجاهد وعلي بن الحسين : هم بنو هاشم ، وقال الشافعي : هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وإن كانوا اخوة ، واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت وهو قول مالك والشافعي وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت ، وقالوا : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس ، وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقال بعضهم : يعطى للفقراء منهم دون الأغنياء ، والكتاب والسنة يدلان على ثبوته والخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يعطونه ولا يفضل فقير على غني ، قوله : واليتامى ، وهو جمع اليتيم واليتيم الذي له في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيرا ، والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ، وابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله ، فهذا مصرف خمس الغنيمة ، ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد^{٥٤} ، وقال أبو السعود : (قوله تعالى : إن كنتم آمنتم بالله ، متعلق بمحذوف يبيّن عنه المذكور ، أي : إن كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به إلى الله تعالى فاقطعوا أطماعكم منه واقتنعوا بالأخماس الأربعة ، ليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لأمره تعالى ، وما أنزلنا ، عطف على الاسم الجليل ، أي : إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلناه على عبدنا ، وهو اسم جمع أريد به الرسول والمؤمنون فإن بعض ما نزل نازل عليهم بالذات ، يوم الفرقان ، يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتكم ، يوم التقى الجمعان ، أي : الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان ، والمراد ما أنزل عليه يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على أن المراد بالإنزال مجرد الإيصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الإيمان بإنزال هذه الأشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث إن الوحي ناطق بذلك وإن الملائكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب أن يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة إلى الجهات التي عينها الله تعالى ، والله على كل شيء قدير ، يقدر على نصر القليل على الكثير

^{٥٤} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠) .

والدليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم) ^{٥٥} ، وقد أشار الحديث الأول إلى تقسيم الغنيمة ، كما أشار الحديثان الثاني والثالث إلى يوم الفرقان وأنه يوم بدر .

أخرج الحديث الأول عن ابن عباس : الطبراني ^{٥٦} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك) ^{٥٧} .

ولم أقف على تخريج الحديث الثاني عن علي بن أبي طالب ؛ لكن للحديث شاهد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ^{٥٨} .

وأخرج الحديث الثالث عن ابن عباس ، الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ^{٥٩} . ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ، الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

(٢٦٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله : [إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ] ، قال : نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) ^{٦٠} .

(٢٦٧) (وأخرج : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : [إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا] ، فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة وأن لا يفر عشرون من مائتين ، ثم نزلت : [الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ] ، الآية ، فكتب أن لا يفر مائة من مائتين) ^{٦١} .

في هذه الآيات الحرض على القتال والجهاد في سبيل الله تعالى ، وأمر الله بالصبر والثبات للمجاهدين في سبيله ، فبين أن العدد ليس له أهمية إن كانت الفئة المجاهدة صابرة محتسبة راضية بحكم الله تعالى غير جازعة ، مسلمة أمرها إليه سبحانه ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ حَتَّى مَتَّبِعِكَ وَمَصْدِقِكَ عَلَى مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ عَلَى قِتَالٍ مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَلَّى عَنِ الْحَقِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ ، رَجُلًا صَابِرُونَ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ يَحْتَسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَثْبُتُونَ لِعَدُوِّهِمْ ، يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ، مِنْ عَدُوِّهِمْ وَيَقْهَرُوهُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ ، عِنْدَ ذَلِكَ ، يَغْلِبُوا مِنْهُمْ أَلْفًا ، بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ، يَقُولُ : مِنْ أَجْلِ أَنْ الْمُشْرِكِينَ قَوْمٌ يِقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ رِجَاءِ ثَوَابٍ وَلَا لَطْلُبِ أَجْرٍ وَلَا احْتِسَابٍ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا ،

^{٥٥} أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ٢٣) .

^{٥٦} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ١٢٤) .

^{٥٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٥ / ٣٤٠) .

^{٥٨} أخرجه : سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ٢١٦) ، وابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٢ / ٢٥١) ، والطبراني ، المعجم الكبير : (٩ / ٢٢١) ،

والحاكم ، المستدرک : (٣ / ٢٣) .

^{٥٩} الحاكم ، المستدرک : (٣ / ٢٥) .

^{٦٠} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٢٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٠٣) .

^{٦١} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٨ / ٣٩٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٠٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٢٥) .

أن الله موجب لمن قاتل احتساباً وطلب موعوداً لله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله فهم لا يشبتون إذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوا فتذهب دنياهم ، ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين إذ علم ضعفهم فقال لهم : الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، يعني : أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة عند لقاءهم للثبات لهم يغلبوا مائتين منهم إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم بإذن الله ، يعني : بتخليفة الله إياهم لغلبتهم ومعونته إياهم ، والله مع الصابرين ، لعدوهم وعدو الله احتساباً في صبره وطلباً لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه) ^{٦٢} ، وقال ابن الجوزي : (قوله تعالى : حرض المؤمنين على القتال ، قال الزجاج : تأويله حثهم ، وتأويل التحريض في اللغة أن يحث الإنسان على الشيء حثاً يعلم معه أنه حارص إن تخلف عنه ، والحارص الذي قد قارب الهلاك ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، لفظ هذا الكلام لفظ الخبر ، ومعناه : الأمر ، والمراد يقاتلوا مائتين وكان هذا فرضاً في أول الأمر ثم نسخ بقوله : الآن خفف الله عنكم ، ففرض على الرجل أن يثبت لرجلين فان زادوا جاز له الفرار ، قال مجاهد : وهذا التشديد كان في يوم بدر ، ومعنى الكلام إن يكن منكم عشرون صابرون يشبتون عند اللقاء يغلبوا مائتين ، لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم وأهل الشرك يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب فإذا صدقهم المؤمنون القتال لم يشبتوا وذلك معنى قوله : لا يفقهون) ^{٦٣} ، وقال ابن كثير : (يحرض تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران ويخبرهم أنه حسبهم ، أي : كافيتهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم وترادفت أعدادهم ولو قل عدد المؤمنين) ^{٦٤} ، وقال البيضاوي : (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ، شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده ، بأنهم قوم لا يفقهون ، بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يشبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنتين ، وقيل : كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد ، والضعف ضعف البدن ، وقيل : ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها ، والله مع الصابرين ، بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون) ^{٦٥} ، وقد أشار الحديثان إلى هذا .

^{٦٢} الطبري ، التفسير : (١٠ / ٣٨) .

^{٦٣} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٣٧٨) .

^{٦٤} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٢٥) .

^{٦٥} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٢٠) .

لم أقف على تخريج الحديث الأول عن ابن عمر ؛ لكن الحديث الثاني عن ابن عباس شاهد له ، وأن هذه الآيات نزلت في يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ، وقد أخرج الحديث عن ابن عباس : سعيد بن منصور^{٦٦} ، والبخاري^{٦٧} ، وأبو داود^{٦٨} ، والبيهقي^{٦٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم] آية : ٦٧ .

(٢٦٨) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه في الآية قال : استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله قد أعطاك الظفر ونصرك عليهم ففادهم فيكون عوناً لأصحابك ، واستشار عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أضرب أعناقهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحمكما الله ، ما أشبهكما باثنين مضيا قبلكما نوح وإبراهيم ، أما نوح فقال : [رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا] ، نوح : ٢٦ ، وأما إبراهيم فإنه يقول : [فمن تعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم] إبراهيم : ٣٦)^{٧٠} .

(٢٦٩) (وأخرج : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في أسارى بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ملكان من الملائكة أحدهما أحلى من الشهد والآخر أمر من الصبر ، ونبيان من الأنبياء أحدهما أحلى على قومه من الشهد والآخر أمر على قومه من الصبر ، فأما النبيان فنوح قال : [رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا] ، وأما الآخر إبراهيم إذ قال : [فمن تعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم] ، وأما الملكان فجبريل وميكائيل هذا صاحب الشدة وهذا صاحب اللين ، ومثلهما في أمتي أبو بكر وعمر)^{٧١} .

هذه الآية في أسرى بدر واستشارته أصحابه صلى الله عليه وسلم في أمرهم وما يفعله بهم ، والأحاديث تبين رأي الصحابة فيهم ، فمنهم من كان يريد الفداء ومنهم من كان يريد القصاص منهم ويريد قتلهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ليعلمهم الذي يفعلون ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره ما كان لنبي أن يحتبس كافراً قدر عليه وصار في يده من عبدة الأوثان للفداء أو للمن ، والأسر في كلام العرب الحبس ، وإنما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسره صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم ، وقوله : حتى يثخن في الأرض ، يقول : حتى يبالغ في قتل المشركين

^{٦٦} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ٢٢٤) .

^{٦٧} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٠٦ - ١٧٠٧) .

^{٦٨} أبو داود ، السنن : (٣ / ٤٦) .

^{٦٩} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٧٦) .

^{٧٠} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٢٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٠٤) .

^{٧١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٢٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٠٦) .

فيها ويقهرهم غلبة وقسرا ، تريدون ، يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين وهو ما عرض للمراء منها من مال ومتاع ، يقول : تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها ، والله يريد الآخرة ، يقول : والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته في جناته بقتلكم إياهم وإثخانكم في الأرض ، يقول لهم : واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها ، والله عزيز ، يقول : إن أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدو لكم لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب وإنه حكيم في تدبيره أمره خلقه (٧٢) ، وقال البيضاوي : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، يكسر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله من أثنى المرض إذا أثقله ، تريدون عرض الدنيا ، حطامها بأخذكم الفداء ، والله يريد الآخرة ، يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل ثواب الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه ، والله عزيز ، يغلب أوليائه على أعدائه ، حكيم ، يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ومنع من الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين ، والآية دليل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون ، وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه) (٧٣) ، وقال ابن الهائم : (يثخن في الأرض يغلب على كثير من الأرض ويبالغ في قتل أعدائه) (٧٤) ، وقد أشار الحديثان إلى صفات أبي بكر وعمر ، أما الأول فالرأفة والرحمة في قلبه ، وأما الآخر فالغلظة والشدة في الدين فيه قوية بانه ، فكانت استشارتهما لتبين ما كان فيهما وفي قلوبهما وهما وزيرا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقد أخرج أبو جعفر الطبري الحديثين (٧٥) .

ما جاء في قوله تعالى : [والذي كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير] آية : ٧٣ .

(٢٧٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي حاتم المزني (٧٦) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ، قالوا : يا رسول الله وإن كان فيه ، قال : إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات) (٧٧) .

^{٧٢} الطبري ، التفسير : (١٠ / ٤٢) .

^{٧٣} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٢١) .

^{٧٤} ابن الهائم المصري ، مصدر سابق : (١ / ٢١٩) .

^{٧٥} أبو جعفر الطبري ، الرياض النضرة ، تحقيق : عيسى عبد الله محمد مانع الحميري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت (١٩٩٦ م) : (١ / ٣١٥) .

^{٧٦} أبو حاتم المزني حجازي ، قال الترمذي وابن حبان وابن الموطأ : أخرج له البغوي وزاد الترمذي بعد أن أخرج حديثه وهو في تزويج الأكفاء : إذا جاءكم من ترضون دينه ، الحديث : لا أعرف له غيره ، وأورد أبو داود حديثه في المراسيل فهو عنده تابعي ، وقال أبو زرعة : لا أعرفه ولا أعرف له إلا هذا الحديث ، وزعم ابن قانع أن اسمه عقيل بن مقرن ، قال ابن حجر : وقد بينت وهمه في ترجمة عقيل المذكور ، روى عنه محمد وسعيد ابنا عبيد ، ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح

والتعديل : (٩ / ٣٦٣) ، ابن حجر ، الإصابة : (٧ / ٨١) ، تهذيب التهذيب : (١٢ / ٦٧) .

^{٧٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٣١) .

(٢٧١) (وأخرج : عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يتوارث أهل ملتين ، ولا يرث مسلم كافرا ، ولا كافر مسلما ، ثم قرأ : [والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير] ، الآية)^{٧٨} .

قال القرطبي : (قوله تعالى : والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، قطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار بعضهم أولياء بعض يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم ، قال علماؤنا في الكافرة يكون لها الأخ المسلم : لا يزوجها إذ لا ولاية بينهما ، لا يزوج المسلمة إلا مسلم فكذلك الكافرة لا يزوجها إلا كافر قريب لها أو أسقف ولو من مسلم إلا أن تكون معتقة فإن عقد المعتقة فسخ إن كان لمسلم ولا يعرض للنصراني ، وقال أصبغ : لا يفسخ عقد المسلم أولى وأفضل ، إلا تفعلوه ، الضمير عائد على الموارثة والتزامها المعنى إلا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون قاله ابن زيد ، وقيل : هي عائدة على التناصر والمؤازرة والمعاونة واتصال الأيدي قاله ابن جريج وغيره ، وهذا إن لم يفعل تقع الفتنة عنه عن قريب فهو أكد من الأول)^{٧٩} ، ففي هذه الآية قطع الله تعالى بين الكافرين كما كان قطع بين المؤمنين فيما سبق ؛ فبين أن الكافرين بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويتناكحون فيما بينهم لا دخل لهم بالمسلمين ولا دخل للمسلمين بهم فهم فيما بينهم^{٨٠} ، وقد أشار الحديث الأول إلى تحريم زواج المسلمة بالكافر والعكس ، وأشار الحديث الثاني ، إلى عدم وقوع الميراث بين أهل الملل المختلفة ، أي بين المسلمين والكفار وبالعكس .

أخرج الحديث عن أبي حاتم المزني : الترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب ، وأبو حاتم المزني له صحبه ولا نعرف له عن النبي إلا هذا الحديث)^{٨١} ، وأبو بكر الشيباني^{٨٢} ، والبيهقي^{٨٣} .
وأخرج الحديث الثاني عن أسامة : أبو داود^{٨٤} ، والنسائي^{٨٥} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٨٦} ، والبيهقي^{٨٧} ، وللحديث شواهد من حديث : عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص^{٨٨} .

^{٧٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١١٧) .

^{٧٩} القرطبي ، مصدر سابق : (٨ / ٥٧) .

^{٨٠} ينظر : ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٣٠) .

^{٨١} الترمذي ، السنن : (٣ / ٣٩٥) .

^{٨٢} أبو بكر الشيباني ، الأحاد والمثاني : (٢ / ٣٥١) .

^{٨٣} البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ٨٢) .

^{٨٤} أبو داود ، السنن : (٣ / ١٢٥) .

^{٨٥} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٨٢) .

^{٨٦} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٦٢) .

^{٨٧} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢١٨) .

^{٨٨} ينظر : الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ١٧٨) ، الدارمي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٦٥) ، الترمذي ، السنن : (٤ / ٤٢٤) ، ابن ماجه ، السنن : (٢ /

سورة التوبة

نزلت سورة التوبة في المدينة^١، وقيل : هي أخر ما نزل في المدينة من القرآن^٢، (٢٧٢) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة التوبة بالمدينة) ، (٢٧٣) (وأخرج : عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : أنزل بالمدينة سورة براءة) ، (٢٧٤) (وأخرج : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثنين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظنت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال) ، (٢٧٥) (وأخرج ابن مردويه : عن البراء رضي الله عنه قال : آخر آية نزلت : [يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله] ، وآخر سورة نزلت تامة براءة))^٣، فقد بينت الأحاديث أن سورة التوبة نزلت في المدينة المنورة ، وأنها أخر ما نزل فيها من القرآن .

أخرج الحديث عن ابن عباس في سؤاله لعثمان بن عفان رضي الله عنه : الترمذي^٤، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^٥ .

وأخرج الحديث عن البراء : مسلم^٦، والنسائي^٧، وأبو عوانة^٨ .

ثم إن للتوبة تسميات أخرى ، قال ابن حجر : (سورة براءة هي سورة التوبة وهي أشهر أسمائها ولها أسماء أخرى تزيد على العشرة)^٩، ومن أسمائها : سورة التوبة لأن فيها التوبة على المؤمنين ، وتسمى الفاضحة لأنه ما زال ينزل فيها ومنهم من فضحه الله تعالى فيها حتى كادت أن لا تدع أحدا ، وتسمى البحوث لأنها تبحث عن أسرار المنافقين ، وتسمى المبعثرة والبعثرة البحث ، وتسمى أيضا بأسماء أخر كالمقشقة لكونها تقشقش من

^١ ينظر : الطبري ، التفسير : (١٠ / ٥٨) ، أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ٣٩) .

^٢ ينظر : الزهري ، مصدر سابق : (٣١) .

^٣ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١١٩) .

^٤ الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٧٢) .

^٥ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٦٠) .

^٦ مسلم ، الصحيح : (٣ / ١٢٣٧) .

^٧ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٥٣) .

^٨ أبو عوانة ، مصدر سابق : (٣ / ٤٤١) .

^٩ ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٣١٤) .

النفاق ، أي : تبرئ منه ، والمخزية لكونها أخزت المنافقين ، والمثيرة لكونها تثير أسرارهم ، والحافرة لكونها تحفر عنها ، والمنكلة لما فيها من التنكيل لهم ، والمدممة لأنها تدمم عليهم^{١٠} .

(٢٧٦) (أخرج ابن مردويه : عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة التوبة ، قال : التوبة بل هي الفاضحة ما زالت تنزل ، حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد إلا ذكر فيها)^{١١} ، وهي التي فضحت المنافقين وكشفتهم وبينت حقيقتهم وما هم عليه .

أخرج الحديث : سعيد بن منصور^{١٢} ، والبخاري^{١٣} ، ومسلم^{١٤} .

ومن تسمياتها سورة البحوث ففي الحديث عن (أبي راشد الحبراني قال : وافيت المقداد بن الأسود رضي الله عنه فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة وفصل عنها عظما وهو يريد الغزو ، فقلت : لقد أعذر الله إليك ، فقال : أت على سورة البحوث ، قال الله عز وجل : [انفروا خفافا وثقالا] ، يعني : سورة التوبة)^{١٥} ، وتسمى سورة العذاب ففي الحديث عن (حذيفة رضي الله عنه قال : ما تقرؤون ربعا ، يعني براءة ، وإنكم تسمونها سورة التوبة ، وهي سورة العذاب)^{١٦} ، لما بين الله تعالى فيها من عذاب المنافقين والكافرين الجاحدين ، وتسمى براءة ففي الحديث عن (علي بن عبد الله بن عباس قال : سمعت أبي يقول : سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، وبرائة نزلت بالسيف ليس فيها أمان)^{١٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خيرٌ لكم وإن توليتم فاعلموا إنكم غيرُ معززي الله وبشر الذين كفروا بعذابٍ أليم] آية : ٣ .
(٢٧٧) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال : هذا يوم الحج الأكبر)^{١٨} .

قال البغوي : (وأذان عطف على قوله : براءة ، أي : إعلام ومنه الأذان بالصلاة ، يقال : أذنته فأذن ، أي : أعلمته وأصله من الأذن ، أي : أوقعته في أذنه ، من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ، اختلفوا في يوم الحج الأكبر ، روى عكرمة عن ابن عباس : أنه يوم عرفة ، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير وهو

^{١٠} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٨ / ٦١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٣١) .

^{١١} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٢٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٣١) .

^{١٢} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ٢٣٢) .

^{١٣} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٨٥٢) .

^{١٤} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٣٢٢) .

^{١٥} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ١٢٩) ، البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٢١) .

^{١٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ١٥٢) ، الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٦١) .

^{١٧} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٦٠) .

^{١٨} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٣٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٢٧) .

قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد ابن المسيب ، وقال جماعة : هو يوم النحر ، وروى عن علي رضي الله عنه وعبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي ، وروى ابن جريج عن مجاهد : يوم الحج الأكبر حين الحج أيام منى كلها ، وكان سفيان الثوري يقول : يوم الحج الأكبر أيام منى كلها مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بعث ، يراد به الحين والزمان لأن هذه الحروب دامت أياما كثيرة ، وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل : يوم الحج الأكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين ولم يجتمع قبله ولا بعده ، واختلفوا في الحج الأكبر فقال مجاهد : الحج الأكبر القران والحج الأصغر أفراد الحج : وقال الزهري والشعبي وعطاء : الحج الأكبر الحج والأصغر العمرة قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها ، أن الله بريء من المشركين ورسوله ، أي : ورسوله أيضا بريء من المشركين وقرأ يعقوب بنصب اللام ، أي : إن الله ورسوله بريء ، فإن تبتم ، رجعت من كفركم وأخلصتم التوحيد ، فهو خير لكم وإن توليتم ، أعرضتم عن الإيمان ، فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم^{١٩} ، وقال البيضاوي : (وأذان من الله ورسوله إلى الناس ، أي : إعلام فعال بمعنى الإفعال كالأمان والعطاء ورفع كرفع براءة على الوجهين ، يوم الحج الأكبر ، يوم العيد لأن فيه تمام الحج معظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال : هذا يوم الحج الأكبر ، وقيل : يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ، ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ، أن الله ، أي : بأن الله ، بريء من المشركين ، أي : من عهودهم ، ورسوله ، عطف على المستكن في بريء أو على محل إن واسمها في قراءة من كسرهما إجراء للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفًا على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فإن قوله : براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين ، فإن تبتم ، من الكفر والغدر ، فهو ، فالتوب ، خير لكم وإن توليتم ، عن التوبة أو تبتم على التولي عن الإسلام والوفاء ، فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ، في الآخرة)^{٢٠} ، وقال ابن الهائم : (وأذان من الله ، إعلام منه والأذان والتأذين والإيذان الإعلام وأصله من الأذن ، تقول : آذنتك بالأمر تريد أوقعته في أذنك ، يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، ويقال : إنه يوم عرفة وكانوا يسمون العمرة الحج الأصغر)^{٢١} ، وقد أشار الحديث إلى أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر .

^{١٩} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٦٨) .

^{٢٠} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٢٨ - ١٢٩) .

^{٢١} ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٢١) .

أخرج الحديث : البخاري^{٢٢} ، وأبو داود^{٢٣} ، وابن ماجه^{٢٤} ، والبيهقي^{٢٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [فإذا أنسلخ الأشهر الحرم فآقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم] آية : ٥ .
(٢٧٨) (وأخرج : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئاً فارقها والله عنه راض ، وقال أنس : هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل قال الله تعالى : [فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم] قال : توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)^{٢٦} .

لقد اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم ما هي فذهب ابن جرير إلى أنها المذكورة في قوله تعالى : منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، قاله أبو جعفر الباقر ، ولكن قال ابن جرير : آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم وهذا الذي ذهب إليه حكاه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإليه ذهب الضحاك أيضاً وفيه نظر ، والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال مجاهد وعمرو بن شعيب ومحمد بن إسحاق وقتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها بقوله : فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، ثم قال : فإذا أنسلخ الأشهر الحرم ، أي : إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمت عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فآقتلوهم لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر ثم إن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة وقوله : فآقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، أي : من الأرض وهذا عام والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله : ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فآقتلوهم ، وقوله : وخذوهم ، أي : وأسروهم إن شئتم قتلاً وإن شئتم أسراً ، وقوله : واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، أي : لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم بل اقصدوهم بالحصار في معاقبتهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام ولهذا قال : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ، ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته ونبه بأعلاها على أدناها فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي هي حق الله عز وجل وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحتاجين وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين ولهذا

^{٢٢} البخاري ، الصحيح : (٢ / ٦٢٠) .

^{٢٣} أبو داود ، السنن : (٢ / ١٩٥) .

^{٢٤} ابن ماجه ، السنن : (١٠١٦) .

^{٢٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٥ / ١٣٩) .

^{٢٦} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٣٧) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٣٢) .

كثيرا ما يقرون الله بين الصلاة والزكاة^{٢٧} ، وقد بين الحديث ما لتوحيد الله من أهمية عظيمة في النجاة في الدنيا والآخرة ، وكذا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

وقد أخرج الحديث : ابن ماجه^{٢٨} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٢٩} ، والضياء المقدسي^{٣٠} .

ما جاء في قوله تعالى : [وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون] آية : ١٢ .

(٢٧٩) (أخرج ابن مردويه : عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : مر سعد برجل من الخوارج ، فقال الخارجي : هذا من أئمة الكفر ، فقال سعد : كذبت بل أنا قاتلت أئمة الكفر)^{٣١} .

(٢٨٠) (وأخرج : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم] ، يقول الله لبيه صلى الله عليه وسلم : وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتلوهم إنهم أئمة الكفر)^{٣٢} .

يبين الله تعالى في هذه الآية جانبا من أخلاق أولئك الذين لا إيمان لهم وهي صفة نكث العهد والميثاق ، وهي من صفات المنافقين والكافرين الذين لا دين لهم ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهدهم من بعد ما عاهدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وطعنوا في دينكم ، يقول : وقدحوا في دينكم الإسلام فثلموه وعابوه ، فقاتلوا أئمة الكفر ، يقول : فقاتلوا رؤساء الكفر بالله ، إنهم لا أيمان لهم ، يقول : إن رؤساء الكفر لا عهد لهم ، لعلهم ينتهون ، لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم)^{٣٣} ، وقال ابن الجوزي : (قوله تعالى : وإن نكثوا أيمانهم ، قال ابن عباس : نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله فأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسير إليهم فينصر خزاعة وهم الذين هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما النكث فمعناه النقض ، والإيمان هاهنا العهد ، والطعن في الدين أن يعاب وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه ، قوله تعالى : فقاتلوا أئمة الكفر ، المراد بأئمة الكفر رؤوس المشركين وقادتهم ، إنهم لا أيمان لهم ، أي : لا عهد لهم صادقة ، وفي قوله : لعلهم ينتهون قولان ، أحدهما : عن الشرك ، والثاني : عن نقض العهد ، وفي لعل قولان ، أحدهما : أنها بمعنى الترجي ، المعنى : ليرجى منهم الانتهاء قاله الزجاج ،

^{٢٧} ينظر : ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٣٦ - ٣٣٧) .

^{٢٨} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٢٧) .

^{٢٩} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٦٢) .

^{٣٠} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٦ / ١٢٦) .

^{٣١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٤٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٣٧) .

^{٣٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٣٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٤٢) .

^{٣٣} الطبري ، التفسير : (١٠ / ٨٧) .

والثاني : أنها بمعنى كي قاله أبو سليمان الدمشقي (^{٣٤}) ، وقد بينت الأحاديث هذا المعنى وأن أئمة الكفر الذين ينقضون العهود والمواثيق •

حديث سعد انفرد ابن مردويه بتخريجه ^{٣٥} ، ولم أقف على تخريج حديث ابن عباس •

ما جاء في قوله تعالى : [إنما يعمرُ مساجدَ الله من آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ ولم يخشَ إلا اللهَ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين] آية : ١٨ •

(٢٨١) (أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم الرجل

يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، قال تعالى : [إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر] ^{٣٦} •

(٢٨٢) (و) عن ابن عباس قال : من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ولم يأت المسجد ويصلي فلا صلاة له

وقد عصى الله ورسوله ، وقال الله تعالى : [إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر] ، الآية ^{٣٧} •

قال البغوي : (الله أوجب على المسلمين منع المشركين من أعمار المساجد ، لأن المساجد إنما تعمر لعبادة

الله وحده فمن كان كافرا بالله فليس من شأنه أن يعمرها ، فذهب جماعة إلى أن المراد منه العمارة المعروفة من

بناء المسجد وترميمه عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا يمتثل وحمل بعضهم العمارة هاهنا على

دخول المسجد والقعود فيه ، شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أرادوهم شاهدون فلما طرحت وهم نصبت ، قال

الحسن : لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر ، وقال الضحاك عن ابن عباس :

شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام

عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم ولم يزد بذلك من الله تعالى إلا

بعدا ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، وعسى من الله واجب ، أي : فأولئك هم المهتدون ، والمهتدون

هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل والتي تؤدي إلى الجنة ^{٣٨} ، قال البيضاوي : (إنما يعمر مساجد الله من آمن

بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، أي : إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية

والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودروس العلم فيها وصيانتها مما لم

تبين له كحديث الدنيا ، وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم أن الإيمان بالله قرينة وتمامه

الإيمان به ولدلالة قوله : وأقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ، ولم يخش إلا الله ، أي : في أبواب الدين فإن الخشية

عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، ذكره بصيغة التوقع

قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم

إذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها

^{٣٤} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٤٠٤ - ٤٠٥) •

^{٣٥} ينظر : ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٤٢٦) •

^{٣٦} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٤١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٤٠) •

^{٣٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٤٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٤٠) •

^{٣٨} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٧٤) •

(^{٣٩}، وفي الحديث عن (عثمان بن عفان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة)^{٤٠}، وعن (أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة)^{٤١}، وعن (أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بنى لله بيتاً يعبد الله فيه من مال حلال بنى الله له بيتاً في الجنة من در وياقوت)^{٤٢}، وقد جاءت الأحاديث في الحض على الصلاة في المساجد والمداومة عليها .

وأخرج الحديث عن أبي سعيد : الإمام أحمد^{٤٣}، والدارمي^{٤٤}، والترمذي^{٤٥}، وابن خزيمة^{٤٦}، وابن حبان^{٤٧}، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٤٨} .
وأخرج حديث ابن عباس : ابن ماجه^{٤٩}، وابن حبان^{٥٠}، والحاكم ، وقال : (هذا حديث قد أوقفه غندر وأكثر أصحاب شعبة ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٥١}، والبيهقي^{٥٢}، والضياء المقدسي^{٥٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [أ جعلتم سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين] آية : ١٩ .

(٢٨٣) (أخرج ابن مردويه : عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت ، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه ، وقال : ففعل

^{٣٩} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٣٦) .

^{٤٠} الترمذي ، السنن : (٢ / ١٣٤) ، ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٢ / ٢٦٨) .

^{٤١} الترمذي ، السنن : (٢ / ١٣٥) .

^{٤٢} البيهقي ، شعبي الإيمان : (٣ / ٨٠) .

^{٤٣} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ٦٨) .

^{٤٤} الدارمي ، مصدر سابق : (١ / ٣٠٢) .

^{٤٥} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٧٧) .

^{٤٦} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٢ / ٣٧٩) .

^{٤٧} ابن حبان ، الصحيح : (٥ / ٦) .

^{٤٨} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٣٣٢) .

^{٤٩} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٢٦٠) .

^{٥٠} ابن حبان ، الصحيح : (٥ / ٤١٥) .

^{٥١} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٣٧٢) .

^{٥٢} البيهقي ، السنن الكبرى : (٣ / ٥٧) .

^{٥٣} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٢٣٩) .

فانزل الله عز وجل : [أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام] ، إلى قوله : [والله لا يهدي القوم الظالمين] ^{٥٤} .

في هذه الآية تحذير من الله تعالى على عدم جعل الأعمال في ميزان واحد ؛ فإن سقاية الحاج وعمارة المسجد ليست مثل الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وليست مثل الجهاد في سبيل الله فتلك الأعمال لا تقاس بتلك ، قال الطبري : (هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية) ^{٥٥} ، وفي الحديث الدليل على ذلك ، فقد دل الحديث على أن السقاية والعمارة ليست مثل الجهاد في سبيل الله .
أخرج الحديث : مسلم ^{٥٦} ، وأبو عوانة ^{٥٧} ، والطبراني ^{٥٨} ، وابن منده ^{٥٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعبابٍ آليمٍ] آية : ٣٤ .
(٢٨٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : [والذين يكنزون الذهب والفضة] ، الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا : ما يستطيع أحد منا أن يدع لولده ما لا يبقى بعده ، فقال عمر : أنا أفرج عنكم فانطلق عمر واتبعه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله لم يفرض الزكاة إلا لطيب بها ما بقي من أموالكم وإنما فرض الموارث من أموال تبقى بعدكم ، قال : فكبر عمر ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته) ^{٦٠} .
(٢٨٥) (و) عن ابن عمر رضي الله عنهما في الآية قال : إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله طهرة للأموال ، ثم قال : ما أبالي لو كان عندي مثل أحد ذهباً أعلم عدده أزكيه وأعمل فيه بطاعة الله) ^{٦١} .
قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحداية ربهم إن كثيراً من العلماء والقراء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل ، يقول : يأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتباً ثم يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمننا قليلاً من سفلتهم ، ويصدون عن سبيل الله ، يقول : ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه بنهيهم إياهم عنه ، والذين

^{٥٤} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٤٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٤٥) .

^{٥٥} الطبري ، التفسير : (١٠ / ٩٤) .

^{٥٦} مسلم ، الصحيح : (٣ / ١٤٩٩) .

^{٥٧} أبو عوانة ، مصدر سابق : (٤ / ٤٦٥) .

^{٥٨} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ١٣٤) .

^{٥٩} ابن منده ، مصدر سابق : (١ / ٤٠٠) .

^{٦٠} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٥٢) ، السيوطي ، الدر المنثور ، (٤ / ١٧٨) .

^{٦١} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٧٧) .

يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يقول : بشر الكثير من الأحرار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجه من الله ، وعنى بقوله : ولا ينفقونها في سبيل الله ولا يؤدون زكاتها^{٦٢} وقال ابن الجوزي : (قوله تعالى : إن كثيرا من الأحرار ، الأحرار من اليهود والرهبان من النصارى ، وفي الباطل أربعة أقوال ، أحدها : أنه الظلم قاله ابن عباس ، والثاني : الرشا في الحكم قاله الحسن ، والثالث : الكذب قاله أبو سليمان ، والرابع : أخذه من الجهة المحظورة قاله القاضي أبو يعلى ، والمراد أخذ الأموال وإنما ذكر الأكل لأنه معظم المقصود من المال ، وفي المراد بسبيل الله هاهنا قولان ، أحدهما : الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس والسدي ، والثاني : أنه الحق والحكم ، قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ، اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال ، أحدها : أنها نزلت عامة في أهل الكتاب والمسلمين قاله أبو ذر والضحاك ، والثاني : أنها خاصة في أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان ، والثالث : أنها في المسلمين قاله ابن عباس والسدي)^{٦٣} ، وقال البيضاوي : (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ، يأخذونها بالرشا في الأحكام ، سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ، ويصدون عن سبيل الله ، دينه ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، يجوز أن يراد به الكثير من الأحرار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والظن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ)^{٦٤} ، وفي الحديث الأول الإشارة إلى المرأة ومكانتها في حياة الرجل ، (قال القاضي : لما بين لهم أنه لا حرج عليهم في كثر المال ما داموا يؤدون زكاته ورأى استبشارهم به رغبتهم عنه إلى ما هو خير وأبقى وهو المرأة الصالحة الجميلة ، فإن الذهب لا ينفع الرجل ولا يغنيه إلا إن فر عنه ، والمرأة ما دامت معه رفيقته ينظر إليها فتسره ويقضي عند الحاجة منها وطره ويشاورها فيما يعن له فتحفظ سره ويستمد منها في حوائجه فتطيع أمره وإذا غاب عنها تحامي ماله وتراعي عياله ولو لم يكن لها إلا أنها تحفظ بذره وتربي زرعه فيحصل بسببها ولد يكون له وزيرا في حياته وخليفة بعد وفاته لكفى)^{٦٥} ، فلا أهمية للمال بوجود المرأة الصالحة التي تعين زوجها في كل أمور الحياة .

أخرج الحديث عن ابن عباس : أبو داود^{٦٦} ، وأبو يعلى^{٦٧} ،

والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٦٨} ، والبيهقي^{٦٩} .

^{٦٢} الطبري ، التفسير : (١٠ / ١١٧ - ١١٨) .

^{٦٣} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٤٢٨) .

^{٦٤} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٤٢) .

^{٦٥} المناوي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٥٣) .

^{٦٦} أبو داود ، السنن : (٢ / ١٢٦) .

^{٦٧} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٤ / ٣٧٨) .

^{٦٨} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٦٣) .

وأخرج الحديث الثاني عن ابن عمر : البخاري^{٧٠} ، وابن ماجه^{٧١} ، والبيهقي^{٧٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] آية : ٣٦ .

(٢٨٦) (وأخرج : عن ابن عمر قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أواسط أيام التشريق فقال : أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهياته يوم خلق الله السماوات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منه أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم)^{٧٣} .

(٢٨٧) (وأخرج ابن مردويه : عن أبي بكر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)^{٧٤} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم ، يقول : هذه الشهور الأثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم)^{٧٥} ، وقال ابن الجوزي : (إن عدة الشهور عند الله ، قال المفسرون : نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله فربما وقع حجهم في رمضان وربما وقع في شوال إلى غير ذلك وكانوا يستحلون المحرم عاما ويحرمون مكانه صفر وتارة يحرمون المحرم ويستحلون صفر ، قال الزجاج : أعلم الله عز وجل أن عدد شهور المسلمين التي تعبدوا بأن يجعلوه لسننتهم اثنا عشر شهرا على منازل القمر فجعل حجهم وأعيادهم على هذا العدد فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء وتارة في الصيف بخلاف ما يعتمده أهل الكتاب فانهم يعملون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوما وبعض يوم ، في كتاب الله ، أي : في اللوح المحفوظ ، قال ابن عباس : في الإمام الذي عند الله كتبه ، يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ، وفيها قولان ، أحدهما : أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قاله الأكثرون ، وقال القاضي أبو يعلى : إنما سماها حرما لمعنيين أحدهما تحريم القتال

^{٦٩} البيهقي ، السنن الكبرى : (٤ / ٨٣) .

^{٧٠} البخاري ، الصحيح : (٢ / ٥٠٩) ، (٤ / ١٧١٢) .

^{٧١} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٥٦٩) .

^{٧٢} البيهقي ، السنن الكبرى : (٤ / ٨٢) .

^{٧٣} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٥٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٨٣) .

^{٧٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٨٣) .

^{٧٥} الطبري ، التفسير : (١٠ / ١٢٤) .

فيها وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضا والثاني لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشد من تعظيمه في غيرها وكذلك تعظيم الطاعات فيها ، والثاني : إنها الأشهر التي أجل المشركون فيها للسياحة ذكره ابن قتيبة (٧٦) ، وقد دل حديثا الآية على أن الأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب •
أخرج الحديث الأول عن ابن عمر : الروياني^{٧٧} ، والطبراني^{٧٨} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات)^{٧٩} •
وأخرج الحديث الثاني عن أبي بكرة : البخاري^{٨٠} ، ومسلم^{٨١} ، وأبو داود^{٨٢} ، والنسائي^{٨٣} ، وابن حبان^{٨٤} •

ما جاء في قوله تعالى : [إلا تنفروا يُعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير] آية : ٣٩ •

(٢٨٨) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن عباس في قوله : [إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً] ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب فثاقلوا عنه فأنزل الله هذه الآية ، فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم)^{٨٥} •

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفر إلى عدوهم من الروم : إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا في الدنيا بترككم النفر إليهم عذابا موجعا ، ويستبدل قوما غيركم ، يقول : يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون إذا استنفروا ويجيبونه إذا دعوا ويطيعون الله ورسوله ، ولا تضروه شيئاً ، يقول ولا تضروا الله بترككم النفير ومعصيتكم إياه شيئاً لأنه لا حاجة به إليكم بل أنتم أهل الحاجة إليه وهو الغني عنكم وأنتم الفقراء ، والله على كل شيء قدير ، يقول جل ثناؤه : والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير ، وقد ذكر أن العذاب الأليم في هذا الموضع كان احتباس المطر عنهم)^{٨٦} ، وقال ابن كثير : (توعده تعالى من ترك الجهاد فقال : إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ، ويستبدل قوما غيركم ، أي : لنصرة نبيه وإقامة دينه ، ولا تضروه شيئاً ، أي : ولا تضروا الله شيئاً بتوليكم عن الجهاد ونكولكم وثقالكم عنه ، والله على كل شيء قدير ، أي : قادر على الانتصار من

^{٧٦} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٤٣٢) •

^{٧٧} الروياني ، مصدر سابق : (٢ / ٤١١) •

^{٧٨} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣ / ١٩٦) •

^{٧٩} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢٩) •

^{٨٠} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١١٦٨) ، (٤ / ١٥٩٩) •

^{٨١} مسلم ، الصحيح : (٣ / ١٣٠٥) •

^{٨٢} أبو داود ، السنن : (٢ / ١٩٥) •

^{٨٣} النسائي ، السنن الكبرى : (٢ / ٤٦٩) •

^{٨٤} ابن حبان ، الصحيح : (١٣ / ٣١٣) •

^{٨٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ١٩٣ - ١٩٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٦٣) •

^{٨٦} الطبري ، التفسير : (١٠ / ١٣٤) •

الأعداء بدونكم)^{٨٧}، والآية في الحزب على الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه ونبيه ، وأن الذي يتخلف عن ذلك فقد عرض نفسه لغضب الله تعالى ، وهذا الغضب قد يكون بقطع المطر من السماء كما في الحديث ، ومن ثم يكون الاستبدال ، فقد يستبدل الله العاصين له بآخرين مطيعين إذا أمرهم ، ثم بين الله تعالى أن هؤلاء الذين يستبدلهم لا يضره شيئا ، لأن الله قادر على كل شيء .
 أخرج الحديث : عبد بن حميد^{٨٨} ، وأبو داود^{٨٩} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم)^{٩٠}

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] آية : ٦٠ .
 (٢٨٩) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : كانت المؤلفة قلوبهم خمسة عشر رجلا : أبو سفيان بن حرب ، والأقرع ، وعيينة ، وحويطب ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وأبو السنابل ، وحكيم بن حزام ، ومالك بن عوف ، وصفوان ابن أمية ، والعباس بن مرداس ، والعلاء بن الحارث الثقفي ، وعبد الرحمن بن يربوع من بني مالك ، وسهيل الجمحي ، وخالد بن قيس السلمي)^{٩١} .

في هذه الآية بين الله تعالى الأصناف الذين يستحقون الصدقات والزكاة وهم ثمانية أصناف ذكرتهم هذه الآية الكريمة ، وقد اختلفوا في صفة الفقير والمسكين على أقوال ، أحدها : أن الفقير المتعفف عن السؤال والمسكين الذي يسأل وبه رمق ، وقالوا : إن الفقير المحتاج الذي به زمانة والمسكين المحتاج الذي لا زمانة به ، وقالوا : الفقير المهاجر والمسكين الذي لم يهاجر ، وقيل : الفقير فقير المسلمين والمسكين من أهل الكتاب ، وقالوا : إن الفقير من له البلغة من الشيء والمسكين الذي ليس له شيء ، وقال يونس : قلت لأعرابي : أفقر أنت ؟ قال : لا والله بل مسكين يريد أنه أسوأ حالا من الفقير ، وقيل : إن الفقير أمس حاجة من المسكين لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفقار والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع وذلك أبلغ ، والعاملين عليها ، هم السعاة لجباية الصدقة يعطون منها بقدر أجور أمثالهم وليس ما يأخذونه بركة ، والمؤلفة قلوبهم ، هم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم وكانوا ذوي شرف وهم صنفان مسلمون وكافرون فأما المسلمون فصنفان صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم كعيينة بن حصن والأقرع وصنف كانت نياتهم حسنة فأعطوا تألما لعشائهم من المشركين مثل عدي بن حاتم وأما المشركون فصنفان صنف يقصدون المسلمين بالأذى فتألفهم دفعا لأذاهم مثل عامر بن الطفيل وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام

^{٨٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٥٩) .

^{٨٨} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٢٢٨) .

^{٨٩} أبو داود ، السنن : (٣ / ١١) .

^{٩٠} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ١١٤) .

^{٩١} ابن حجر الإصابة : (٤ / ٣٦٦) ، (٤ / ٤٧٧) .

تألفهم بالعطية ليؤمنوا كصفوان بن أمية ، قال الزهري : لا أعلم شيئا نسخ حكم المؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، الذين يفادون في سبيل الله ، والغارمين ، وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون القضاء ، قال قتادة : هم ناس عليهم دين من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير وإنما قال هذا لأنه لا يؤمن في حق المفسد إذا قضى دينه أن يعود إلى الاستدانة لذلك ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه ، وفي سبيل الله ، يعني : الغزاة والمرابطين ويجوز عندنا أن نعطي الأغنياء منهم والفقراء وهو قول الشافعي ، وقال أبو حنيفة : لا يعطى إلا الفقير منهم ، وابن السبيل ، هو المسافر المنقطع به وإن كان له مال في بلده ، وقد فرض الله عز وجل هذا الأمر على المسلمين لتقوى شوكتهم ويعز دينهم^{٩٢} ، وقال البيضاوي : (أي : الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لزمهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ، والعاملين عليها ، الساعين في تحصيلها وجمعها ، والمؤلفة قلوبهم ، قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستأنف قلوبهم أو أشرف قد يترتب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام ، وقيل : أشرف يستألفون على أن يسلموا فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم ، والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار وماعى الزكاة ، وقيل : كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط ، وفي الرقاب ، وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم ، وقيل : بأن تبتاع الرقاب فتعتق ، أو بأن يفدي الأسارى ، والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب ، وقيل : للأيذان بأنهم أحق بها ، والغارمين ، والمديونين لأنفسهم في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء ، وفي سبيل الله ، وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة ، وقيل : وفي بناء القناطر والمصانع ، وابن السبيل ، المسافر المنقطع عن ماله ، فريضة من الله ، مصدر لما دل عليه الآية الكريمة ، أي : فرض لهم الله الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة ، والله عليم حكيم ، يضع الأشياء في مواضعها ، وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم)^{٩٣} ، قال الترمذي : (وقد اختلف أهل العلم في إعطاء المؤلفة قلوبهم ، فرأى أكثر أهل العلم أن لا يعطوا ، وقالوا : إنما كانوا قوما على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان يتألفهم على الإسلام حتى أسلموا ولم يروا أن يعطوا اليوم من الزكاة على مثل هذا المعنى وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة وغيرهم وبه يقول أحمد وإسحاق ، وقال بعضهم : من كان اليوم على مثل حال هؤلاء ورأى الإمام أن يتألفهم على الإسلام فأعطاهم جاز ذلك وهو قول الشافعي)^{٩٤} ، وفي الحديث الإشارة إلى المؤلفة قلوبهم •

^{٩٢} ينظر ، ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٤٥٥) وما بعدها .

^{٩٣} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٥٣ - ١٥٤) .

^{٩٤} الترمذي ، السنن : (٣ / ٥٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [فرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بمقعدهم خِلافَ رسولِ اللهِ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالِهِمْ وأنفسِهِمْ في سبيلِ اللهِ وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لو كانوا يفقهونَ] آية : ٨١ .
(٢٩٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أوقد اللهُ على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم)^{٩٥} .

(٢٩١) (وأخرج : عن ابن عباس أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسولَ اللهِ الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا في الحر ، فقال اللهُ : [قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون] ، فأمره بالخروج)^{٩٦} .

في هذه الآية بيان لحال المنافقين الذين لم يخرجوا للغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتخلفوا عنه وأصحابه ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه ، بمقعدهم خلاف رسول الله ، يقول : بجلوسهم في منازلهم خلاف رسول الله ، يقول : على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعدته ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم ، وقوله : وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، يقول تعالى ذكره : وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، يعني : في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه ميلا إلى الدعة والخفض وإيثارا للراحة على التعب والمشقة وشحا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى غزوة تبوك في حر شديد ، فقال المنافقون بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، فقال اللهُ لنبيه محمد صلى اللهُ عليه وسلم : قل لهم يا محمد نار جهنم التي أعدها اللهُ لمن خالف أمره وعصى رسوله أشد حرا من هذا الحر الذي تتواصلون بينكم أن لا تنفروا فيه ، يقول : الذي هو أشد حرا أخرى أن يحذر ويتقي من الذي هو أقلهما أذى ، لو كانوا يفقهون ، يقول : لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آي كتابه ولكنهم لا يفقهون عن الله فهم يحذرون من الحر أقله مكروها وأخفه أذى ويوافقون أشده مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء)^{٩٧} ، وقال ابن الجوزي : (فرح المخلفون بمقعدهم ، يعني : المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم في غزوة تبوك ، والمخلف المتروك خلف من مضى بمقعدهم ، أي : بقعودهم ، وفي قوله : خلاف رسول الله ، قولان ، أحدهما : أن معناه بعد رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قاله أبو عبيدة ، والثاني : أن معناه مخالفة رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم وهو منصوب لأنه مفعول له فالمعنى بأن قعدوا لمخالفة رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قاله الزجاج ،

^{٩٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٧٨) .

^{٩٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٢٥٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٨٩) .

^{٩٧} الطبري ، التفسير : (١٠ / ٢٠٠ - ٢٠١) .

وفي قوله : لا تنفروا في الحر ، قولان ، أحدهما : أنه قول بعضهم لبعض قاله مقاتل ، والثاني : أنهم قالوه للمؤمنين ذكره الماوردي ، وإنما قالوا هذا لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر ، قل نار جهنم أشد حرا ، لمن خالف أمر الله ، وقوله : يفقهون ، معناه : يعلمون قال ابن فارس : الفقه العلم بالشيء ، تقول : ففقت الحديث أفقته وكل علم بشيء فقه ثم أختص به علم الشريعة ، فقيل : لكل عالم بها فقيه^{٩٨} وقال ابن كثير : (يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وفرحوا بعودهم بعد خروجه وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا : أي : بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلماذا قالوا : لا تنفروا في الحر ، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : قل لهم نار جهنم التي تصيرون إليها بمخالفتكم أشد حرا مما فررت منه من الحر)^{٩٩} ، ويبين الحديثان شدة حر نار جهنم .

أخرج الحديث عن أبي هريرة : الترمذي ، وقال : (حديث أبي هريرة في هذا موقف أصح ولا أعلم أحدا يحيى بن أبي بكير عن شريك)^{١٠٠} ، والدليمي^{١٠١} ، وابن رجب^{١٠٢} ، وللحديث شاهد من حديث أنس بن مالك^{١٠٣} .

ولم يخرج الحديث الثاني عن ابن عباس سوى ابن مردويه وابن جرير الطبري^{١٠٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ] آية : ١٠٢ .

(٢٩٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً] ، قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم فلما رأهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى يطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم ويعذرهم ، قال : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ، فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا ، فأنزل الله عز وجل : [وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب

^{٩٨} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٣ / ٤٧٨) .

^{٩٩} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣٧٧) .

^{١٠٠} الترمذي ، السنن : (٤ / ٧١٠) .

^{١٠١} الدليمي ، مصدر سابق : (١ / ٤٠٣) .

^{١٠٢} ابن رجب الحنبلي ، التخويف من النار : (٦٦) .

^{١٠٣} ينظر : البيهقي ، شعب الإيمان : (١ / ٤٨٩) .

^{١٠٤} الطبري ، التفسير : (١٠ / ٢٠١) .

عليهم] ، وعسى من الله واجب وإنه هو التواب الرحيم فلما نزلت أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم ، الحديث (١٠٥) .

(٢٩٣) (وأخرج : عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ وإنه قال لنا ذات غداة : إنه أتاني الليلة آتيان فقالا لي : انطلق ، فانطلقت معهما فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فأتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود إليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى ، قلت لهما : سبحان الله ما هذان ؟ قالوا لي : انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وآخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، قلت : سبحان الله ما هذان ؟ قالوا لي : انطلق ، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات فاطلنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا ، قلت : ما هؤلاء ؟ فقالوا لي : انطلق ، فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شاطئ النهر رجل عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع فغر له فاه فألقمه حجرا ، قلت لهما : ما هذان ؟ قالوا لي : انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجل كربه المرأة كأكره ما أنت راء وإذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها ، قلت لهما : ما هذا ؟ قالوا لي : انطلق ، فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط ، قالوا لي : انطلق ، فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر قط روضة أعظم منها ولا أحسن ، قالوا لي : ارق فيها ؟ فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقنا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء ، قالوا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المخض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا فذهب السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالوا لي : هذه جنة عدن وذاك منزلك فسما بصري صعدا فإذا قصر مثل الربابة البيضاء قالوا لي هذا منزلك ، قلت لهما : بارك الله فيكما ذراني فأدخله ، قالوا : أما الآن فلا وأنت داخله ، قلت لهما : فياني رأيت منذ الليلة عجا بما هذا الذي رأيت ؟ قالوا لي : أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة ، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل التنور فإنهم الزناة والزواني ، وأما الرجل

^{١٠٥} ابن حجر ، الإصابة : (١ / ١٥٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٢٧٥) الزرقاني ، مصدر سابق : (٣ / ٩٠) .

الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا ، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عنده النار يحشها فإنه مالك خازن النار ، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشرط منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وأنا جبريل وهذا ميكائيل (١٠٦) .

في هذه الآية بيان لتوبة بعض الصحابة الذين كانوا تخلفوا عنه في غزوة تبوك ، وهؤلاء خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، وقد تاب الله عليهم لما في نفوسهم من التوبة الصادقة والصدق في رجوعهم إلى الله تعالى وإلى دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد بين الحديثان مصداقية تلك التوبة .

أخرج الحديث عن ابن عباس : الطبري (١٠٧) ، وأخرج حديث سمرة : ابن أبي شيبة (١٠٨) ، والإمام أحمد (١٠٩) ، والبخاري (١١٠) ، والنسائي (١١١) ، وابن خزيمة (١١٢) ، وابن حبان (١١٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] آية : ١٠٨ .

(٢٩٤) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء : [فيه رجال يحبون أن يتطهروا] ، قال : كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية) (١١٤) .

(٢٩٥) (وأخرج : عن طلحة بن نافع (١١٥) قال : حدثني أبو أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك رضي الله عنهم أن هذه الآية لما نزلت : [فيه رجال يحبون أن يتطهروا] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيرا في الطهور فما طهوركم هذا ؟ قالوا : نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ،

١٠٦ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٢٧٩ - ٢٨٠) .

١٠٧ الطبري ، التفسير : (١١ / ١٣) .

١٠٨ ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ١٧٧) .

١٠٩ الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٨) .

١١٠ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧١٧) .

١١١ النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٣٩١) .

١١٢ ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٢ / ٦٩) .

١١٣ ابن حبان ، الصحيح : (٢ / ٤٢٧) .

١١٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٢٨٨) .

١١٥ أبو سفيان طلحة بن نافع الإسكافي الواسطي عراقي صدوق ، روى عن جابر بن عبد الله وابن عباس وأنس بن مالك وعبيد بن عمير وغيرهم ، روى عنه حصين بن عبد الرحمن والأعمش ومحمد بن إسحاق وحجاج بن أرطاة وشعبة وغيرهم ، قال أبو حاتم الرازي : أبو الزبير أحب إلي منه ، وقال أحمد بن حنبل وغيره : ليس به بأس ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٣٤٦) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (١ / ١٤٤) ، الذهبي ، السير : (٥ / ٢٩٣) .

قال : فهل مع ذلك غيره ؟ قالوا : لا غير أن أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحب أن يستنجي بالماء ، قال : هو ذاك فعليكموه ^{١١٦} .

(٢٩٦) (وأخرج : عن أبي سعيد الخدري قال : اختلف رجلان رجل من بني خدرة ، وفي لفظ : تماريت أنا ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى ، قال الخدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال العمري : هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألاه عن ذلك ، فقال : هو هذا المسجد لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : في ذلك خير كثير ، يعني : مسجد قباء) ^{١١٧} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : لا تقم يا محمد في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله ، ثم أقسم جل ثناؤه فقال : لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم أنت فيه ، يعني بقوله أسس على التقوى ابتداء أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أول يوم ابتدء في بنائه أحق أن تقوم فيه ، يقول : أولى أن تقوم فيه مصليا ، وقيل : معنى قوله من أول يوم مبدأ أول يوم كما تقول العرب لم أره من يوم كذا بمعنى مبدؤه ومن أول يوم يراد به من أول الأيام) ^{١١٨} ، وقال القرطبي : (قوله تعالى لا تقم فيه أبدا ، يعني : مسجد الضرار ، أي : لا تقم فيه للصلاة وقد يعبر عن الصلاة بالقيام ، قوله تعالى : أبدا ، أبدا ظرف زمان وظرف الزمان على قسمين ظرف مقدر كالיום وظرف مبهم كالحين والوقت والأبد من هذا القسم وكذلك الدهر وتنشأ هنا مسألة أصولية وهي : أن أبدا وإن كانت ظرفا مبهما لا عموم فيه ولكنه إذا اتصل بلا النافية أفاد العموم فلو قال : لا تقم لكفى في الانكفاف المطلق ، فإذا قال : أبدا فكأنه قال : في وقت من الأوقات ولا في حين من الأحيان ، قوله تعالى لمسجد أسس على التقوى ، أي : بنيت جدره ورفعت قواعده والأس أصل البناء ومعنى التقوى هنا الخصال التي تتقي وهي فعلى من وقيت) ^{١١٩} ، وقد اختلف في المسجد الذي عني بقوله : لمسجد أسس على التقوى كما بين الحديث ذلك ، والراجح أنه مسجده عليه الصلاة والسلام كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري ، وكما أشارت الأحاديث المتقدمة في محبة أهل قباء في التطهر .

أخرج الحديث الأول عن أبي هريرة : أبو داود ^{١٢٠} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفي الباب عن أبي أيوب وأنس بن مالك ومحمد بن عبد الله بن سلام) ^{١٢١} ، وابن ماجه ^{١٢٢} ، والبيهقي ^{١٢٣} .

^{١١٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٢٨٩) .

^{١١٧} الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٠٥) .

^{١١٨} الطبري ، التفسير : (١١ / ٢٦) .

^{١١٩} القرطبي ، مصدر سابق : (٨ / ٢٥٨ - ٢٥٩) .

^{١٢٠} أبو داود ، السنن : (١ / ١١) .

^{١٢١} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٨٠) .

^{١٢٢} ابن ماجه ، السنن : (١ / ١٢٨) .

^{١٢٣} البيهقي ، السنن الكبرى : (١ / ١٠٥) .

وأخرج الحديث عن طلحة بن نافع : الدار قطني^{١٢٤} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث كبير صحيح في كتاب الطهارة ، فإن محمد بن شعيب بن شابور وعتبة بن أبي حكيم من أئمة أهل الشام ، والشيخان إنما أخذوا مخ الروايات ، ومثل هذا الحديث لا يترك له ، قال إبراهيم بن يعقوب : محمد بن شعيب أعرف الناس بحديث الشاميين ، وله شاهد بإسناد صحيح)^{١٢٥} ، والبيهقي^{١٢٦} ، والضياء المقدسي^{١٢٧} .
وأخرج الحديث عن أبي سعيد : ابن أبي شيبة^{١٢٨} ، والإمام أحمد^{١٢٩} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح)^{١٣٠} .

^{١٢٤} الدار قطني ، السنن : (١ / ٦٢) .

^{١٢٥} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٢٥٧) .

^{١٢٦} البيهقي ، السنن الكبرى : (١ / ١٠٥) ، شعب الإيمان : (٣ / ١٨ - ١٩) .

^{١٢٧} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٦ / ٢١٨ - ٢١٩) .

^{١٢٨} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٢ / ١٤٨) .

^{١٢٩} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ٢٣) .

^{١٣٠} الترمذي ، السنن : (٢ / ١٤٤) .

الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا لإتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التي نسأل الله تعالى أن تنال الرضا والقبول والاستحسان ، وبعد فقد خرجت بنتائج من هذا البحث أرى أنها مهمة وهي :

- إن ابن مردويه رحمه الله كان من الذين اشتغلوا في الحديث النبوي الشريف ، وهو محدث مشهور وأكبر من أن ندل عليه وعمل كتبنا في الحديث كثيرة قد ذكرناها وبينناها •
- تفسير ابن مردويه من كتب التفسير بالمأثور ، فقد فسر كتاب الله تعالى بالمأثور من دون ذكر رأيه في تفسير آياته أو استعان باللغة أو الشعر في بيان معاني الآيات الكريمة •
- عمل تفسيره بالطريقة نفسها التي عمل بها الطبري - رحمه الله - في تفسيره ، فقد كان يذكر الأحاديث الواردة في الآية جميعها من دون الوقوف على أسانيد تلك الأحاديث أو الإشارة إليها أو حتى التنبيه إلى ما يعترى سند البعض منها من ضعف •
- بعد تخريج الأحاديث التي جمعتها في هذا البحث تبين لي أن معظم الأحاديث التي جاء بها ابن مردويه كانت مخرجة في الصحيحين أو في أحدهما ، وهذه النسبة قد بلغت أكثر من النصف •
- وكانت بقية الأحاديث في تفسيره مخرجة عند أصحاب السنن الأربعة أو واحد منهم ، أو كانت عند الإمام أحمد في مسنده ، أو غيره من المسانيد ، وفي الأغلب الأعم منها كان الحكم عليها بالصحة أو الحسن ، فقد حكم عليها النقاد بذلك ، وهي نسبة زادت على ربع الأحاديث في تفسيره هذا •
- أما نسبة الأحاديث التي كان الحكم عليها بالضعف أو الوضع فهي نسبة قليلة بالمقارن بعدد الأحاديث التي جمعت في هذا البحث ودرست فيه •
- تناول في تفسيره لآيات القرآن الكريم كل ما له علاقة بالآية المراد تفسيرها من قريب أو بعيد ، حتى إننا لنجد أنه في تفسيره لبعض تلك الآيات جاء بالأحاديث التي تتحدث عن أبسط الأمور فيها وتوسع فيها كما في تفسيره لبعض آيات سورة البقرة أو الفاتحة مثلا •

- كان ابن مردويه يذكر في بداية تفسيره للسورة مكان نزول السور في مكة أو المدينة ، والذي رأيته أنه كان مهتما في هذا جدا ، ثم كان يعرج بذكر فضائل السورة أن وجدت أو ذكر فضائل بعض الآيات التي في السورة المراد تفسيرها .
- كان ابن مردويه يذكر في تفسيره لبعض الآيات أيضا بعض المرويات من السيرة أو التاريخ لتعزيز تفسيره لتلك الآيات الكريمة .
- إن تفسير ابن مردويه من التفاسير المهمة التي تناولت تفسير القرآن الكريم بالمأثور ، وقد ذكره الكثير من العلماء وتناولوه بالذكر في كتبهم وما ذلك إلا لأهميته في ذلك العصر خصوصا أنه كان في تلك المدة التي تناولت تأصيل هذا العلم (التفسير) وجعله منفصلا عن الحديث النبوي الشريف في كتب خاصة لهذا العلم .

سورة الرعد

اختلف العلماء في نزول سورة الرعد على قولين ، الأول : أنها مكية ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة^١ ، الثاني : أنها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد^٢ ، (٣٣٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الرعد بالمدينة^٣ ، (٣٣٤) (وأخرج : عن ابن الزبير رضي الله عنه قال : نزلت الرعد بالمدينة^٤ ، (وقال بعضهم : المدني منها قوله : [هو الذي يريكم البرق] ، إلى قوله : [له دعوة الحق] الرعد : ١٤)^٥ ، وقد سميت الرعد لذكر الرعد فيها دون غيرها بهذا التفصيل^٦ .

ما جاء في قوله تعالى : [ويقولُ الذينَ كفَرُوا لولاَ أنزلَ عليه آيةٌ من ربهِ إنّما أنتَ مُنذرٌ ولكلِّ قومٍ هادٍ] آية : ٧ .

(٣٣٥) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [إنما أنت منذر ولكل قوم هاد] ، قال : المنذر محمد صلى الله عليه وسلم والله عز وجل هادي كل قوم ، وفي لفظ : رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المنذر وهو الهادي) ، (٣٣٦) (وأخرج : عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله : [إنما أنت منذ ولكل قوم هاد] ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر وأنا الهادي ، وفي لفظ : الهادي رجل من بني هاشم ، يعني نفسه))^٧ .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : ويقول الذين كفروا يا محمد من قومك لولا أنزل عليه آية من ربه هلا أنزل على محمد آية من ربه يعنون علامة وحجة له على نبوته وذلك قولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك يقول الله له يا محمد إنما أنت منذر لهم تنذرهم بأس الله أن يحل بهم على شركهم ، ولكل قوم هاد ، يقول : ولكل قوم إمام يأتون به وهاد يتقدمهم فيهديهم إما إلى خير وإما إلى شر ، وأصله من هادي الفرس وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده)^٨ ، وقال البغوي : (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه ، أي : على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه ، أي : علامة وحجة على نبوته ، قال الله تعالى : إنما أنت منذر ، مخوف ، ولكل قوم هاد ،

^١ ينظر : ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٢٩٩) ، القرطبي ، مصدر سابق : (٩ / ٢٧٨) ، ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٤٩٩) .

^٢ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) ، الطبري ، التفسير : (١٣ / ٩١) ، ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٢٩٩) ، القرطبي ، مصدر

سابق : (٩ / ٢٧٨) ، أبو السعود ، مصدر سابق : (٥ / ٢) .

^٣ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٩٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٦٣) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٣ / ٨٤) .

^٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٩٩) .

^٥ ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٢٩٩) .

^٦ ينظر : الطبري ، التفسير : (١٣ / ٩١) .

^٧ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٦٠٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٧٠) .

^٨ الطبري ، التفسير : (١٣ / ١٠٦) .

أي : لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى ، وقال الكلبي : داع يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة ، وقال عكرمة : الهادي محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول : إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم ، أي : داع ، وقال سعيد بن جبير : الهادي هو الله تعالى^٩ ، وفي الحديث إشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو المنذر ؛ ولكن كان الاختلاف في الهادي ، والراجح أنه رب العزة تبارك وتعالى لا غيره لقوله تعالى : [إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء] ، والله أعلم .

أخرج الحديث عن ابن عباس : الطبري^{١٠} ، وأخرج الحديث عن علي بن أبي طالب : الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١١} ، وفي اللفظ : الهادي رجل من بني هاشم ، قال ابن حجر : (أخرجه ابن مردويه)^{١٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ] آية : ١٣ .

(٣٣٧) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك ، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيهِ إذ قال : [والله على ما نقول وكيل] القصص : ٢٨ ، قال : هاتوا ، قالوا : أخبرنا عن علامة النبي ؟ قال : تنام عيناه ولا ينام قلبه ، قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر : قال : يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت ، قالوا : أخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ فقال : كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا يعني الإبل فحرم لحومها ، قالوا : صدقت ، قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال : ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله ، قالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال : صوته ، قالوا : صدقت إنما بقيت واحدة وهي التي نتابعك إن أخبرتنا أنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل ، قالوا : جبريل ذلك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والمطر لكان ، فأنزل الله : [قل من كان عدوا لجبريل [البقرة : ٩٧ إلى آخر الآية]^{١٣} .

قال ابن الجوزي : (قوله تعالى : ويسح الرعد بحمده فيه قولان ، أحدهما : أنه اسم الملك الذي يزجر السحاب وصوته تسيحه قاله مقاتل ، والثاني : أنه الصوت المسموع وإنما خص الرعد بالتسيح لأنه من أعظم الأصوات قال ابن الأنباري : وإخباره عن الصوت بالتسيح مجاز ، والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب

^٩ البغوي ، مصدر سابق : (٨ / ٣) .

^{١٠} الطبري ، التفسير : (١٣ / ١٠٧) .

^{١١} الحاكم ، المستدرک : (٣ / ١٤٠) .

^{١٢} ابن حجر ، فتح الباري : (٨ / ٣٧٦) .

^{١٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٦٢٠ - ٦٢١) ، الألويسي ، مصدر سابق : (١٣ / ١٢٠) .

بها من يشاء ، اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال ، أحدها : أنها نزلت في أريد بن قيس وعامر بن الطفيل أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان الفتك به فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأما أريد فأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته وأما عامر فأصابته غدة فهلك فأنزل الله تعالى هذه الآية هذا قول الأكثرين منهم ابن جريج وأريد هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه ، والثاني : أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : حدثني يا محمد عن إلهك أياقوت هو أم ذهب هو فنزلت على السائل صاعقة فأحرقته ونزلت هذه الآية قاله علي ، والثالث : أنها في رجل أنكر القرآن وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته ونزلت هذه الآية قاله قتادة ، وهم يجادلون في الله ، فيه قولان ، أحدهما : يكذبون بعظمة الله قاله ابن عباس ، والثاني : يخاصمون في الله حيث قال قائلهم أهو من ذهب أم من فضة على ما تقدم بيانه ، وهو شديد المحال ، فيه خمسة أقوال ، أحدها : شديد الأخذ قاله علي ، والثاني : شديد المكر شديد العداوة رواه الضحاك عن ابن عباس ، والثالث : شديد العقوبة قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال مجاهد في رواية عنه شديد الانتقام ، وقال أبو عبيدة : شديد العقوبة والمكر والنكال ، والرابع : شديد القوة قاله مجاهد ، والخامس : شديد الحقد قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مسندا من طرق وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري والنقاش ، ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى ، قال النقاش : هذا قول منكر عند أهل الخبر والنظر في اللغة لا يجوز أن تكون هذه صفة من صفات الله عز وجل والذي أختره في هذا ما قاله علي عليه السلام شديد الأخذ ، يعني : أنه إذا أخذ الكافر والظالم لم يفلته من عقوباته ^{١٤} ، وقال البيضاوي : (ويسبح الرعد ، ويسبح سامعوه ، بحمده ، ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته ، والملائكة من خيفته ، من خوف الله تعالى وإجلاله ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، فيهلكه ، وهم يجادلون ، في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به منه كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية وإعادة الناس ومجازاتهم ، والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو القتل والواو إما لعطف الجملة على الجملة أو للحال ، وهو شديد المحال المماثلة المكايمة لأعدائه) ^{١٥} ، وقد ورد في الحديث : (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك) ^{١٦} ، وقد أشار الحديث إلى أن الرعد ملك من الملائكة .

أخرج الحديث : النسائي ^{١٧} ، والطبراني ^{١٨} ، والضياء المقدسي ^{١٩} .

^{١٤} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٣١٥ - ٣١٦) .

^{١٥} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٢٢ - ٣٢٣) .

^{١٦} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ١٠٠) ، الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٠٣) ، النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢٣٠) .

^{١٧} النسائي ، السنن الكبرى : (٥ / ٣٣٦) .

^{١٨} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ٤٥) .

^{١٩} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٦٨ - ٦٩) .

ما جاء في قوله تعالى : [سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار] آية : ٢٤ .

(٣٣٨) ((أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول من يدخل الجنة من خلق الله تعالى فقراء المهاجرين الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، فيقول الله تعالى لمن يشاء من الملائكة : ائتوهم فحيوهم ، فتقول الملائكة : ربنا نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم ، قال الله تعالى : إن هؤلاء عبادي كانوا يعبدوني في الدنيا ولا يشركون بي شيئاً وتسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب : [سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار]) ، (٣٣٩) (وأخرج : عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي أحداً كل عام فإذا تفوه الشعب سلم على قبور الشهداء فقال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)) ٢٠ .

في هذه الآية يكون دخول الملائكة على عباد الله الذين دخلوا الجنة فيسلمون عليهم ، قال البغوي : (سلام عليكم ، أي : يقولون سلام عليكم ، وقيل : يقولون سلمكم الله من الآفات التي تخافون منها ، قال مقاتل : يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل يقولون : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)^{٢١} ، وقال أبو السعود : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين : سلام عليكم ، بشارة لهم بدوام السلامة ، بما صبرتم ، متعلق بعلينكم أو بمحذوف ، أي : هذه الكرامة العظمى بما صبرتم ، أي : بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة ، فنعم عقبى الدار ، أي : فنعم عقبى الدار الجنة)^{٢٢} ، وعقبى الدار ، عاقبتها ومنتهاها^{٢٣} ، وقد أشار حديثنا الآية إلى سلام الملائكة عليهم وإلى عقبى الدار ، الجنة يدخلونها برضوان الله تعالى عليهم ورحمته بهم .

أخرج الحديث عن عبد الله بن عمرو : الإمام أحمد^{٢٤} ، والبزار^{٢٥} ، والبيهقي^{٢٦} ، والهيثمي^{٢٧} ، وقال : (رواه أحمد والبزار ، ورجالهم ثقات)^{٢٨} ، ولم أقف على تخريج حديث أنس .

^{٢٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٦٤٠) .

^{٢١} البغوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٦ - ١٧) .

^{٢٢} أبو السعود ، مصدر سابق : (٥ / ١٨) .

^{٢٣} ينظر : ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٥١) .

^{٢٤} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ١٦٨) .

^{٢٥} البزار ، مصدر سابق : (٦ / ٤٢٧) .

^{٢٦} البيهقي ، شعب الإيمان : (٧ / ٣٠٠) .

^{٢٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٢٥٩) ، موارد الظمان : (٦٣٥) .

^{٢٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٢٥٩) .

ما جاء في قوله تعالى : [أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب] آية : ٤١ .

(٣٤٠) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها] يعني بذلك ما فتح الله على محمد صلى الله عليه وسلم فذلك نقصانها)^{٢٩} .
(٣٤١) (وأخرج : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : [ننقصها من أطرافها] قال : ذهاب العلماء)^{٣٠}

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معناه أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة الذين يسألون محمدا الآيات أنا نأتي الأرض فنفتحها له أرضا بعد أرض حوالي أرضهم أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم كما فتحنا له غيرها ، وقال آخرون : بل معناه أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخربها أو لا يخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك فنهلكهم ونخرب أرضهم ، وقال آخرون : بل معناه نقص من بركتها وثمرتها وأهلها بالموت ، وقال آخرون : معناه أنا نأتي الأرض ننقصها من أهلها بأخذهم بالموت ، وقال آخرون : ننقصها من أطرافها بذهاب فقهاءها وخيارها)^{٣١} ، وقال القرطبي : (والله يحكم لا معقب لحكمه ، أي : ليس يتعقب حكمه أحد بنقص ولا تغيير ، وهو سريع الحساب ، أي : الانتقام من الكافرين سريع الثواب للمؤمن ، وقيل : لا يحتاج في حسابه إلى رؤية قلب ولا عقد بنان)^{٣٢} ، وقال البيضاوي : (أو لم يروا أنا نأتي الأرض ، أرض الكفرة ، ننقصها من أطرافها ، بما نفتحها على المسلمين منها ، والله يحكم لا معقب لحكمه ، لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال ، والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفر بالأدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ، وهو سريع الحساب ، فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا)^{٣٣} ، وقد أشار حديث ابن عباس إلى فتح الأرض لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، كما أشار حديث أبي هريرة إلى ذهاب العلماء بموتهم .

أخرج الحديث عن ابن عباس : الطبري^{٣٤} ، ولم أقف على تخريج حديث أبي هريرة ؛ لكن للحديث شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم : (عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : [أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها] قال : موت علمائها وفقهاءها)^{٣٥} .

^{٢٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٦٦٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٩١) .

^{٣٠} الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٩١) .

^{٣١} الطبري ، التفسير : (١٣ / ١٧٢ - ١٧٣) .

^{٣٢} القرطبي ، مصدر سابق : (٩ / ٣٣٤) .

^{٣٣} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٣٤) .

^{٣٤} الطبري ، التفسير : (١٣ / ١٧٢) .

^{٣٥} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٨١) ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

سورة إبراهيم

سورة إبراهيم عليه السلام مكية بالإجماع^{٣٦} ، وقد جاءت تسميتها لذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام فيها ، وقد نزلت في الذين حاربوا الله ورسوله وهي قوله تعالى : [ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا] ، إلى قوله : [فإن مصيركم إلى النار]^{٣٧} ، والمتأمل في سورة إبراهيم ، يقف على ما كان من أحوال الأمم السابقة مع أنبياء الله الذين أرسلوا إليهم ، ويشاهد جانبا من مشاهد يوم الحساب .

(٣٤٢) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة) ، (٣٤٣) (وأخرج : عن ابن الزبير رضي الله عنه قال : نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة))^{٣٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانٍ قومٍ لِيبينَ لهم فيضِلُّ الله من يشاءُ ويهدي من يشاءُ وهو العزيزُ الحكيمُ] آية : ٤ .

(٣٤٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء عليهم السلام ، قيل : ما فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله قال لأهل السماء : [ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم] ، الأنبياء : ٢٩ ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر] الفتح : ٢ ، فكتب له براءة من النار ، قيل له : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى يقول : [وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانٍ قومٍ] ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : [وما أرسلناك إلا كافة للناس] سبأ : ٢٨ ، فأرسله إلى الإنس والجن)^{٣٩} .

أرسل الله تعالى رسله إلى خلقه ليبينوا لهم دينهم الذي ارتضى لهم وكان أن أرسل رسله كلا بلسان قومه حتى يقيم عليهم الحجة ، ويبين لهم ما يتقون وما يريد مناهم ، فيضل منهم من يشاء ويهدي من يشاء ، قال أبو السعود : (وما أرسلنا ، أي : في الأمم الخالية ، من قبلك ، كما سيذكر إجمالا ، من رسولٍ إلا بلسان قومه ، متكلمة بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم أو لا ، ليبين لهم ، ما أمروا به فيلتقوا منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة إلى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل إليه حسب تعدد السنة الأمم أدعى إلى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالإعجاز دون غيره فيفضل الله من يشاء ، إضلاله ، أي : يخلق فيه الضلال لمباشرة

^{٣٦} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٨) ، الطبري ، التفسير : (١٣ / ١٧٩) ، ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٢٣) .

^{٣٧} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٩ / ٣٣٨) .

^{٣٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٩٢) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٣ / ١٧٩) .

^{٣٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٩٥) .

أسبابه المؤدية إليه أو يخذله ولا يلفظ به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الألفاظ ، ويهدي ، بالتوفيق ومنح الألفاظ ، من يشاء ، هدايته لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق والالتفات بإسناد الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما)^{٤٠} ، وقد بين الحديث مبعث محمد عليه الصلاة والسلام كافة للناس بشيرا ونذيرا •

أخرج الحديث : الدارمي^{٤١} ، والطبراني^{٤٢} ، والبيهقي^{٤٣} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، ورجاله رجال الحكم بن أبان وهو ثقة)^{٤٤} •

ما جاء في قوله تعالى : [ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] آية : ٥ •

(٣٤٥) (أخرج ابن مردويه : عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : [وذكرهم بأيام الله] ، قال : بنعم الله وآلائه)^{٤٥} •

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا من قبلك يا محمد كما أرسلناك إلى قومك بمثلها من الأدلة والحجج ، أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور ، كما أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بأذن ربهم ، ويعني بقوله : أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور ، أي : ادعهم من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان ، وذكرهم بأيام الله ، يقول عز وجل : وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الأيام التي خلت ، فاجتزىء بذكر الأيام من ذكر النعم التي عنها لأنها أيام كانت معلومة عندهم أنعم الله عليهم فيها نعمًا جلييلة أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين وغرق عدوهم فرعون وقومه وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكان بعض أهل العربية يقول معناه : خوفهم بما نزل بعاد وثمرود وأشباههم من العذاب وبالغفو عن الآخرين ، وقال آخرون منهم : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهدا في كلامهم)^{٤٦} ، وقال ابن كثير : (وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم تدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور كذلك أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل بآياتنا ، قال مجاهد : هي التسع الآيات ، أن أخرج قومك ، أي : أمرناه قائلين له أخرج قومك من الظلمات إلى النور ، أي : ادعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان ، وذكرهم بأيام الله ، أي : بأياديه ونعمه عليهم في إخراجهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه وإنجائه إياهم من عدوهم

^{٤٠} أبو السعود ، مصدر سابق : (٣٢ / ٥) •

^{٤١} الدارمي ، مصدر سابق : (٣٨ / ١) •

^{٤٢} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٣٩ / ١١) •

^{٤٣} البيهقي ، شعب الإيمان : (١٧٣ / ١) •

^{٤٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٥٤ - ٢٥٥) •

^{٤٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٩٥) •

^{٤٦} الطبري ، التفسير : (١٣ / ١٨٢) •

وفلقه البحر وتظليله إياهم الغمام وإنزاله عليهم المن والسلوى إلى غير ذلك من النعم^{٤٧}، وقد أشار الحديث إلى هذا المعنى من النعم التي من الله تعالى بها على بني إسرائيل .
وأخرج الحديث : الإمام أحمد^{٤٨}، وعبد بن حميد^{٤٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد] آية : ١٥ .

(٣٤٦) ((أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ، فيقول : إني وكلت بثلاثة ، بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين) ، (٣٤٧) (وأخرج : عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج عنق من النار يوم القيامة فيتكلم بلسان طلق ذلق له عينان يبصر بهما ولسان يتكلم به ، فيقول : إني أمرت بكل جبار عنيد ، ومن دعا مع الله إلها آخر ، ومن قتل نفسا بغير نفس ، فتتضم عليهم فتقذفهم في النار قبل الناس بخمسمائة سنة))^{٥٠} .

قال ابن الجوزي : (قوله تعالى : واستفتحوا ، يعني : استنصروا ، وقرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وحميد وابن محيصن : واستفتحوا بكسر التاء على الأمر ، وفي المشار إليهم قولان ، أحدهما : أنهم الرسل قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، والثاني : أنهم الكفار واستفتحهم سؤالهم العذاب كقولهم : [ربنا عجل لنا قطنا] صاد : ١٦ ، وقولهم : [إن كان هذا هو الحق من عندك] الأنفال : ٣٢ ، هذا قول ابن زيد ، وخاب كل جبار عنيد ، قال ابن السائب : خسر عند الدعاء ، وقال مقاتل : خسر عند نزول العذاب ، وقال أبو سليمان الدمشقي : يئس من الإجابة)^{٥١}، وفي الآية قوله : استفتحوا ، والاستفتاح : الاستنصار ومنه الفتح ، أي : النصر^{٥٢} ، وفي الحديث قوله : يخرج عنق من النار ، قال المباركفوري : (قوله : يخرج عنق من النار ، العنق بالضم وبضممتين الجيد ويؤنث أي : طائفة وجانب من النار ، وقال الطيبي : أي طائفة منها قال القاري : والأظهر أنها تتعلق بقوله : يخرج ، كما أن قوله : يوم القيامة ظرف له والظاهر أن المراد بالعنق الجيد على ما هو المعروف في اللغة إذ لا صارف عن ظاهره ، والمعنى أنه تخرج قطعة من النار على هيئة الرقبة الطويلة ، الأمر عندي كما قال القاري والله تعالى أعلم ، وكلت بثلاثة ، أي : وكلني الله بأن أدخل هؤلاء الثلاثة النار وأعذبهم بالفضيحة على رؤوس الأشهاد ، بكل جبار عنيد ، والجبار هو المتمرد العاتي والعنيد الجائر عن القصد الباغي الذي يرد الحق مع العلم به)^{٥٣} .

^{٤٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٢٤) .

^{٤٨} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ١٢٢) .

^{٤٩} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٨٧) .

^{٥٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ١٤) .

^{٥١} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٣٥١) .

^{٥٢} ينظر : ابن منظور ، مصدر سابق : (٢ / ٥٣٨) .

^{٥٣} المباركفوري ، مصدر سابق : (٧ / ٢٤٩) .

أخرج الحديث عن أبي هريرة : الإمام أحمد^{٥٤} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب صحيح ، وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا)^{٥٥} ، والبيهقي^{٥٦} .
وأخرج الحديث عن أبي سعيد : ابن أبي شيبة^{٥٧} ، والإمام أحمد^{٥٨} ، والطبراني^{٥٩} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح)^{٦٠} .

ما جاء في قوله تعالى : [ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون] الآيتان : ٢٤ - ٢٥ .
(٣٤٨) (أخرج ابن مردويه : عن أنس رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع جزء فقال : [مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة] ، حتى بلغ [تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها] ، قال : هي النخلة ، [ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة] ، حتى بلغ [مالها من قرار] ، قال : هي الحنظلة)^{٦١} .
(٣٤٩) ((عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اخبروني بشجرة مثل الرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، قال عبد الله رضي الله عنه : فوقع في نفسي أنها النخلة فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم ، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فلما لم يتكلما بشيء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة) ، (٣٥٠) (عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [كشجرة طيبة] قال : هي النخلة ، [تؤتي أكلها كل حين] ، قال : بكرة وعشية))^{٦٢} .
قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم كيف مثل الله مثلاً وشبهه شبها كلمة طيبة ، ويعني بالطيبة الإيمان به جل ثناؤه ، كشجرة طيبة الثمرة وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، يقول عز ذكره : أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض وفرعها وهو أعلاها في السماء ، يقول : مرتفع علوا نحو السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، يقول : تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الأمثال للناس ، ويمثل الله الأمثال للناس ويشبه لهم الأشياء ، لعلهم يتذكرون ، يقول : ليتذكروا حجة الله عليهم فيعتبروا بها ويتعظوا فينزعوا عما هم عليه من الكفر

^{٥٤} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٣٦) .

^{٥٥} الترمذي ، السنن : (٤ / ٧٠١) .

^{٥٦} البيهقي ، شعب الإيمان : (٥ / ١٩٠) .

^{٥٧} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٥١) .

^{٥٨} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ٤٠) .

^{٥٩} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ١٠٣) ، (٤ / ٢٠٣) .

^{٦٠} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٩٢) .

^{٦١} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٢٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٠٧) .

^{٦٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٢٢ - ٢٣) .

به إلى الإيمان^{٦٣} ، وقال البيضاوي : (ألم تر كيف ضرب الله مثلا ، كيف اعتمده ووضعه ، كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أي : جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله : ضرب الله مثلا ، أصلها ثابت ، في الأرض ضارب بعروقه فيها وفروعها وأعلاها في السماء ويجوز أن يريد وفروعها ، أي : أفناؤها ، تؤتي أكلها ، تعطي ثمرها ، كل حين ، وقته الله تعالى لإثمارها ، بإذن ربها ، بإرادة خالقها وتكوينه ، ويضرب كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة ، اجتثت ، استؤصلت وأخذت بالكلية ، من فوق الأرض ، لأن عروقتها قريبة منه ، ما لها من قرار ، استقرار ، واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن ، والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق ، ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك ، وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة ، ولعل المراد بهما أيضا ما يعم ذلك)^{٦٤} ، وفي الحديث قوله : بقناع جزء ، (قال أبو حاتم رحمه الله : قول أنس : إنه أتى بقناع جزء ، أراد به : طبق رطب ، لأن أهل المدينة يسمون الطبق القناع والرطب الجزء)^{٦٥} .

أخرج الحديث عن أنس : أبو يعلى^{٦٦} ، وابن حبان^{٦٧} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٦٨} ، والهيثمي^{٦٩} .

وفي الحديث الثاني عن ابن عمر تكرار قوله : ولا ، قال ابن حجر : (ذكر النفي ثلاث مرات على طريق الاكتفاء ، فقليل في تفسيره : ولا ينقطع ثمرها ، ولا يعدم فيؤها ، ولا يبطل نفعه)^{٧٠} ، وقد أخرج الحديث : البخاري^{٧١} ، ومسلم^{٧٢} ، وابن حبان^{٧٣} .

ولم أقف على تخريج حديث ابن عباس ؛ لكن للحديث شواهد من حديث أنس وحديث ابن عمر المتقدمين ، والله أعلم .

^{٦٣} الطبري ، التفسير : (١٣ / ٢٠٣) .

^{٦٤} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٢٤٦ - ٢٤٧) .

^{٦٥} ابن حبان ، الصحيح : (٢ / ٢٢٣) .

^{٦٦} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٧ / ١٨٢) .

^{٦٧} ابن حبان ، الصحيح : (٢ / ٢٢٣) .

^{٦٨} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٨٣) .

^{٦٩} الهيثمي ، موارد الظمان : (٤٣٢) .

^{٧٠} ابن حجر ، فتح الباري : (١ / ١٤٦) .

^{٧١} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٣٥) .

^{٧٢} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢١٦٦) .

^{٧٣} ابن حبان ، الصحيح : (١ / ٤٧٨) .

ما جاء في قوله تعالى : [يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] آية : ٢٧ .

(٣٥١) (أخرج ابن مردويه : عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله سبحانه : [يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة])^{٧٤} .

تشير الآية الكريمة إلى نعمة من الله تعالى عظيمة ألا وهي تثبيت الله المؤمنين على الإيمان الذي كان منهم ولم يكن هكذا منهم بلا وعي وإدراك حقيقي للإيمان بالله وبرسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، فكان جزاء هذا الإيمان أن يكون لهم التثبيت في الحياة الدنيا قبل الآخرة ، وقد أشار الحديث إلى أن القبر هو حلقة الوصل بين الدنيا والآخرة فكان أول منازل السؤال ، وقيل : بل القبر هو الحياة الدنيا ، وقيل ، القبر أول منازل الآخرة ، والله أعلم .

أخرج الحديث : البخاري^{٧٥} ، وأبو داود^{٧٦} ، وابن منده^{٧٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ] آية : ٤٨ .

(٣٥٢) ((أخرج ابن مردويه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : [يوم تبدل الأرض غير الأرض] ، قلت : أين الناس يومئذ ؟ قال : على الصراط) ، (٣٥٣) (وأخرج : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : [يوم تبدل الأرض غير الأرض] ، قال : أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة))^{٧٨} .

هذا يوم القيامة تكون الأرض غير الأرض والمعهودة وكذا السماوات غيرها ، قال ابن كثير : (يقول تعالى مقرا لوعده ومؤكدا فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ، أي : من نصرتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، ثم أخبر تعالى أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أرادته ولا يغالب وذو انتقام ممن كفر به وجحدته فويل يومئذ للمكذبين ، ولهذا قال : يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، أي : وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة)^{٧٩} ، كما أشار حديثا الباب إلى هذا التغير وأن هذا الموقف وهذا التغير يكون يوم القيامة .

^{٧٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٢٦ / ٥) .

^{٧٥} البخاري ، الصحيح : (١٧٣٥ / ٤) .

^{٧٦} أبو داود ، السنن : (٢٣٨ / ٤) .

^{٧٧} ابن منده ، مصدر سابق : (٣٢٣ / ١) .

^{٧٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥٦ / ٥) .

^{٧٩} ابن كثير ، التفسير : (٥٤٤ / ٢) .

أخرج الحديث عن عائشة : الإمام أحمد^{٨٠}، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٨١}، والبيهقي^{٨٢} .

وأخرج الحديث عن عبد الله بن مسعود : الشاشي^{٨٣}، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسنادين جميعا على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٨٤}، والطبراني^{٨٥}، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه جرير بن أيوب البجلي وهو متروك ، ورواه في الكبير موقوفا على عبد الله وإسناده جيد)^{٨٦} .

^{٨٠} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ١٣٤) .

^{٨١} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٨٤) .

^{٨٢} البيهقي ، شعب الإيمان : (١ / ٣٢٣) .

^{٨٣} الشاشي ، مصدر سابق : (٢ / ١٣٢) .

^{٨٤} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٦١٤) .

^{٨٥} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٧ / ١٦٤) ، المعجم الكبير : (١٠ / ١٦١) .

^{٨٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٤٤ - ٤٥) .

سورة الحجر

سورة الحجر نزلت بمكة بالإجماع^{٨٧}، وقد ذكرت قصة أصاب الحجر (ثمود) قوم نبي الله صالح عليه السلام، والحجر واد بين الشام والمدينة كانوا يسكنونه وله آثار باقية إلى يومنا هذا .
(٣٥٤) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الحجر بمكة) ، (٣٥٥))
وأخرج : عن ابن الزبير رضي الله عنه قال : نزلت سورة الحجر بمكة))^{٨٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كانوا مسلمينَ] آية : ٢ .

(٣٥٦) (أخرج ابن مردويه : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ناسا من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك ، فيقولون : ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم ؟ فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى من النار ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين])^{٨٩} .

(٣٥٧) ((أخرج ابن مردويه : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار للمسلمين : ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا فأمر بكل من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا ، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا : يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : [الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ، ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين]) ، (٣٥٨) (وأخرج : عن أبي سعيد الخدري أنه سئل هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية شيئا : [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] ؟ قال : نعم سمعته يقول : يخرج الله أناسا من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نعمته منهم لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون : أألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار ؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله فإذا رأى المشركون ذلك قالوا : يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم ، فذلك قول الله : [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] ، قال : فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم ، فيقولون : يا ربنا أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم)^{٩٠} .

^{٨٧} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) ، الطبري ، التفسير : (١٤ / ١) ، ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٤٦) .

^{٨٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٦١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٢٠) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٤ / ٢) .

^{٨٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٦٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٢٤) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٤ / ٤) .

^{٩٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٦٢ - ٦٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٢٤) .

في الآية تمنّ من الكافرين في أن يكونوا مسلمين ؛ ولكن لا ينفع هذا التمني ولا ينفع الندم ، إذ قد انتهى كل شيء وقامت الساعة التي كانوا بها كافرين غير مؤمنين ، قال ابن كثير : (قوله تعالى : ربما يود الذين كفروا ، الآية ، إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين)^{٩١} ، وقال القرطبي : (رب لا تدخل على الفعل فإذا لحقها ما هيئت للدخول على الفعل ، تقول : ربما قام زيد وربما يقوم زيد ، ويجوز أن تكون ما نكرة بمعنى شيء ويود صفة له ، أي : رب شيء يود الكافر ، وقرأ نافع وعاصم : ربما مخفف الباء ، والباقون مشددة وهما لغتان ، قال أبو حاتم : أهل الحجاز يخففون ربما ، وتميم وقيس وربيعه يثقلونها ، وحكى فيها : ربما وربما وربتما وربتما بتخفيف الباء وتشديدها أيضا وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير ، أي : يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين قاله الكوفيون ، وقال بعضهم : هي للتقليل في هذا الموضع لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب ، وقال : ربما يود وهي إنما تكون لما وقع لأنه لصدق الوعد كأنه عيان قد كان ، قال الضحاك : هذا التمني إنما هو عند المعاينة في الدنيا حين تبين لهم الهدى من الضلالة ، وقيل : في القيامة إذا رأوا كرامة المؤمنين وذل الكافرين)^{٩٢} ، وقد أشارت الأحاديث إلى تمنى الكفار أنهم لو كانوا مسلمين .

أخرج الحديث عن جابر : النسائي^{٩٣} ، والطبراني^{٩٤} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال بسام الصيرفي وهو ثقة)^{٩٥} .

وأخرج الحديث عن أبي موسى : ابن أبي عاصم الشيباني ، وقال : (حديث صحيح ، ورجاله ثقات رجال خالد ابن نافع وهو الأشعري من أولاد أبي موسى رضي الله عنه وفيه ضعف ، قال أبو حاتم : ليس بالقوي يكتب حديثه وذكره ابن حبان في الثقات وبالغ أبو داود فقال : متروك الحديث ، فتعقبه الذهبي بقوله : وهذا تجاوز في الحد فإن الرجل قد حدث عنه أحمد بن حنبل ومسدّد فلا يستحق الترك)^{٩٦} .

وأخرج الحديث عن أبي سعيد : الطبراني^{٩٧} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٩٨} ، وابن حبان^{٩٩} ، والهيثمي^{١٠٠} .

^{٩١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٤٦) .

^{٩٢} القرطبي ، مصدر سابق : (١٠ / ١ - ٢) .

^{٩٣} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٧٣) .

^{٩٤} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٥ / ٢٢٣) .

^{٩٥} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٧٩) .

^{٩٦} ابن أبي عاصم الشيباني ، مصدر سابق : (٢ / ٤٠٦) .

^{٩٧} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٨ / ١٠٦) .

^{٩٨} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٦٥) .

^{٩٩} ابن حبان ، الصحيح : (١٦ / ٤٥٨) .

^{١٠٠} الهيثمي ، موارد الظمان : (٦٤٦) .

ما جاء في قوله تعالى : [ولقد علمنا المُستقدمين منكم ولقد علمنا المُستأخرين] آية : ٢٤ .
 (٣٥٩) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأنزل الله : [ولقد علمنا المُستقدمين منكم ولقد علمنا المُستأخرين] (١٠١) .

قال الطبري : (ولقد علمنا المُستقدمين منكم ولقد علمنا المُستأخرين ، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدم هلاكهم ومن قد خلق وهو حي ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق ، وقال آخرون : عنى بالمستقدمين الذين قد هلكوا والمستأخرين الأحياء الذين لم يهلكوا ، وقال آخرون : بل معناه ولقد علمنا المُستقدمين في أول الخلق والمستأخرين في آخرهم ، وقال آخرون : بل معنى ذلك ولقد علمنا المُستقدمين من الأمم والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل معناه ولقد علمنا المُستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه ، وقال آخرون : بل معنى ذلك ولقد علمنا المُستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين فيها بسبب النساء) (١٠٢) ، وقد أشار الحديث إلى المعنى الأخير ، وهو : المُستقدمين والمستأخرين في صفوف الصلاة بسبب النساء .
 أخرج الحديث : الترمذي (١٠٣) ، والنسائي (١٠٤) ، وابن خزيمة (١٠٥) ، وابن حبان (١٠٦) ، والهيثمي (١٠٧) .

ما جاء في قوله تعالى : [نبيء عبادي أَنِّي أَنَا الغفورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العذابُ الأليمُ] الآيتان : ٤٩ - ٥٠ .

(٣٦٠) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن الزبير قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه وقد عرض لهم شيء يضحكهم ، فقال : أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم ؟ ونزلت هذه الآية : [نبيء عبادي أَنِّي أَنَا الغفورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العذابُ الأليمُ] (١٠٨) .
 (٣٦١) (وأخرج : عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، فقال : هذا الملك ينادي لا تقنط عبادي) (١٠٩) .

^{١٠١} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٧٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٢٨) .

^{١٠٢} الطبري ، التفسير : (١٤ / ٢٣ - ٢٥) .

^{١٠٣} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٩٦) .

^{١٠٤} النسائي ، السنن الكبرى : (١ / ٣٠٢) ، (٦ / ٣٧٤) ، المحبتي : (٢ / ١١٨) .

^{١٠٥} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (٣ / ٩٧) .

^{١٠٦} ابن حبان ، الصحيح : (٢ / ١٢٦) .

^{١٠٧} الهيثمي ، موارد الظمان : (٤٣٣) .

^{١٠٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٨٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٣٧) .

^{١٠٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٨٦) .

في الآيتان إخبار عن سعة مغفرة الله تعالى ورحمته بعباده الذين يتوبون إليه ، وشدة عذابه للعصاة المجرمين الكافرين الذين يصرون على ما هم عليه من الغي والكفر والضلال ، قال البيضاوي : (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ، فذلك ما سبق من الوعد والوعيد وتقدير له ، وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها ، وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده على ذلك)^{١١٠} ، وقد أشار حديثا الآية إلى سعة رحمة الله تعالى ومغفرته العظيمة للعاصين من عباده الخارجين عن أمره الذين يتوبون إليه ويرجعون نادمين •

أخرج الحديث عن ابن الزبير : البزار ، وقال : (وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه بهذا اللفظ عن النبي إلا ابن الزبير ولا نعلم له طريقاً إلا هذا الطريق ولا نعلم أن مصعب بن ثابت سمع من ابن الزبير)^{١١١} ، والهيثمي ، وقال : (فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف)^{١١٢} •

وأخرج الحديث عن أنس : ابن أبي شيبه^{١١٣} ، وللحديث شواهد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه^{١١٤} ، وحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها^{١١٥} ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه^{١١٦} •

ما جاء في قوله تعالى : [لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] آية : ٧٢ •

(٣٦٢) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال : [لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون] ، يقول : وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا) ، (٣٦٣) (وأخرج : عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ، قال : [لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون] ، وحياتك يا محمد))^{١١٧} •

قال الطبري : (يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وحياتك يا محمد إن قومك من قريش لفي سكرتهم يعمهون ، يقول : لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون)^{١١٨} ، وقال ابن الجوزي : (قوله تعالى : لعمرك ، فيه ثلاثة أقوال أحدها : أن معناه وحياتك يا محمد رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس ، والثاني : لعيشك رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الأخفش وهو يرجع إلى المعنى الأول ، والثالث : أن معناه وحققك على أمتك ،

^{١١٠} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٧٤) •

^{١١١} البزار ، مصدر سابق : (٦ / ١٧٤) •

^{١١٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٤٦) •

^{١١٣} ابن أبي شيبه ، مصدر سابق : (٧ / ١٣٣) •

^{١١٤} أخرج : الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣ / ٩١) ، الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٨٧) •

^{١١٥} أخرجه : البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٤٤٦) ، مسلم ، الصحيح : (٢ / ٦١٨) •

^{١١٦} أخرجه : الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٢٥٧) ، البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٤٤٧) •

^{١١٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٨٩ - ٩٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٣٩) •

^{١١٨} الطبري ، التفسير : (١٤ / ٤٤) •

تقول العرب : لعمر الله لا أقوم ، يعنون : وحق الله ذكره ابن الأنباري ، وهو عند العرب البقاء وحكى الزجاج : أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا : العمر والعمر في معنى واحد ، فإذا استعمل في القسم فتح لا غير ، وإنما آثروا الفتح في القسم لأن الفتح أخف عليهم وهم يؤكدون القسم بلعمري ولعمرك فلما كثر استعمالهم إياه لزموا الأخف عليهم ، وقال النحويون : ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف ، والمعنى لعمرك قسمي ولعمرك ما أقسم به ، وحذف الخبر لأن في الكلام دليلا عليه ، المعنى : أقسم إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، وفي المراد بهذه السكرة قولان ، أحدهما : أنها بمعنى الضلالة قاله قتادة ، والثاني : بمعنى الغفلة قاله الأعمش^{١١٩} ، قال البيهقي : (إن الله تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم ومعقول أن من أقسم بحياة غيره وإنما يقسم بحياة أكرم الأحياء عليه فلما خص الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بني البشر بأن أقسم بحياته فقال : [لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون] ، بأنه أفضلهم وأكرمهم ، وإقسامه بالتين والزيتون وطور سنين وغير ذلك يدل على فضله على من يدخل في أعداده كذلك إقسامه بحياة محمد صلى الله عليه وسلم يدل على فضله على من يدخل في عداده)^{١٢٠} ، وقال شمس الحق عظيم آبادي : (وأجاب العلماء عن الآية التي فيها القسم بالعمر بأن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس ذلك لغيره لثبوت النهي عن الحلف بغير الله تعالى وقد عد الأئمة ذلك في فضائل النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أقسم به حيث قال : [لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون])^{١٢١} .

أخرج الحديث عن ابن عباس : الحارث بن أبي أسامة^{١٢٢} ، ولم أقف على تخريج حديث أبي هريرة .

ما جاء في قوله تعالى : [ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين] آية : ٨٠ .

(٣٦٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الحجر : لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم)^{١٢٣} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : ولقد كذب سكان الحجر وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها كما قال تعالى ذكره : [ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا] ، فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها ، والحجر مدينة ثمود ، وكان قتادة يقول في معنى الحجر : أصحاب الوادي)^{١٢٤} ، وقال ابن كثير : (أصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا صالحا نبيا عليه السلام ، ومن كذب برسول فقد

^{١١٩} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٤٠٨) .

^{١٢٠} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ١٧٩) .

^{١٢١} شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٩ / ٦٧) .

^{١٢٢} الحارث بن أبي أسامة ، مصدر سابق : (٢ / ٨٧١) .

^{١٢٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٩٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٤١) .

^{١٢٤} الطبري ، التفسير : (١٤ / ٤٩) .

كذب بجميع المرسلين ، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين ، وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء وكانت تسرح في بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم فلما عتوا وعقروها قال لهم : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ، وقال تعالى : وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، وذكر تعالى إنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ، أي : ليس خوفا ولا احتياجا إليها بل أشرا وبطرا وعبثا كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك (١٢٥) ، وهذا ما أشار إليه الحديث .
أخرج الحديث : عبد الرزاق (١٢٦) ، والإمام أحمد (١٢٧) ، وعبد بن حميد (١٢٨) ، والبخاري (١٢٩) ، ومسلم (١٣٠) ، والنسائي (١٣١) ، والروائي (١٣٢) ، وابن حبان (١٣٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [ولقد آتيناك سبعا مِّنَ المثاني والقرآن العظيم] آية : ٨٧ .

(٣٦٥) ((أخرج ابن مردويه : عن علي بن أبي طالب في قوله : [ولقد آتيناك سبعا من المثاني] ، قال : هي فاتحة الكتاب) ، (٣٦٦) (وأخرج : عن ابن مسعود في قوله : [ولقد آتيناك سبعا من المثاني] ، قال : فاتحة الكتاب القرآن العظيم)) (١٣٤) .

(٣٦٧) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عباس أنه سئل عن السبع المثاني قال : فاتحة الكتاب استنناها الله لأمة محمد فرفعها في أم الكتاب فدخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحدا قبله ، قيل : فأين الآية السابعة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم) (١٣٥) .

قال الطبري : (اختلف أهل التأويل في معنى السبع الذي أتى الله نبيه من المثاني ، فقال بعضهم : عنى بالسبع السبع السور من أول القرآن اللواتي يعرفن بالطوال ، وقائلو هذه المقالة مختلفون في المثاني فكان بعضهم يقول المثاني هذه السبع وإنما سمين بذلك لأنهن ثني فيهن الأمثال والخبر والعبر ، وقال آخرون : عنى بذلك سبع آيات ، وقالوا : هن آيات فاتحة الكتاب لأنهن سبع آيات) (١٣٦) ، وقال أبو السعود : (ولقد آتيناك

^{١٢٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٥٧) .

^{١٢٦} عبد الرزاق ، المصنف : (١ / ٤١٥) .

^{١٢٧} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٩) .

^{١٢٨} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٢٥٥) .

^{١٢٩} البخاري ، الصحيح : (١ / ١٦٧) ، (٤ / ١٧٣٧) .

^{١٣٠} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٢٨٥) .

^{١٣١} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٧٤) .

^{١٣٢} الروياني ، مصدر سابق : (٢ / ٤٠٧) .

^{١٣٣} ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ٨١) .

^{١٣٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٩٤) .

^{١٣٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ٩٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٤٥) .

^{١٣٦} الطبري ، التفسير : (١٤ / ٥١) .

سبعاً سبع آيات ، وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى ، وقيل : سبع سور وهي الطوال التي سابعها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية ، وقيل : يونس أو الحواميم السبع ، وقيل : الصحائف السبع وهي الأسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير ، فإن كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرار قراءتها في الصلاة وأما تكرر قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مداراً للتسمية ولأنها تشي بما يقرأ بعدها في الصلاة وأما تكرر نزولها فلا يكون وجهاً للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني إذ السورة مكية بالاتفاق وإن كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من المثاني أن كلا من ذلك تكرر قراءته وألفاظه أو قصصه ومواعظه أو من الشاء لاشتماله على ما هو ثناء على الله واحداً منها أو مثنية صفة للآية ، وأما الصحائف وهي الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الشاء على الله تعالى كأنها تشي عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنی ، ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر أولاً لأنه مشى عليه بالإعجاز ، أو يراد كتب الله تعالى كلها^{١٣٧} ، وقد أشارت الأحاديث إلى أن السبع المثاني يراد منها الفاتحة ، وقد تقدم الحديث عن السبع المثاني في سورة الفاتحة .

لم أفق على تخريج حديثي علي وعبد الله ، لكن أخرج حديث ابن عباس : عبد الرزاق^{١٣٨} ، والطحاوي^{١٣٩} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٤٠} ، والبيهقي^{١٤١} ، وحديث ابن عباس شاهد لحديث علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود .

^{١٣٧} أبو السعود ، مصدر سابق : (٨٨ / ٥) .

^{١٣٨} عبد الرزاق ، المصنف : (٩٤ / ٢) .

^{١٣٩} الطحاوي ، مصدر سابق : (٢٠٠ / ١) .

^{١٤٠} الحاكم ، المستدرک : (٧٣٧ / ١) .

^{١٤١} البيهقي ، السنن الكبرى : (٤٥ / ٢) .

سورة المائدة

سورة المائدة نزلت بالمدينة المنورة^١ ، وكان نزول سورة المائدة يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف هناك^٢ ، (١٧٦) (أخرج ابن مردويه : عن صباح بن سهل^٣ ، عن عاصم الأحول^٤ قال : حدثني أم عمرو بنت عيس^٥ ، عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها)^٦ .

(١٧٧) (وأخرج : عن جبير بن نفير^٧ قال : حججت ، فدخلت على عائشة ، فقالت لي : يا جبير تقرأ المائدة ؟ فقلت : نعم ، فقالت : أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه)^٨ .

فقد دلت الأحاديث المتقدمة على أنها نزلت بالمدينة ، وما يدل على ذلك أيضاً الأحكام التي فيها ، فقد تضمنت جملة من الأحكام والحدود والشرائع ، ما يشير إلى أنها نزلت بالمدينة .
أخرج الحديث الأول عن أم عمرو عن عمها : البيهقي^٩ ، وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد ، : الإمام أحمد^{١٠} ، والبيهقي^{١١} .

^١ ينظر : عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تفسير القرآن ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض (١٤١١ هـ) : (١ / ١٨١) .
^٢ المصدر السابق : (١ / ١٨١) .

^٣ صباح بن سهل أبو سهل الواسطي ، روى عن عاصم بن سليمان وحسين بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو ، روى عنه محمد بن أبي بكر المقدمي وعبيد الله بن عمر القواريري ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمعت أبي وأبا زرعة يقولان : هو منكر الحديث وسمعت أبي يقول : يكتب حديثه ، وقال البخاري : منكر الحديث ولا يتابع في حديثه ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٤ / ٣١٤) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٤ / ٤٤٢) ، ابن حجر ، لسان الميزان : (٣ / ١٧٩) .

^٤ عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن ، وكان محتسباً بالمدائن ، روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وصفوان بن محرز ، روى عنه داود بن أبي هند والثوري وشعبة وحماد بن زيد وابن عيينة وغيرهم ، قال سفيان الثوري : حفاظ البصرة ثلاثة سليمان التيمي وعاصم الأحول وداود بن أبي هند وكان عاصم أحفظهم ، وقال يحيى يعني بن معين : كان يحيى بن سعيد يضعف عاصم الأحول ، وقال يحيى بن معين أيضاً : عاصم بن سليمان الأحول ثقة ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن عاصم بن سليمان الأحول ؟ فقال : صالح الحديث ، وسئل أبو زرعة عن عاصم بن سليمان الأحول فقال : بصري ثقة ، وقال العجلي : عاصم بن سليمان الأحول بصري تابعي ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٨) ، البخاري ، التأريخ الكبير : (٦ / ٤٨٥) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٦ / ٣٤٣) ، ابن حبان ، الثقات : (٥ / ٢٣٧) .
^٥ لم أقف على ترجمتها .

^٦ ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣) .

^٧ جبير بن نفير الحضرمي ، أبو عبد الرحمن ، سمع أبا الدرداء وأبا ذر ، كناه شريح وأبو حيوة ، سكن الشام ، سئل أبو زرعة عنه ؟ فقال : حضرمي شامي ثقة ، ينظر : البخاري ، التأريخ الكبير : (٢ / ٢٢٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٢ / ٥١٢) .

^٨ السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٣) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣) .

^٩ البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٤٦٩) .

^{١٠} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ٤٥٨) .

^{١١} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٤٦٩) .

وأخرج الحديث الثاني عن جبير بن نفير : النسائي^{١٢} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه)^{١٣} ، والبيهقي^{١٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] آية : ٣ .

(١٧٨) (أخرج ابن مردويه : عن أبي أمامة وهو صدي بن عجلان ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومي أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَعْرَضَ عَلَيْهِمْ شُرَائِعَ الْإِسْلَامِ ، فَأَتَيْتَهُمْ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءُوا بِقِصْعَةٍ مِنْ دَمٍ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا يَأْكُلُونَهَا ، فَقَالُوا : هَلْمْ يَا صَدِي فَكُلْ ، قَالَ : قُلْتُ وَيَحْكُمُ إِنَّمَا أُتَيْتُمْ مِنْ عِنْدِ مَنْ يَحْرُمُ هَذَا عَلَيْكُمْ ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا : وَمَا ذَاكَ ؟ فَتَلَوْتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ : [حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ] ، الْآيَةَ)^{١٥} .

قال الطبري : (يعني بذلك جل ثناؤه حرم الله عليكم أيها المؤمنون الميتة ، والميتة كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره مما أباح الله أكلها وأهلها ووحشيتها فارقتها روحها بغير تذكية ، وقد قال بعضهم : الميتة هو كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير تذكية مما أحل الله أكله ، وأما الدم فإن الدم المسفوح دون ما كان منه غير مسفوح لأن الله جل ثناؤه قال : [قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير] ، فأما ما كان قد صار في معنى اللحم كالكد والطحال وما كان في اللحم غير منسفع فإن ذلك غير حرام لإجماع الجميع على ذلك ، وأما قوله : [ولحم الخنزير] ، فإنه يعني : وحرم عليكم لحم الخنزير وأهليه وبريه ، وأما قوله : [وما أهل لغير الله به] ، فإنه يعني وما ذكر عليه غير اسم الله ، وإنما عنى بقوله : وما أهل لغير الله به وما ذبح للآلهة وللأوثان يسمى عليه غير اسم الله ، والمنخقة ، اختلف أهل التأويل في صفة الانخاق الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله : [والمنخقة] ، فقال بعضهم : التي تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق فتموت ، وقال آخرون : هي التي توثق فيقتلها بالخنق وثاقها ، وقال آخرون : بل هي البهيمة من النعم كان المشركون يخنقونها حتى تموت فحرم الله أكلها ، وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : هي التي تختنق إما في وثاقها وإما بإدخال رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه فتختنق حتى تموت ، والموقوذة يعني جل ثناؤه بقوله : [والموقوذة] ، والميتة وقيدا ، يقال : منه وقده يقده وقذا إذا ضربه حتى أشرف على الهلاك ، والمتردية يعني بذلك جل ثناؤه : وحرمت عليكم الميتة ترديا من جبل أو في بئر أو غير ذلك ، وترديها رميها بنفسها من مكان عال مشرف إلى اسفله ، والنطيحة يعني :

^{١٢} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٣٣) .

^{١٣} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٤٠) .

^{١٤} البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ١٧٢) .

^{١٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ١١) .

الشاة التي تنطحها أخرى فتموت من النطاح بغير تذكية فحرم الله جل ثناؤه ذلك على المؤمنين إن لم يدركوا ذكاته قبل موته ، وما أكل السبع ، يعني : وحرم عليكم ما أكل السبع غير المعلم من الصوائد ، إلا ما ذكيتم ، يعني إلا ما طهرتموه بالذبح الذي جعله الله طهوراً^{١٦} ، وقوله (: [وأن تستقسموا بالأزلام] ، أي : وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسم قسم الرزق والحاجات ، قال ابن قتيبة : الأزلام القداح واحدها زلم وزلم والاستقسام بها أن يضرب بها فيعمل بما يخرج فيها من أمر أو نهي ، فكانوا إذا أرادوا أن يقتسموا شيئاً بينهم فأحبوا أن يعرفوا قسم كل امرئ تعرفوا ذلك منها ، فأخذ الاستقسام من القسم وهو النصيب ، قال سعيد بن جبير : الأزلام حصى بيض كانوا إذا أرادوا غدوا أو رواحا كتبوا في قدحين في أحدهما أمرني ربي وفي الآخر نهاني ربي ثم يضربون بهما فأيهما خرج عملوا به ، وقال مجاهد : الأزلام سهام العرب وكعباب فارس التي يتغامرون بها ، وقال السدي : كانت الأزلام تكون عند الكهنة ، وقال مقاتل : في بيت الأصنام ، وقال قوم : كانت عند سدنة الكعبة ، قال الزجاج : ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين لا تخرج من أجل نجم كذا أو اخرج من أجل نجم كذا^{١٧} ، ثم قال : [اليوم أكملت لكم دينكم] الآية ، فقد نزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، وهي تدل على أن شرائع الإسلام قد كملت ولا يحق لأحد الخوض فيها بعد نزول هذه الآية التي أثبتت ذلك ، ففي الحديث عن (عمر بن الخطاب : أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقررؤها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : أي آية ؟ قال : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] ، قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة^{١٨} ، وقد أشار الحديث المتقدم عن صدي بن عجلان إلى ما حرم الله تعالى من الدم .

أخرج الحديث : الهيثمي ، وقال : (وفيه بشير بن شريح وهو ضعيف)^{١٩} .

(١٧٩) (أخرج ابن مردويه : عن رجاء بن حيوة^{٢٠} عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يلج الدرجات العلاء من الجنة تكهن أو استقسم أو رجع من سفر طائراً)^{٢١} .

في الحديث إشارة بينة إلى بطلان الكهانة والتطير وما كان من أمر الجاهلية من الاستقسام ، وأن من فعل هذه الأمور حرم الله تعالى عليه دخول الجنة .

^{١٦} الطبري ، التفسير : (٦ / ٦٧ - ٦٨) .

^{١٧} ابن الجوزي ، زاد المسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٤ هـ) : (٢ / ٢٨٤) .

^{١٨} البخاري ، الصحيح : (١ / ٢٥) .

^{١٩} الهيثمي ، مجمع الروائد : (٩ / ٣٨٧) .

^{٢٠} رجاء بن حيوة الشامي سنان أبو المقدم ، روى عن عبد الله بن عمرو ومعاوية ومحمود بن الربيع ، روى عنه ابن عون وجراد بن مجالد ، قال مطر : ما رأيت شامياً أفقه من رجاء بن حيوة ، وقال ابن عون : كان ثلاثة يتبعون اللفظ القاسم بن محمد ومحمد بن سيرين ورجاء بن حيوة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير :

(٣ / ٣١٢) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٣ / ٥١٠) .

^{٢١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٦) .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٢٢} ، والطبراني^{٢٣} ، والبيهقي^{٢٤} ، والديلمي^{٢٥} ، والمنذري ، وقال : (رواه الطبراني والبيهقي ، ورجال أحد إسنادي الطبراني ثقات)^{٢٦} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات)^{٢٧} .

(١٨٠) (أخرج ابن مردويه : عن علي قال : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم عشية عرفة : [اليوم أكملت لكم دينكم])^{٢٨} .

(١٨١) (وأخرج : عن سمرة بن جندب قال : نزلت هذه الآية : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا] ، يوم عرفة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على الموقف)^{٢٩} .

هذه الأحاديث تبين المكان والوقت الذي نزلت فيه هذه الآية ، كما أشار إلى ذلك حديث عمر المتقدم الذي في الصحيح ، وقال البيهقي : (أي : أكملت لكم وضعه ، فلا أفرض عليكم من بعد ما لم أفرضه عليكم إلى اليوم ولا أضع عنكم بعد اليوم ما قد فرضته قبل اليوم ، فلا تغليظ من الآن ولا تخفيف ولا نسخ ولا تبديل وليس معناه أنه أكمل لنا ديننا من قبل أفعالنا ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لسقط عن المخاطبين بالآية الدوام على الإيمان ، لأن الدين قد كمل وليس بعد الكمال شيء فإذا كان الدوام على الإيمان مستقلا وهو إيمان فلذلك الطاعات الباقية التي تجب شيئا فشيئا كلها إيمان والكمال راجع إلى إكمال الشرع والوضع لا إلى إكمال أداء المؤدين له وقيام القائمين به ، والله تعالى أعلم)^{٣٠} ، ولم أقف على تخريج الحديث عن علي ؛ لكن للحديث شواهد من حديث عمر المتقدم وحديث سمرة الذي بعده .

وأخرج حديث سمرة : الطبراني^{٣١} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، وفيه عمر بن موسى بن وجيه ، وهو ضعيف)^{٣٢} .

^{٢٢} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٣١١ / ٥) .

^{٢٣} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١١٩ / ٣) .

^{٢٤} البيهقي ، شعب الإيمان : (٣٩٨ / ٧) .

^{٢٥} الديلمي ، مصدر سابق : (٤٤٧ / ٣) .

^{٢٦} المنذري ، مصدر سابق : (٣٤ / ٤) .

^{٢٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١١٨ / ٥) .

^{٢٨} ابن كثير ، التفسير : (١٤ / ٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٩ / ٣) .

^{٢٩} ابن كثير ، التفسير : (١٤ / ٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٩ / ٣) .

^{٣٠} البيهقي ، شعب الإيمان : (٦٤ / ١) .

^{٣١} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٢٠ / ٧) .

^{٣٢} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٣ / ٧ - ١٤) .

ما جاء في قوله تعالى : [إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين] آية :

٢٩

(١٨٢) (أخرج : عن ربعي^{٣٣} قال : كنا في جنازة حذيفة ، فسمعت رجلا يقول : سمعت هذا يقول في ناس مما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن اقتلتم لأنظرن إلى أقصى بيت في داري فلألجنه ، فلئن دخل علي فلان لأقولن : ها بؤ بإثمي وأثمك فأكون كخير ابني آدم ، وقوله : [إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين])^{٣٤} .

(١٨٣) (وأخرج : عن حذيفة قال : لئن اقتلتم لأنظرن أقصى بيت في داري فلألجنه ، فلئن ولج علي فلأقولن : ها بؤ بإثمي وإثمك كخير ابني آدم)^{٣٥} .

قال البغوي : (إني أريد أن تبوء ترجع ، وقيل : تحمل ، بإثمي وأثمك ، أي : بإثم قتلي إلى إثمك ، أي : إثم معاصيك التي عملت من قبل هذا قول أكثر المفسرين ، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : معناه إني أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتني وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعا ، وقيل : معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها قربانك أو إثم حسدك ، فإن قيل : كيف ؟ قال : إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز ، قيل : ذلك ليس بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وإن لم يكن مريدا حقيقة ، وقيل : معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فيكون إرادة صحيحة لأنها موافقة لحكم الله عز وجل فلا يكون هذا إرادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب ، فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين)^{٣٦} ، (والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن تأويله إني أريد أن تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله : [إني أريد أن تبوء بإثمي] ، وأما معنى وإثمك فهو إثمه يعني قتله وذلك معصية الله عز وجل في أعمال سواه وإنما قلنا ذلك هو الصواب لإجماع أهل التأويل عليه وأن الله عز وجل أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه ، وإذا كان هذا حكمه في خلقه فغير جائز أن تكون آثام المقتول مأخوذا بها القاتل ، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ما ركبته قتيله)^{٣٧} ، وقال ابن الجوزي : (فان قيل : كيف أراد هاييل وهو من المؤمنين أن يبوء قاييل بالإثم وهو معصية والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؟ فعنه ثلاثة أجوبة ، أحدها : أنه ما أراد لأخيه الخطيئة وإنما أراد إن قتلتني أردت أن تبوء بالإثم وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج ،

^{٣٣} ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو الإمام القدوة الولي الحافظ الحجة أبو مريم الغطفاني ثم العباسي الكوفي المعمر ، سمع من عمر بن الخطاب يوم الجابية وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وأبي مسعود البدر وحذيفة بن اليمان وأبي بكره الثقفي وعدة ، حدث عنه أبو مالك الأشجعي ومنصور وعبد الملك بن عمير وحصين بن عبد الرحمن وآخرون ، كان ثقة إمام ، مات سنة أربع ومائة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٣ / ٣٢٧) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٢٤٨) ، الذهبي ، السير : (٤ / ٣٥٩ - ٣٦٠) .

^{٣٤} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٤٥) .

^{٣٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٥٩) .

^{٣٦} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٢٩) .

^{٣٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٤٥) .

والثاني : أن في الكلام محذوفا تقديره : إني أريد أن لا تبوء بإثمى وإثمك فحذف لا كقوله : [وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم] ، (لقمان : ١٠) ، أي : أن لا تميد بكم ، والثالث : أن المعنى أريد زوال أن تبوء بإثمى وإثمك وبطلان أن تبوء بإثمى وإثمك فحذف ذلك وقامت أن مقامه كقوله : [وأشربوا في قلوبهم العجل] ، (البقرة : ٩٣) ، أي : حب العجل^{٣٨} ، وقد جاءت الأحاديث تحذر من القتل وتشدد في عقوبته ومنها : (عن الأحنف بن قيس قال : ذهبت لأنصر هذا الرجل ، فلقيني أبو بكر فقال : أين تريد ؟ قلت : أنصر هذا الرجل ، قال : ارجع فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، فقلت : يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه)^{٣٩} ، و (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل)^{٤٠} ، وقد أشار حديثنا الباب إلى ذلك .

أخرج حديث ربعي : الطيالسي^{٤١} ، والإمام أحمد^{٤٢} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الإمام أحمد ، ورجاله رجال الرجل المبهم)^{٤٣} ، وأخرج الحديث الثاني عن حذيفة : الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٤٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌّ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ] آية : ٣٣ .

(١٨٤) (أخرج ابن مردويه : عن سعد بن أبي وقاص قال : نزلت في الحرورية : [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً])^{٤٥} .

(قال الضحاك : نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض ، وقيل : نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر على أن لا يعينه ولا يعين عليه وممن مر بهلال بن عويمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس ممن أسلم من قوم هلال بن عويمر ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم ، وقال سعيد

^{٣٨} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٢ / ٣٣٦ - ٣٣٧) .

^{٣٩} البخاري ، الصحيح : (١ / ٢٠) ، مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢٢١٣) .

^{٤٠} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٢١٣) ، مسلم ، الصحيح : (٣ / ١٣٠٣) .

^{٤١} الطيالسي ، مصدر سابق : (٥٦) .

^{٤٢} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٣٩٣) .

^{٤٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٣٠١) .

^{٤٤} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٤٩٢) .

^{٤٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٤٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٦٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٣٧) .

بن جبير نزلت في ناس من عرينة وعكل أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الإسلام وهم كذبة فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى إبل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم نفر من عكل فأسلموا واجتووا المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا^{٤٦} ، وقد جاء في الحديث أن الآية نزلت في الحرورية ، وفي الحديث : (عن أبي سلمة وعطاء ابن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها ؟ قال : لا أدري من الحرورية ؛ ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرأون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء)^{٤٧} ، و(عن عبد الله بن عمر وذكر الحرورية فقال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية)^{٤٨} ، والحرورية أول ما ظهرها بعد الذي جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من أمر التحكيم فبعد أن رجع معاوية إلى الشام ورجع علي إلى الكوفة فارقه الخوارج وهم ثمانية آلاف وقيل : كانوا أكثر من عشرة آلاف ، وقيل : ستة آلاف ونزلوا مكانا يقال له : حروراء ، ومن ثم قيل لهم : الحرورية وكان كبيرهم عبد الله بن الكواء اليشكري، وقد خالفت الحرورية عليا ، وقالوا : لا حكم إلا لله^{٤٩} ، وقيل : (الحرورية هم طائفة من الخوارج نسبوا إلى حرورا بالمد والقصر وهو موضع قريب من الكوفة كان أول مجمعهم وتحكيمهم فيه)^{٥٠} ، وقيل : (الحرورية منسوب إلى حروراء بفتح الراء المهملة وبعد الواو الساكنة راء أيضا بلدة على ميلين من الكوفة ، قال المبرد : النسبة إليها حروراوي وكذا كل ما كان في آخره ألف تأنيث ممدودة ، ولكن قيل : الحروري بحذف الزوائد ، ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج حروري ؛ لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي بالبلدة المذكورة فاشتهروا بالنسبة إليها ، وهم فرق كثيرة لكن من أصولهم المتفق عليها بينهم الأخذ بما دل عليه القرآن ورد ما زاد عليه من الحديث مطلقا)^{٥١} ، فهؤلاء القوم ضالون مضلون ، وقد أشار الحديث إلى ذلك ؛ لكن الآية عامة في كل الذين يحاربون الله ورسوله ، قال ابن كثير : (والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب)^{٥٢} ، ولم أقف على تخريج الحديث عن سعد ؛ لكن الآية نزلت كما في الحديث عن أنس في قوم من عكل وعرينة ففي الحديث : (عن أنس : أن نفرا من عكل وعرينة تكلموا بالإسلام فأتوا رسول الله

^{٤٦} البيهقي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٢) .

^{٤٧} مسلم ، الصحيح : (٢ / ٧٤٣) .

^{٤٨} البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٥٤٠) .

^{٤٩} ينظر : ابن حجر ، فتح الباري : (١٢ / ٢٨٤) .

^{٥٠} شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (١١ / ٥٥) .

^{٥١} المباركفوري ، مصدر سابق : (٦ / ٣٥٤) .

^{٥٢} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٤٩) .

صلى الله عليه وسلم فأخبروه انهم أهل ضرع ولم يكونوا أهل ريف وشكوا حمى المدينة ، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدود وأمرهم أن يخرجوا من المدينة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا فكانوا في ناحية الحرة فكفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقوا الذود ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فاتا بهم فسمل أعينهم وقطع أيديهم وأرجلهم وتركوا بناحية الحرة يقضمون حجارتها حتى ماتوا ، قال قتادة : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله] (٥٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] آية : ٣٥ .

(١٨٥) ((أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رفعه قال : صلوا علي صلاتكم ، وسلوا الله لي الوسيلة ، فسألوه أو أخبرهم : أن الوسيلة هي درجة في الجنة ليس ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا) ، (١٨٦) و) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا الله لي الوسيلة ، فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة) ، (١٨٧) و) عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : في الجنة درجة تدعى الوسيلة ، فإذا سألتم الله فسلوا لي الوسيلة ، قالوا : يا رسول الله من يسكن معك ؟ قال : علي وفاطمة والحسن والحسين) ، (١٨٨) و) عن موسى بن وردان^{٥٤} أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : قال رسول الله عليه وسلم : إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة على خلقه))^{٥٥} .

قال الطبري : (يعني جل ثناؤه بذلك : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعدهم من الثواب وأوعد من العقاب اتقوا الله ، يقول : أجيئوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك وحققوا إيمانكم وتصديقكم ربكم ونيكم بالصالح من أعمالكم ، وابتغوا إليه الوسيلة ، يقول : واطلبوا القرية إليه بالعمل بما يرضيه ، والوسيلة هي الفعيلة من قول القائل : توصلت إلى فلان بكذا بمعنى تقرت إليه ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ، يقول جل ثناؤه للمؤمنين به وبرسوله : وجاهدوا أيها المؤمنون أعدائي وأعداءكم في سبيلي ، يعني : في دينه وشريعته التي شرعها لعباده وهي الإسلام ، يقول : أتعبوا أنفسكم في قتالهم وحملهم على الدخول في الحنيفية المسلمة لعلكم تفلحون ، يقول : كيما تنجحوا فتدركوا البقاء الدائم والخلود في جنانه)^{٥٦} ، وقال ابن الهائم المصري : (الوسيلة القرية ، وقيل : الحاجة ، وقيل : أفضل درجات الجنة)^{٥٧} ، وقال

^{٥٣} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ١٦٣) ، البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٤٩٥) .

^{٥٤} موسى بن وردان المصري ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري روى عن أبي الدرداء مرسل ، روى عنه عمارة بن غزيرة والليث بن سعد وابن لهيعة والحسن بن ثوبان وأبو شريح الإسكندراني وضمام بن إسماعيل وأبو حيوة ، قال يحيى بن معين : كان قاصداً كان يكون بمصر ضعيف الحديث ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سئل أبي عن موسى بن وردان ، فقال : ليس به بأس ، وقال العجلي : مصرى تابعي ثقة ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٠٥) ، البخاري ،

التأريخ الكبير : (٧ / ٢٩٧) ، ابن أبي حاتم ، المرحم والتعديل : (٨ / ١٦٥) .

^{٥٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٤) .

^{٥٦} الطبري ، التفسير : (٦ / ٢٢٦ - ٢٢٧) .

ابن كثير : (يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الإنكفاف عن المحارم وترك المنهيات وقد قال بعدها : وابتغوا إليه الوسيلة ، قال ابن عباس : أي القربة ، وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود ، والوسيلة أيضا علم علي أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش (٥٨) ، ففي الحديث : (عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) (٥٩) ، و (عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه وسلم بها عليه عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ، هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) (٦٠) ، قال ابن حجر : (والمراد بالدعوة دعوة التوحيد ، كقوله تعالى : [له دعوة الحق] ، وقيل لدعوة التوحيد تامة لأن الشركة نقص أو التامة التي لا يدخلها تغيير ولا تبديل بل هي باقية إلى يوم النشور أو لأنها هي التي تستحق صفة التمام وما سواها فمعرض للفساد ، وقال ابن التين : وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو لا إله إلا الله) (٦١) ، وقد جاءت الأحاديث المتقدمة تبين ذلك المقام الذي نزله نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

أخرج الحديث الأول عن أبي هريرة : عبد الرزاق (٦٢) ، وابن أبي شيبة (٦٣) ، والإمام أحمد (٦٤) ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث غريب إسناده ليس بالقوي ، وكعب ليس هو بمعروف ، ولا نعلم أحدا روى ليث بن أبي سليم) (٦٥) ، وأبو يعلى (٦٦) .

وأخرج الحديث الثاني عن ابن عباس : عبد بن حميد (٦٧) ، والطبراني (٦٨) والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه الوليد بن عبد الملك الحراني ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : مستقيم الحديث إذا روى عن الثقات ، قلت : وهذا من روايته) (٦٩) .

^{٥٧} ابن الهائم المصري ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، تحقيق : د. فتحي أنور الدابولي ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، القاهرة (١٩٩٢ م) : (١٨٢) .

^{٥٨} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٤) .

^{٥٩} البخاري ، الصحيح : (١ / ٢٢٢) .

^{٦٠} مسلم ، الصحيح : (١ / ٢٨٨) .

^{٦١} ابن حجر ، فتح الباري : (٢ / ٩٥) .

^{٦٢} عبد الرزاق ، المصنف : (٢ / ٢١٦) .

^{٦٣} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ٣٢٥) .

^{٦٤} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٢٦٥) .

^{٦٥} الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٨٦) .

^{٦٦} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١١ / ٢٩٨) .

^{٦٧} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٢٣٠) .

^{٦٨} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ١٩٩) .

ولم أقف على تخريج الحديث الثالث عن علي بن أبي طالب ؛ لكن قال ابن كثير : (هذا حديث غريب منكر من هذا الوجه)^{٧٠} .

وأخرج الحديث الرابع عن أبي سعيد الخدري : الإمام أحمد^{٧١} ، والطبراني^{٧٢} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف)^{٧٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [يُريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ] آية : ٣٧ .
(١٨٩) (أخرج ابن مردويه : عن يزيد بن صهيب الفقير^{٧٤} عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة ، قال : فقلت لجابر بن عبد الله يقول الله : [يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها] قال : اتل أول الآية : [إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به] ، الآية ، ألا إنهم الذين كفروا)^{٧٥} .

قال الطبري : (يعني : يريدون أن يخرجوا من النار يريد هؤلاء الذين كفروا بربهم يوم القيامة أن يخرجوا من النار بعد دخولها ، وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ، يقول : لهم عذاب دائم ثابت ، لا يزول عنهم ، ولا ينتقل أبدا)^{٧٦} ، وقال ابن كثير : (فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم إلى ذلك ، وكلما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم إلى أسفلها ، ولهم عذاب مقيم ، أي : دائم مستمر لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنه)^{٧٧} ، فبين الحديث أن أولئك لا يخرجون من النار .

أخرج الحديث : النسائي^{٧٨} ، وأبو عوانة^{٧٩} ، والطبراني^{٨٠} .

^{٦٩} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ٣٣٣) .

^{٧٠} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٤) .

^{٧١} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ٨٣) .

^{٧٢} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١ / ٨٩) ، (٢ / ١٢٦) .

^{٧٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١ / ٣٣٢) .

^{٧٤} يزيد بن صهيب الفقير ، روى عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وابن عمر ، روى عنه سويد بن نجيح أبو قطبة والحكم بن عتيبة وسيار أبو الحكم وأبو سعد البقال ومسعر والمسعودي وجعفر بن برقان وموسى بن أبي كثير ، قال يحيى بن معين : يزيد بن صهيب ثقة ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي عن يزيد الفقير ؟ فقال : صدوق ، وسئل أبو زرعة عن يزيد الفقير فقال : هو يزيد بن صهيب كوفي ثقة ، ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير : (٨ / ٣٤٢) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٩ / ٢٧٢) ، ابن حبان ، الثقات : (٥ / ٥٣٥) .

^{٧٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٧٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٣٨) ، الألويسي ، مصدر سابق : (٦ /

(١٣١) .

^{٧٦} الطبري ، التفسير : (٦ / ٢٧٧ - ٢٢٨) .

^{٧٧} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٥) .

^{٧٨} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٧٣) .

^{٧٩} أبو عوانة ، مصدر سابق : (١ / ١٨٠) .

^{٨٠} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٥ / ٢٢٢) .

ما جاء في قوله تعالى : [وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بآ أنزل الله فأولئك هم الظالمون] آية : ٤٥ .

(١٩٠) (أخرج ابن مردويه : عن عدي بن ثابت : أن رجلا هتم فم رجل على عهد معاوية فأعطاه دية فأبى إلا أن يقتص ، فأعطاه ديتين فأبى ، فأعطى ثلاثا ، فحدث رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من تصدق بدم فما دونه فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت)^{٨١} .

(١٩١) (وأخرج ابن مردويه : عن أنس : أن الربيع كسر ثنية جارية ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخوها أنس ابن النضر : يا رسول الله تكسر ثنية فلانة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس كتاب الله القصاص)^{٨٢} .

(١٩٢) (وأخرج ابن مردويه : عن عبد الله ابن عمرو في قوله : [فمن تصدق به فهو كفارة له] ، قال : يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به)^{٨٣} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره وكتبنا على هؤلاء اليهود الذين يحكمونك يا محمد وعندهم التوراة فيها حكم الله ، ويعني بقوله : كتبنا فرضنا عليهم فيها أن يحكموا في النفس إذا قتلت نفسا بغير حق بالنفس ، يعني : أن تقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ، والعين بالعين ، يقول : وفرضنا عليهم فيها أن يفتأوا العين التي فقأ صاحبها مثلها من نفس أخرى بالعين المفقوءة ، ويجدع الأنف بالأنف ، ويقطع الأذن بالأذن ، ويقلع السن بالسن ، ويقتص من الجراح غيره ظلما للمجروح ، وهذا إخبار من الله تعالى ذكره لنبيه محمد عن اليهود وتعزية منه له عن كفر من كفر منهم به بعد إقراره بنبوته وإدباره عنه بعد إقباله وتعريف منه له جرائعهم قديما وحديثا على ربهم وعلى رسل ربهم وتقدمهم على كتاب الله بالتحريف والتبديل ، يقول تعالى ذكره له : وكيف يرضى هؤلاء اليهود يا محمد بحكمك إذا جاءوا يحكمونك وعندهم التوراة التي يقرون بها أنها كتابي ووحى إلى رسولي موسى فيها حكمي بالرجم على الزناة المحصنين وقضائي بينهم أن من قتل نفسا ظلما فهو بها قود ومن فقأ عينا بغير حق فعينه بها مفقوءة قصاصا ومن جدع أنفا فأنفه به مجدوع ومن قلع سنا فسنه بها مقلوعة ومن جرح غيره جرحا فهو مقتص منه مثل الجرح الذي جرحه ، ثم هم مع الحكم الذي عنده في التوراة من أحكامي يتولون عنه ويتركون العمل به ، يقول : فهم بترك حكمك ويسخط قضائك بينهم أخرى وأولى)^{٨٤} ، وكان كتاب الله تعالى على اليهود يعني الفرض : (قوله : وكتبنا ، أي فرضنا عليهم ، أي : على اليهود ، فيها ، أي : في التوراة ، قال ابن عباس : وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس فما بالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقأون العينين

^{٨١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٦٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٩٢) .

^{٨٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٩٢) .

^{٨٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٩٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٩) .

^{٨٤} الطبري ، التفسير : (٦ / ٢٥٨) .

بالعين وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو وليس بينهم دية في نفس ولا جرح فخفف الله عن أمة محمد بالدية) ^{٨٥}، وقال ابن كثير : (وهذا أيضا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه فإنه عندهم في نص التوراة : أن النفس بالنفس ، وهم يخالفون ذلك عمدا وعنادا ويقيدون النضري من القرطي ولا يقيدون القرطي من النضري بل يعدلون إلى الدية كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن وعدلوا إلى ما اصطالحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار ، ولهذا قال هناك : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعمدا ، وقال ها هنا : فأولئك هم الظالمون ، لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله به بالعدل والتسوية بين النفس والنفس في التوراة ، فخالفوا ذلك فضلوا ، فكانت دية النضيري أكثر وكان النضيري لا يقتل بالقرطي ويقتل به القرطي ، فلما جاء الإسلام راجع بنو قريظة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فحكم بالاستواء ، فقالت بنو النضير : قد حطت منا ، فنزلت هذه الآية) ^{٨٧} .

وقال الشافعي : (ذكر الله تعالى ما فرض على أهل التوراة قال : وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، قال : ولم أعلم خلافا في أن القصاص في هذه الأمة كما حكى الله عز وجل أنه حكم به بين أهل التوراة ، ولم أعلم مخالفا في أن القصاص بين الحرين المسلمين في النفس وما دونها من الجراح التي يستطاع فيها القصاص بلا تلف يخاف على المستفاد منه من موضع القود) ^{٨٨} ، وقال ابن قدامة : (أجمع العلماء على أن القود لا يجب إلا بالعمد ولا نعلم بينهم في وجوبه بالقتل العمد إذا اجتمعت شروطه خلافا ، وقد دلت عليه الآيات والأخبار بعمومها فقال الله تعالى : [ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل] ، الإسراء : ٣٣ ، وقال تعالى : [كتب عليكم القصاص في القتلى] ، البقرة : ١٧٨ ، وقال تعالى : [ولكم في القصاص حياة] ، البقرة : ١٧٩ ، يريد والله أعلم : أن وجوب القصاص يمنع من يريد القتل منه شفقة على نفسه من القتل فتبقى الحياة فيمن أريد قتله ، وقيل : إن العداوة بينه وبين قبيلة المقتول فيريد قتلهم خوفا منهم ويريدون قتله وقتل قبيلته استيفاء ففي الاقتصاص منه بحكم الشرع قطع لسبب الهلاك بين القبيلتين ، وقال الله تعالى : [وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يقتل وإما أن يفدى) ^{٨٩} ، وقد دلت الأحاديث على القصاص والدية والعفو .

أخرج الحديث الأول عن عدي بن ثابت : سعيد بن منصور ^{٩٠} ، وأبو بكر الشيباني ^{٩١} .

^{٨٥} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٢ / ٣٦٧) .

^{٨٦} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٦٢) .

^{٨٧} القرطي ، مصدر سابق : (٦ / ١٩١) .

^{٨٨} الشافعي ، أحكام القرآن : (١ / ٢٨٠ - ٢٨١) .

^{٨٩} ابن قدامة ، مصدر سابق : (٨ / ٢١٤) .

^{٩٠} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٤ / ١) .

^{٩١} أبو بكر الشيباني ، الدييات ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) : (٦٥) .

وأخرج الحديث الثاني عن أنس : الإمام أحمد^{٩٢} ، والبخاري^{٩٣} ، وأبو داود^{٩٤} ، والنسائي^{٩٥} ، وابن ماجه^{٩٦} والبيهقي^{٩٧} .

وأخرج الحديث الثالث عن ابن عمرو : ابن أبي شيبة^{٩٨} ، والبيهقي^{٩٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] آية : ٥٥ .

(١٩٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : كان علي بن أبي طالب قائما يصلي ، فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه ، فنزلت : [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ] ، الآية)^{١٠٠} .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره : ليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره ، فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرءوا من ولايتهم ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء فليسوا لكم أولياء ولا نصراء ؛ بل بعضهم أولياء بعض ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا)^{١٠١} ، وقال ابن كثير : (أي : ليس اليهود بأوليائكم ؛ بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ، وقوله : الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، أي : المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من أقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين)^{١٠٢} ، وقال البيضاوي : (لما نهى عن موالاته الكفرة ذكر عقبيه من هو حقيق بها ، وإنما قال : وليكم الله ، ولم يقل : أولياؤكم ، للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الأصالة ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على التبع)^{١٠٣} ، وقد اختلف في نزول الآية على أربعة أقوال : الأول : نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع ، والثاني : أن عبادة بن الصامت لما تبرأ من حلفائه اليهود نزلت هذه الآية في حقه ، والثالث : أنها نزلت في أبي بكر الصديق ، والرابع : أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم)^{١٠٤} ، وقد أشار الحديث إلى

^{٩٢} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ١٢٨) ، (٣ / ١٦٧) .

^{٩٣} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٨٥) .

^{٩٤} أبو داود ، السنن : (٤ / ١٩٧) .

^{٩٥} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٢٢٢) .

^{٩٦} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ٨٨٤) .

^{٩٧} البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٢٥) .

^{٩٨} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٥ / ٤٦٢) .

^{٩٩} البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٥٤) .

^{١٠٠} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٧٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٠٥) ، الألويسي ، مصدر سابق : (٦ / ١٦٧) .

^{١٠١} الطبري ، التفسير : (٦ / ٢٧٨) .

^{١٠٢} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٧٢) .

^{١٠٣} البيضاوي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٣٨) .

^{١٠٤} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٢ / ٣٨٣) .

نزولها في حق علي بن أبي طالب ، ولم أقف على تخريج الحديث عن ابن عباس ، قال ابن كثير : (الضحاك لم يلق ابن عباس)^{١٠٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنة الله وغضبه عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواي السبيل] آية : ٦٠ .
(١٩٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير)^{١٠٦} .

(١٩٥) (وأخرج : عن ابن مسعود قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أهى مما مسخ الله ؟ فقال : إن الله لم يهلك قوماً أو يمسح قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبة وإن القردة والخنازير قبل ذلك)^{١٠٧} .

قال الطبري : (يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار هل أنبئكم يا معشر أهل الكتاب بشر من ثواب ما تنعمون منا من إيماننا بالله وما أنزل إلينا من كتاب الله وما أنزل من قبلنا من كتبه ، من لعنه الله ، فإنه يعني : من أبعد الله وأسحقه من رحمته وغضبه عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير ، يقول : وغضب عليهم وجعل منهم المسوخ القردة والخنازير غضبا منه عليهم وسخطا فعجل لهم الخزي والنكال في الدنيا)^{١٠٨} ، وقال البغوي : (قل : يا محمد هل أنبئكم أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ، يعني قولهم : لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم ، فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شرا لقوله تعالى : أفأنبئكم بشر من ذلكم النار مثوبة ثوابا وجزاء نصب على التفسير عند الله من لعنه الله ، أي : هو من لعنه الله وغضب عليه يعني اليهود ، وجعل منهم القردة والخنازير ؛ فالقردة أصحاب السبب والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الممسوخين كلاهم من أصحاب السبب فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير ، وعبد الطاغوت ، أي : جعل منهم من عبد الطاغوت ، أي : أطاع الشيطان فيما سول له به)^{١٠٩} ، وورد في الحديث المسخ و (المَسْخُ تحويل صورة إلى صورة أقبح منها ومسيخ فاعيل بمعنى مفعول من المسخ وهو قلب الخلقة من شيء إلى شيء ، والمسيخ من الناس الذي لا ملاحاة له ، ومن اللحم الذي لا طعم له ، ومن الطعام الذي لا ملح له ولا لون ولا طعم ، ومن الفاكهة ما لا طعم له)^{١١٠} ، وقد أشار حديثنا الباب إلى هذا .

^{١٠٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٧٢) .

^{١٠٦} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٧٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٠٩) .

^{١٠٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٠٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٥٦) .

^{١٠٨} الطبري ، التفسير : (٦ / ٢٩٢) .

^{١٠٩} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٩) .

^{١١٠} ابن منظور ، مصدر سابق : (٣ / ٥٥) .

أخرج الحديث عن ابن عباس : أبو محمد الأصبهاني^{١١١} ، والطبراني^{١١٢} ، والهيثمي^{١١٣} ، وقال : (رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح)^{١١٤} .
وأخرج الحديث عن ابن مسعود : الشاشي^{١١٥} ، والإمام أحمد^{١١٦} ، والطبراني^{١١٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمةٌ مقتصدَةٌ وكثيرٌ منهم ساءٌ ما يعملون] آية : ٦٦ .
(١٩٦) (أخرج ابن مردويه : عن يعقوب بن زيد بن طلحة^{١١٨} ، عن زيد بن أسلم^{١١٩} ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة ، وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة واحدة منها في الجنة وإحدى وسبعون منها في النار ، وتعلو أمتي على الفرقتين جميعا واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : الجماعات الجماعات)^{١٢٠} .

قال الطبري : (يعني تعالى ذكره بقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل : ولو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ، يقول : وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم من الفرقان الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، فإنه يعني : لأنزل الله عليهم من السماء قطرها فأثبتت لهم به الأرض حبتها ونباتها فأخرج ثمارها ، ومن تحت أرجلهم فإنه يعني تعالى ذكره : لأكلوا من بركة ما تحت أقدامهم من الأرض وذلك ما تخرجه الأرض من حبتها ونباتها وثمارها وسائر ما يؤكل مما تخرجه الأرض ، منهم أمة مقتصدَةٌ وكثيرٌ منهم ساءٌ ما يعملون ، يعني تعالى ذكره بقوله منهم أمة : منهم جماعة مقتصدَةٌ ، يقول : مقتصدَةٌ في القول في عيسى ابن مريم قائلة فيه الحق إنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه لا غالية قائلة إنه ابن الله تعالى عما قالوا من ذلك ولا مقصرة قائلة هو لغير رشدة ، وكثيرٌ منهم يعني : من بني إسرائيل من أهل الكتاب اليهود والنصارى ، ساءٌ ما يعملون يقول : كثيرٌ منهم سييء عملهم وذلك أنهم يكفرون بالله

^{١١١} أبو محمد الأصبهاني ، مصدر سابق : (١٦٤٢ / ٥) .

^{١١٢} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٤ / ٣٠٤) ، المعجم الكبير : (١١ / ٣٤١) .

^{١١٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٤ / ٤٦) ، موارد الظمان : (٢٦٥) .

^{١١٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٤ / ٤٦ - ٤٧) .

^{١١٥} الشاشي ، مصدر سابق : (٢ / ١٨٠) .

^{١١٦} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٤١٣) ، (١ / ٤٤٥) .

^{١١٧} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٤ / ٢٠٨) ، (٦ / ٨٦) .

^{١١٨} يعقوب بن زيد بن طلحة بن عبد الله بن أبي مليكة التيمي وكان قاضيا ، روى عن سعيد المقبري وأبيه ، روى عنه مالك بن أنس وهشام بن سعد وموسى بن عبيدة ومحمد بن جعفر بن أبي كثير وأيوب بن سيار وأبو معشر نجيح وإبراهيم بن طهمان ، سئل أبو زرعة عن يعقوب بن زيد ؟ فقال : مدني ثقة ، ينظر :

البخاري ، التاريخ الكبير : (٨ / ٣٩٣) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٩ / ٢٠٧) ، ابن حبان ، الثقات : (٧ / ٦٤٢) .

^{١١٩} ينظر : الحديث رقم (١٣٢) .

^{١٢٠} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٧٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١١٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٥٩) .

فتكذب النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وتزعم أن المسيح ابن الله وتكذب اليهود بيسى وبمحمد صلى الله عليهما فقال الله تعالى فيهم ذاما لهم ساء ما يعملون في ذلك من فعلهم) ^{١٢١}، وقال البغوي : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ، يعني : أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما ، وما أنزل إليهم من ربهم ، يعني : القرآن ، وقيل : كتب أنبياء بني إسرائيل ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، قيل : من فوقهم هو المطر ومن تحت أرجلهم نبات الأرض ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض ، قال الفراء : أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه ، منهم أمة مقتصدة ، يعني : مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ، مقتصدة ، أي : عادلة غير غالبية ولا مقصرة جافية ، ومعنى الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير ، وكثير منهم كعب بن الأشرف وأصحابه ، ساء ما يعملون ، بس ما يعملون بس شيئا عملهم) ^{١٢٢} ، ويجب أن يعلم أن الفرق والاختلاف بينها منها ما هو في الفروع وهذا أمر معلوم وليس فيه قول واختلاف في الأصول والعقائد وهذا حصل به الأختلاف والتفرق والتكفير قال المباركفوري : (قد علم أصحاب المقالات أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام ، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالات الصحابة وما جرى مجرى هذه الأبواب ؛ لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضا بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا من دون تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه ، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف ، وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئا فشيئا إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية) ^{١٢٣} ، وقال المناوي : (وأصول الفرق ستة : حرورية وقدرية وجهمية ومرجئة ورافضة وجبرية ، وانقسمت كل منها إلى اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنين وسبعين ، وقيل : بل عشرون روافض وعشرون خوارج وعشرون قدرية وسبعة مرجئة وواحدة نجادية وواحدة فرارية وواحدة جهمية وثلاث كرامية ، وقيل وقيل وقيل ، وأعلم أن جميع الفرق التي فارقت الجماعة إذا اعتبرتها وتأملتها لم تجد لها أصلا فلذلك سموا فرقا ؛ لأنهم فارقوا الإجماع وهذا من معجزاته لأنه إخبار عن غيب وقع ، وهذه الفرق وإن تباينت مذاهبهم متفقون على إثبات الصانع وأنه الكامل مطلقا الغني عن كل شيء ولا يستغني عنه شيء ، فإن قيل : ما وثوقك بأن تلك الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة مع أن كل واحد من الفرق يزعم أنه هي دون غيره ؟ قلنا : ليس ذلك بالادعاء والتثبت باستعمال الوهم القاصر والقول الزاعم بل بالنقل عن جهابذة هذه الصنعة وأئمة أهل الحديث الذين جمعوا صحاح الأحاديث في أقواله صلى الله عليه وسلم وأحواله وأفعاله وحركاته وسكناته ، وأحوال الصحب والتابعين كالشيوخ وغيرهما من الثقات المشاهير الذين اتفق أهل

^{١٢١} الطبري ، التفسير : (٦ / ٣٠٤ - ٣٠٥) .

^{١٢٢} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٥١) .

^{١٢٣} المباركفوري ، مصدر سابق : (٧ / ٣٣٢) .

المشرق والمغرب على صحة ما في كتبهم وتكفل باستنباط معانيها وكشف مشكلاتها كالخطابي والبغوي والنووي جزاهم الله خيرا ، ثم بعد النقل ينظر إلى من تمسك بهديهم واقتفى أثرهم واهتدى بسيرتهم في الأصول والفروع فيحكم بأنهم هم^{١٢٤} ، والحديث يبين أن التفرق في ملة الإسلام واقع لا محالة .
وأخرج الحديث : أبو يعلى^{١٢٥} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أبو يعلى ، وفيه أبو معشر نجيح وفيه ضعف)^{١٢٦} ، وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة : (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)^{١٢٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] آية : ٦٧ .
(١٩٧) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن موهب^{١٢٨} ، عن عصمة بن مالك الخطمي^{١٢٩} قال : كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت : [والله يعصمك من الناس] ، فترك الحرس)^{١٣٠} .
(١٩٨) (وأخرج : عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت : [والله يعصمك من الناس] ، فأخرج رأسه من القبة فقال : أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)^{١٣١} .
(١٩٩) (وأخرج : عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الآية : [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك] ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم في علي بن أبي طالب)^{١٣٢} .
قال الطبري : (هذا أمر من الله تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص الله تعالى قصصهم في هذه السورة وذكر فيها معانيهم وخبث أديانهم واجترأهم على ربهم وتوثبهم على أنبيائهم وتبدلهم كتابه وتحريفهم إياه ورداءة مطاعمهم وماكلهم وسائر المشركين غيرهم ما أنزل عليه فيهم من معائبهم والإزراء عليهم والتقصير بهم والتهجين لهم وما أمرهم به ونهاهم عنه وأن لا يشعر

^{١٢٤} المناوي : مصدر سابق : (٢ / ٢٠) .

^{١٢٥} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٦ / ٣٤١) .

^{١٢٦} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٢٥٨) .

^{١٢٧} أخرجه : الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٣٢) ، أبو داود ، السنن : (٤ / ١٩٧) ، الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٥) ، ابن ماجه ، السنن : (٢ /

١٣٢١) ، ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ١٤٠) ، الحاكم ، المستدرک : (١ / ٤٧) .

^{١٢٨} عبد الله بن موهب الهمداني أو الخولاني قاضي فلسطين ، عن تميم ، وعنه ابنه يزيد والزهرري ، قال العجلي : عبد الله بن موهب شامي ثقة ، ينظر : العجلي

، مصدر سابق : (٢ / ٦٢) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٥ / ١٩٨) ، ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل : (٥ / ١٧٤) ، ابن حجر ، لسان الميزان : (٧ /

٢٧١) .

^{١٢٩} (عصمة بن مالك الخطمي ، نسبه أبو نعيم فقال : ابن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، له أحاديث أخرجه

الدارقطني والطبراني وغيرهما) ، ابن حجر ، الإصابة : (٤ / ٥٠٤) .

^{١٣٠} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٧٩) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١١٨) .

^{١٣١} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١١٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٦١) .

^{١٣٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١١٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٦٠) .

نفسه حذرا منهم أن يصيبه في نفسه مكروه ما قام فيهم بأمر الله ولا جزعا من كثرة عددهم وقلة عدد من معه وأن لا يتقي أحدا في ذات الله فإن الله تعالى كافيه كل أحد من خلقه ودافع عنه مكروه كل من يتقي مكروهه ، وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم فهو في تركه تبليغ ذلك وإن قل ما لم يبلغ منه فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمنزلته لو لم يبلغ من تنزيله شيئا^{١٣٣} ، وقال البغوي : (قيل : بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص نزلت في قصة اليهود ، وقيل : نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها ، وقيل : في الجهاد وذلك أن المنافقين كرهوه ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، إن لم تبلغ الجمع وتركت بعضه فما بلغت شيئا ، أي : جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل ، وقيل : بلغ ما أنزل إليك ، أي : أظهر تبليغه ، وإن لم تفعل ، فإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته ، أي : أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهرا محتسبا صابرا غير خائف ، فإن أخفيت منه شيئا لخوف يلحقك فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، أي : يحفظك ويمنعك من الناس ، فإن قيل : أليس قد شج رأسه وكسرت ربايعيته وأوذى بضروب من الأذى ؟ قيل : معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك ، وقيل : نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه ، لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن ، وقيل : والله يخلصك بالعصمة من بين الناس لأن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم)^{١٣٤} ، وفي الأحاديث بيان لعصمة الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام من حفظه ، وأما ما جاء في نزول الآية في علي بن أبي طالب فضعيف .

للحديث الأول شاهد من حديث عائشة الذي بعده ، ولم أقف على تخريجه ، وأخرج الحديث الثاني عن عائشة رضي الله عنها : سعيد بن منصور^{١٣٥} ، والترمذي^{١٣٦} ، والحاكم في مستدركه ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٣٧} ، والبيهقي^{١٣٨} ، ولم أقف على تخريج الحديث الثالث عن أبي سعيد الخدري .

ما جاء في قوله تعالى : [لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأنَّ منهم قسيسين ورهبانا وأنَّهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممَّا عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين] الآيتان : ٨٢ ،

٠ ٨٢

^{١٣٣} الطبري ، التفسير : (٦ / ٣٠٧) .

^{١٣٤} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٥١ - ٥٢) .

^{١٣٥} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٤ / ١) .

^{١٣٦} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٥١) .

^{١٣٧} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٤٢) .

^{١٣٨} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٨) .

(٢٠٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلا يهودي بمسلم إلا هم بقتله ، وفي لفظ إلا حدث نفسه بقتله) ١٣٩ .

(٢٠١) (وأخرج : عن ابن عباس في قوله : [فآكتنبا مع الشاهدين] ، أي : مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمتهم هم الشاهدون ، يشهدون لنبيهم صلى الله عليه وسلم أنه قد بلغ وللسل أنهم قد بلغوا) ١٤٠ .

في هذه الآية بين رب العزة تبارك وتعالى ، حقيقة اليهود وأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين ولهذا الدين الحنيف ، وأنهم مع الذين أشركوا في خط واحد من العداوة والبغضاء لهذا الدين وللمؤمنين به ، وأنهم ليسوا أصحاب عهد ولا ميثاق وهم لا يحترمون ذلك ، وأن اليهودي إذا اختلى بالمسلم وكان باستطاعته قتله فعل ذلك ولا يبالي ولم يرقب عهدا ولا ميثاقا ، وأما النصارى وهم أقرب مودة للمؤمنين منهم القسيسون والرهبان ، و (القسيسون علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم ، والرهبان ، جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان ، وقيل : إنه يطلق على الواحد وعلى الجمع ، والترهب التبع في الصومعة ، وقيل : الرهبانية الغلو في تحمل التبع من فرط الخوف والتكثير لإفادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين أيضا إذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين) ١٤١ ، ثم بين رب العزة أن أولئك النصارى إذا سمعوا ما أنزل الله تعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فاضت أعينهم بالدمع للذي عرفوه من الحق وقالوا يا رب آكتنبا من الذين شهدوا الحق مع محمد وأصحابه .

أخرج الحديث عن أبي هريرة : الديلمي ١٤٢ ، قال العجلوني : (رواه الثعلبي وابن مردويه وابن حبان في الضعفاء عن أبي هريرة مرفوعا ، وفي رواية ابن حبان زفر وهم بالأفراد ، وأخرجه الديلمي بلفظ ما خلا قط زفر بمسلم إلا حدث نفسه بقتله ، وقد أطل الكلام عليه السخاوي في بعض الحوادث ، فأقول : ويؤيد ذلك ما ذكره شيخنا المرحوم يونس المصري أنه كان يقرأ على زفر يوما في المنطق ، فقال له وقد انفرد به لا تأتي إلا ومعك سكين أو نحوها لأن اليهودي إذا خلا بمسلم ولم يكن مع سلاح لزمه التعرض لقتله) ١٤٣ .
وأخرج الحديث الثاني عن ابن عباس : الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ١٤٤ .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ، لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم

١٣٩ السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٢٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٦٨) ، الألويسي ، مصدر سابق : (٧ / ٢) .

١٤٠ الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٩ / ٣٢٤) ، ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٨٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٦٩) .

١٤١ أبو السعود ، مصدر سابق : (٣ / ٧١ - ٧٢) .

١٤٢ الديلمي ، مصدر سابق : (٤ / ١٠٨) .

١٤٣ العجلوني ، مصدر سابق : (٢ / ٢٤٤) ، وهو بهذا أشار إلى ضعف الحديث .

١٤٤ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٤٣) .

ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقية فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتُمْ واحفظوا أيمانكم كذلك يُبين الله لكم آياته لعلم تشكرون [الآيات : ٨٧ - ٨٨ - ٨٩] .

(٢٠٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قالوا : نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك ، فقالوا : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء ، فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني)^{١٤٥} .

(٢٠٣) (وأخرج : عن ابن مسعود قال : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء ، فقلنا : ألا نستخصي ، فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ورخص لنا أن ننكح المرأة بالشوب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله : [يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين]^{١٤٦}) .

(٢٠٤) (و) عن ابن عباس قال : إن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن مظعون حرموا اللحم والنساء على أنفسهم وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا لعبادة ربهم ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما أردتم ؟ قالوا : أردنا أن نقطع الشهوة عنا ونتفرغ لعبادة ربنا ونلهو عن الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أؤمر بذلك ؛ ولكني أمرت في ديني أن أتزوج النساء ، فقالوا : نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : [يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم] إلى قوله : [واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون] ، فقالوا : يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها ؟ فأنزل الله : [لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان] ، الآية^{١٤٧}) .

(٢٠٥) (وأخرج : عنه قال : كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر ، وأمر الناس به ، ومن لم يجد فنصف صاع من بر)^{١٤٨} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم أنه حق من عند الله لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ، يعني بالطيبات : اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب فتمنعوا إياها كالذي فعله القسيسون والرهبان فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم وساح في الأرض بعضهم ، يقول تعالى ذكره : فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك ولا تعتدوا حد الله الذي حد لكم فيما أحل لكم وفيما حرم عليكم فتجاوزوا حده الذي حده فتخالفوا بذلك

^{١٤٥} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٨٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٣٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٧٠) .

^{١٤٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٤٠) .

^{١٤٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٤٢) .

^{١٤٨} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٩٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ١٥١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٧١) .

طاعته فإن الله لا يحب من اعتدى حده الذي حده لخلقه فيما أحل لهم وحرّم عليهم) ^{١٤٩} ، وقد قال أهل التفسير : (ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوماً ووصف القيامة فرق الناس وبكوا ، فاجتمع عشرة من أصحابه في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن رضي الله عنهم وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسموح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسبحوا في الأرض ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه ، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها الخولاء : أحق ما أبلغني عن زوجك وأصحابه ؟ فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهت أن تبدي على زوجها ، فقالت : يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عثمان أخبرته بذلك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير ، فقال صلى الله عليه وسلم : إني لم أوامر بذلك ، ثم قال : إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم والدم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ، ثم جمع الناس وخطبهم فقال : ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات النساء ، أما إني فلست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واتموا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقيم لكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ^{١٥٠} ، وقال البغوي : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، يعني : اللذات التي تشتهيها النفوس مما أحل لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ، ولا تعتدوا ، ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام ، وقيل : جب المذاكير) ^{١٥١} ، وقال ابن الجوزي : (في قوله : ولا تعتدوا ، خمسة أقوال ، أحدها : لا تحبوا أنفسكم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وإبراهيم ، والثاني : لا تأتوا ما نهى الله عنه قاله الحسن ، والثالث : لا تسيروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء وإدامة الصيام والقيام قاله عكرمة ، والرابع : لا تحرموا الحلال قاله مقاتل ، والخامس : لا تغصبوا الأموال المحرمة ذكره الماوردي) ^{١٥٢} ، ثم قال تعالى : [لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم] ، قال الشوكاني : (وفي الآية دليل على أن أيمان اللغو لا يؤاخذ الله الحالف بها ولا تجب فيها الكفارة ، وقد ذهب الجمهور من الصحابة ومن بعدهم إلى أنها قول الرجل : لا والله وبلى والله في كلامه غير معتقد لليمين ، وبه فسر الصحابة

^{١٤٩} الطبري ، التفسير : (٧ / ٨) .

^{١٥٠} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٥٨ - ٥٩) .

^{١٥١} المصدر السابق : (٢ / ٥٩) .

^{١٥٢} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٢ / ٤١٢) .

الآية وهم أعرف بمعاني القرآن ، قال الشافعي : وذلك عند اللجاج والغضب والعجلة ، قوله : ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، والعقد على ضربين حسي كعقد الجبل ، وحكمي كعقد البيع واليمين والعهد ، فاليمين المعقدة من عقد القلب ليفعلن أو لا يفعلن في المستقبل ، أي : ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقدة الموثقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها ، قوله : فكفارته ، الكفارة هي مأخوذة من التكفير وهو التسير ، وكذلك الكفر هو الستر والكافر هو الساتر لأنها تستر الذنب وتغطيه والضمير في كفارته راجع إلى ما في قوله : بما عقدتم ، وإطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، المراد بالوسط هنا المتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير وليس المراد به الأعلى ، أي : أطعموهم من المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه ولا يجب عليكم أن تطعموهم من أعلاه ولا يجوز لكم أن تطعموهم من أدناه ، وظاهره أنه يجزئ إطعام عشرة حتى يشبعوا ، قوله : أو كسوتهم ، والكسوة في الرجال تصدق على ما يكسو البدن ولو كان ثوبا واحدا وهكذا في كسوة النساء ، وقيل : الكسوة للنساء درع وخمار ، وقيل : المراد بالكسوة ما تجزئ به الصلاة ، قوله : أو تحرير رقبة ، أي : إعتاق مملوك ، والتحرير الإخراج من الرق ويستعمل التحرير في فك الأسير ، وظاهر هذه الآية أنها تجزئ كل رقبة على أي صفة كانت ، وذهب جماعة منهم الشافعي إلى اشتراط الإيمان فيها قياسا على كفارة القتل ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، أي : فمن لم يجد شيئا من الأمور المذكورة فكفارته صيام ثلاثة أيام ، أي : ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا حلفتهم وحنثتم ، ثم أمرهم بحفظ الأيمان وعدم المسارعة إليها أو إلى الحنث بها ، والإشارة بقوله : كذلك ، إلى مصدر الفعل المذكور بعده ، أي : مثل ذلك البيان بين الله لكم ، وقد تكرر هذا في مواضع من الكتاب العزيز ، لعلكم تشكرون ، ما أنعم به عليكم من بيان شرائعه وإيضاح أحكامه (١٥٣) ، وقد ورد لفظ الصاع في الحديث ، والصاع : (مِكْيَالٌ يَسَعُ أَرْبَعَةَ أَمْدَادٍ ، وَالْمُدُّ مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، فَقِيلَ : هُوَ رَطْلٌ وَثُلُثٌ بِالْعِرَاقِيِّ وَبِهِ يَقُولُ الشَّافِعِيُّ وَفُقُهَاءُ الْحِجَازِ ، وَقِيلَ : هُوَ رَطْلَانٌ ، وَبِهِ أَخَذَ أَبُو حَنِيفَةَ وَفُقُهَاءُ الْعِرَاقِ ، فَيَكُونُ الصَّاعُ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ وَثُلُثًا أَوْ ثَمَانِيَةَ أَرْطَالٍ) (١٥٤) ، وقد جاءت الأحاديث تبين هذه الأمور •

أخرج الحديث الأول عن ابن عباس : الترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب ، ورواه بعضهم عن عثمان ابن سعد مرسلا ليس فيه عن ابن عباس ، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلا) (١٥٥) ،

والطبراني (١٥٦) •

وأخرج الحديث الثاني عن ابن مسعود : الإمام أحمد (١٥٧) ، والبخاري (١٥٨) ، ومسلم (١٥٩) ، والنسائي (١٦٠) ، وابن حبان (١٦١) •

١٥٣ الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٧١ - ٧٢) •

١٥٤ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : (٣ / ٦٠) •

١٥٥ الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٥٥) •

١٥٦ الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٣٥٠) •

١٥٧ الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٣٢٠) •

١٥٨ البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٦٨٧) ، (٥ / ١٩٥٣) •

١٥٩ مسلم ، الصحيح : (٢ / ١٠٢٢) •

ولم أقف على تخريج الحديث الثالث عن ابن عباس ؛ لكن للحديث شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص^{١٦٢} .

وأخرج الحديث الرابع عن ابن عباس : ابن ماجه^{١٦٣} ، والكناني ، وقال : (هذا إسناد فيه عبد الله بن يعلي الثقفي وهو ضعيف)^{١٦٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عملِ الشيطانِ فاجتنبوه لعلكم تفلحونَ] آية : ٩٠ .

(٢٠٦) (أخرج ابن مردويه : عن عمر بن الخطاب أنه قال : لما نزل تحريم الخمر : قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت هذه الآية التي في البقرة : [يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير] ، فدعي عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في النساء : [يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى] ، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران ، فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في المائدة ، فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ : [فهل أنتم منتهون] ، قال عمر : انتهينا انتهينا)^{١٦٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حُرماً واتقوا الله الذي إليه تُحشرونَ] آية : ٩٦ .

(٢٠٧) (أخرج ابن مردويه : عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما صدتموه وهو حي فمات فكلوه ، وما ألقى البحر ميتا طافيا فلا تأكلوه)^{١٦٦} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : أحل لكم أيها المؤمنون صيد البحر وهو ما صيد طريا ، وعنى بالبحر في هذا الموضع الأنهار كلها والعرب تسمي الأنهار بحارا ، فتأويل الكلام : أحل لكم أيها المؤمنون طري سمك الأنهار الذي صدتموه في حال حلكم وحرمتكم وما لم تصيدوه من طعامه الذي قتله ثم رمي به إلى ساحله)^{١٦٧} ، قوله تعالى : [أحل لكم صيد البحر] ، (قال أحمد : يؤكل كل ما في البحر إلا الضفدع والتمساح لأن التمساح يأكل الناس ، وقال أبو حنيفة والثوري : لا يباح منه إلا السمك ، وقال ابن أبي ليلى ومالك : يباح كل

^{١٦٠} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٣٦) .

^{١٦١} ابن حبان ، الصحيح : (٩ / ٤٤٨) .

^{١٦٢} أخرجه : البخاري : (٥ / ١٩٥٢) ، ومسلم ، الصحيح : (٢ / ١٠٢٠) .

^{١٦٣} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٦٨٢) .

^{١٦٤} الكناني ، مصدر سابق : (٢ / ١٣٥) .

^{١٦٥} ينظر : الحديث رقم (٧٥) .

^{١٦٦} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٠٤) .

^{١٦٧} الطبري ، التفسير : (٧ / ٦٣ - ٦٤) .

ما فيه من ضفدع وغيره ، فأما طعامه ففيه ثلاثة أقوال ، أحدها : ما نبذه البحر ميتا قاله أبو بكر وعمر وابن عمر وأبو أيوب وقتادة ، والثاني : أنه مليحه قاله سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والسدي وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة كالقولين واختلفت الرواية عن النخعي فروي عنه كالقولين وروي عنه أنه جمع بينهما فقال : طعامه المليح وما لفظه ، والثالث : أنه ما نبت بمائه من زروع البر ، وإنما قيل لهذا طعام البحر لأنه ينبت بمائه حكاه الزجاج ، وفي المتاع قولان ، أحدهما : أنه المنفعة قاله ابن عباس والحسن وقتادة ، والثاني : أنه الحل قاله النخعي ، قال مقاتل : متاعا لكم يعني المقيمين وللسيارة يعني المسافرين ، قوله تعالى : وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، أما الاصطياد فمحرّم على المحرم ، فان صيد لأجله حرم عليه أكله خلافا لأبي حنيفة فان أكل فعليه الضمان خلافا لأحد قولي الشافعي ، فان ذبح المحرم صيدا فهو ميتة خلافا لأحد قولي الشافعي أيضا ، فان ذبح الحلال صيدا في الحرم فهو ميتة أيضا خلافا لأكثر الحنفية (١٦٨) ، وقال ابن حزم : (مسألة وصيد كل ما سكن الماء من البرك أو الأنهار أو البحر أو الآبار حلال للمحرم صيده وأكله لقول الله تعالى : [أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما] ، وقال تعالى : [وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا] ، فسمى تعالى كل ماء عذب أو ملح بحرا ، وحتى لو لم تأت هذه الآية لكان صيد البر والبحر والنهر وكل ما ذكرنا حلالا بلا خلاف بنص القرآن ، ثم حرم بالإحرام وفي الحرم صيد البر ولم يحرم صيد البحر فكان ما عدا صيد البر حلالا كما كان إذ لم يأت ما يحرمه وبالله تعالى التوفيق) (١٦٩) .

أخرج الحديث : أبو داود ، وقال : (روى هذا الحديث سفیان الثوري وأيوب وحماد عن أبي الزبير أوقفوه على جابر ، وقد أسند هذا الحديث أيضا من وجه ضعيف عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم) (١٧٠) ، وابن ماجه (١٧١) ، والطبراني (١٧٢) ،

والدارقطني ، وقال : (موقوف على جابر هو الصحيح) (١٧٣) ، والبيهقي (١٧٤) .

ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ] آية : ١٠١ .

١٦٨ ابن الجوزي ، زاد المسير : (٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨) .

١٦٩ ابن حزم ، مصدر سابق : (٧ / ٢٣٥) .

١٧٠ أبو داود ن السنن : (٣ / ٣٥٨) .

١٧١ ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٠٨١) .

١٧٢ الطبراني ، المعجم الأوسط : (٣ / ١٨١) ، (٦ / ١٤) .

١٧٣ الدارقطني ، السنن : (٤ / ٢٦٩) .

١٧٤ البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٢٥٥) .

(٢٠٨) (أخرج ابن مردويه : عن أنس قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط ، فقال رجل : من أبي ؟ قال : فلان ، فنزلت هذه الآية : [لا تسألوا عن أشياء])^{١٧٥} .

قال الطبري : (ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام امتحانا له أحيانا واستهزاء أحيانا ، فيقول له بعضهم : من أبي ؟ ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته : أين ناقتي ؟ فقال لهم تعالى ذكره : لا تسألوا عن أشياء من ذلك ، إن تبد لكم تسؤكم ، يقول : إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ساءكم إبداءها وإظهارها)^{١٧٦} ، وفي الحديث إشارة إلى هذه الأسئلة .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٧٧} ، والبخاري^{١٧٨} ، ومسلم^{١٧٩} ، والترمذي^{١٨٠} ، والنسائي^{١٨١} .

ما جاء في قوله تعالى : [قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وأنت خير الرازقين] ، قال الله إنني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فيأتي أعدبه عذاباً لا أعدبه أحداً من العالمين [الآيتان : ١١٤ - ١١٥] .

(٢٠٩) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : أدع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم ، فدعا فاتاه جبريل ، فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعدبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ؟ قال : بل باب التوبة والرحمة)^{١٨٢} .

قال ابن كثير : (هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة ، فيقال : سورة المائدة ، وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها ، فأنزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة ، وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين)^{١٨٣} ، وقال الطبري : (هذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه أجاب القوم إلى ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء ، ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا : فقال بعضهم : معناه نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا ، وقال آخرون : معناه نأكل منها جميعاً ، وقال آخرون : معناه نأكلها عيداً عائدة من الله تعالى علينا حجة وبرهاناً ، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه تكون لنا عيداً نعيد

^{١٧٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٠٤) .

^{١٧٦} الطبري ، التفسير : (٧ / ٨٠) .

^{١٧٧} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ٢٠٦) .

^{١٧٨} البخاري ، الصحيح : (٦ / ٢٦٦٠) .

^{١٧٩} مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٨٣٢) .

^{١٨٠} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٥٦) .

^{١٨١} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٣٨) .

^{١٨٢} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ١٢٠) .

^{١٨٣} المصدر السابق : (٢ / ١١٧) .

ربنا في اليوم الذي تنزل فيه ونصلي له فيه كما يعيد الناس في أعيادهم ، وأما قوله لأولنا وآخرنا ، فإن الأولى من تأويله بالصواب قول من قال تأويله : للأحياء منا اليوم ومن يجيء بعدنا منا وأما قوله : وآية منك ، فإن معناه : وعلامة وحجة منك يا رب على عبادك في وحدانيتك وفي صدقي على أني رسول إليهم بما أرسلتني به ، وارزقنا وأنت خير الرازقين ، وأعطنا من عطائك فإنك يا رب خير من يعطي وأجود من تفضل لأنه لا يدخل عطاءه من ولا نكد ، وقد اختلف أهل التأويل في المائدة هل أنزلت عليهم أم لا وما كانت ، فقال بعضهم : نزلت وكانت حوتا وطعاما فأكل القوم منها ولكنها رفعت بعد ما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى (١٨٤ ، وقد أشار الحديث إلى أن باب التوبة والرحمة هو خير من تلك المائدة وخير من كل شيء) .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٨٥} ، وعبد بن حميد^{١٨٦} ، والطبراني^{١٨٧} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{١٨٨} ، والبيهقي^{١٨٩} ، والهيثمي ، وقال : (رجاله رجال الصحيح)^{١٩٠} .

ما جاء في قوله تعالى : [إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم] آية : ١١٨ .
(٢١٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي ذر قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها : [إن تعذبهم فإنهم عبادك] ، الآية ، فلما أصبح قلت : يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت ، قال : إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها ، وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا)^{١٩١} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها فإنهم عبادك مستسلمون لك لا يمتنعون مما أردت بهم ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا أمرا تنالهم به ، وإن تغفر لهم بهدايتك إياهم إلى التوبة منها فتستر عليهم فإنك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد يدفعه عنه الحكيم في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب)^{١٩٢} ، وقال البغوي : (قوله تعالى : أن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ، فإن قيل : كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار وكيف قال وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ؟ وهذا لا يليق بسؤال المغفرة ، قيل : أما الأول فمعناه : إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لمن كفر منهم وإن تغفر لهم فإنك على تسليم الأمر

^{١٨٤} الطبري ، التفسير : (٧ / ١٣٢ - ١٣٣) .

^{١٨٥} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٢٤٢) .

^{١٨٦} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٢٣٢) .

^{١٨٧} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ١٥٢) .

^{١٨٨} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٤٤) .

^{١٨٩} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٨) .

^{١٩٠} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ١٩٦) .

^{١٩١} السيوطي ، الدر المنثور : (٣ / ٢٤٠) .

^{١٩٢} الطبري ، التفسير : (٧ / ١٤٠) .

وتفويضه إلى مراده ، وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرا : وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور لهم فإنك أنت الغفور الرحيم وكذلك هو في مصحفه ، وأما على القراءة المعروفة ، قيل : فيه تقديم وتأخير تقديره : إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت الحكيم ، وقيل معناه : إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا من عزك شيء ولا يخرج من حكمك ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته للكفار ولكنه أخبر انه لا يغفر وهولا يخلف خبره (١٩٣ .
أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٩٤} ، والنسائي^{١٩٥} ، وابن ماجه^{١٩٦} ، وابن خزيمة^{١٩٧} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح ولم يخرجاه)^{١٩٨} .

^{١٩٣} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٨١) .

^{١٩٤} الإمام أحمد ، المسند : ٥٠ / ١٤٩ .

^{١٩٥} النسائي ، السنن الكبرى : (١ / ٣٤٦) .

^{١٩٦} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٤٢٩) .

^{١٩٧} ابن خزيمة ، مصدر سابق : (١ / ٢٧١) .

^{١٩٨} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٣٦٧) .

سورة المؤمنون

سورة المؤمنون نزلت بمكة^١، وهي مكية في قول الجميع^٢، وقد تضمنت هذه السورة صفات المؤمنين وأحوالهم حتى يتخلق جيل الصحابة الأول في مكة بتلك الأخلاق والصفات .
(٤٢٢) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت بمكة سورة المؤمنين)^٣ .

ما جاء في قوله تعالى : [مستكبرين به سامراً تهجرون] آية : ٦٧ .

(٤٢٣) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [سامرا تهجرون] ، قال : كانت قريش يستحلون حلقة يتحدثون حول البيت) ، (٤٢٤) (وأخرج : عنه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : مستكبرين به سامرا تهجرون ، قال : كان المشركون يهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول في سمرهم))^٤ .

قلت : قال الطبري : (قوله مستكبرين به ، يقول : مستكبرين بحرم الله ، يقولون : لا يظهر علينا فيه أحد لأننا أهل الحرم ، وقوله : سامرا ، يقول : تسمرون بالليل ، ووحد قوله سامرا وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت ، ومعنى الكلام : وتهجرون ليلاً فوضع السامر موضع الليل فوحد لذلك ، وقد كان بعض البصريين يقول : وحد ومعناه الجمع كما قيل طفل في موضع أطفال)^٥ .

أخرج الحديث الأول : الطبراني^٦، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^٧، وأخرج الحديث الثاني : النسائي^٨، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^٩ .

^١ ينظر : ابن شهاب الزهري : (٢٨) ، الطبري ، التفسير : (١٨ / ١) ، ابن كثير ، التفسير : (٣ / ٢٣٨) .

^٢ ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (١٢ / ١٠٢) .

^٣ السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٨٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٤٧٣) .

^٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ١٠٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ٤٩١) .

^٥ الطبري ، التفسير : (١٨ / ٣٨) .

^٦ الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٧٤) .

^٧ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٦٩) .

^٨ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤١٢) .

^٩ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٢٧) .

ما جاء في قوله تعالى : [تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] آية : ١٠٤ .

(٤٢٥) (أخرج ابن مردويه : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : [تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ] قال : تَلْفَحُهُمْ لَفْحَةً فَتَسِيلُ لِحْمَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)^{١٠} .

(٤٢٦) (وأخرج : عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن جهنم لما سيق إليها أهلها تَلْقَتْهُمْ بعنق فلفحتهم لَفْحَةً فلم تدع لحما على عظم إلا أَلْقَتْه على العرقوب)^{١١} .

قلت : قال أبو السعود : (تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ، تحرقها ، واللفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فيبان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار وهو السرف في تقديمها على الفاعل ، وهم فيها كالحون ، من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان)^{١٢} ، وأشار حديثاً الآية إلى هذه الشدة في العذاب وإلى هذه المعاناة من قبل المعذبين .

لم أقف على تخريج الحديث عن أبي الدرداء ؛ لكن للحديث شواهد من حديث أبي سعيد الخدري^{١٣} ، ومن حديث عبد الله بن مسعود^{١٤} ، وحديث أبي هريرة الذي بعده .

وأخرج الحديث عن أبي هريرة : الطبراني^{١٥} ، وابن رجب الحنبلي ، وقال : (أخرجه الطبراني ورفعه منكر)^{١٦} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن سليمان الأصبهاني وهو ضعيف)^{١٧} .

^{١٠} ابن كثير ، التفسير : (٢٨٥ / ٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١١٧ / ٦) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٨ / ٦٧) .

^{١١} السيوطي ، الدر المنثور : (١١٨ / ٦) .

^{١٢} أبو السعود ، مصدر سابق : (١٥١ / ٦) .

^{١٣} أخرجه : الحاكم ، المستدرک : (٤٢٨ / ٢) .

^{١٤} أخرجه : الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٢٩ / ٩) .

^{١٥} الطبراني ، المعجم الأوسط : (١٤٤ / ٩) .

^{١٦} ابن رجب الحنبلي ، التحوييف من النار : (١٤٥) .

^{١٧} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣٨٩ / ١٠) .

سورة النور

نزلت سورة النور بالمدينة المنورة^{١٨}، وهي مدنية بالإجماع^{١٩}، وتضمنت السورة الحدود في القذف وأحكام الزواج والطلاق وكذلك حادثة الأفك التي كانت بحق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما يشير إلى نزولها في المدينة •

(٤٢٧) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزلت سورة النور بالمدينة) ، (٤٢٨))
وأخرج : عن ابن الزبير قال : نزلت سورة النور في المدينة ((^{٢٠} •
وقد ورد في فضلها حديث : (٤٢٩) (أخرج ابن مردويه : عن أم المؤمنين عائشة مرفوعا : لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ، يعني : النساء ، وعلموهن الغزل وسورة النور)^{٢١} •
ففي الحديث الإشارة إلى ما في سورة النور من الأحكام التي تتعلق بالنساء وتهمهن لذلك كان الحرص على تعليمهن هذه السورة •

أخرج الحديث : الطبراني^{٢٢} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٢٣} ، والبيهقي^{٢٤} •

ما جاء في قوله تعالى : [يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ] آية : ٢٤ •
(٤٣٠) (أخرج ابن مردويه : عن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم ، فيقال : هؤلاء جيرانك يشهدون عليك ، فيقول : كذبوا ، فيقال : أهلك وعشيرتك ، فيقول : كذبوا فيقال : احلّفوا ، فيحلّفون ثم يصمتهم الله ، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ثم يدخلهم النار)^{٢٥} •

(٤٣١) ((وأخرج ابن مردويه : عن أبي أيوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته فما ينطق لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تغتاله أو توليه أو كلمة نحوها ويداه ورجلاه يشهدون عليه بما كانوا يوليهما ثم يدعى الرجل وخوله فمثل ذلك) ، (٤٣٢) (وأخرج : عن

^{١٨} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) ، الطبري ، التفسير : (١٨ / ٦٥) •

^{١٩} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (١٢ / ١٥٨) •

^{٢٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ١٢٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٣) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٨ / ٧٤) •

^{٢١} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ١٢٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٣) •

^{٢٢} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٦ / ٣٤) •

^{٢٣} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٣٠) •

^{٢٤} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٤٧٧) •

^{٢٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ١٦٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ١٨) ، الزرقاني ، مصدر سابق : (٣ / ٢٤٣) •

أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول عظم يتكلم من الإنسان بعد أن يختم على فيه فحذه من جانبه الأيسر) ٢٦ .

قلت : قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم فاليوم الذي في قوله يوم تشهد عليهم من صلة قوله ولهم عذاب عظيم ، وعنى بقوله : يوم تشهد عليهم ألسنتهم يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهما ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله إياه بها فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) ٢٧ .

أخرج الحديث عن أبي سعيد : أبو يعلى ٢٨ ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ٢٩ ، والهيثمي ، وقال : (رواه أبو يعلى بإسناد حسن) ٣٠ .

ولم أقف على تخريج الحديث عن أبي أيوب ، وأخرج الحديث عن أبي هريرة : الديلمي ٣١ ، وللحديث شاهد من حديث عقبة بن عامر ٣٢ .

ما جاء في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون] آية : ٢٧ .

(٤٣٣) (أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله : [حتى تستأنسوا] ، قال : حتى تستأذنوا) ٣٣ .

(٤٣٤) (وأخرج : عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أ رأيت قول الله : [حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها] ، هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس ؟ قال : يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتحنح ، فيؤذن أهل البيت) ٣٤ .

جاءت الآية لتعلم المسلمين خلقاً رفيعاً من الأخلاق القرآنية ، وهي كيفية الدخول إلى البيوت ، فأمرت بالأستذان وبعد أن يأذن أهل البيت يدخل المرء حتى لا يسبب الأذى للمسلمين ، والآية هنا فيها النهي عن الدخول ما لم يتم أخذ الأذن ، وإلى هذا أشار الحديثان .

٢٦ السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ١٦٥ - ١٦٦) .

٢٧ الطبري ، التفسيري : (١٨ / ١٠٥) .

٢٨ أبو يعلى ، مصدر سابق : (٢ / ٥٢٧) .

٢٩ الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٦٤٨) .

٣٠ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٥١) .

٣١ الديلمي ، مصدر سابق : (١ / ٣٦) .

٣٢ أخرجه : الطبراني ، مسند الشاميين : (٢ / ٤٣٠) .

٣٣ الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠ / ٩٠) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ١٧١) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٢١) .

٣٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ١٧٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٢١) .

أخرج الحديث عن ابن عباس ، الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٣٥} ، والبيهقي^{٣٦} .

وأخرج الحديث عن أبي أيوب : ابن أبي شيبة^{٣٧} ، وابن ماجه^{٣٨} ، والطبراني^{٣٩} ، قال الكناني : (هذا إسناد ضعيف أبو سورة هذا قال فيه البخاري : منكر الحديث ، يروي عن أبي أيوب مناكير لا يتابع عليها رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده سواء)^{٤٠} .

^{٣٥} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٣٠) .

^{٣٦} البيهقي ، شعب الإيمان : (٦ / ٤٣٧) .

^{٣٧} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٥ / ٢٤٢) .

^{٣٨} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٢٢١) .

^{٣٩} الطبراني ، المعجم الكبير : (٤ / ١٧٨) .

^{٤٠} الكناني ، مصدر سابق : (٤ / ١١٠) .

سورة الفرقان

سورة الفرقان نزلت بمكة^{٤١}، وهي كلها مكية على قول الجمهور^{٤٢}، وهي تتحدث عن العقائد التي كانت وأمر الله تعالى بتركها والتوجه لعبادة الإله الواحد الأحد الذي ليس له شريك في خلق السماوات والأرض، انه الإله المتفرد بكل شيء سبحانه وتعالى .

(٤٣٥) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الفرقان بمكة) ، (٤٣٦))
وأخرج : عن ابن الزبير قال : نزلت بمكة سورة الفرقان))^{٤٣} .

سورة الشعراء

نزلت سورة الشعراء بمكة^{٤٤}، وقال القرطبي : (هي مكية في قول الجمهور)^{٤٥}، وهي تحاكي عقول المشركين وتقيم عليهم الحجة فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤٣٧) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة طسم الشعراء بمكة) ،
(٤٣٨) ((وأخرج : عن عبد الله بن الزبير قال : أنزلت سورة الشعراء بمكة))^{٤٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ] آية : ٢١٤ .

(٤٣٩) ((أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : [وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ] ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وعم وخص فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بني كعب بني لؤي أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك

^{٤١} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) ، الطبري ، التفسير : (١٨ / ١٧٩) .

^{٤٢} ينظر : القرطبي ، التفسير : (١٣ / ١) .

^{٤٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٢٣٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٥٩) .

^{٤٤} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) .

^{٤٥} القرطبي ، مصدر سابق : (١٣ / ٨٧) .

^{٤٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٢٨٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٩٢) .

لكم ضرا ولا نفعا يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإنني لا أملك لك ضرا ولا نفعا إلا أن لكم رحما وسابلها ببالها) ^{٤٧} .

(٤٤٠) (وأخرج ابن مردويه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت : [وأنذر عشيرتك الأقربين] ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم) ^{٤٨} .

أخرج الحديث عن أبي هريرة : الإمام أحمد ^{٤٩} ، والدارمي ^{٥٠} ، والبخاري ^{٥١} ، ومسلم ^{٥٢} ، والترمذي ^{٥٣} ، والنسائي ^{٥٤} ، وابن حبان ^{٥٥} ، والبيهقي ^{٥٦} .

وأخرج الحديث عن عائشة : الإمام أحمد ^{٥٧} ، ومسلم ^{٥٨} ، والنسائي ^{٥٩} .

^{٤٧} ابن رجب الحنبلي ، التحويف من النار : (١٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٣٢٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ١٢٢) .

^{٤٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٣٢٤) .

^{٤٩} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٦٠) .

^{٥٠} الدارمي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٩٥) .

^{٥١} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٠١٢) .

^{٥٢} مسلم ، الصحيح : (١ / ١٩٢) .

^{٥٣} الترمذي ، السنن : (٥ / ٣٣٨) .

^{٥٤} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ١٠٧) .

^{٥٥} ابن حبان ، الصحيح : (٢ / ٤١٢) .

^{٥٦} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢٨٠) .

^{٥٧} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ١٨٧) .

^{٥٨} مسلم ، الصحيح : (١ / ١٩٢) .

^{٥٩} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ١٠٨) .

سورة النمل

سورة النمل نزلت بمكة^{٦٠}، وقال القرطبي : (مكية كلها في قول الجميع)^{٦١}، وفيها قصص وأحوال الأمم السابقة التي كانت وقد تحدث عنها الله تعالى في هذه السورة أيضا .
(٤٤١) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزلت سورة النمل بمكة [، (٤٤٢))
وأخرج : عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : نزلت سورة النمل بمكة))^{٦٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون] آية : ٨٢ .

(٤٤٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : [وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم] ، قال : ذاك حين لا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر)^{٦٣} .
قلت : قال ابن كثير : (هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض ، قيل : من مكة ، وقيل : من غيرها ، فتكلم الناس على ذلك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن علي رضي الله عنه : تكلمهم كلاما ، أي : تخاطبهم مخاطبة ، وقال عطاء الخراساني : تكلمهم فتقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويروى هذا عن علي واختاره ابن جرير ، وفي هذا القول نظر لا يخفى ، وقال ابن عباس في رواية : تجرحهم ، وعنه رواية قال : كلا تفعل يعني هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم)^{٦٤} ، ويشير الحديث أن خروجها يكون بسبب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقال المباركفوري : (قال المفسرون : هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا ، وعن ابن عمرو بن العاص : إنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال قاله النووي ، وقال الجزري في النهاية : دابة الأرض ، قيل : طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر ، وقيل : هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ينصدع جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون إلى منى ، وقيل : من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تعمل المؤمن بالعصا وتكتب في وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر ، اعلم أن المفسرين قد ذكروا لدابة الأرض أوصافا كثيرة)^{٦٥} .

^{٦٠} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) ، الطبري ، التفسير : (١٩ / ١٣١) .

^{٦١} القرطبي ، مصدر سابق : (١٣ / ١٥٤) .

^{٦٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٣٤٠) الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ١٢٤) .

^{٦٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٣٧٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ١٥٢) .

^{٦٤} ابن كثير ، التفسير : (٣ / ٣٧٥) .

^{٦٥} المباركفوري ، مصدر سابق : (٦ / ٣٤٤) .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٦٦} ، ونعيم بن حماد^{٦٧} ، والحاكم^{٦٨} .

سورة القصص

سورة القصص نزلت بمكة^{٦٩} ، تضمنت السورة قصة سيدنا موسى عليه السلام وما جرى بينه وبين فرعون عليه

اللعنة .

((٤٤٤)) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة القصص بمكة) ، (٤٤٥))

وأخرج : عن عبد الله بن الزبير قال : أنزلت سورة القصص بمكة) (٧٠) .

((٤٤٦)) (وأخرج ابن مردويه : عن معد يكرب قال : أتينا عبد الله بن مسعود فسألناه أن يقرأ علينا طسم

المائتين ؟ فقال : ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم خباب بن الأرت ،

فأتيت خباب بن الأرت فقلت : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ طسم أو طس ؟ فقال : كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق

لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم

إنه كان من المفسدين) (٧١) .

ففي الحديث إشارة إلى تسمية السورة بطسم ، وأخرج الحديث : الإمام أحمد^{٧٢} .

^{٦٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٧ / ٥٠٤) .

^{٦٧} نعيم بن حماد ، الفتن ، تحقيق : سمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد ، القاهرة (١٢٤١٢ هـ) : (٢ / ٦٦٢) .

^{٦٨} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٥٨٩) .

^{٦٩} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) ، الطبري ، التفسير : (٢٠ / ٢٦) ، القرطبي ، مصدر سابق : (١٣ / ٢٧٤) .

^{٧٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٣٨٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ١٥٧) .

^{٧١} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٣٨٩) .

^{٧٢} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٤١٩) .

سورة السجدة

سورة السجدة مكية^{٧٣} ، والسورة تتحدث عن إنذار الله تعالى للبشر حتى يؤمنوا ، وفيها مشاهد من يوم الحساب الذي يفرق اله فيه بين المؤمنين والكافرين .

(٤٤٧) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت ألم السجدة بمكة) ، (٤٤٨))
وأخرج : عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت السجدة بمكة ((^{٧٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم يُنفقون] آية :

١٦

(٤٤٩) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن هذه الآية : [تتجافى جنوبهم عن المضاجع] ، نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة)^{٧٥} .

(٤٥٠) (أخرج ابن مردويه : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ؟ قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ : [تتجافى جنوبهم عن المضاجع] حتى بلغ : [يعملون] ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ فقلت : بلى يا نبي الله ، فاخذ بلسانه فقال : كف عنك هذا ، فقلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)^{٧٦} .

قلت : قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : تتجافى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بأيات الله الذين وصفت صفتهم وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون ولا ينامون يدعون ربهم خوفاً وطمعاً في عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ، وممّا رزقناهم ينفقون ، في سبيل الله ويؤدون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه ، وتتجافى لمحرمتها من الجفاء ، والجفاء النبو ، وإنما وصفهم تعالى ذكره بنبو جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلاً بالصلاة ، واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جل ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع ، فقال بعضهم : هي الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقال آخرون : عنى بها صلاة المغرب ، وقال آخرون : لا انتظار

^{٧٣} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) ، الطبري ، التفسير : (٢١ / ٨٩) ، القرطبي ، مصدر سابق : (١٤ / ٨٤) .

^{٧٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٥٣٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٢٤٦) .

^{٧٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٥٤٥) ، شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٤ / ١٤٢) .

^{٧٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٥٤٧) .

صلاة العتمة ، وقال آخرون : عنى بها قيام الليل ، وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله ، والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلا لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف وذلك الليل دون النهار)^{٧٧} ، وقد أشار حديثا الآية إلى الصلاة في العتمة وهي جوف الليل ، أخرج الحديث عن أنس بن مالك : الترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)^{٧٨} .
وأخرج الحديث عن معاذ : الطيالسي^{٧٩} ، والإمام أحمد^{٨٠} ، وعبد بن حميد^{٨١} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح)^{٨٢} ،
والنسائي^{٨٣} ، وابن ماجه^{٨٤} ، والطبراني^{٨٥} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٨٦} .

^{٧٧} الطبري ، التفسير : (٩٩ / ١٠٠) .

^{٧٨} الترمذي ، السنن : (٥ / ٣٤٦) .

^{٧٩} الطيالسي ، مصدر سابق : (٧٦) .

^{٨٠} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ٢٣٦ - ٢٣٧) .

^{٨١} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٦٨) .

^{٨٢} الترمذي ، السنن : (٥ / ١١) .

^{٨٣} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤٢٨) .

^{٨٤} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٣١٤) .

^{٨٥} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٠ / ١٠٣) .

^{٨٦} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٤٧) .

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب نزلت بالمدينة المنورة^{٨٧}، (٤٥١) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الأحزاب بالمدينة) ، (٤٥٢) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الأحزاب بالمدينة))^{٨٨} .

(٤٥٣) (وأخرج : عن زر قال : قال لي أبي بن كعب : كيف تقرأ سورة الأحزاب أو كم تعدها : قلت : ثلاثا وسبعين آية ، فقال أبي : قد رأيتها وإنما لتعادل سورة البقرة وأكثر من سورة البقرة ولقد قرأنا فيها : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبة نكالا من الله والله عزيز حكيم فرفع منها ما رفع)^{٨٩} .

قلت : قال القرطبي : (سورة الأحزاب مدنية في قول جميعهم نزلت في المنافقين وإبدائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها ، وهي ثلاث وسبعون آية وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة وقد كانت في آية الرجم : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبة نكالا من الله والله عزيز حكيم ، ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي ابن كعب وهذا يحمله أهل العلم على أن الله تعالى رفع من الأحزاب إليه ما يزيد على ما في أيدينا وأن آية الرجم رفع لفظها ، وقد حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد ، قال : حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا ابن أبي مريم ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي آية فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن ، قال أبو بكر : فمعنى هذا من قول أم المؤمنين عائشة أن الله تعالى رفع إليه من سورة الأحزاب ما يزيد على ما عندنا ، قلت : هذا وجه من وجوه النسخ ، وقد أراد أبي في الحديث عن زر : أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى من أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض)^{٩٠} .

^{٨٧} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣١) ، الطبري ، التفسير : (٢١ / ١١٧) .

^{٨٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٥٥٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٢٥٩) .

^{٨٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٥٥٨) .

^{٩٠} القرطبي ، مصدر سابق : (١٤ / ١١٣) .

ما جاء في قوله تعالى : [إنَّ المسلمِينَ والمسلماتِ والمؤمنِينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصَّادقينَ والصَّادقاتِ والصَّابرينَ والصَّابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدِّقينَ والمتصدِّقاتِ والصَّائمينَ والصَّائماتِ والحافظينَ فروجهم والحافظاتِ والذاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا] آية : ٣٥ .

(٤٥٤) (أخرج ابن مردويه : عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ فلم يرعني منه ذات يوم إلا نداؤه على المنبر وهو يقول : يا أيها الناس إن الله يقول : [إن المسلمِينَ والمسلماتِ] إلى آخر الآية)^{٩١} .

(٤٥٥) (وأخرج : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت النساء : يا رسول الله ما باله يذكر المؤمنون ولم يذكر المؤمنات ؟ فنزل : [إن المسلمِينَ والمسلماتِ])^{٩٢} .

قلت : قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : إن المتذللين لله بالطاعة والمصدقين والمصدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله والقانتين والقانتات لله والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم والصادقين لله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه والصابرين لله في البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات والخاشعة قلوبهم لله ومن عقابه والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والحافظات ذلك إلا على أزواجهن إن كن حرائر أو من ملكهن إن كن إماء والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك ، أعد الله لهم مغفرة ، لذنوبهم ، وأجرا عظيما ، يعني : ثوابا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما وذلك الجنة)^{٩٣} .

أخرج الحديث عن أم سلمة : إسحاق بن راهويه^{٩٤} ، والإمام أحمد^{٩٥} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه)^{٩٦} ، والنسائي^{٩٧} ، والطبراني^{٩٨} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٩٩} .

وأخرج الحديث عن ابن عباس : الطبراني^{١٠٠} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، وفيه قابوس وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات)^{١٠١} .

^{٩١} ابن حجر ، الإصابة : (٢٦٧ / ٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٦٠٧ / ٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٢٨٣) .

^{٩٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٦٠٨ / ٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٢٨٣) .

^{٩٣} الطبري ، التفسير : (٩ / ٢٢) .

^{٩٤} إسحاق بن راهويه ، مصدر سابق : (١٠٤ / ١) .

^{٩٥} الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ٣٠١) .

^{٩٦} الترمذي ، السنن : (٥ / ٣٥٤) .

^{٩٧} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤٣١) .

^{٩٨} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢٣ / ٢٦٣) .

^{٩٩} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٥١) .

^{١٠٠} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ١٠٨) .

^{١٠١} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٩١) .

ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا] آية : ٥٣ .

(٤٥٦) (أخرج ابن مردويه : عن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله آية الحجاب)^{١٠٢} .

(٤٥٧) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فأطال الجلوس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مرارا كي يتبعه ويقوم فلم يفعل ، فدخل عمر رضي الله عنه فرأى الرجل وعرف الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى الرجل المقعد فقال : لعلك آذيت النبي صلى الله عليه وسلم ففطن الرجل فقام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد قمت مرارا كي يتبعني فلم يفعل ، فقال عمر رضي الله عنه : لو اتخذت حجابا فان نساءك لسن كسائر النساء وهو أطهر لقلوبهن ؟ فأنزل الله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ] ، فأرسل إلى عمر رضي الله عنه فآخبره بذلك)^{١٠٣} .

في هذه الآية توجيه لصحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام في كيفية التعامل مع نسائه عليه الصلاة والسلام وقد بينت الآية ذلك وأنهن أمهات المؤمنين ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه ، غير ناظرين إناه ، يعني : غير منتظرين إدراكه وبلوغه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، يقول : ولكن إذا دعاكم رسول الله فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله ، فإذا طعمتم فانتشروا ، يقول : فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فانتشروا ، يعني : فتفرقوا واخرجوا من منزله ، ولا مستأنسين لحديث ، ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسا من بعضكم لبعض)^{١٠٤} ، وقد أشار حديثنا الآية إلى ذلك وإلى ما كان يحدث له صلى الله عليه وسلم من أذى وهو يستحي في أن يبين ذلك الأذى للمؤمنين فجاءت الآية لتبين ذلك ، والله أعلم .

أخرج الحديث عن أنس : الإمام أحمد^{١٠٥} ، والبخاري^{١٠٦} ، والنسائي^{١٠٧} ، وابن حبان^{١٠٨} ، والبيهقي^{١٠٩} .
وأخرج الحديث عن ابن عباس : الطبراني^{١١٠} ،

^{١٠٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٦٣٩) .

^{١٠٣} ابن حجر ، الإصابة : (٣ / ٥٣٣) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٦٤٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٢٩٩) .

^{١٠٤} الطبري ، التفسير : (٢٢ / ٣٥ - ٣٦) .

^{١٠٥} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٣٦) .

^{١٠٦} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٩٩) .

^{١٠٧} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤٣٥) .

^{١٠٨} ابن حبان ، الصحيح : (١٥ / ٣١٩) .

^{١٠٩} البيهقي ، السنن الكبرى : (٧ / ٨٧) .

^{١١٠} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٦ / ١٧) ، المعجم الكبير : (١١ / ٤٣٨) .

والضياء المقدسي^{١١١}، والهيثمي، وقال: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه أبو عبيدة بن الفضيل بن عياض وهو لين وبقيّة رجاله ثقات) ^{١١٢}.

سورة سبأ

سورة سبأ نزلت بمكة^{١١٣}، (٤٥٨) (أخرج ابن مردويه: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: نزلت سبأ بمكة) ^{١١٤}.

ما جاء في قوله تعالى: [فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرب تبيت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور] الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٤٥٩) (أخرج ابن مردويه: عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا وكذا، فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء نبتت، فصلى ذات يوم فإذا شجرة نابتة بين يديه فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان عليه السلام: اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الأنس أن الجن لا يعلمون الغيب فأخذ عصا فتوكأ عليها وقبضه الله وهو متكئ فمكث حيناً ميتاً والجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقطت فعملوا عند ذلك بموته فتبينت الأنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين، وكان ابن عباس يقرأها كذلك فشكرت الجن الأرضة فأينما كانت يأتونها بالماء) ^{١١٥}.

(٤٦٠) (أخرج ابن مردويه: عن فروة بن مسيك المرادي^{١١٦} رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم، فأذن لي في قتالهم وأمرني، فلما خرجت من عنده أرسل في أثري فردني فقال: أدع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل

^{١١١} الضياء المقدسي، مصدر سابق: (١٠ / ١٦١).

^{١١٢} الهيثمي، مجمع الزوائد: (٩ / ٦٨).

^{١١٣} ينظر: ابن شهاب الزهري، مصدر سابق: (٢٧)، الطبري، التفسير: (٢٢ / ٥٨).

^{١١٤} السيوطي، الدر المنثور: (٦ / ٦٧٣)، الشوكاني، فتح القدير: (٤ / ٣١١).

^{١١٥} الضياء المقدسي، مصدر سابق: (١٠ / ٢٩١)، السيوطي، الدر المنثور: (٦ / ٦٨٣ - ٦٨٤)، الشوكاني، فتح القدير: (٤ / ٣١٨).

^{١١٦} فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن الذؤيب بن مالك بن منبه بن غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مجابر وهو مراد بن مالك بن أدد وهو من مذحج، كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما جلس ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرايعه ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مرد وزبيد ومذحج كلها وكان يسير فيها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات فلم يزل معه هناك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عنه يحيى بن هانئ وسعيد بن أبيض، ينظر: ابن سعد، مصدر سابق: (٥ / ٥٢٤)، البخاري، التاريخ الكبير: (٧ / ١٢٦)، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: (٧ / ٨٢)، الذهبي، الكاشف: (٢ / ١٢١).

حتى أحدث إليك وأنزل في سبأ ما أنزل ، فقال رجل : يا رسول الله وما سبأ أرض أم امرأة ؟ قال : ليس بأرض ولا امرأة ؛ ولكنه رجل ولد عشرة من العرب ، فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة ، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار ، فقال رجل : يا رسول الله وما أنمار ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الذين منهم خثعم وبجيلة (١١٧) .

(٤٦١) (وأخرج : عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ أرجل هو أو امرأة أم أرض ؟ فقال : بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون : فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير ، وأما الشاميون : فلخم وجذام وعاملة وغسان) (١١٨) .

قلت : قال الطبري : (يقول تعالى ذكره فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ، ما دلهم على موته ، يقول : لم يدل الجن على موت سليمان إلا دابة الأرض وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئا عليها فأكلتها فذلك قول الله عز وجل : تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ، يقول عز وجل : فلما خر سليمان ساقطا بانكسار منسأته ، تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ، الذي يدعون علمه ما لبثوا في العذاب المهين المذل حولا كاملا بعد موت سليمان وهم يحسبون أن سليمان حي) (١١٩) وقال أيضا : (يقول تعالى ذكره : لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بينة وحجة واضحة على أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها ، وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن) (١٢٠) ، وقال البيضاوي : (فلما قضينا عليه الموت ، أي : على سليمان ، ما دلهم على موته ، ما دل الجن ، إلا دابة الأرض ، أي : الأرضة أضيفت إلى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشية من فعلها ، يقال : أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا ، تأكل منسأته ، عصاه من نسأت البعير إذا طردته لأنها يطرد بها ، فلما خر تبينت الجن ، علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم ، أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ، أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا حولا في تسخيره إلى أن خر أو ظهرت الجن ، وأن بما في حيزه بدل منه ، أي : ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به إلى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله وأعلم به أراد أن يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم فتحوا عينه أرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضيئ من ملكه ، لقد كان لسبأ ، لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، في مسكنهم ،

^{١١٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٦٨٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٣٢٣) .

^{١١٨} ابن حجر ، الإصابة : (١ / ٣٨١) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٦ / ٦٨٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٣٢٣) .

^{١١٩} الطبري ، التفسير : (٢٢ / ٧٣ - ٧٤) .

^{١٢٠} المصدر السابق : (٢٢ / ٧٦) .

في مواضع سكناهم وهي باليمين يقال لها : مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ، آية ، علامة دالة على وجود الصانع المختار وأنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، جنتان ، بدل من آية أو خبر محذوف تقديره : الآية جنتان ، وقرئ بالنصب على المدح ، والمراد : جماعتان من البساتين ، عن يمين وشمال ، جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامنها كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، حكاية لما قال لهم نبيهم أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقأ بأن يقال لهم ذلك ، بلدة طيبة ورب غفور ، استئناف للدلالة على موجب الشكر ، أي : هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم ، رب غفور ، قيل : كانت سبأ أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة (١٢١) .

أخرج الحديث الأول عن عبد الله بن عباس : الطبراني^{١٢٢} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٢٣} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، وفيه عطاء وقد اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح)^{١٢٤} .

وأخرج الحديث عن فروة : أبو داود^{١٢٥} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب)^{١٢٦} ، وأبو بكر الشيباني^{١٢٧} ، والطبراني^{١٢٨} .

وأخرج الحديث عن ابن عباس : الإمام أحمد^{١٢٩} ، والطبراني^{١٣٠} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وشاهده حديث فروة بن مسيك المرادي)^{١٣١} .

ما جاء في قوله تعالى : [وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون] آية : ٢٨ .
(٤٦٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء عليهم السلام ، قيل : ما فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله قال لأهل السماء : [ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم] الأنبياء : ٢٩ ، وقال لمحمد صلى الله عليه

^{١٢١} البيضاوي ، مصدر سابق : (٤ / ٣٩٥ - ٣٩٦) .

^{١٢٢} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٤٥١) .

^{١٢٣} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٤٤٦) .

^{١٢٤} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٨ / ٢٠٧ - ٢٠٨) .

^{١٢٥} أبو داود ، السنن : (٤ / ٣٤) .

^{١٢٦} الترمذي ، السنن : (٥ / ٣٦١) .

^{١٢٧} أبو بكر الشيباني ، مصدر سابق : (٣ / ٣٢١) .

^{١٢٨} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٨ / ٣٢٤) .

^{١٢٩} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٣١٦) .

^{١٣٠} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ٢٤٠) .

^{١٣١} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٥٩) .

وسلم : [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر] الفتح : ٢ فكتب له براءة من النار ، قيل له : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى يقول : [وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه] ، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : [وما أرسلناك إلا كافة للناس] سبأ : ٢٨ فأرسله إلى الإنس والجن (١٣٢) .
ما جاء في قوله تعالى : [قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيءُ الْبَاطِلَ وَمَا يَعِيدُ] آية : ٤٩ .
(٤٦٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : [جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا] ، [وجاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد] (١٣٣) .

^{١٣٢} ينظر : الحديث رقم : (٣٤٤) .

^{١٣٣} ينظر : الحديث رقم : (٣٨٧) .

سورة ياسين

سورة ياسين نزلت بمكة^{١٣٤}، وهي مكية بإجماع العلماء^{١٣٥}، (٤٦٤) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة يس بمكة) ، (٤٦٥) (وأخرج : عن عائشة رضي الله عنها قالت : نزلت سورة يس بمكة))^{١٣٦}، (٤٦٦) (وأخرج : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له تلك الليلة)^{١٣٧}، (٤٦٧) (وأخرج : عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا)^{١٣٨}، (٤٦٨) ((وأخرج : عن أبي عثمان النهدي ، قال أبو برزة : من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات ، وقال أبو سعيد : من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين ، قال أبو برزة : تحدث أنت بما سمعت وأحدث أنا بما سمعت) ، (٤٦٩) (وأخرج : عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من ميت يقرأ عنده يس إلا هون الله عليه))^{١٣٩} .

قلت : قال السيوطي : (سورة يس تدعى في التوراة المعمة ، تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة وتدفع عنه أهويل الدنيا والآخرة ، وتدعى المدافعة القاضية ، تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة)^{١٤٠} .

^{١٣٤} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) ، الطبري ، التفسير : (٢٢ / ١٤٨) .

^{١٣٥} القرطبي ، مصدر سابق : (١ / ١٥) .

^{١٣٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٣٥٨) .

^{١٣٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٣٥٨) .

^{١٣٨} ينظر : الحديث رقم : (٤١٠) .

^{١٣٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٨) .

^{١٤٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٨) .

سورة الزمر

سورة الزمر نزلت بمكة^{١٤١}، قال القرطبي : (سورة الزمر ، ويقال : سورة الغرف ، قال وهب بن منبه : من أحب أن يعرف قضاء الله عز وجل في خلقه فليقرأ سورة الغرف ، وهي مكية)^{١٤٢} .
(٤٧٠) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزلت سورة الزمر بمكة)^{١٤٣} .
(٤٧١) (وأخرج : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر)^{١٤٤} .

سورة الزخرف

نزلت سورة الزخرف بمكة^{١٤٥}، قال القرطبي : (مكية بإجماع)^{١٤٦} .
(٤٧٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة حم الزخرف بمكة)^{١٤٧} .
ما جاء في قوله تعالى : [وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم] آية : ٣١ .
(٤٧٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قول الله : [لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم] ، ما القريتان ؟ قال : الطائف ومكة ، قيل : فمن الرجلان ؟ قال : عروة بن مسعود وخيار قريش)^{١٤٨} .
قلت : قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله هذا سحر فإن كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين مكة أو الطائف ، واختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم فقالوا هلا نزل عليه هذا القرآن ، فقال بعضهم : هلا نزل على الوليد بن المغيرة المخزومي من أهل مكة أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف ، وقال آخرون : بل عنى به من أهل

^{١٤١} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) ، الطبري ، التفسير : (٢٣ / ١٩٠) .

^{١٤٢} القرطبي ، مصدر سابق : (١٥ / ٢٣٢) .

^{١٤٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٢١٠) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٤٤٧) .

^{١٤٤} ينظر : الحديث رقم : (٣٧٩) .

^{١٤٥} ينظر : ابن شهاب ، مصدر سابق : (٢٧) ، الطبري ، التفسير : (٢٥ / ٤٧) .

^{١٤٦} القرطبي ، مصدر سابق : (١٦ / ٦١) .

^{١٤٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٦٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٥٤٦) .

^{١٤٨} ابن حجر ، الإصابة : (٦ / ١٠٢) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٧٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٥٥٥) .

مكة الوليد بن المغيرة ومن أهل الطائف ابن مسعود ، وقال آخرون : بل عنى به من أهل مكة الوليد بن المغيرة ومن أهل الطائف كنانة بن عبد بن عمرو ، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبرا عن هؤلاء المشركين : وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والاختلاف فيه موجود (١٤٩) .

ما جاء في قوله تعالى : [فِيمَا نَذهَبْنَ بِكَ فِيمَا مِنْهُم مُنْتَقِمُونَ] آية : ٤١ .

(٤٧٤) (أخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله : [فِيمَا نَذهَبْنَ بِكَ فِيمَا مِنْهُم مُنْتَقِمُونَ] الآية ، قال : أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما يكره فرفعه إليه وبقيت النعمة) (١٥٠) .
قلت : قال البيضاوي : (فِيمَا نَذهَبْنَ بِكَ ، أي : فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ، وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة ، فِيمَا مِنْهُم مُنْتَقِمُونَ ، بعذاب في الدنيا والآخرة) (١٥١) .
أخرج الحديث : الحاكم ، وقال : (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (١٥٢) ، وأخرجه الضياء المقدسي ، وقال : (إسناداه صحيح) (١٥٣) .

^{١٤٩} الطبري ، التفسير : (٢٥ / ٦٥ - ٦٦) .

^{١٥٠} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠٨ / ٦) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٣٧٩ / ٧) .

^{١٥١} البيضاوي ، مصدر سابق : (١٤٦ / ٥) .

^{١٥٢} الحاكم ، المستدرک : (٤٨٥ / ٢) .

^{١٥٣} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (١٠٨ / ٦) .

سورة الدخان

سورة الدخان نزلت بمكة^{١٥٤} ، وهي مكية باتفاق^{١٥٥} .

(٤٧٥) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سورة الدخان نزلت بمكة) ، (٤٧٦))

وأخرج : عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : سورة الدخان نزلت بمكة^{١٥٦} .

(٤٧٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من

قرأ حم الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له)^{١٥٧} .

أخرج الحديث عن أبي هريرة ، الترمذي ، وقال : (هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وهشام أبو

المقدام يضعف ولم يسمع الحسن من أبي هريرة)^{١٥٨} ، والبيهقي^{١٥٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [لا يذوقون الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم] آية : ٥٦ .

(٤٧٨) (أخرج ابن مردويه : عن جابر رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله أينام أهل الجنة ؟ قال : لا النوم

أخو الموت ، وأهل الجنة لا يموتون ولا ينامون)^{١٦٠} .

قلت : قال الشوكاني : (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، لا يموتون فيها أبدا إلا الموتة التي ذاقوها

في الدنيا والاستثناء منقطع ، أي : لكن الموتة التي قد ذاقوها في الدنيا كذا ، قال الزجاج والفراء وغيرهما :

ومثل هذه الآية قوله : ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء إلا ما قد سلف ، وقيا : إن إلا بمعنى بعد ، كقولك

: ما كلمت رجلا اليوم إلا رجلا عندك ، أي : بعد رجل عندك ، وقيل : هي بمعنى سوى ، أي : سوى الموتة

الأولى ، وقال ابن قتيبة : إنما استثنى الموتة الأولى وهي الدنيا لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله

وقدرته إلى أسباب من الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم من الجنة وتفتح لهم أبوابها فإذا ماتوا في الدنيا

فكأنهم ماتوا في الجنة)^{١٦١} .

^{١٥٤} ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) ، الطبري ، التفسير : (٢٥ / ١٠٧) .

^{١٥٥} ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (١٦ / ١٢٥) .

^{١٥٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٩٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٥٦٩) .

^{١٥٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٣٩٧) .

^{١٥٨} الترمذي ، السنن : (٥ / ١٦٣) .

^{١٥٩} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٤٨٤) .

^{١٦٠} ابن كثير ، التفسير : (٤ / ١٤٨) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٤٢١) .

^{١٦١} الشوكاني ، فتح القدير : (٤ / ٥٧٩) .

أخرج الحديث : الطبراني^{١٦٢} ، والبيهقي^{١٦٣} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح)^{١٦٤} .

سورة الطور

سورة الطور نزلت بمكة^{١٦٥} ، وهي مكية في قول الجميع^{١٦٦} .

(٤٧٩) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنها نزلت بمكة) ، (٤٨٠) (وأخرج : عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت سورة الطور بمكة))^{١٦٧} .

سورة القمر

سورة القمر ، ويقال : سورة اقتربت الساعة نزلت بمكة^{١٦٨} .

(٤٨١) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنها نزلت بمكة) ،

(٤٨٢) (وأخرج : عن ابن الزبير قال : نزلت بمكة))^{١٦٩} .

١٦٢ الطبراني ، المعجم الأوسط : (٢٨٢ / ١) .

١٦٣ البيهقي ، شعب الإيمان : (١٨٣ / ٤) .

١٦٤ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٤١٥ / ١٠) .

١٦٥ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) ، الطبري ، التفسير : (٢٧ / ٨٤) .

١٦٦ ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (٥٨ / ١٧) .

١٦٧ السيوطي ، الدر المنثور : (٦٢٦ / ٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٩٣ / ٥) .

١٦٨ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) ، الطبري ، التفسير : (٢٧ / ٨٤) .

١٦٩ السيوطي ، الدر المنثور : (٦٦٩ / ٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١١٩ / ٥) .

سورة الرحمن

نزلت سورة الرحمن بالمدينة المنورة^{١٧٠} .

(٤٨٣) ((أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : أنزل بمكة سورة الرحمن) (٤٨٤))
وأخرج : عن عائشة رضي الله عنها قالت : نزلت سورة الرحمن بمكة) (٤٨٥) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الرحمن بالمدينة) (٤٨٦) (وأخرج : عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون : فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٤٨٧) (وأخرج ابن مردويه : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : ما لي أراكم سكوتا لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله : فبأي آلاء ربكما تكذبان ، قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد) (٤٨٨) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا ، فقال : ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ، ما أتيت على قول الله : فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا : لا شيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد))^{١٧١} .

أخرج الحديث عن أسماء : الإمام أحمد^{١٧٢} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح)^{١٧٣} .

وأخرج الحديث عن جابر : الترمذي ، وقال : (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ، قال ابن حنبل : كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروي عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه - يعني لما يروون عنه من المناكير - وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة)^{١٧٤} .

وأخرج الحديث عن ابن عمر : الهيثمي ، وقال : (رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي ، وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح)^{١٧٥} .

فالأحاديث تشير إلى فضل سورة الرحمن وإلى مكانتها .

١٧٠ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) .

١٧١ السيوطي ، الدر المنثور : (٧ / ٦٨٩ - ٦٩٠) .

١٧٢ الإمام أحمد ، المسند : (٦ / ٣٤٩) .

١٧٣ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١١٧) .

١٧٤ الترمذي ، السنن : (٥ / ٣٩٩) .

١٧٥ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١١٧) .

سورة الواقعة

نزلت سورة الواقعة بمكة^{١٧٦} .

(٤٨٩) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة الواقعة بمكة) (٤٩٠) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن الزبير مثله) (٤٩١) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن مسعود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا) (٤٩٢) (وأخرج ابن مردويه : عن أنس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سورة الواقعة سورة الغنى فاقرواها وعلموها أولادكم))^{١٧٧} .

قلت : قال المناوي : (وكان ابن مسعود يأمر بناته بقراءتها كل ليلة ، وقال الغزالي : سألت بعض مشايخنا عما يعتاده أولياؤنا من قراءة سورة الواقعة في أيام العسرة أليس المراد به أن يدفع الله به الشدة عنهم ويوسع عليهم في الدنيا فكيف يصح إرادة متاع الدنيا بعمل الآخرة ؟ فأجاب : بأن مرادهم أن يرزقهم قناعة أو قوتا يكون لهم عدة على عبادته وقوة على دروس العلم وهذا من إرادة الخير لا الدنيا ، وقراءة هذه السورة عند الشدة في أمر الرزق وردت به الأخبار المأثورة عن السلف حتى عوتب ابن مسعود في أمر ولده إذ لم يترك لهم دينارا ، فقال : خلفت لهم سورة الواقعة)^{١٧٨} .

أخرج الحديث عن ابن مسعود : الحارث بن أبي أسامة^{١٧٩} ، والبيهقي^{١٨٠} ، ولم أقف على تخريج الحديث عن أنس رضي الله عنه .

١٧٦ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٦) .

١٧٧ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٨) .

١٧٨ المناوي ، مصدر سابق : (٢٠١ / ٦) .

١٧٩ الحارث بن أبي أسامة ، مصدر سابق : (٢ / ٧٢٩) .

١٨٠ البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٤٩١) .

سورة الممتحنة

نزلت سورة الممتحنة في المدينة المنورة^{١٨١} .

(٤٩٣) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة الممتحنة بالمدينة) (٤٩٤) (وأخرج : عن ابن الزبير مثله))^{١٨٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ مَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ] آية : ١ .

(٤٩٥) (أخرج ابن مردويه : عن علي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فائتوني به فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجني الكتاب ؟ قالت : ما معي كتاب ، قلنا : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا حاطب ؟ قال : لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرأ ملصقا من قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق ، فقال عمر : دعني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضرب عنقه ، فقال : إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ونزلت فيه : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ] (١٨٣) .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٨٤} ، والبخاري^{١٨٥} ، ومسلم^{١٨٦} ، وأبو داود^{١٨٧} ، الترمذي^{١٨٨} ، والنسائي^{١٨٩} ، وابن حبان^{١٩٠} .

١٨١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) .

١٨٢ السيوطي ، الدر المنثور : (١٢٤ / ٨) .

١٨٣ ابن حجر ، الإصابة : (٢ / ٤ - ٥) ، السيوطي ، الدر المنثور : (١٢٥ / ٨) .

١٨٤ الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٧٩) ، (١ / ١٠٥) ، (١ / ١٣٠) .

١٨٥ البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٠٩٥) ، (٤ / ١٤٦٣) .

١٨٦ مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٩٤١ - ١٩٤٢) .

١٨٧ أبو داود ، السنن : (٣ / ٤٧) .

١٨٨ الترمذي ، السنن : (٥ / ٤٠٩) .

١٨٩ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٤٨٧) .

١٩٠ ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ٤٢٤) ، (١٦ / ٥٧) .

سورة الصف

سورة الصف نزلت بالمدينة المنورة^{١٩١} .

ما جاء في قوله تعالى : [سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بِنْيَانٌ مَرصُوصٌ] الآيات ١ - ٢ - ٣ - ٤ .

(٤٩٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : قال ناس : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها ، فأخبرهم الله فقال : [إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بينان مرصوص] ، فكرهوا ذلك ، فأنزل الله : [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون])^{١٩٢}

(٤٩٧) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : كانوا يقولون : والله لو نعلم ما أحب الأعمال إلى الله ، فنزلت : [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون] إلى قوله : [بنيان مرصوص] ، فدلهم على أحب الأعمال إليه)^{١٩٣} (٤٩٨) (وأخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة قال : قالوا : لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله ، فنزلت : [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون] إلى قوله : [بنيان مرصوص])^{١٩٤} .

ففي الآيات والأحاديث التي وردت في تفسيرها جاء النهي الشديد والوعيد العظيم لمن يقول ما لا يفعل وأن هذه الصفة مما ذم الله تعالى وعابها على صاحبها .

سورة الجمعة

نزلت سورة الجمعة بالمدينة المنورة^{١٩٥} .

(٤٩٩) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة الجمعة بالمدينة) (٥٠٠) (وأخرج : عن عبد الله ابن الزبير قال : نزلت سورة الجمعة بالمدينة))^{١٩٦} .
وورد في فضلها أحاديث منها :

١٩١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣١) .

١٩٢ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ١٤٦) .

١٩٣ ينظر : الحديث رقم : (٢٤) .

١٩٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ١٤٦) .

١٩٥ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣١) .

١٩٦ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ١٥١) .

(٥٠١) (أخرج ابن مردويه : عن جابر بن عبد الله ، وأبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم يوم الجمعة فقرأ بسورة الجمعة يحرض المؤمنين وإذا جاءك المنافقون يوبخ بها المنافقين)^{١٩٧} .

سورة المنافقون

نزلت سورة المنافقون بالمدينة المنورة^{١٩٨} .

(٥٠٢) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة المنافقين بالمدينة) (٥٠٣) (وأخرج ابن

مردويه : عن ابن الزبير مثله))^{١٩٩} .

سورة الطلاق

نزلت سورة الطلاق بالمدينة المنورة^{٢٠٠} .

(٥٠٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة الطلاق بالمدينة)^{٢٠١} .

سورة التحريم

نزلت سورة التحريم بالمدينة المنورة^{٢٠٢} .

(٥٠٥) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة التحريم بالمدينة) (٥٠٦) (وأخرج ابن مردويه

: عن عبد الله بن الزبير قال : أنزلت بالمدينة سورة النساء و يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك))^{٢٠٣} .

١٩٧ المصدر السابق : (٨ / ١٥١) .

١٩٨ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) .

١٩٩ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ١٧٠) .

٢٠٠ ينظر : ابن شهاب الزهري : مصدر سابق : (٣١) .

٢٠١ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ١٨٨) .

٢٠٢ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٣٠) .

٢٠٣ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ٢١٣) .

سورة الملك

نزلت سورة الملك بمكة^{٢٠٤}.

(٥٠٧) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت بمكة تبارك الملك) ^{٢٠٥}.

(٥٠٨) (وأخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك) ^{٢٠٦}.

أخرج الحديث : الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ^{٢٠٧} ، والضياء المقدسي ^{٢٠٨}.

سورة الحاقة

نزلت سورة الحاقة بمكة^{٢٠٩}.

(٥٠٩) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت سورة الحاقة بمكة) (٥١٠) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن الزبير مثله)) ^{٢١٠}.

سورة المزمل

نزلت سورة المزمل بمكة^{٢١١}.

(٥١١) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس قال : نزلت يا أيها المزمل بمكة) (٥١٢) (وأخرج : عن ابن الزبير مثله)) ^{٢١٢}.

٢٠٤ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) .

٢٠٥ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ٢٣٠) .

٢٠٦ المصدر السابق : (٨ / ٢٣٠) .

٢٠٧ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٥٤٠) .

٢٠٨ الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٥ / ١١٥) .

٢٠٩ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) .

٢١٠ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ٢٦٣) .

٢١١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٥) .

٢١٢ السيوطي ، الدر المنثور : (٨ / ٣١١) .

سورة المرسلات

نزلت سورة المرسلات بمكة^{٢١٣} .

(٥١٣) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة المرسلات بمكة) (٥١٤)) وأخرج : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة والمرسلات عرفا فإنه يتلوها وإني لألقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذا وثبت عليه حية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اقتلوها فابتدرناها فذهبت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وقيت شركم كما وقيتم شرها))^{٢١٤} .

أخرج الحديث : البخاري^{٢١٥} ، ومسلم^{٢١٦} ، والنسائي^{٢١٧} .

سورة الإخلاص والمعوذتين

(٥١٥) ((أخرج ابن مردويه : عن عبد الله بن أنيس الأسلمي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره ثم قال له : قل ؟ فلم أدر ما أقول ، ثم قال : قل هو الله أحد ، ثم قال لي : قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق حتى فرغت منها ، ثم قال لي : قل أعوذ برب الناس حتى فرغت منها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا فتعوذ فما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط) (٥١٦)) وأخرج ابن مردويه : عن علي قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة يصلي فوضع يده على الأرض لدغته عقرب فتناولها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعله فقتلها فلما انصرف ، قال : لعن الله العقرب ما تدع مصليا ولا غيره أو نبيا أو غيره ، ثم دعا بملح وماء بجعله في إناء ثم جعل يصبه على إصبعه حيث لدغته ويمسحها ويعوذها بالمعوذتين))^{٢١٨} .

(٥١٧) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عباس وابن مسعود : أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ، ويقول : لا تخلطوا القرآن بما ليس منه إنهما ليستا من كتاب الله إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما)^{٢١٩} ، قلت : (قال البزار : لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتتا في المصحف)^{٢٢٠} .

٢١٣ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٥) .

٢١٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٣٨٠ / ٨) .

٢١٥ البخاري ، الصحيح : (٦٥٠ / ٢) ، (١٢٠٥ / ٣) ، (١٨٧٩ / ٤) .

٢١٦ مسلم ، الصحيح : (١٧٥٥ / ٤) .

٢١٧ النسائي ، السنن الكبرى : (٣٨٦ / ٢) .

٢١٨ السيوطي ، الدر المنثور : (٦٨٢ / ٨) .

٢١٩ السيوطي ، الدر المنثور : (٦٨٣ / ٨) .

٢٢٠ البزار ، مصدر سابق : (٢٩ / ٥) .

(٥١٨) ((وأخرج ابن مردويه : عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرؤوا بالمعوذات في دبر كل صلاة) (٥١٩) (وأخرج ابن مردويه : عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما سألت سائل ولا استعاذ مستعيز بمثلهما ، يعني المعوذتين) (٥٢٠) (وأخرج ابن مردويه : عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عقبة اقرأ بقل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس فإنك لن تقرأ أبليغ منهما))^{٢٢١} .

(٥٢١) (وأخرج ابن مردويه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : صنعت اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فأصابه منه وجع شديد فدخل عليه أصحابه فخرجوا من عنده وهم يرون أنه ألم به فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما ، قال : قم بسم الله أرقيك من كل شر يؤذيك ومن كل عين ونفس حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك) (٥٢٢) (وأخرج ابن مردويه : عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل أعوذ برب الفلق فقال : يا ابن عبسة أتدري ما الفلق ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : بئر في جهنم إذا سعرت جهنم فمنه تسعر وإنما لتأذى به كما يتأذى بنو آدم من جهنم))^{٢٢٢} .

أخرج الحديث الأول : النسائي ، وقال : (مختصر ، وهذا خطأ)^{٢٢٣} ، وأخرج الحديث الثاني : ابن أبي شيبة^{٢٢٤} ، وأخرج الحديث الثالث : الإمام أحمد^{٢٢٥} ، والطبراني^{٢٢٦} ، وابن حبان^{٢٢٧} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح)^{٢٢٨} ، ولم أقف على تخريج الحديث الرابع ، وأخرج الحديث الخامس : النسائي^{٢٢٩} ، والبيهقي^{٢٣٠} ، ولم أقف على تخريج الحديث السادس ؛ والحديث السابع ؛ لكن للحديث شواهد من حديث : أبي هريرة الذي أخرجه : النسائي^{٢٣١} ، والحاكم^{٢٣٢} ،

٢٢١ المصدر السابق : (٨ / ٦٨٥) .

٢٢٢ المصدر السابق : (٨ / ٦٨٨) .

٢٢٣ النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٤٣٩) .

٢٢٤ ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٥ / ٤٤) .

٢٢٥ الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ١٢٩) .

٢٢٦ الطبراني ، المعجم الكبير : (٩ / ٢٣٤ - ٢٣٥) .

٢٢٧ ابن حبان ، الصحيح : (١٠ / ٢٧٤) .

٢٢٨ الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١٤٩) .

٢٢٩ النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٤٣٧) ، (٥ / ٢٤) .

٢٣٠ البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٥١٢) .

٢٣١ النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٢٤٩) .

٢٣٢ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٥٩٠) .

ومن حديث عبادة بن الصامت الذي أخرجه : ابن ماجه^{٢٣٣} ، وابن حبان^{٢٣٤} ، والحاكم^{٢٣٥} ، والضياء المقدسي^{٢٣٦} .

هذا آخر ما تم جمعه من تفسير ابن مردويه - رحمه الله - فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٢٣٣ ابن ماجه ، السنن : (١١٦٥ / ٢) .

٢٣٤ ابن حبان ، الصحيح : (٢٣٤ / ٣) .

٢٣٥ الحاكم ، المستدرک : (٤٥٧ / ٤) .

٢٣٦ الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٢٦٨ / ٨) .

سورة النحل

سورة النحل نزلت بمكة^١، وتسمى أيضا سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده فيها^٢ وبين لهم فضله عليهم ، داعيا إياهم للإيمان به وبالذي جاء به رسوله ، وكذلك قد تضمنت التذكير بيوم القيامة وأنه قريب وأن العذاب الذي يحل في ذلك اليوم على الكافرين شديد ، ما يشير إلى أنها قد نزلت بمكة .

(٣٦٨) ((عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة النحل بمكة) ، (٣٦٩) (وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : نزلت النحل بمكة))^٣ ، (٣٧٠) (وأخرج : عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع في السماء حتى تملأ السماء ثم ينادي مناد : يا أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض ، هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول : نعم ، ومنهم من يشك ثم ينادي الثانية : يا أيها الناس هل سمعتم ؟ فيقولون : نعم ، ثم ينادي : أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فوالذي نفسي بيده إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه وإن الرجل ليملاً حوضه فما يسقى فيه شيئاً وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه ويشغل الناس)^٤ .

ما جاء في قوله تعالى : [وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ] آية ٧ :

(٣٧١) (أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغوا إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وجعل لكم الأرض فعلية فاقضوا حاجاتكم)^٥ .

هذه من نعم الله تعالى على البشر ، وهي أن سخر لهم الدواب ليركبوها ويقضوا عليها حاجاتهم من السفر وحمل الأمتعة وغيرها وحملهم إلى البلاد البعيدة التي يريدون السفر إليها ، قال القرطبي : (قوله تعالى : وتحمل أثقالكم ، الأثقال : أثقال الناس من متاع وطعام وغيره وهو ما يتحمل الإنسان حملة ، وقيل : المراد أبدانهم ، والبلد ، مكة في قول عكرمة ، وقيل : هو محمول على العموم في كل بلد مسلكه على الظهر ، وشق الأنفس ، مشقتها وغاية جهدها وتعبها ونصبها)^٦ ، وقد أكد الحديث هذا المعنى ، قال شمس الحق العظيم آبادي : (إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، قال القاري : والمعنى لا تجلسوا على ظهورها فتوقفونها وتحديثون بالبيع والشراء

^١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٨) ، الطبري ، التفسير : (١٤ / ٧٥) ، ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٦١) .

^٢ ينظر : القرطبي ، مصدر سابق : (١٠ / ٦٥) .

^٣ السيوطي ، الدر المنثور : (١٠٧ / ٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٤٦) .

^٤ السيوطي ، الدر المنثور : (١٠٨ / ٥) .

^٥ السيوطي ، الدر المنثور : (١١١ / ٥) .

^٦ القرطبي ، مصدر سابق : (١٠ / ٧١) .

وغير ذلك بل انزلوا واقضوا حاجاتكم ثم اركبوا ، قال الطيبي : كناية عن القيام عليها لأنهم إذا خطبوا على المنابر قاموا انتهى ، لتبلغكم ، أي : لتوصلكم ، بالغيه ، أي : واصلين إليه ، إلا بشق الأنفس ، بكسر أوله ، أي : مشقتها وتعبها ، وجعل لكم الأرض ، أي : بساطا وقرارا ، فعليها ، أي : على الأرض لا على ظهور الدواب ، فاقضوا حاجاتكم ، قال الطيبي : الفاء الأولى للسببية والثانية للتعقيب ، أي : إذا كان كذلك فعلى الأرض اقضوا حاجاتكم ثم عقبه بقوله : فاقضوا حاجاتكم تفسيرا للمقدر انتهى ، قال الخطابي : ما محصله إنه قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه خطب على راحلته واقفا فدل على أن الوقوف على ظهورها إذا كان الإرب أو بلوغ وطر لا يدرك مع النزول إلى الأرض جائز وأن النهي انصرف إلى الوقوف عليها لا لمعنى يوجبه بأن يستوطنه الإنسان ويتخذة مقعدا فيتعب الدابة ويضر بها طائل انتهى ^٧ ، وقال المناوي : (اتركوا جلوسكم عليها وهي واقفة كما تجلسون على المنابر فإن ذلك يؤذيها فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجاتكم ، والنهي مخصوص باتخاذ ظهورها مقاعد لغير حاجة أما لحاجة لا على الدوام فجائزة بدليل أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطب على ناقته وهي واقفة) ^٨ .

أخرج الحديث : أبو داود^٩ ، والطبراني^{١٠} ، والبيهقي^{١١} ، قال شمس الحق عظيم آبادي : (في إسناده إسماعيل بن عياش وفيه مقال) ^{١٢} ، وقال المناوي : (قال ابن القطان : ليس مثل هذا الحديث يصح ، لأن فيه أبا مريم مولى أبي هريرة ولا يعرف له حال ، ثم قيل : هو رجل واحد ، وقيل : رجلان وكيفما كان فحاله أو حالهما مجهولة فمثله لا يصح) ^{١٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] آية : ٤٠ .

(٣٧٢) (أخرج ابن مردويه : عن أبي ذر ، عن رسول الله قال : يقول الله : يا ابن آدم كلكم مذنب إلا من عافيت ، فاستغفروني أغفر لكم ، وكلكم فقراء إلا من أغنيت فسلوني أعطيتكم ، وكلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدى أهدكم ، ومن استغفروني وهو يعلم أنني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أشقى واحد منكم ما نقص ذلك من سلطاني مثل جناح بعوضة ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أتقى واحد منكم ما زادوا في سلطاني مثل جناح بعوضة ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم سألوني حتى تنتهي مسألة كل واحد منكم فأعطيتهم ما سألوني ما نقص ذلك مما عندي كغرز إبرة غمسها أحدكم

^٧ شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٧ / ١٦٩) .

^٨ المناوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٣٤) .

^٩ أبو داود ، السنن : (٣ / ٢٧) .

^{١٠} الطبراني ، مسند الشاميين : (٢ / ٣٤) .

^{١١} البيهقي ، السنن الكبرى : (٥ / ٢٥٥) ، شعب الإيمان : (٧ / ٤٨٥) .

^{١٢} شمس الحق عظيم آبادي ، مصدر سابق : (٧ / ١٦٩) .

^{١٣} المناوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٣٥) .

في البحر ، وذلك أني جواد ماجد واجد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له : كن فيكون^{١٤} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائنا لهم ولا في غير ذلك مما نخلق ونكون ونحدث ، لأننا إذا أردنا خلقه وإنشاءه فإنما نقول له : كن فيكون ، لا معاناة فيه ولا كلفة علينا)^{١٥} ، وقال ابن كثير : (أي : أن نأمر به مرة واحدة فإذا هو كائن كما قال الشاعر :
إذا ما أراد الله أمرا فإنما يقول له كن قوله فيكون ، أي : أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به ، فإنه تعالى لا يمانع ولا يخالف لأنه الواحد القهار العظيم الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء فلا إله إلا هو ولا رب سواه)^{١٦} .

أخرج الحديث : الإمام أحمد^{١٧} ، وهناد بن السري^{١٨} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن)^{١٩} ، وابن ماجه^{٢٠} ، والبزار^{٢١} .

ما جاء في قوله تعالى : [ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون] آية : ٥٧ .
(٣٧٣) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس في قوله : [ويجعلون لله البنات] ، يقول : يجعلون له البنات يرضونهن له ولا يرضونهن لأنفسهم ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون ، أو دسها في التراب وهي حية)^{٢٢} .

قال ابن كثير : (أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله فعبدوها معه فأخطأوا خطأ كبيرا ، فنسبوا إليه تعالى أن له ولدا ولا ولد له ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم كما قال : [ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى] ، وقوله : ويجعلون لله البنات سبحانه ، أي : عن قولهم وإفكهم : [ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون] ، وقوله : ولهم ما يشتهون ، أي : يختارون لأنفسهم الذكور ويأنفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلى الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، فإنه : [إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا] ، أي : كئيبا من الهم وهو كظيم ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن ، يتوارى من القوم ، أي :

^{١٤} السيوطي ، الدر المنثور : (١٣٠ / ٥ - ١٣١) .

^{١٥} الطبري ، التفسير : (١٠٦ / ١٤) .

^{١٦} ابن كثير ، التفسير : (٥٧٠ / ٢) .

^{١٧} الإمام أحمد ، المسند : (١٥٤ / ٥) .

^{١٨} هناد بن السري ، مصدر سابق : (٤٥٦ / ٢) .

^{١٩} الترمذي ، السنن : (٦٥٦ / ٤) .

^{٢٠} ابن ماجه ، السنن : (١٤٢٢ / ٢) .

^{٢١} البزار ، مصدر سابق : (٤٠١ / ٩ - ٤٠٢) ، (٤٤٠ / ٩) .

^{٢٢} السيوطي ، الدر المنثور : (١٣٨ / ٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (١٧٢ / ٣) .

يكره أن يراه الناس من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، أي : إن أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها أم يدسه في التراب ، أي : يئدها وهو أن يدفنها فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية أفمن يكرهونه ذا الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله ، ألا ساء ما يحكمون ، أي : بئس ما قالوا وبئس ما قسموا وبئس ما نسبوه إليه (٢٣) ، وقد أشار الحديث إلى هذا وبين أنهم كانوا يريدون الولد لأنفسهم ويجعلون لربهم البنات سبحانه •
وقد أخرج الحديث : الطبري ٢٤ •

ما جاء في قوله تعالى : [ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لِّقَوْمٍ يعقلون ، وأوحى ربُّك إلى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِّي مِنَ الثَّمَرَاتِ فاسلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةً لِّقَوْمٍ يتفكرون ، والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يردُّ إلى أرذلِ العُمُرِ لكي لا يعلمَ بعدَ علمٍ شيئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ] الآيات : ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ •

(٣٧٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس أنه سئل عن قوله : [تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً] ، قال : السكر ما حرم من ثمرتها ، والرزق الحسن ما حل من ثمرتها) ٢٥ •
(٣٧٥) (وأخرج : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالشفاءين العسل والقرآن) ٢٦ •

(٣٧٦) (وأخرج : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أخي استطلق بطنه ؟ فقال : اسقه عسلاً ، فسقاه عسلاً ، ثم جاء فقال : ما زاده إلا استطلاقاً ، قال : اذهب فاسقه عسلاً ، فسقاه عسلاً ، ثم جاء فقال : ما زاده إلا استطلاقاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فاسقه عسلاً ، فذهب فاسقه عسلاً ، فذهب فاسقه فبراً) ٢٧ •
(٣٧٧) (وأخرج : عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو : أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا وفتنة الممات) ٢٨ •

في هذه الآيات يعدد الله تعالى بعض نعمه على بني البشر من النخيل والثمرات والعسل الذي جعله الله عز وجل شفاء للناس من الأمراض والأوجاع وما إلى ذلك ، فكانت تلك بعض النعم التي من الله بها علينا ، ثم بين

^{٢٣} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٧٤) •

^{٢٤} الطبري ، التفسير : (١٤ / ١٢٣) •

^{٢٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ١٤٢) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٧٦) •

^{٢٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ١٤٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٧٦) •

^{٢٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٥ / ١٤٥) •

^{٢٨} المصدر السابق : (٥ / ١٤٧) •

أن الله يخلق البشر وهو الذي يتوفاهم بعد ذلك وهم في غفلة عما دعاهم إليه رب العلمين ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : ولكم أيضا أيها الناس عبرة فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا مع ما نسقيكم من بطون الأنعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم ، واختلف أهل التأويل في معنى قوله : تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، فقال بعضهم : عنى بالسكر الخمر وبالرزق الحسن التمر والزبيب ، ورزقا حسنا ، يعني بذلك الحلال التمر والزبيب وما كان حلالا لا يسكر ، وقال آخرون : السكر بمنزلة الخمر في التحريم وليس بخمر ، وقالوا : هي نقيع التمر والزبيب إذا اشتد وصار يسكر شارب ، وقال آخرون : السكر هو كل ما كان حلالا شربه كالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن التمر والزبيب ، وهذا التأويل عندي هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية)^{٢٩} ، وقال القرطبي : (قوله تعالى : وأوحى ربك إلى النحل ، هو هنا بمعنى الإلهام وهو ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء سبب ظاهر وهو من قوله تعالى : [ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها] ، ولا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام ، وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتح الحاء ، وسمي نحلا لأن الله عز وجل نحل العسل الذي يخرج منه قاله الزجاج الجوهرى والنحل والنحلة الدبر يقع على الذكر والأنثى حتى يقال : يعسوب ، والنحل يؤنث في لغة أهل الحجاز ، أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ، هذا إذا لم يكن لها مالك ، ومما يعرشون ، جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع : إما في الجبال وكواها ، وإما في متجوف الأشجار ، وإما فيما يعرش ابن آدم من الخلايا والحيطان وغيرها ، وعرش معناه هنا هياً وأكثر ما يستعمل فيما يكون من إتقان الأغصان والخشب وترتيب ظلالها ومنه العريش الذي صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومنه هذا لفظة العرش ، ثم كلي من كل الثمرات ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار ، فاسلكي سبل ربك ذللا ، أي : طرق ربك والسبل الطريق وأضافها إليه لأنه خالقها ، أي : ادخلي طرق ربك لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر ذللا جمع ذلول وهو المنقاد ، أي : مطيعة مسخرة فذللا حال من النحل ، أي : تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا)^{٣٠} ، وقال ابن كثير : (المراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها ومن الشجر ومما يعرشون ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورسها بحيث لا يكون في بيتها خلل ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيريا أن تأكل من كل الثمرات وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذلة لها ، أي : مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والأودية والجبال الشاهقة ثم فإذا كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه يمنا ولا يسرة بل إلى بيتها ومالها فيه من فراخ وعسل فتبني الشمع من أجنحتها وتقويء العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ثم تصبح إلى مراعيها ، وقال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : فاسلكي سبل ربك ذللا ، أي : مطيعة فجعله حالا من السالكة ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلا منها ، وقوله : فيه شفاء للناس

^{٢٩} الطبري ، التفسير : (١٤ / ١٣٣) .

^{٣٠} القرطبي ، مصدر سابق : (١٠ / ١٣٣ - ١٣٤) .

، أي : في العسل شفاء للناس ، أي : من أدواء تعرض لهم ، قال بعض من تكلم على رآه النبي : لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال : فيه شفاء للناس ، أي : يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيء يداوى بضده)^{٣١} ، في الحديث عن أبي سعيد الخدري قوله : (ما زادته إلا استطلاقا) ، قال ابن كثير : (قال بعض العلماء بالطب : كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلا وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاده إسهالا فاعتقد الأعرابي أنه مصلحة لأخيه ، ثم سقاه فزاد التحليل والدفع ثم سقاه فكذلك فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام)^{٣٢} ، وقد جاءت الأحاديث لتبين أهمية العسل وأهمية تناوله كغذاء ، ففي الحديث (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الشفاء في ثلاثة ، شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنهى أمتي عن الكي)^{٣٣} ، و(عن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شربة عسل أو شرطة محجم أو لدعة من نار ، وما أحب أن أكتوي)^{٣٤} ، وقد أشارت الأحاديث المتقدمة إلى هذا النفع العظيم الذي أوجده رب العزة في العسل وفي تناوله ، أخرج الحديث الأول عن عبد الله بن عباس : الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{٣٥} ، والبيهقي^{٣٦} .

وفي الحديث عن ابن مسعود قال : (عليكم بالشفاءين) ، قال المناوي : (عليكم بالشفاءين العسل ، لعاب النحل وله زهاء مائة اسم ، والقرآن ، جمع بين رآه البشري والإلهي وبين الفاعل الطبيعي والروحاني وطب الأجساد وطب الأرواح والسبب الأرضي والسماوي : [ونزل من القرآن ما هو شفاء] الإسراء : ٨٢ ، قال الطيبي : قوله : العسل والقرآن ، تقسيم للجمع فجعل جنس الشفاء نوعين حقيقي وغير حقيقي ثم قسمه نحو قولهم : القلم أحد اللسانين ، والخال : أحد الأبوين)^{٣٧} ، وقد أخرج الحديث : ابن ماجه^{٣٨} ، والحاكم ، وقال : (هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٣٩} ، والبيهقي^{٤٠} .

وفي الحديث الثالث عن أبي سعيد قوله : (استطلق بطنه) ، قال ابن حجر : (أي : كثر خروج ما فيه يريد الإسهال ، وقد أعترض بعض الملاحدة فقال العسل : مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الإسهال ؟ والجواب :

^{٣١} ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٥٧٦) .

^{٣٢} المصدر السابق : (٢ / ٥٧٦ - ٥٧٧) .

^{٣٣} البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢١٥١) .

^{٣٤} المصدر السابق : (٥ / ٢١٥٧) .

^{٣٥} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٨٧) .

^{٣٦} البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٢٩٧) .

^{٣٧} المناوي ، مصدر سابق : (٤ / ٣٤٢ - ٣٤٣) .

^{٣٨} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١١٤٢) .

^{٣٩} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٢٢٢) .

^{٤٠} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٣٤٤) .

أن ذلك جهل من قائله بل هو كقوله تعالى : بل كذبوا بما لم يحيطوا بعمله ، فقد أتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة ، وعلى أن الإسهال يحدث من أنواع منها الهيبضة التي تنشأ عن تخمة ، واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعالها فإن احتاجت إلى مسهل معين أعينت ما دام بالعليل قوة بالحق هذا الرجل كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته فوصف له النبي صلى الله عليه وسلم الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء لما في العسل من الجلاء ودفع الفضول التي تصيب المعدة من أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها ، وللمعدة حمل كحمل المنشفة فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء الواصل إليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط ولا شيء في ذلك مثل العسل لا سيما إن مزج بالماء الحار وإنما لم يفده في أول مرة لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء إن قصر عنه لم يدفعه بالكلية وإن جاوزه أوهى القوة وأحدث ضررا آخر فكأنه شرب منه أولا مقدارا لا يفي بمقاومة الداء فأمره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله تعالى ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : وكذب بطن أخيك ، إشارة إلى أن هذا الدواء نافع وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها فكان كذلك وبرأ بإذن الله ، قال الخطابي : والطب نوعان طب اليونان وهو قياسي وطب العرب والهند وهو تجاربي ، وكان أكثر ما يصفه النبي صلى الله عليه وسلم لمن يكون عليلا على طريقة طب العرب ومنه ما يكون مما يتحقق عليه بالوحي^{٤١} ، وقد أخرج الحديث : ابن أبي شيبه^{٤٢} ، والإمام أحمد^{٤٣} ، وعبد بن حميد^{٤٤} ، والبخاري^{٤٥} ، ومسلم^{٤٦} ، والترمذي^{٤٧} ، وأبو يعلى^{٤٨} .

وأخرج الحديث الرابع عن أنس بن مالك : البخاري^{٤٩} ، والنسائي^{٥٠} .

^{٤١} ابن حجر ، فتح الباري : (١٠ / ١٦٩ - ١٧٠) .

^{٤٢} ابن أبي شيبه ، مصدر سابق : (٥ / ٥٩) .

^{٤٣} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ١٩) .

^{٤٤} عبد بن حميد : (٢٩٢) .

^{٤٥} البخاري ، الصحيح : (٥ / ٢١٦١) .

^{٤٦} مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٧٣٦) .

^{٤٧} الترمذي ، السنن : (٤ / ٤٠٩) .

^{٤٨} أبو يعلى ، مصدر سابق : (٢ / ٤٥١) .

^{٤٩} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٤١) .

^{٥٠} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٤٥٨) .

فهرس الأعلام

رقم الحديث	الأعلام
٩	إبراهيم بن طهمان
٢٢	إبراهيم بن يزيد التيمي أبو أسماء الكوفي
٥٤	أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتي
٤١	أحمد بن عبد الله بن سعد الاسدي
٨٩	أحمد بن عثمان بن يحيى العطشي
١٠٣	أحمد بن عمرو
٤٥	أحمد بن محمد بن الوليد ابو محمد الأزرق
٣	أسامة بن عمير بن عامر بن الأقيشر
٢٣	إسحاق بن إبراهيم التستري
١	إسحاق بن عبد الواحد الموصلي
٣٨	إسحاق بن محمد أبو يعقوب العزوي
١٧	إسماعيل بن أمية
٧	إسماعيل بن عياش أبو عتبة العسني
٧	إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي المدني
٢٩	أسلم بن أبي رافع
٦٦	أسلم بن عمران التجيبي
٥٤	أشعث بن إسحاق القمي
٣٨	الأعرج
٤١	الأعمش
١٧	أيوب بن خالد
٨٩	أبو إدريس الخولاني
٤٢	أبو إسحاق السبيعي
١٤٧	أبو أمامة
١١٦	الباقر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين
٩	بديل بن ميسرة
٦	بريدة بن الحصيب بن عبد الله الاسلمي

٤٥	بشر بن موسى بن عمر الأسدي البغدادي
رقم الحديث	الأعلام
١٦٣	أبو بكر بن عياش
١	تمتام الحافظ أبو جعفر محمد بن غالب بن حرب
٢٣	ثمامة بن عبد الله
٤٥	ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز
٥٤	جعفر بن أبي المغيرة القمي
٩١	جوير بن سعد البلخي
٦٩	حجاج بن أرطاة
٢٩	الحسن البصري
١٢٩	الحسن بن سفيان النسوي
٨٨	الحسن بن علي بن شبيب المعمرى
٧٠	حصين بن مخارق
٢٢٣	الحكم بن أبان
٦٩	الحكم بن عتيبة
١٥	حماد بن سلمة أبو سلمة البصري
١٤١	حميد الطويل
٤	خالد بن مهران الحذاء أبو المنازل البصري
٨٨	خالد بن يزيد الأزرق الدمشقي
٤٥	الخطبي إسماعيل بن علي بن إسماعيل
٥١	داود بن الحصين
٣٦	دعيج بن أحمد السجزي
١٢٩	ذكوان السمان أبو صالح
١٥	ربيع بن حراش
٣١٣	أبو رزين
٨٠	زائدة بن عمير الطائي
٧٩	زياد بن النضير
٤	زيد بن أسامة بن عمير أبو المليح
١٣٢	زيد بن أسلم

٢	زيد بن المبارك الصنعاني اليماني
رقم الحديث	الأعلام
٣٨	أبو الزناد عبد الله بن ذكوان
٩٠	سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
١٦٤	سراقة بن مالك المدلجي
٢٩	سرور بن المغيرة بن زاذان
٤١	سعد بن عبيدة
٤٩	سعيد بن زياد المكتب
٣٦	سعيد بن سلمة
٣١	سعيد بن أبي سعيد المقبري
٣٠٠	سعيد بن أبي هلال
٢	سلام بن وهب بن سليمان الجندي
١٠٣	سلمة بن دينار
٢٢	سلمة بن الفضل
٤١	سليم بن سعد الدامغاني
٦	سليمان بن بريدة بن الحصيب الاسلمي
٨٩	سلمان بن عتيبة أبو الربيع الدمشقي
٩٥	سليمان بن عمرو بن الأحوص
١٢٦	سمويه إسماعيل بن عبد الله
٢٦	سهل بن سعد الساعدي
٢٣٤	أبو سعيد سنان
١	أبو سعيد المقبري
١	أبو سهل بن زياد القطان
٧٢	شداد بن أوس
١٠٣	شعيب بن محمد
٧٠	شهر بن حوشب
٣٨	ابن شجرة أحمد بن كامل القاضي
١٧٦	صباح بن سهل
٩١	الضحاك بن مزاحم

٢	طاووس بن كيسان
رقم الحديث	الأعلام
٢	الطبراني
٤	طريف بن مجالد أبو تميمة البصري
١٥	الطفيل بن سخبرة
٢٩٥	طلحة بن نافع
١٧٦	عاصم بن سليمان الأحول
٢٩	عباد بن منصور
٨٩	عباس بن محمد الدوري
٣٦	عبد الله بن رجاء
١٧	عبد الله بن رافع
٥٤	عبد الله بن سعد الدشتكي
٩	عبد الله بن شقيق
٨٨	عبد الله بن عبيد الله العسكري
١٩٧	عبد الله بن موهب
٥١	عبد الله بن عمر بن حفص
١	عبد الحميد بن جعفر الأنصاري المدني
٥٤	عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي
٤١	عبد الرحمن بن محمد بن حامد
١٠٣	عبد العزيز بن أبي حازم
١١٧	عبد القدوس بن حبيب
٣	عبد الكبير بن المعافى بن عمران
٦	عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية المعلم
١٥	عبد الملك بن عمير القرشي
٤٩	عبد الواحد بن زياد العبدي
٤٥	عثمان بن أبي سليمان القرشي
٨١	عروة بن الزبير
١٩٧	عصمة بن مالك الخطمي
٣	عطاء بن أبي رباح

٤٠	عطاء بن يسار
رقم الحديث	الأعلام
٧	عطية بن سعيد العوفي
٦٦	عقبة بن عامر الجهني
٥١	عكرمة مولى ابن عباس
٢٣	علي بن زيد بن جدعان
٢	علي بن محمد بن المبارك الصنعاني
٣	عمر بن ذر الهمداني
٢٣	عمر بن قيس
٩٥	عمرو بن الأحوص
٧١	عمرو بن عبد الغفار الفقيمي
١٠٣	عمرو بن شعيب
٤٢	عمرو بن ميمون الأودي
٨٨	عيسى بن المسيب البجلي الكوفي
٤١	أبو عبد الرحمن السلمي
٣١	أبو عبد الرحمن المقرئ عبد الله بن يزيد العدوي
٤٢	غيلان بن عبد الصمد
٤٥٩	فروة بن مسيك المرادي
٦٦	فضالة بن عبيد الأوسي
١٤٨	فيروز الديلمي
١١١	قرة بن إياس المزني
٥١	أبو القاسم العمري عبد الرحمن بن عبد الله
١٤٧	أبو قيس بن الاسلت
٦٧	كعب بن عجيبة البلوي
٤٥	كثير بن كثير بن المطلب القرشي
١٤٨	كثير بن مرة الحضرمي
٣١	الليث بن سعد
٣٨	الإمام مالك
٢٣٤	المحاربي

١٠٣	محمد بن إبراهيم
رقم الحديث	الأعلام
٣٨	محمد بن إسماعيل الترمذي
١٤٧	محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف
٢٣٤	ابن متويه إبراهيم بن محمد بن الحسن
٧١	محمد بن سوقة
١٤٠	محمد بن سيرين
٢٣	محمد بن عبد الله بن إبراهيم
٢٢	محمد بن عيسى الدامغاني
٥٠	محمد بن كعب القرظي
٣١	محمد بن محمد بن صخر
٧	مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي
٥٠	مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير
١٢٩	مصعب بن سعيد أبو خيثمة
١	المعافي بن عمران
١١١	معاوية بن قررة بن إياس
٤٩	المغيرة بن عتبة بن نهاس
٦٩	مقسم بن بجرة
٢٣	مكي بن إبراهيم
١٦	منذر بن مالك بن قطعة أبو نظرة العبدي
١٢٩	موسى بن أعين
٢٣	موسى بن هارون
١٨٨	موسى بن وردان المصري
٢٢	ميكائيل
٤٩	أبو مالك الأشجعي سعد بن طارق
١٤٥	نافع بن الحارث
٣٦	نافع بن عبد الله
٦٥	نافع بن عمرو بن معد يكرب
٢١١	نافع بن مالك أبو سهل

١٤٥	نضلة بن عبيد أبو برزة
رقم الحديث	الأعلام
٨	النواس بن سمعان
١	نوح بن أبي بلال الجسري
١٢٦	هشام بن عروة بن الزبير
٣٦	هشام بن علي بن هشام السيرافي
١٠٣	هشام بن عمار
٨٩	هيثم بن خارجة
٤١	وكيع بن الجراح
٢	وهب بن سليمان الجندي اليمان
٤٢	يحيى بن زكريا بن أبي زائدة
١٨٩	يزيد بن صهيب الفقير
١٩٦	يعقوب بن يزيد بن طلحة
٧٠	يونس بن عبيد بن دينار
٨٩	يونس بن ميسرة بن حليس
١٧٦	أم عمرو بنت عبس

فهرس المصادر والمراجع

- ١- أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (٢٤١ هـ) ، الأسماء والكنى ، تحقيق : عبد الله بن يوسف الجديع ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م) .
- ٢- أحمد بن حنبل ، المسند ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
- ٣- آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي ابو ريده ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م) .
- ٤- الأذنروي أحمد بن محمد ، طبقات المفسرين ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (١٩٧٧ م) .
- ٥- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي (٢٣٨ هـ) ، المسند ، تحقيق : د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الايمان ، المدينة المنورة (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) .
- ٦- د. أكرم ضياء العمري ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ط ٢ (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .
- ٧- الآلوسي محمود شكري ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٨- ابن الأثير الجزري علي بن أبي الكرم الشيباني (٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ دار الفكر ، بيروت (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) .
- ٩- ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٠- أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي (٢٧٣ هـ) ، مسند عبد الله بن عمر ، تحقيق : أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت .
- ١١- البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦ هـ) ، الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ٣ (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) .
- ١٢- البخاري ، التاريخ الصغير ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، كتبة دار التراث حلب ، القاهرة (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) .
- ١٣- البخاري ، التاريخ الكبير ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر .
- ١٤- البخاري ، خلق أفعال العباد ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف ، السعودية ، الرياض (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) .

- ١٥- البخاري ، الصحيح ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ط٣ ، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- ١٦- البخاري ، الكنى ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٧- البزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (٢٩٢ هـ) ، المسند ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة المنورة (١٤٠٩ هـ) .
- ١٨- البغوي الحسن بن مسعود الفراء (٥١٦ هـ) ، معالم التنزيل ، تحقيق : د. خالد العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- ١٩- البيضاوي (٧٩١ هـ) ، التفسير ، تحقيق : عبد القادر عرفات العشاحسونة ، دار الفكر بيروت (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) .
- ٢٠- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٤٥٨ هـ) ، الاعتقاد ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت (١٤٠١ هـ) .
- ٢١- البيهقي ، السنن الصغرى ، تحقيق : د. محمد ضياء الدين الأعظمي ، مكتبة الدار المدينة المنورة (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) .
- ٢٢- البيهقي ، السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .
- ٢٣- البيهقي ، شعب الايمان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت (١٤١٠ هـ) .
- ٢٤- أبو بكر الإسماعيلي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (٣٧١ هـ) ، معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ، تحقيق : د. زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (١٤١٠ هـ) .
- ٢٥- أبو بكر البرديجي أحمد بن هارون (٣٠١ هـ) ، الأسماء المفردة ، تحقيق : عبدة علي كوشك ، دار المأمون للتراث ، دمشق (١٤١٠ هـ) .
- ٢٦- أبو بكر الشيباني أحمد بن عمرو الضحاك (٢٨٧ هـ) ، الأحاد والمثاني ، تحقيق : د. باسم فيصل احمد الجوابري ، دار الراية ، الرياض (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .
- ٢٧- أبو بكر الشيباني ، اللديات ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- ٢٨- أبو بكر الشيباني ، السنة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت (١٤٠٠ هـ) .

- ٢٩- الترمذي محمد بن عيسى (٢٧٩هـ) السنن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٣٠- ابن تغري بردي الأتابكي جمال الدين يوسف (٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٣١- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مكتبة المعارف ، بغداد .
- ٣٢- ابن الجعد علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي ، المسند ، تحقيق : عامر أحمد حيدر مؤسسة نادر ، بيروت (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .
- ٣٣- أبو جعفر الطبري أحمد بن عبد الله بن محمد (٦٩٤هـ) ، الرياض النضرة ، تحقيق : عيسى عبد محمد نافع الحميري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت (١٩٩٦م) .
- ٣٤- أبو جعفر النحاس ، معاني القرآن ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى مكة المكرمة (١٤٠٩هـ) .
- ٣٥- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (٥٩٧هـ) ، التحقيق في اختلاف الحديث ، تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٥هـ) .
- ٣٦- ابن الجوزي ، زاد المسير في علم النفسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٣ (١٤٠٤هـ) .
- ٣٧- ابن الجوزي ، الضعفاء والمتروكين ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية بيروت ، (١٤٠٦هـ) .
- ٣٨- ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، مراجعة : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣٩- حاجي خليفة مصطفى عبد الله (١٠٦٧هـ) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .
- ٤٠- الحارث بن أبي أسامة (٢٨٢هـ) ، مسند الحارث ، تحقيق : د. حسين احمد صالح البكري ، مركز خدمة السنة والسيرة الشريفة ، المدينة المنورة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .
- ٤١- الحاكم محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ) ، تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الجنان ، بيروت (١٤٠٧هـ) .
- ٤٢- الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) .

- ٤٣- الحكيم الترمذي محمد بن علي بن الحسن ، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت (١٩٩٢ م) .
- ٤٤- الحُمَيْدي عبد الله بن الزبير (٢١٩ هـ) ، المسند ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبّي ، بيروت ، القاهرة .
- ٤٥- ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي التميمي (٣٢٧ هـ) ، الجرح والتعديل دار إحياء التراث العربي ، بيروت (١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م) .
- ٤٦- ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (٣٥٤ هـ) ، الثقات ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) .
- ٤٧- ابن الحبان ، الصحيح ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .
- ٤٨- ابن حبان ، المجروحين ، تحقيق : محمد إبراهيم أبو زيد ، دار الوعي ، حلب .
- ٤٩- ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق : م. فلاشيهمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٥٩ م) .
- ٥٠- ابن حجر أحمد بن علي بن محمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- ٥١- ابن حجر ، تعجيل المنفعة ، تحقيق : د. إكرام الله إمداد الحق ، دار الكتاب العربي بيروت .
- ٥٢- ابن حجر ، تغليق التعليق ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي ، المكتب الإسلامي دار عمار ، بيروت ، عمان ، (١٤٠٥ هـ) .
- ٥٣- ابن حجر ، تقريب التهذيب ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- ٥٤- ابن حجر ، تلخيص الحبير ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ، المدينة المنورة (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) .
- ٥٥- ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .
- ٥٦- ابن حجر ، طبقات المدلسين ، تحقيق : د. عاصم بن عبد الله القريوتي ، مكتبة المنار عمان (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .
- ٥٧- ابن حجر ، العجائب في بيان الأسباب ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس ، دار ابن الجوزي ، الدمام (١٩٩٧ م)

- ٥٨- ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحـب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت (١٣٧٩ هـ) .
- ٥٩- ابن حجر ، لسان الميزان ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية ، الهند ، مؤسسة الأعلـم للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- ٦٠- ابن حجر ، نزهة الألباب في الألقاب ، تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن صالح السديدي مكتبة الرشيد ، الرياض (١٩٨٩ م) .
- ٦١- ابن حزم علي بن احمد الظاهري (٤٥٦ هـ) ، المحلى ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- ٦٢- أبو حفص الواعظ عمر بن احمد (٣٨٥ هـ) ، تاريخ أسماء الثقات ، تحقيق : صبحي السامرائي ، الدار السلفية ، الكويت (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .
- ٦٣- الخطيب البغدادي احمد بن علي أبو بكر (٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٦٤- الخلال أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد (٣١١ هـ) ، السنة ، تحقيق : د. عطية الزهراني ، دار الراية ، الراية (١٤١٠ هـ) .
- ٦٥- خليفة بن خياط ابو عمر الليثي العصفري (٢٤٠ هـ) الطبقات ، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض (١٣٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .
- ٦٦- ابن خزيمة محمد بن إسحاق (٣١١ هـ) ، الصحيح ، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م) .
- ٦٧- الدارقطني علي بن عمر أبو الحسن (٣٨٥ هـ) ، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم تحقيق : بوران الضناوي ، وكما يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت (١٩٨٥ هـ) .
- ٦٨- الدارقطني ، السنن ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، دار المعرفة ، بيروت (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) .
- ٦٩- الدارقطني ، العلل ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، دار طيبة ، الرياض (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) .
- ٧٠- الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن (٢٥٥ هـ) السنن ، تحقيق : فواز أحمد زمولي ، وخالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (١٤٠٧ هـ) .

- ٧١- الديلمى أبو شجاع سيرويه ين شراد بن شيرويه الهمداني (٥٠٩ هـ) ، الفردوس بمأثور الخطاب ، تحقيق : محمد السعيد بن بسـيونى زغـلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٨٦ م) .
- ٧٢- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ) ، السنن ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
- ٧٣- الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن قايمز (٧٤٨ هـ) ، تذكرة الحفاظ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ .
- ٧٤- الذهبي ، دول الإسلام ، طبعه ونشره : عبد الله إبراهيم الأنصاري ، طبع إدارة إحياء التراث الإسلامي ، دولة قطر ، (١٩٨٨ م) .
- ٧٥- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرمشوسي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٩ (١٤١٣ هـ) .
- ٧٦- الذهبي ، طبقات المحدثين ، تحقيق : د. همام عبد الرحيم سعيد ، دار الفرقان ، عمان (١٤٠٤ هـ) .
- ٧٧- الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، حققه : أبو هاجر محمد السعيد بن بسـيونى زغـلول دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٧٨- الذهبي ، الكاشف ، تحقيق : محمد عوامة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو جدة ، (١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م) .
- ٧٩- الذهبي ، المقتنى في سرد الكنى ، تحقيق : محمد صالح عبد العزيز المراد ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة (١٤٠٨ هـ) .
- ٨٠- الذهبي ، من تكلم فيه ، تحقيق : محمد شكور أمير الميداني ، مكتبة المنار ، الزرقاء (١٤٠٦ هـ) .
- ٨١- الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٩٥ م) .
- ٨٢- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (٦٦٦ هـ) مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت (١٤٠١ - ١٩٨١ م) .
- ٨٣- الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ، المسند ، تحقيق : محمد إدريس ، وعاشور بن يوسف ، دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة ، بيروت ، سلطنة عمان (١٤١٥ هـ) .
- ٨٤- ابن رجب الحنبلي أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد (٧٩٥ هـ) ، التحويف من النار مكتبة دار البيان ، دمشق (١٣٩٩ هـ) .

- ٨٥- ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، دار المعرفة ، بيروت (١٤٠٨ هـ) .
- ٨٦- الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف (١١٢٢ هـ) شرح الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١١ هـ) .
- ٨٧- الزركلي ، الأعلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ .
- ٨٨- الزمخشري محمود بن عمر (٥٨٣ هـ) ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ .
- ٨٩- الزيلعي عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي (٧٦٢ هـ) ، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، تحقيق : محمد يوسف النبوري ، دار الحديث ، مصر (١٣٥٧ هـ) .
- ٩٠- ابن زبر الربيعي محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان (٣٩٧ هـ) ، مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق : د. عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض (١٤١٠ هـ)
- ٩١- سبط ابن العمي إبراهيم بن محمد أبو الوفا الحلبي الطرابلسي (٨٤١ هـ) ، الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث ، تحقيق : صبحي السامرائي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- ٩٢- سعيد بن منصور (٢٢٧ هـ) ، السنن ، تحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حمد ، دار العصيمي ، الرياض (١٤١٤ هـ) .
- ٩٣- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ) ، الإتيان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية بيروت (١٩٧٣ م) .
- ٩٤- السيوطي ، تدريب الراوي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة الرياض .
- ٩٥- السيوطي ، تنوير الحوالك ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) .
- ٩٦- السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .
- ٩٧- السيوطي ، الديباج ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري ، دار ابن عفان ، الخبر السعودية (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) .
- ٩٨- السيوطي ، طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٠٣ هـ) .
- ٩٩- السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، (١٩٧٨ م) .
- ١٠٠- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (٢٣٠ هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت .
- ١٠١- ابن سلام ، الغريب ، دار الفكر ، بيروت (١٩٨٦ م) .

- ١٠٢- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١هـ) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٠٣- الشاسي أبو سعيد الهيثم بن كليب (٣٣٥هـ) ، المسند ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (١٤١٠هـ) .
- ١٠٤- الشافعي محمد بن إدريس (٢٠٤هـ) ، أحكام القرآن ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٠هـ) .
- ١٠٥- الشافعي ، المسند ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٠٦- شمس الحق العظيم آباد أبو الطيب ، عون المعبود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٢ ، (١٤١٥هـ) .
- ١٠٧- الشوكاني محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٠٨- ابن شهاب الزهري ، تنزيل القرآن ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الحديث بيروت ، ط ٢ (١٩٨٠م) .
- ١٠٩- ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (٢٣٥هـ) ، المصنف ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض (١٤٠٩هـ) .
- ١١٠- الصنعاني محمد بن إسماعيل الأمير ، سبل السلام ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ (١٣٧٩هـ) .
- ١١١- الضياء المقدسي أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي (٦٦٣هـ) الأحاديث المختارة ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة (١٤١٠هـ) .
- ١١٢- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (٣٦٠هـ) ، مسند الشاميين ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .
- ١١٣- الطبراني ، المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة (١٤١٥هـ) .
- ١١٤- الطبراني ، المعجم الصغير ، تحقيق : محمد شكور محمد الحاج أمير ، المكتب الإسلامي دار عمار ، بيروت ، عمان (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .
- ١١٥- الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم الموصل (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) .
- ١١٦- الطبري محمد بن جرير (٣١٠هـ) التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٧هـ)

- ١١٧- الطبري ، التفسير ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٥ هـ) .
- ١١٨- الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر (٣٢١ هـ) ، شرح معاني الآثار ، تحقيق : محمد زهدي النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٣٩٩ هـ) .
- ١١٩- الطرابلسي إبراهيم بن محمد بن خليل (٨٤١ هـ) ، من زُمي بالاختلاط ، تحقيق : علي حسين علي عبد الحميد ، الوكالة العربية ، الزرقاء .
- ١٢٠- الطيالسي سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري (٢٠٤ هـ) ، المسند ، دار المعرفة بيروت .
- ١٢١- عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي (٢٤٩ هـ) ، المسند ، تحقيق : صبحي السامرائي ، ومحمود خليل الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- ١٢٢- عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠ هـ) ، السنة ، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني دار ابن القيم ، الدمام (١٤٠٦ هـ) .
- ١٢٣- عبد الله بن المبارك المروزي (١٨١ هـ) ، الزهد ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٢٤- عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١ هـ) تفسير القرآن ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض (١٤١١ هـ) .
- ١٢٥- عبد الرزاق بن همام ، المصنف ، تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمي ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط ٢ (١٤٠٣ هـ) .
- ١٢٦- العجلوني إسماعيل بن محمد (١١٦٢ هـ) ، كشف الخفاء ، تحقيق : أحمد القلاش مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٤٠٥ هـ) .
- ١٢٧- العجلي أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي (٢٦١ هـ) ، معرفة الثقات ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)
- ١٢٨- د. علي شواخ إسحاق ، معجم مصنفات القرآن ، منشورات دار الرفاعي ، الرياض (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .
- ١٢٩- د. عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٣٠- أبو عبد الله الدورقي أحمد بن إبراهيم بن كثير (٢٤٦ هـ) ، مسند سعد ، تحقيق : عامر حسن صبري ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت (١٤٠٧ هـ) .
- ١٣١- أبو عبد الله الزرعي محمد بن أبي بكر ايوب (٧٥١ هـ) ، نقد المنقول ، تحقيق : حسن السماعي سويدان ، دار القادري ، بيروت (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) .

- ١٣٢- أبو عبد الله المروزي محمد بن نصر بن الحجاج (٢٩٤هـ) ، تعظيم قدر الصلاة تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة (١٤٠٦هـ) .
- ١٣٣- أبو عبد الله المروزي ، السنة ، تحقيق : سالم احمد السلفي ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت (١٤٠٨هـ) .
- ١٣٤- ابن عبد البر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت (١٤١٢هـ) .
- ١٣٥- ابن عبد البر ، التمهيد ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب (١٣٨٧هـ) .
- ١٣٦- ابن أبي العز الحنفي علي بن محمد ، مختصر شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النذير للطباعة والنشر ، بغداد .
- ١٣٧- ابن عدي عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني (٣٦٥هـ) ، الكامل في ضعفاء الرجال تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) .
- ١٣٨- ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .
- ١٣٩- أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني (٣١٦هـ) ، المسند ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٤٠- أبو الفتح الأزدي محمد بن الحسين الموصلي (٣٧٤هـ) ، أسماء من يُعرف بكنيته تحقيق : أبو عبد الرحمن إقبال ، الدار السلفية ، الهند (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
- ١٤١- أبو الفضل الهروي عبد الله بن أحمد (٤٠٥هـ) ، مشتهر أسامي المحدثين ، تحقيق : نصر محمد الفاريابي ، مكتبة الرشد ، الرياض (١٤١١هـ) .
- ١٤٢- القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة (١٣٧٢م) .
- ١٤٣- القزويني عبد الكريم بن محمد الرافعي ، التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٨٧هـ) .
- ١٤٤- القضاعي محمد بن سلامة بن جعفر (٤٥٤هـ) ، مسند الشهاب ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .
- ١٤٥- القيسراني محمد بن طاهر (٥٠٧هـ) ، تذكرة الحفاظ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار الصمعي ، الرياض (١٤١٥هـ) .

- ١٤٦- القيسراني ، المؤلف والمختلف ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية بيروت (١٤١١ هـ) .
- ١٤٧- ابن قانع أبو الحسن عبد الباقي بن قانع (٣٥١ هـ) ، معجم الصحابة ، تحقيق : صلاح بن سالم المصراطي ، مكتبة الغرياء الأثرية ، المدينة المنورة (١٤١٨ هـ) .
- ١٤٨- ابن قدامة المقدسي عبد الله بن أحمد (٦٢٠ هـ) ، المغني ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٥ هـ) .
- ١٤٩- ابن القيم محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الحنبلي الدمشقي ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) الحاشية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) .
- ١٥٠- ابن القيم ، المنار المنيف ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب (١٤٠٣ هـ) .
- ١٥١- ابن قتيبة ، الغريب ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٥٢- الكتاني محمد بن جعفر ، الرسالة المستطرفة ، الناشر : نور محمد ، آرامبراغ فريز رُود ، كراتشي (١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م) .
- ١٥٣- الكلاباذي أحمد بن محمد بن الحسين البخاري أبو نصر (٣٨٩ هـ) ، رجال صحيح البخاري ، تحقيق : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت (١٤٠٧ هـ) .
- ١٥٤- الكناني أحمد بن أبي بكر إسماعيل (٨٤٠ هـ) مصباح الزجاجاة ، تحقيق : محمد المنتقي الكشتاوي ، دار العربية ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٣ هـ) .
- ١٥٥- ابن كثير إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي أبو الفداء (٧٤٤ هـ) ، البداية والنهاية ، دار ابن كثير ، بيروت .
- ١٥٦- ابن كثير ، تحفة الطالب ، تحقيق : عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي ، دار حراء مكة المكرمة (١٤٠٦ هـ) .
- ١٥٧- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت (١٤٠١ هـ) .
- ١٥٨- ابن كيكليدي العلائي أبو سعيد بن خليل العلائي (٧٦١ هـ) ، جامع التحصيل في ذكر رواة المراسيل ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) .
- ١٥٩- اللالكائي هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم (٤١٨ هـ) ، اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض (١٤٠٢ هـ) .
- ١٦٠- مالك بن أنس أبو عبد الله الأصحبي (١٧٩ هـ) ، الموطأ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر .

- ١٦١- المباركفوري محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلاء ، تحفة الأحوذى ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- ١٦٢- د. محسن عبد الحميد ، تطور تفسير القرآن ، دار الحكمة ، بغداد (١٩٨٩ م) .
- ١٦٣- د. محسن عبد الحميد ، تفسير آيات الصفات بين المثبتة والمؤولة ، بغداد (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) .
- ١٦٤- د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٦٥- محمد حسنين مخلوف ، صفوة البيان لمعاني القرآن ، وزارة الأوقاف والشؤون ، الكويت ط٣ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .
- ١٦٦- محمد عبد الغني البغدادي (٦٢٩ هـ) ، التقييد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤٠٨ هـ) .
- ١٦٧- محمد عبد الغني البغدادي ، تكملة الإكمال ، تحقيق : د. عبد القيوم عبد رب النبي ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة (١٤١٠ هـ) .
- ١٦٨- محمد العفيفي ، مقدمة في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ، مكتبة ذات السلاسل الكويت (١٣٩٩ هـ) .
- ١٦٩- محمد محمد أبو شهبة ، أعلام المحدثين ، الناشر : مركز كتب الشرق الأوسط ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر .
- ١٧٠- محمود مقديش (١٢٢٨ هـ) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق : علي الزواري ، ومحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت (١٩٨٨ م) .
- ١٧١- المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (٧٤٢ هـ) ، تهذيب الكمال ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .
- ١٧٢- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن (٢٦١ هـ) ، الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٧٣- مسلم بن الحجاج ، الكنى والأسماء ، تحقيق : عبد الرحيم محمد أحمد القشيري ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة (١٤٠٤ هـ) .
- ١٧٤- مناع القطان ، مباحث في علوم الحديث ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٢ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .
- ١٧٥- معمر بن راشد الأسدي (١٥١ هـ) ، الجامع ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ (١٤٠٣ هـ) .
- ١٧٦- المناوي عبد الرؤوف ، فيض القدير ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر (١٣٥٦ هـ) .

- ١٧٧- المنذري عبد العظيم بن عبد القوى (٦٥٦هـ) ، الترغيب والترهيب ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٧هـ) .
- ١٧٨- ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ) ، السنن ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر ، بيروت .
- ١٧٩- أبو محمد الاصبهاني عبد الله بن جعفر بن حبان (٣٦٩هـ) ، العظمة ، تحقيق : رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري ، دار العاصمة ، الرياض (١٤٠٨هـ) .
- ١٨٠- أبو محمد الأصبهاني ، طبقات المحدثين بأصبهان ، تحقيق : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .
- ١٨١- ابن منجويه أحمد بن علي بن منجويه أبو بكر (٤٢٨هـ) ، رجال مسلم ، تحقيق : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت (١٤٠٧هـ) .
- ١٨٢- ابن منده محمد بن إسحاق بن يحيى (٣٩٥هـ) ، الأيمان ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٦هـ) .
- ١٨٣- ابن منظور محمد بن مكرم الافريقي (٧١١هـ) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
- ١٨٤- أبو موسى المدني محمد بن عمر (٥٨١هـ) نزهة الحفاظ ، تحقيق : عبد الرضى محمد عبد المحسن ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت (١٤٠٦هـ) .
- ١٨٥- النسائي أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (٣٠٣هـ) ، تسمية فقهاء الأمصار ، تحقيق : محمد إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب (١٣٦٩هـ) .
- ١٨٦- النسائي ، السنن الصغرى (المجتبى) ، تحقيق : د. ضياء الحمن الأعظمي ، مكتبة الدار المدينة المنورة ، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .
- ١٨٧- النسائي ، السنن الكبرى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .
- ١٨٨- النسائي ، الضعفاء والمتروكين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب (١٣٦٩هـ) .
- ١٨٩- النسائي ، عمل اليوم والليلة ، تحقيق : د. فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ٢ ، (١٤٠٦هـ) .
- ١٩٠- النسائي ، فضائل القرآن ، تحقيق : د. فاروق حمادة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ٢ (١٩٩٢هـ) .
- ١٩١- نعيم بن حمادة المروزي (٢٨٨هـ) الفتن ، تحقيق : سمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد ، القاهرة (١٤١٢هـ) .

- ١٩٢- النووي أبو زكريا محي الدين بن يحيى بن شرف بن مري (٦٧٦هـ) تهذيب الأسماء دار الفكر ، بيروت (١٩٩٦م) .
- ١٩٣- النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢ ، (١٣٩٢هـ) .
- ١٩٤- أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط ٤ (١٤٠٥هـ) .
- ١٩٥- أبو نعيم الأصبهاني ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٩٦م) .
- ١٩٧- الهيثمي علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ، دار الريان للتراث ، ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت (١٤٠٧هـ) .
- ١٩٨- الهيثمي ، موارد الظمان ، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- ١٩٩- أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد (٤٧٤هـ) ، التعديل والتجريح ، تحقيق : د. أبو لبابة حسن ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .
- ٢٠٠- هناد بن السري الكوفي (٢٤٣هـ) ، الزهد ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الحي الفريوائي دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت (١٤٠٦هـ) .
- ٢٠١- ابن الهائم المصري (٨٥١هـ) البيان في تفسير غريب القرآن ، تحقيق : د. فتحي أحمد الدابولي ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، القاهرة (١٩٩٢م) .
- ٢٠٢- ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، السيرة النبوية : تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت (١٤١١هـ) .
- ٢٠٣- ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت .
- ٢٠٤- أبو يعلى أحمد بن علي بن المشنى الموصلي التميمي (٣٠٧هـ) ، المسند ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للنشر ، دمشق (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

ملحق بفهرس المصادر والمراجع

- ٢٠٥- أبو أحمد الحاكم محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق (٣٧٨هـ) ، شعار أصحاب الحديث تحقيق : صبحي السامرائي ، دار الخلفاء ، الكويت .
- ٢٠٦- أبو بكر النيسابوري محمد بن إبراهيم بن المنذر (٣١٨هـ) الأوسط ، تحقيق : د. صفيير أحمد محمد حنيف ، دار طيبة ، الرياض (١٤٠٥هـ) .
- ٢٠٧- الجوزجاني إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق (٢٥٩هـ) أحوال الرجال ، تحقيق : صبحي البديري السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٤٠٥هـ) .
- ٢٠٨- الروياني ، محمد بن هارون (٣٠٧هـ) ، المسند ، تحقيق : أيمن علي أبو يماني مؤسسة قرطبة ، القاهرة (١٤١٦هـ) .
- ٢٠٩- أبو المحاسن الحنفي يوسف بن موسى ، معتصر المختصر ، عالم الكتب ، مكتبة المشى بيروت ، القاهرة .
- ٢١٠- السيوطي ، وعبد الغني ، فخر الحسن الدهلوي ، شرح سنن ابن ماجه ، قديمي كتب خانة كراتشي .

سورة هود

سورة هود نزلت بمكة^١، وقد سميت هود ؛ لأنها السورة التي يكثر فيها ذكر هود عليه السلام^٢، وقد كثر من ذكر أحوال الأمم السابقة فيها وبيان حالهم ، وما فعله الله تعالى بهم ، وذلك لمناسبة واقع السورة التي نزلت بمكة ومراعاة حال المخاطبين فيها وبيان ما أعدده الله لهم بسبب كفرهم وما أعدده للمؤمنين به ، ففيها وعد ووعيد وترغيب وترهيب حتى يؤمن الناس برسول الله عليه الصلاة والسلام .

(٣٠٦) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة هود بمكة) ، (٣٠٧)) وأخرج : عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : نزلت سورة هود بمكة))^٣ ، (٣٠٨) ((وأخرج : عن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأوا هود يوم الجمعة) ، (٣٠٩)) وأخرج ابن مردويه : عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب ؟ قال : شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتسألون وإذا الشمس كورت) ، (٣١٠) ((وأخرج : عنه رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله عجل إليك الشيب ؟ قال : شيبتي هود وأخواتها والواقعة والحاقة وعم يتسألون وهل أتاك حديث الغاشية))^٤ .

قال المناوي : (شيبتي هود ، أي : سورة هود وأخواتها ، أي : وأشباهاها من السور التي فيها ذكر أهوال القيامة والعذاب والهموم والأحزان إذا تقاحمت على الإنسان أسرع إليه الشيب قبل أوانه ، قال الزمخشري : مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحناك الغراب وأصبح أبيض الرأس واللحية كالثغامة ، فقال : أريت القيامة والناس يقتادون بسلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ، شيبتي هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت ، يعني : أن اهتمامي بما فيها من أحوال القيامة والحوادث النازلة بالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبت قبل أوان الشيب خوفا على أمتي)^٥ ، أخرج الحديث الأول عن أبي بكر الصديق : سعيد بن منصور^٦ ، والترمذي وقال : (هذا حديث حسن غريب)^٧ ، أبو يعلى^٨ ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)^٩ .

^١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) ، البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٧٢) .

^٢ ينظر : الطبري ، التفسير : (١١ / ١٧٨) ، ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٧٢) .

^٣ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٩٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٧٩) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١١ / ٢٠٢) .

^٤ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٩٦) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٧٩) .

^٥ المناوي ، مصدر سابق : (٤ / ١٦٨) .

^٦ سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ٣٧١) .

^٧ الترمذي ، السنن : (٥ / ٤٠٢) .

^٨ أبو يعلى ، مصدر سابق : (١ / ١٠٢) .

^٩ الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٧٤) .

وأخرج الحديث الثاني عنه رضي الله عنه ، البزار^{١٠} ، وأبو يعلى^{١١} .

ما جاء في قوله تعالى : [ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليهم بذات الصدور] آية : ٥ .

(٣١١) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس أنه قرأ : [ألا إنهم يثنون صدورهم] ، وقال أناس : كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم)^{١٢} .

قال الطبري : (اختلف القراء في قراءة قوله : ألا إنهم يثنون صدورهم ، فقرأته عامة الأمصار : ألا إنهم يثنون صدورهم ، على تقدير : يفعلون من ثبيت والصدور منصوبة ، واختلفت قارئو ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره ، وقال آخرون : بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا أن الله يخفى عليه ما تضره صدورهم إذا فعلوا ذلك ، وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى ، وقال آخرون : إنما هذا إخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة وأنهم معه وعلى دينه يقول جل ثناؤه : ألا إنهم يطؤون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلاانيتهم ، وقال آخرون : كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضا ، والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو : ألا إنهم يثنون صدورهم على مثال يفعلون والصدور نصب بمعنى يحنون صدورهم ويكنونها)^{١٣} ، وقال أبو السعود : (ألا إنهم يثنون صدورهم ، يزورون عن الحق وينحرفون عنه ، أي : يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والإعراض لأن من أعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق ، ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل : ليستخفوا منه ، التجأ إلى إضمار الإرادة حيث قال : ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على إعراضهم وجعله في قود المعنى إليه من قبيل الإضمار قي قوله تعالى : اضرب بعصاك البحر فانفلق ، أي : فاضرب فانفلق ولا يخفى أن انسياق الذهن إلى توسط الإرادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه إلى توسط الضرب بين الأمر به وبين الانفلاق ، ولعل الأظهر أن معناه : يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعبادة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة ، وإنما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره أو إيماء إلى أن ظهوره مغن عن ذكره أو ليذهب ذهن السامع إلى كل ما لا خير فيه من الأمور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق

^{١٠} البزار ، مصدر سابق : (١ / ١٦٩) .

^{١١} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١ / ١٠٢) .

^{١٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٠٠) ، الألويسي ، مصدر سابق : (١١ / ٢١٠) .

^{١٣} الطبري ، التفسير : (١١ / ١٨٣ - ١٨٤) .

الذي ألقى إليهم دخولا أوليا فحينئذ يظهر وجهه كونه ذلك سببا للاستخفاء) ^{١٤} ، وقال ابن الهائم : (يشنون صدورهم ، يطوون ما فيها ، وقرىء : تشنوني صدورهم ، وتقديره : تفوعل وهي للمبالغة ، وقيل : إن قوما من المشركين قالوا : إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا بشيانا وثينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم بنا ، فأبأ الله عز وجل عما كتموه : ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ^{١٥} ، وقد أشار الحديث إلى استحياهم من الله تعالى وخجلهم منه عز وجل .
أخرج الحديث : سعيد بن منصور ^{١٦} ، والبخاري ^{١٧} .

ما جاء في قوله تعالى : [وهو الذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَلُوكُمْ أُيُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلئن قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] آية : ٧ .
(٣١٢) (أخرج ابن مردويه : عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال أهل اليمن : يا رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال : كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض فنادى مناد : ذهب ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لو ددت أني كنت تركتها) ^{١٨} .

(٣١٣) (وأخرج : عن أبي رزين ^{١٩} رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء) ^{٢٠} .

قال البيهقي : (قوله : كان الله قبل كل شيء ، يدل على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وكل ذلك إخبار ، وقوله : وكان عرشه على الماء ، يعني به : خلق الماء وخلق العرش على الماء) ^{٢١} ، وقال ابن حجر : (فيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما ، قوله : وكان عرشه على الماء ، معناه : أنه خلق الماء سابقا ثم خلق العرش على الماء ، ثم صرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش ، لكن أشار بقوله : وكان عرشه على الماء ، إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء ومحصل الحديث أن مطلق قوله ، وكان عرشه على

^{١٤} أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ١٨٥) .

^{١٥} ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٣٢ - ٢٣٣) .

^{١٦} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ٣٣٨) .

^{١٧} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٢٣) .

^{١٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٠٣) .

^{١٩} لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري أبو رزين إذنه وافد بني المنتفق ، روى عنه ابن أخيه وكيع بن عدس وعبد الله بن حاجب وعمرو بن أوس الثقفي ، ذهب علي بن المديني وخليفة بن خياط وابن أبي خيثمة ومحمد بن سعد ومسلم والبعوي والدارمي والباوردي وابن قانع وغيرهم إلى لقيط بن صبرة المذكور قبله ، وقال ابن معين : أنهما واحد وأن من قال لقيط بن عامر نسبة لجدده وإنما هو لقيط بن صبرة ، ينظر : ابن سعد ، مصدر سابق : (٥ / ٥١٨) ، ابن حجر ، الإصابة : (٥ / ٦٨٦) .

^{٢٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٠٣) .

^{٢١} البيهقي ، الاعتقاد : (٩٢) .

الماء مقيد بقوله : ولم يكن شيء غيره ، والمراد بكان في الأول الأزلية وفي الثاني الحدوث بعد العدم) ^{٢٢} ،
وقوله في الحديث الثاني : (عماء) ، قال أبو حاتم : (في عماء يريد به أن الخلق لا يعرفون خالقهم من
حيث هم إذ كان ولا زمان ولا مكان ومن لا يعرف له زمان ولا مكان ولا شيء معه لأنه خالقها كان معرفة الخلق
إياه كأنه كان في عماء عن علم الخلق لا أن الله كان في عماء إذ هذا الوصف شبيه بأوصاف المخلوقين) ^{٢٣} ، و
(قال يزيد بن هارون : العماء ، أي : ليس معه شيء) ^{٢٤} ، وقال ابن عبد البر : (في عماء فوقه هواء وتحتة هواء
، والهواء في قوله : فوقه وتحتة راجعة إلى العماء ، وقال أبو عبيد : العماء هو الغمام وهو ممدود ، وقال ثعلب :
هو عما مقصور ، أي : في عما عن خلقه والمقصود الظلم) ^{٢٥} .
أخرج الحديث عن عمران بن حصين : البخاري ^{٢٦} ، وابن حبان ^{٢٧} ، والبيهقي ^{٢٨} .
وأخرج الحديث عن أبي رزين : الترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن) ^{٢٩} ، وابن ماجه ^{٣٠} ، وابن حبان ^{٣١} ،
والهيشمي ^{٣٢} .

ما جاء في قوله تعالى : [ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يُعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين] آية : ١٨ .
(٣١٤) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عمر رضي الله عنهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن
الله يدني المؤمن حتى يضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب
كذا ؟ فيقول : أي رب أعرف ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال : فإني قد سترتها عليك
في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون ، فيقول الأشهاد : هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) ^{٣٣} .
في الآية تقرير عن الظالمين الذين يفترون على الله الكذب ، وأن جميع الخلق يوم القيامة تلعنهم وتدعو عليهم
بالطرد من رحمته سبحانه ، قال البيضاوي : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، كأن أسند إليه ما لم ينزله أو

^{٢٢} ابن حجر ، فتح الباري : (٦ / ٢٨٩) .

^{٢٣} ابن حبان ، الصحيح : (٩ / ١٤) .

^{٢٤} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٨٨) .

^{٢٥} ابن عبد البر ، التمهيد : (٧ / ١٣٨) .

^{٢٦} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١١٦٦) ، (٦ / ٢٦٩٩) .

^{٢٧} ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ١١) .

^{٢٨} البيهقي ، السنن الكبرى : (٩ / ٢) .

^{٢٩} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٨٨) .

^{٣٠} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٦٤) .

^{٣١} ابن حبان ، الصحيح : (٩ / ١٤) .

^{٣٢} الهيشمي ، موارد الظمان : (٤٠) .

^{٣٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤١٢) .

نفى عنه ما أنزله ، أولئك ، أي : الكاذبون ، يعرضون على ربهم ، في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ، ويقول : الأَشْهاد ، من الملائكة والنبیین أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف جمع شريف ، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ، تهويل عظيم مما يحق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله)^{٣٤} ، وقد أشار الحديث إلى ستر رب العزة لذنوب عباده المؤمنين الذين تابوا وأنابوا إليه دون غيرهم من الكفار والمنافقين ، قال ابن حجر : (إن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره ، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس من الله عليه بستره إياه ، وأن الأَشْهاد جمع شاهد مثل أصحاب وصاحب وهو أيضا جمع شهيد كشريف وأشراف ، قال المهلب : في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كفه وستره أحدا إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادى عليهم على رءوس الأَشْهاد باللعنة)^{٣٥} .

أخرج الحديث : ابن أبي شيبة^{٣٦} ، والإمام أحمد^{٣٧} ، وعبد بن حميد^{٣٨} ، والبخاري^{٣٩} ، وأبو أمية الطرسوسي^{٤٠} ، والنسائي^{٤١} ، وابن ماجه^{٤٢} ، وابن حبان^{٤٣} .

ما جاء في قوله تعالى : [قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ] آية : ٨٠ .

(٣١٥) ((أخرج ابن مردويه : عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله : [أو آوي إلى ركن شديد] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله لوطا كان يأوي إلى ركن شديد ، يعني : الله تعالى ، فما بعث الله بعده نبيا إلا في ثروة من قومه) ، (٣١٦) (وأخرج : عنه رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يغفر الله للوط ، إنه كان ليأوي إلى ركن شديد))^{٤٤} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاءوا له من طلب الفاحشة وأيس من أن يستجيبيوا له إلى شيء مما عرض عليهم : لو أن لي بكم قوة بأنصار تنصرنى عليكم وأعوان تعينني ، أو آوي إلى ركن شديد ، يقول : أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني

^{٣٤} البيضاوي ، مصدر سابق : (٢٢٨ / ٣) .

^{٣٥} ابن حجر ، فتح الباري : (٤٨٨ / ١٠) .

^{٣٦} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦٤ / ٧) .

^{٣٧} الإمام أحمد ، المسند : (٧٤ / ٢) .

^{٣٨} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٢٦٦) .

^{٣٩} البخاري ، الصحيح : (٨٦٢ / ٢) ، (١٧٢٥ / ٤) .

^{٤٠} أبو أمية الطرسوسي ، مصدر سابق : (٢٨) .

^{٤١} النسائي ، السنن الكبرى : (٣٦٤ / ٦) .

^{٤٢} ابن ماجه ، السنن : (٦٥ / ١) .

^{٤٣} ابن حبان ، الصحيح : (٣٥٤ / ١٦) .

^{٤٤} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٥٩ - ٤٦٠) .

في أضيافي ، وحذف جواب لو لدلالة الكلام عليه وأن معناه مفهوم^{٤٥} ، وقال البغوي : (لو أن لي بكم قوة ، أراد قوة البدن والقوة بالأتباع ، أو آوى إلى ركن شديد ، أي : انضم إلى عشيرة مانعة ، وجواب لو مضمرة ، أي : لقتلناكم وحلنا بينكم وبينهم)^{٤٦} ، وقد بين الحديثان أن لوطا عليه السلام إنما كان قد آوى إلى الله عز وجل فكان هو الركن الشديد الصلب الذي دمر كل الكفار وهزمهم وفي النار جعل مصيرهم .
أخرج الحديث الأول : الإمام أحمد^{٤٧} ، والبخاري^{٤٨} ، وابن حبان^{٤٩} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٥٠} .
وأخرج الحديث الثاني : سعيد بن منصور^{٥١} ، والإمام أحمد^{٥٢} ، والبخاري^{٥٣} ، ومسلم^{٥٤} .

ما جاء في قوله تعالى : [وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم أليم شديد] آية : ١٠٢ .
(٣١٧) (أخرج ابن مردويه : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله سبحانه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ : [وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم أليم شديد])^{٥٥} .

يبين رب العزة أنه يعطي الوقت والفرصة من أجل الإصلاح ، لكنه إذا أخذ الظلمة فإن أخذه لهم قوي شديد أليم ليس فيه لين بعد الذي كان من إعطائه الفرصة لهم ، قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب على خلافهم أمري وتكذيبهم رسلي وجحودهم آياتي فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله وإشراكهم به غيره وتكذيبهم رسله ، إن أخذه أليم ، يقول : إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم ، يقول : موجه شديد الإيذاء وهذا أمر من الله تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة فيحل بهم ما حل بهم من المثالات)^{٥٦} ، فلا يظن الظالم أن تركه على ظلمه رضا من الله تعالى عليه وعلى فعلته إنما رب العزة يملي له حتى يرجع عن ظلمه ويتوب إلى ربه ، فأن لم يفعل : إن أخذه أليم شديد ، قال

^{٤٥} الطبري ، التفسير : (١٢ / ٨٦) .

^{٤٦} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٩٥) .

^{٤٧} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٨٤) .

^{٤٨} البخاري ، الأدب المفرد : (٢١٢) .

^{٤٩} ابن حبان ، الصحيح : (١٤ / ٨٦ - ٨٧) .

^{٥٠} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٦١١) .

^{٥١} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ٣٥٤) .

^{٥٢} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٢٢) .

^{٥٣} البخاري ، الصحيح : (٣ / ١٢٣٥) .

^{٥٤} مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٨٤٠) .

^{٥٥} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٧٤) .

^{٥٦} الطبري ، التفسير : (١٢ / ١١٤) .

المباركفوري : (قوله : إن الله تبارك وتعالى يملي : من الإملاء ، أملاه الله أمهله ، حتى إذا أخذه لم يفلته ، بضم أوله من الإفلات ، أي : لم يخلصه أن إذا أهلكه لم يرفع عنه الهلاك ، وهذا على تفسير الظلم بالشرك على إطلاقه بما هو أعم ، فيحمل كل على ما يليق به وكذلك أي مثل ذلك الأخذ ، أخذ ربك ، قرىء على أنه فعل وعلى أنه مصدر إذا أخذ القرى أريد أهلها ، والمعنى : وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة كذلك نفعل بأشباههم وهي ظالمة بالذنوب ، أي : فلا يغني عنهم من أخذه شيء)^{٥٧} .
أخرج الحديث : البخاري^{٥٨} ، ومسلم^{٥٩} ، والترمذي^{٦٠} ، والنسائي^{٦١} ، وابن ماجه^{٦٢} ، والبخاري^{٦٣} ، وأبو يعلى^{٦٤} ، والبيهقي^{٦٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً ممت الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين] آية : ١١٤ .

(٣١٨) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني وجدت امرأة في البستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك فافعل بي ما شئت ، فلم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فذهب الرجل فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ، فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فقال : ردوه عليه ، فردوه فقراً عليه : [وأقم الصلاة طرفي النهار] ، الآية ، فقال معاذ بن جبل : يا رسول الله أله وحده أم للناس كافة ؟ فقال : بل للناس كافة) ، (٣١٩) (وأخرج : عن أبي أمامة رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين ، فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال : أين الرجل ؟ قال : أنا ذا ، قال : أتممت الوضوء وصليت معنا آنفاً ؟ قال : نعم ، قال : فإنك من خطيئتك كما ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : [وأقم الصلاة طرفي النهار] ، الآية))^{٦٦} .
قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : وأقم الصلاة يا محمد يعني صل طرفي النهار يعني الغداة والعشي واختلف أهل التأويل في التي عنيت بهذه الآية من صلوات العشي بعد إجماع جميعهم على أن التي

^{٥٧} المباركفوري ، مصدر سابق : (٨ / ٤٢١ - ٤٢٢) .

^{٥٨} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٢٦) .

^{٥٩} مسلم ، الصحيح : (٤ / ١٩٩٧) .

^{٦٠} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٨٨) .

^{٦١} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٦٥) .

^{٦٢} ابن ماجه ، السنن : (٢ / ١٣٣٢) .

^{٦٣} البخاري ، مصدر سابق : (٨ / ١٦٢) .

^{٦٤} أبو يعلى ، مصدر سابق : (١٣ / ٣٠٧) .

^{٦٥} البيهقي ، السنن الكبرى : (٦ / ٩٤) ، شعب الإيمان : (٦ / ٤٩) .

^{٦٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٨٢) ، وينظر : الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٥٣٢) .

عنت من صلاة الغداة الفجر وقال بعضهم : عنت بذلك صلاة الظهر والعصر قالوا وهما من صلاة العشي ، وقال آخرون : بل عني بها صلاة المغرب ، وقال آخرون : عني بها صلاة العصر ، وقال بعضهم : بل عني بطرفي النهار الظهر والعصر ويقولون زلفا من الليل المغرب والعشاء والصبح ، وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هي صلاة المغرب ؛ لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر وهي تصلى قبل طلوع الشمس فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعا أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب لأنها تصلى بعد غروب الشمس ولو كان واجبا أن يكون مرادا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس وجب أن يكون مرادا بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها وذلك ما لا نعلم قائلًا قاله ، وأما قوله : وزلفا من الليل : فإنه يعني : ساعات من الليل وهي جمع زلفة والزلفة الساعة والمنزلة والقربة ، وقيل : إنما سميت المزلفة وجمع من ذلك لأنها منزل بعد عرفة ، وقيل : سميت بذلك لآزدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها ^{٦٧} وقال أبو السعود : (وأقم الصلاة طرفي النهار ، أي : غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا إلى الوقت ، وزلفا من الليل ، أي : ساعات منه قريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتهما صلاة الغداة والعصر ، وقيل : الظهر موضع العصر لأن ما بعد الزوال عشي وبصلاة الزلف المغرب والعشاء ، إن الحسنات ، التي من جملتها بل عمدتها ما أمرت به من الصلوات ، يذهب السيئات ، التي قلما يخلو منها البشر ، أي : يكفرنها ، ذلك ذكرى للذاكرين ، أي : عظة للمتعظين) ^{٦٨} ، و (قال أبو حاتم رضي الله عنه : العرب تذكر الشيء إذا احتوى اسمه على أجزاء وشعب فتذكر جزءا من تلك الأجزاء باسم ذلك الشيء نفسه ، فلما كانت المحظورات كلها مما نهى المرء عن ارتكابها واشتمل عليها اسم المعصية وكان الزنى منها يوجب الحد على مرتكبها يتسلق منها إليه أطلق اسم كليته على سببه الذي هو القبلة واللمس دون الجماع) ^{٦٩} .

أخرج الحديث عن ابن مسعود : الطيالسي ^{٧٠} ، وعبد الرزاق ^{٧١} ، والإمام أحمد ^{٧٢} ، والبخاري ^{٧٣} ، ومسلم ^{٧٤} ، والترمذي ^{٧٥} ،

^{٦٧} الطبري ، التفسير : (١٢ / ١٢٨ - ١٢٩) .

^{٦٨} أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ٢٤٥ - ٢٤٦) .

^{٦٩} ابن حبان ، الصحيح : (١٧ / ٥) .

^{٧٠} الطيالسي ، مصدر سابق : (٣٧) .

^{٧١} عبد الرزاق ، المصنف : (٧ / ٤٤٥ - ٤٤٦) .

^{٧٢} الإمام أحمد ، المسند : (١ / ٤٣٠) .

^{٧٣} البخاري ، الصحيح : (١ / ١٩٦) .

^{٧٤} مسلم ، الصحيح : (٤ / ٢١١٦) .

^{٧٥} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٨٩) .

والنسائي^{٧٦}، وابن ماجه^{٧٧}، والطبراني^{٧٨}، وابن حبان^{٧٩}، والبيهقي^{٨٠}.
وأخرج الحديث عن أبي أمامة : الطبراني^{٨١}، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود المتقدم .

^{٧٦} النسائي ، السنن الكبرى : (٤ / ٣١٧) .

^{٧٧} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٤٤٧) .

^{٧٨} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٠ / ٢٣٠) .

^{٧٩} ابن حبان ، الصحيح : (٥ / ١٩) .

^{٨٠} البيهقي ، السنن الكبرى : (٨ / ٢٤١) ، شعب الإيمان : (٣ / ٤٣) .

^{٨١} الطبراني ، المعجم الكبير : (٨ / ١٦٠) .

سورة يوسف عليه السلام نزلت بمكة^١، وهي مكية بالإجماع^٢، وقد سُميت بسورة يوسف لأنها السورة التي يذكر فيها سيدنا يوسف عليه السلام ويذكر فيها قصته وما جرى له فيها^٣، قال البغوي : (سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدنيا من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد ، قال خالد بن معدان : سورة يوسف وسورة مريم عليهم السلام ينفكه بهما أهل الجنة في الجنة ، وقال ابن عطاء : لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون إلا استراح إليها)^٤ .

(٣٢٠) ((أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة يوسف بمكة) ، (٣٢١)) وأخرج : عن ابن الزبير رضي الله عنه قال : أنزلت سورة يوسف بمكة))^٥ .

ما جاء في قوله تعالى : [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] آية : ٢ .

(٣٢٢) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب العرب لثلاث ؛ لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي)^٦ .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب ؛ لأن لسانهم وكلامهم عربي فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه وذلك قوله عز وجل : لعلكم تعقلون)^٧، وقال القرطبي : (قوله تعالى : إنا أنزلناه قرآنا عربيا ، يجوز أن يكون المعنى : إنا أنزلنا القرآن عربيا نصب قرآنا على الحال ، أي : مجموعا وعربيا نعت لقوله قرآنا ، ويجوز أن يكون توطئة للحال كما تقول : مررت بزيد رجلا صالحا ، وعربيا على الحال ، أي : يقرأ بلغتكم يا معشر العرب أعرب بين ومنه الثيب تعرب عن نفسها ، لعلكم تعقلون ، أي : لكم تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وبعض العرب يأتي بأن مع لعل تشبيها بعسى واللام في لعل زائدة للتوكيد ، وقيل : لعلكم تعقلون ، أي : لتكونوا على رجاء من تدبره فيعود معنى الشك إليهم لا إلى الكتاب ولا إلى الله عز وجل)^٨، وقال ابن كثير : (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل

^١ ينظر : ابن شهاب الزهري ، مصدر سابق : (٢٧) ، القرطبي ، مصدر سابق : (٩ / ١١٨) ، ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٤٦٧) .

^٢ ينظر : ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ١٧٦) .

^٣ ينظر : الطبري ، التفسير : (١٢ / ١٤٨) .

^٤ البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٠٨) .

^٥ السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٩٤) .

^٦ المصدر السابق : (٤ / ٤٩٦) .

^٧ الطبري ، التفسير : (١٢ / ١٤٩) .

^٨ القرطبي ، مصدر سابق : (٩ / ١١٨ - ١١٩) .

بسفارة الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وابتدأ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمّل من كل الوجوه ولهذا قال : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن^٩ ، وقال البيضاوي : (إنا أنزلناه ، أي : الكتاب ، قرآنا عربيا ، سمي البعض قرآنا لأنه في الأصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما لكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه إما توطئه للحال التي هي عربيا أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف ، لعلكم تعقلون ، علة لإنزاله بهذه الصفة ، أي : أنزلناه مجموعا أو مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه أو تستعلموا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلى بالإيحاء)^{١٠} ، وقد أشار الحديث إلى لغة القرآن الكريم العربية ووصفها بأنها أجمل لغة وهي محببة في النفوس لأنها لغة القرآن ولغة أهل الجنة ، وقد أحب النبي صلى الله عليه وسلم العرب لتلك الأسباب التي كانت في لغتهم ، وقال المناوي : (أحب العرب لأجل خصال ثلاث امتازت بها ، لأني عربي والقرآن عربي قال تعالى : [لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين الشعراء : ١٩٤ ، وأعظم بهذه من منة إذ لو كان أعجميا لكان نازلا دون القلب لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا تكلم بلغته التي لقيها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن إقباله إلا على معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفتن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهرا فيها خبيرا بمعرفتها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها ، وفي الحديث إشعار بأنه لا يجوز قراءة القرآن بغير اللسان العربي)^{١١} .

أخرج الحديث : الطبراني^{١٢} ، والحاكم^{١٣} ، والبيهقي ، وقال : (تفرد به العلاء بن عمرو عن يحيى بن يزيد)^{١٤} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال : ولسان أهل الجنة عربي ، وفيه العلاء بن عمر الحنفي وهو مجمع على ضعفه)^{١٥} .

ما جاء في قوله تعالى : [إذ قال يُوسُفُ لأبيه يا أبتِ إنِّي رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباَ والشمسَ والقمرَ رأيتُهُم لي ساجدينَ] آية : ٤ .

((٣٢٣)) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [إنني رأيت أحد عشر كوكبا] ، قال : رؤيا الأنبياء وحي) ، ((٣٢٤)) (وأخرج : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء بستاني يهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام ساجدة له ما أسماؤها

^٩ ابن كثير ، التفسير : (٢ / ٤٦٧) .

^{١٠} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٢٧١) .

^{١١} المناوي ، مصدر سابق : (١ / ١٧٨) .

^{١٢} الطبراني ، المعجم الأوسط : (٥ / ٣٦٩) ، المعجم الكبير : (١١ / ١٨٥) .

^{١٣} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٩٧) .

^{١٤} البيهقي ، شعب الإيمان : (٢ / ٢٣٠) .

^{١٥} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (١٠ / ٥٢) .

؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بشيء ، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البستاني اليهودي فقال : هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم ، قال : حرثان والطارق والذيال وذو الكفتان وقابس ودثان وهودان والفيلق والمصبح والضروح والفريخ والضياء والنور رآها في أفق السماء ساجدة له فلما قص يوسف على يعقوب قال : هذا أمر مشئت يجمعه الله من بعد ، فقال اليهودي : أي والله إنها لأسمائها ((^{١٦} .

قال البغوي : (إذ قال ليوسف لأبيه ، أي : اذكر إذ قال يوسف لأبيه ، ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري عليه الصرف ، وقيل : هو عربي سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف فقال : الأسف في اللغة الحزن والأسيف العبد واجتمع في يوسف عليه السلام فسمي به ، إني رأيت أحد عشر كوكبا ، أي : نجما من نجوم السماء ، ونصب الكواكب على التفسير ، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، ولم يقل : رأيتها إلي ساجدات والهاء والميم والياء والنون من كنايات من يعقل لأنه لما أخبر عنها بفعل من عبر عنها بكناية من يعقل ، وكان النجوم في التأويل أخوته كانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم ، والشمس أبوه والقمر أمه ، قال قتادة والسدي : القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت ، وقال ابن جريح : القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر ، وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا ، وقيل : رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على أبيه قال : يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك وذلك أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحى فعلم يعقوب أن أخوته إذا سمعوا حسدوا فأمره بالكتمان)^{١٧} ، وقال أبو السعود : (إذ قال يوسف ، نصب بإضمار أذكر وشروع في القصة إنجازا للوعد بأحسن الإقتصاص ، ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرهما على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على أنه مضارع بني للمفعول أو الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته ، لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، إني رأيت ، من الرؤيا لا من الرؤية لقوله : لا تقصص رؤياك ، هذا تأويل رؤياي ، ولأن الظاهر أن وقوع مثل هذه الأمور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من الناس ، أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ، وإنما أخرج الشمس والقمر عن الكواكب لإظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ، وقد جوز أن تكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة إلى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لأخوته)^{١٨} ، وقال البيضاوي : (رأيتهم لي ساجدين ، استئناف لبيان حالهم التي رأهم عليها ، فلا تكرير ، وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم)^{١٩} ، وفي هذا إشارة إلى الحال التي كانت

^{١٦} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٤٩٨ - ٤٩٩) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٦ / ٣) .

^{١٧} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٠٩) .

^{١٨} أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ٢٥١) .

^{١٩} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٢٧٣) .

فيما بعد من مجيئهم إلى يوسف وركوعهم إليه كما يفعل للأمرء والملوك وهذا ما كان في ذلك الوقت من الانحناء لتعظيم الملوك والأمراء والوزراء .

أخرج الحديث عن ابن عباس : الترمذي^{٢٠} ، والطبراني^{٢١} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٢٢} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن أبي مريم وهو ضعيف ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح)^{٢٣} ، وللحديث شاهد من حديث عبيد بن عمير^{٢٤} .
وأخرج الحديث عن جابر : سعيد بن منصور^{٢٥} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٢٦} .

ما جاء في قوله تعالى : [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] آية : ٢٢ .
(٣٢٥) (وأخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : [ولما بلغ أشده] ، قال : ثلاثا وثلاثين سنة)^{٢٧} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : لما بلغ يوسف أشده ، يقول : لما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحده وذلك فيما بين ثماني عشرة إلى ستين سنة وقيل إلى أربعين سنة ، وقد اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله به في هذا الموضع من مبلغ الأشد ، فقال بعضهم : عنى به ثلاث وثلاثون سنة ، وقال آخرون : بل عنى به عشرون سنة ، وروي عن ابن عباس من وجه غير مرضي أنه قال : ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين ، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكما وعلما ، والأشد هو انتهاء قوته وشبابه ، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ولا دلالة في كتاب الله ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في إجماع الأمة على أي ذلك كان ، وإذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذي ذكرت فالصواب أن يقال فيه كما قال عز وجل حتى تثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له فيسلم لها حينئذ ، وقوله : آتيناه حكما وعلما ، يقول تعالى ذكره : أعطيناه حينئذ الفهم والعلم)^{٢٨} ، وقال ابن الجوزي : (وللمفسرين في الأشد ثمانية أقوال ، أحدها : أنه ثلاث وثلاثون سنة رواه ابن جبير عن ابن عباس ، والثاني : ما بين ثماني عشرة إلى

^{٢٠} الترمذي ، السنن : (٥ / ٦٢٠) .

^{٢١} الطبراني ، المعجم الكبير : (١٢ / ٦) .

^{٢٢} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٤٣٨) .

^{٢٣} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ١٧٦) .

^{٢٤} أخرجه : الحميدي ، مصدر سابق : (١ / ٢٢٤) ، البخاري ، الصحيح : (١ / ٦٤) ، (١ / ٢٩٣) .

^{٢٥} سعيد بن منصور ، مصدر سابق : (٥ / ٣٧٦) .

^{٢٦} الحاكم ، المستدرک : (٤ / ٤٣٨) .

^{٢٧} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥١٨) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٣ / ١٥) .

^{٢٨} الطبري ، التفسير : (١٢ / ١٧٦) .

ثلاثين سنة قاله أبو صالح عن ابن عباس ، والثالث : أربعون سنة روي عن عائشة ، والرابع : ثماني عشرة سنة قاله سعيد بن جبير ومقاتل ، والخامس : خمس وعشرون سنة قاله عكرمة ، والسادس : أربع وثلاثون سنة قاله سفيان الثوري ، والسابع : ثلاثون سنة قاله السدي والثامن : بلوغ الحلم قاله زيد بن أسلم والشعبي ويحيى بن يعمر وربيعه ومالك بن أنس وهو الصحيح وذلك نهاية الأشد وهذا ابتداء تمامه ، آتيناه حكما وعلمنا ، فيه أربعة أقوال ، أحدها : أنه الفقه والعقل قاله مجاهد ، والثاني : النبوة قاله ابن السائب ، والثالث ، أنه جعل حكيمًا قاله الزجاج قال : وليس كل عالم حكيمًا إنما الحكيم العالم المستعمل علمه الممتنع به من استعمال ما يجهل فيه ، والرابع : أنه الإصابة في القول ذكره الثعلبي ، قال اللغويون : الحكم عند العرب ما يصرف عن الجهل والخطأ ويمنع منهما ويرد النفس عما يشينها ويعود عليها بالضرر ، وأصل أحكمت في اللغة منعت وسمي الحاكم حاكما لأنه يمنع من الظلم والزيغ ، وفي المراد بالعلم هاهنا قولان ، أحدهما : الفقه ، والثاني : علم الرؤيا ، وكذلك نجزي المحسنين ، أي : ومثل ما وصفنا من تعلم يوسف وحراسته نشيب من أحسن عمله واجتنب المعاصي فننجيه من الهلكة ونستنفذه من الضلالة فنجعله من أهل العلم والحكمة كما فعلنا بيوسف ، وفي المراد بالمحسنين هاهنا ثلاثة أقوال ، أحدها : الصابرون على النوائب ، والثاني : المهتدون رويًا عن ابن عباس ، والثالث : المؤمنون ^{٢٩} ، فالأشد منتهى الشباب والقوة والحيوية التي يعيشها الإنسان ، وقد أشار الحديث إلى أن الأشد هو سن الثلاث والثلاثين ، والله أعلم ، وقد أخرج الحديث الطبري ^{٣٠} .

ما جاء في قوله تعالى : [فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم] الآية :

٣١

(٣٢٦) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس في قوله : [وأعدت لهن متكئا] ، قال : أعطتهن أترنجا وأعطت كل واحدة منهن سكيناً فلما رأين يوسف أكبرنه وجعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترنج) ^{٣١} .

(٣٢٧) (وأخرج : عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعطي يوسف وأمه شطر الحسن) ^{٣٢} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة ما ذكره الله عز وجل عنهن ، أعدت ، أفعلت من العتاد وهو العدة ، ومعناه : أعدت لهن متكئا يعني مجلسا للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وهو مفتعل من قول القائل اتكأت يقال ألق له متكئا يعني ما يتكئ عليه ، ثم فسر بعضهم المتكئا بأنه الطعام على وجه الخبر عن الذي أعد من أجله المتكئا وبعضهم عن الخبر عن الأترج إذ كان

^{٢٩} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ١٩٩ - ٢٠٠) .

^{٣٠} الطبري ، التفسير : (١٢ / ١٧٧) .

^{٣١} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٢٩) .

^{٣٢} المصدر السابق : (٤ / ٥٣١) .

في الكلام ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، لأن السكين إنما تعد للأترج وما أشبهه مما يقطع به)^{٣٣} ، وقال أبو السعود : (فلما سمعت بمكرهن ، باغتيابهن وسوء قالهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكر لكونه خفية منها كمكر الماكر وإن كان ظاهراً لغيرها ، وقيل : استكتمت سرها فأفشينه عليها ، وقيل : إنما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ، أرسلت إليهن ، تدعوهن ، قيل : دعت أربعين امرأة ، وأعدت ، أي : أحضرت وهيأت لهن متكاً ، أي : ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد أو رتبت لهن مجلس طعام وشراب لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشارب والحديث كعادة المترفين ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين أيديهن وقرب إليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع أيديهن ، وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وإعمالها فيما بأيديهن من الفواكه وأضرابها ، أخرج عليهن ، أي : ابرز لهن ، فلما رأينه ، أي : فخرج عليهن فرأينه ، أكبرنه ، عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وقيل : معنى أكبرن حضن والهاء للسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عليه السلام على حذف اللام ، أي : حضن له من شدة الشبق ، وقطعن أيديهن ، أي : جرحتها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتیاد حتى لم يعلمن ما فعلن ، وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يباليين بذلك ولم يشعروا به ، وقلن حاش لله ، تنزيهاً له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجباً من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع ، ما هذا بشراً ، أي : بعبد مشتري لئيم ، نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ، إن هذا إلا ملك كريم ، بناء على ما ركز في العقول من أن لا حي أحسن من الملك كما ركب فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال)^{٣٤} ، وقال البخاري : (قال فضيل عن حصين عن مجاهد متكاً الأترج ، قال فضيل : الأترج بالحشية متكاً ، وقال ابن عيينة عن رجل عن مجاهد : متكاً كل شيء قطع بالسكين ، والمتكاً ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام ، وأبطل الذي قال الأترج ، وليس في كلام العرب الأترج)^{٣٥} .

أخرج الحديث عن ابن عباس : الطبري^{٣٦} ، وأخرج الحديث عن أنس : ابن أبي شيبه^{٣٧} ، والإمام أحمد^{٣٨} ،

^{٣٣} الطبري ، التفسير : (١٢ / ٢٠١ - ٢٠٢) .

^{٣٤} أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ٢٧١ - ٢٧٢) .

^{٣٥} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٢٧) .

^{٣٦} الطبري ، التفسير : (١٢ / ٢٠٤) .

^{٣٧} ابن أبي شيبه ، مصدر سابق : (٤ / ٤٢) .

^{٣٨} الإمام أحمد ، المسند : (٣ / ٢٨٦) .

وأبو يعلى^{٣٩}، والحاكم، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٤٠}، وفي حديث أنس عند مسلم في ليلة المعراج إلى السماء شاهد لهذا الحديث^{٤١} .

ما جاء قوله تعالى: [واتبعت ملة آباءي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون] آية: ٣٨ .

(٣٢٨) (أخرج ابن مردويه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)^{٤٢} .

في الآية الدليل على نسب سيدنا يوسف عليه السلام وأنه من نسب إبراهيم عليه السلام، ثم أشارت الآية إلى أن ملة هؤلاء الأنبياء هي ملة التوحيد التي أمر الله تعالى بها فقال: ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، فدل على أن دعوتهم واحدة وهي عبادة الله وحده ونبذ ما يعبد من دونه، قال البغوي: (واتبعت ملة آباءي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أظهر أنه من أولاد الأنبياء، ما كان لنا، ما ينبغي لنا أن نشرك بالله من شيء معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك، وذلك التوحيد والعلم من فضل الله، علينا وعلى الناس، ما بين لهم من الهدى، ولكن أكثر الناس لا يشكرون)^{٤٣}، وقد أشار الحديث إلى آبائه عليهم الصلاة والسلام .

أخرج الحديث: الإمام أحمد^{٤٤}، والبخاري^{٤٥}، والترمذي^{٤٦}، وأبو يعلى^{٤٧}، والطبراني^{٤٨}، وابن حبان^{٤٩}، والحاكم، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٥٠} .

ما جاء في قوله تعالى: [وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فسله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم] آية: ٥٠ .

(٣٢٩) ((أخرج ابن مردويه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: [فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن]، فقال: لو كنت أنا

^{٣٩} أبو يعلى، مصدر سابق: (٦ / ١٠٧) .

^{٤٠} الحاكم، المستدرک: (٢ / ٦٢٢) .

^{٤١} مسلم، الصحيح: (١ / ١٤٦) .

^{٤٢} السيوطي، الدر المنثور: (٤ / ٥٣٨) .

^{٤٣} البغوي، مصدر سابق: (٢ / ٤٢٦) .

^{٤٤} الإمام أحمد، المسند: (٢ / ٤١٦) .

^{٤٥} البخاري، الأدب المفرد: (٣٠٨) .

^{٤٦} الترمذي، السنن: (٥ / ٢٩٣) .

^{٤٧} أبو يعلى، مصدر سابق: (١٠ / ٣٣٨) .

^{٤٨} الطبراني، المعجم الأوسط: (٣ / ١١٦) .

^{٤٩} ابن حبان، الصحيح: (١٣ / ٩٢) .

^{٥٠} الحاكم، المستدرک: (٢ / ٦٢٣) .

لأسرعت الإجابة ، وما ابتغيت العذر) ، (٣٣٠) وأخرج : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له حيث أرسل إليه ليستفتى في الرؤيا وإن كنت أنا لم أفعل حتى أخرج ، وعجبت من صبره وكرمه والله يغفر له أتى ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره ولو كنت أنا لبادرت الباب ولكنه أحب أن يكون له العذر)^{٥١} .

بعد ما كان من رؤيا الملك لرؤياه وتذكر ساقيه ما كان من أمر يوسف عليه السلام في السجن وتفسيره رؤياه ، ذهب إليه إلى السجن ليعرف منه ما كان من رؤيا الملك واخبره خبر الرؤيا دعاه الملك فأبى أن يحضر إلا بعد الوقوف على حقيقته وحقيقة سجنه وكان الذي كان من أمره بتقدير الله عز وجل ، قال البيضاوي : (وقال الملك اثنتوني به ، بعد ما جاءه الرسول بالتعبير ، فلما جاءه الرسول ليخرجه ، قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقيح أمره ، وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعه)^{٥٢} ، وقد أشار حديثا الآية إلى صبره وتحمله في سبيل الله وإلى اجتهاده في دفع الظلم عن نفسه والدفاع عنها .

أخرج الحديث عن أبي هريرة : الإمام أحمد^{٥٣} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)^{٥٤} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو وهو حسن الحديث)^{٥٥} . وأخرج الحديث عن ابن عباس : الطبراني^{٥٦} ، والديلمي^{٥٧} ، والهيثمي ، وقال : (رواه الطبراني ، وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك)^{٥٨} .

ما جاء في قوله تعالى : [قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] آية : ٩٨ .
(٣٣١) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع الله بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك ؟ قال : أجل يا رسول الله فعلمني ، قال : إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم ثلث الليل الأخير فإنه ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخي يعقوب لبيه : [سوف

^{٥١} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٤٨) .

^{٥٢} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ٢٩٣) .

^{٥٣} الإمام أحمد ، المسند : (٢ / ٣٤٦) .

^{٥٤} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٢٦٣) .

^{٥٥} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٤٠) .

^{٥٦} الطبراني ، المعجم الكبير : (١١ / ٢٤٩) .

^{٥٧} الديلمي ، مصدر سابق : (٣ / ٣٩) .

^{٥٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٧ / ٣٩ - ٤٠) .

أستغفر لكم ربي] ، يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة فإن لم تستطع فقم في وسطها فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وآلم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فأحمد الله وأحسن الشاء على الله وصل على وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات وإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ثم قل في آخر ذلك : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني وارحمني أن أتكلف ما لا يعينني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري وأن تطلق به لساني وأن تفرج به عن قلبي وأن تشرح به صدري وأن تغسل به بدني فإنه لا يعينني على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا بإذن الله تعالى والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : فو الله ما مكث علي رضي الله عنه إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس قال : يا رسول الله كنت فيما خلا لا آخذ الأربع آيات ونحوهن فإذا قرأتها على نفسي تفلتن وأنا أنعلم اليوم أربعين آية ونحوها فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن (٥٩) .

قال الطبري : (يقول جل ثناؤه قال يعقوب : سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها في وفي يوسف ، ثم اختلف أهل التأويل في الوقت الذي أخرج الدعاء إليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم فقال بعضهم : أخرج ذلك إلى السحر ، وقال آخرون : أخرج ذلك إلى ليلة الجمعة ، إنه هو الغفور الرحيم ، يقول : إن ربي هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم الرحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها)^{٦٠} ، وقد أشار الحديث إلى استغفار يعقوب عليه السلام لنيه وأنه كان في ليلة الجمعة .

أخرج الحديث : الترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم)^{٦١} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٦٢} .

^{٥٩} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٨٤) .

^{٦٠} الطبري ، التفسير : (١٣ / ٦٤) .

^{٦١} الترمذي ، السنن : (٥ / ٥٦٣) .

^{٦٢} الحاكم ، المستدرک : (١ / ٤٦١) .

ما جاء في قوله تعالى : [حتى إذا استيئس الرُّسُلُ وظنُّوا أنَّهم قد كُذِّبوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بِأُسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] آية : ١١٠ .

(٣٣٢) (أخرج ابن مردويه : عن عروة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله : [حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا] ، قال : قلت : أكذبوا أم كذبوا ؟ قالت عائشة رضي الله عنها : بل كذبوا يعني بالتشديد ، قلت : والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن ، قالت : أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك ، فقلت : لعلها وظنوا أنهم قد كذبوا مخففة ، قالت : معاذ الله لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيئس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك)^{٦٣} .

قال البغوي : (حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، اختلف القراء في قوله : كذبوا ، فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر كذبوا بالتخفيف ، وكانت عائشة تنكر هذا القراءة ، وقرأ الآخرون بالتشديد فمن شدده قال : معناه حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم وظنوا ، أي : أيقنوا يعني الرسل أن الأمم قد كذبوهم تكديبا لا يرجى بعد إيمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة ، وقال بعضهم : معناه حتى إذا استيئس الرسل ممن كذبهم من قولهم أن يصدقوهم وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم استبطاء النصر ، ومن قرأ بالتخفيف قال : معناه حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم وظنوا ، أي : ظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم في وعيد العقاب ، وروي عن ابن عباس أن معناه : ضعف قلوبهم ، يعني : وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر وكانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا ، جاءهم ، أي : جاء الرسل نصرنا ، فنجى من نشاء ، قرأ العامة بنونين ، أي : نحن ننجي من نشاء ، وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة ، فنجى من نشاء عند نزول العذاب وهم المؤمنون المطيعون ، ولا يرد بأسنا عذابنا عن القوم المجرمين ، أي : المشركين)^{٦٤} ، وفي الحديث الإشارة إلى قراءة عائشة رضي الله عنها بالتشديد ، وقد أخرج الحديث الإمام البخاري^{٦٥} .

^{٦٣} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٥٩٥) .

^{٦٤} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٤٥٥) .

^{٦٥} البخاري ، الصحيح : (٤ / ١٧٣١) .

سورة يونس

سورة يونس نزلت بمكة^١، وهي السورة التي يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم ولذلك سميت باسمه عليه الصلاة والسلام^٢، وقد تضمنت السورة أحوال الدعوة والرسالة وكيف خلق الله تعالى السماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار ما يرقق القلوب ويدعوها للإيمان بالخالق سبحانه، وكذلك تضمنت مشاهد من يوم القيامة وأن الرجوع إلى الله، ورؤيا الله عز وجل، وذكرت من هو الرازق ومن هو المحي والمميت عل الناس أن يرجعوا^٣.

(٢٩٧) (أخرج ابن مردويه: عن ابن عباس قال: نزلت سورة يونس بمكة^٣)، وكانت تسمى كذلك السابعة ففي الحديث (عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال: سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه، قال: وكره أن يقدموا عليه المدينة فأتوه، فقالوا له: ادع بالمصحف وافتح السابعة وكانوا يسمون سورة يونس السابعة، فقرأها حتى أتى على هذه الآية: [أفأرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون]، قالوا له، قف أرأيت ما حميت من الحمى آله أذن لك أم على الله تفتري؟ فقال: امضه نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في الصدقة^٤).

ما جاء في قوله تعالى: [أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدام صدقٍ عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحرٌ مبينٌ] آية: ٢.

(٢٩٨) (أخرج ابن مردويه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، فأنزل الله: [أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم] الآية، [ما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم]، الأنبياء: الآية ٧، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشرا فغير محمد كان أحق بالرسالة: [وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم] الزخرف: الآية ٣١، يقولون: أشرف من محمد يعني الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود ابن عمر الثقفي من الطائف، فأنزل الله ردا عليهم: [أهم يقسمون رحمة ربك] الزخرف: الآية ٣٢، الآية^٥).

^١ ابن شهاب الزهري، مصدر سابق: (٢٧)، عبد الرزاق، التفسير: (٢٩٣ / ٢).

^٢ ينظر: الطبري، التفسير: (٧٩ / ١١).

^٣ الشوكاني، فتح القدير: (٤٢١ / ٢).

^٤ البيهقي، السنن الكبرى: (١٤٧ / ٦).

^٥ السيوطي، الدر المنثور: (٣٤٠ / ٤)، الشوكاني، فتح القدير: (٤٢٤ / ٢).

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : أكان عجبا للناس إبحاؤنا القرآن على رجل منهم بإنذارهم عقاب الله على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر فتعجبوا من وحيناً إليه ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، يقول جل ثناؤه : أكان عجبا للناس أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق عطف على أنذر ، واختلف أهل التأويل في معنى قوله : قدم صدق ، فقال بعضهم : معناه أن لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الأعمال ، وقال آخرون : معناه أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة ، وقال آخرون : معنى ذلك أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق ، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال : معناه أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب ، وذلك أنه محكي عن العرب هؤلاء أهل القدم في الإسلام ، أي : هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا فكان لهم فيه تقديم ، ويقال : له عندي قدم صدق وقدم سوء وذلك ما قدم إليه من خير أو شر)^٦ ، وقال البغوي : (قوله تعالى : أكان للناس عجبا ، العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة ، وسبب نزول الآية أن الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا قال المشركون : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا ، فقال تعالى : أكان للناس ، يعني : أهل مكة ، الألف فيه للتوبيخ عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ، يعني : محمدا صلى الله عليه وسلم ، أن أنذر الناس ، أي : أعلمهم مع التخويف ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، واختلفوا فيه قال ابن عباس : أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم ، قال الضحاك : ثواب صدق ، وقال الحسن : عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وقال زيد بن أسلم : هو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال عطاء : مقام صدق لا زوال ولا بؤس فيه ، وقيل : منزلة رفيعة ، وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعتة ، كقولهم : مسجد الجامع وحب الحصيد ، قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ، قرأ نافع وأهل البصرة والشام لسحر بغير ألف ، يعنون : القرآن ، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة لساحر بالألف ، يعنون : محمدا صلى الله عليه)^٧ ، وقال ابن الهائم : (قدم صدق عند ربهم ، يعني : عملا صالحا قدموه ، وقيل : محمد يشفع لهم عند ربهم)^٨ ، وقد أشار الحديث إلى سبب نزول الآية وهو نكران أهل مكة رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وتعجبهم منها ، فكان الرد من الله تعالى بهذه الآية ، وقد أخرج الحديث الطبري^٩ .

ما جاء في قوله تعالى : [والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مُستقيمٍ] آية : ٢٥ .
(٢٩٩) (أخرج ابن مردويه : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم طلعت شمسهُ إلا وكل بجنبتها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا آبت شمسهُ إلا وكل بجنبتها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق

^٦ الطبري ، التفسير : (١١ / ٨١ - ٨٢) .

^٧ البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٤٣) .

^٨ ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٣٠) .

^٩ الطبري ، التفسير : (١١ / ٨١) .

الله كلهم غير الثقلين : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ، فأنزل الله في ذلك كله قرآنا في قول الملكين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم : [والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] ، وأنزل في قولهما : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا : [والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى] إلى قوله : [للعسرى] الليل : ١ - ١٠) .^{١٠}

(٣٠٠) (وأخرج ابن مردويه : عن سعيد بن أبي هلال^{١١} رضي الله عنه قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنه وتلا : [والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] ، فقال : حدثني جابر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : إني رأيت في المنام كان جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه : ضرب له مثلا ، فقال : اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك إنما مثلك ومثل أمك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مآدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك ، فالله هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها) .^{١٢}

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره لعباده : أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها فإن مصيرها إلى فناء وزوال كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلا إلى هلاك وبوار ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ولها فاعملوا وما عند الله فالتمسوا بطاعته فإن الله يدعوكم إلى داره وهي جناته التي أعدها لأوليائه تسلموا من الهموم والأحزان فيها وتأمنا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدها لمن دخلها وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سببا للوصول إلى رضاه وطريقا لمن ركبته وسلك فيه إلى جنانه وكرامته)^{١٣} ، وقال ابن الهائم : (دار السلام الجنة ، ويقال : السلام الله ، ويقال : دار السلامة)^{١٤} .

أخرج الحديث عن أبي الدرداء : الإمام أحمد^{١٥} ، وعبد بن حميد^{١٦} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٧} ، والهيثمي ، وقال : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)^{١٨} .

^{١٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٥٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٤٠) .

^{١١} سعيد بن أبي هلال الإمام الحافظ الفقيه أبو العلاء الليثي مولاهم المصري أحد الثقات ، روى عن نعيم الجمر وعون بن عبد الله بن عتبة والقاسم بن أبي بزة وقتادة وزيد بن أسلم وعمارة بن غزية وأبي بكر بن حزم ونافع وابن شهاب وأرسل عن جابر وغيره ، حدث عنه خالد بن يزيد وعمرو بن الحارث وهشام بن سعد والليث بن سعد ، قال العجلي : ثقة ، مولده سنة سبعين وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة ، وقيل : توفي سنة تسع وأربعين ومائة ، وقيل : مات سنة تسع وثلاثين ومائة ، وقيل : إنه نشأ بالمدينة ، وقد حدث عنه سعيد المقبري أحد شيوخه ، ينظر : العجلي ، مصدر سابق : (١ / ٤٠٥) ، البخاري ، التاريخ الكبير : (٣ / ٥١٩) ، ابن زبر الربيعي ، مصدر سابق : (١ / ٣٢٦) ، الذهبي ، السير : (٦ / ٣٠٣) .

^{١٢} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٥٥) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٤١) .

^{١٣} الطبري ، التفسير : (١١ / ١٠٣) .

^{١٤} ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٣٠) .

^{١٥} الإمام أحمد ، المسند : (٥ / ١٩٧) .

^{١٦} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (١٠٠) .

^{١٧} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٤٨٢) .

^{١٨} الهيثمي ، مجمع الزوائد : (٣ / ١٢٢) .

وأخرج الحديث عن سعيد بن أبي هلال : الحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)^{١٩} .

ما جاء في قوله تعالى : [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قترًا ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون] آية : ٢٦ .

((٣٠١))) (أخرج ابن مردويه : عن صهيب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة] ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم تثقل موازيننا وتبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتزحزحنا عن النار ! قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم) ، (٣٠٢) (وأخرج : عنه رضي الله عنه في الآية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الزيادة النظر إلى وجه الله)^{٢٠} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه فأطاعوه فيما أمر ونهى الحسنى وهي الجنة جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء ، والزيادة عليها النظر إلى الله تعالى)^{٢١} ، وقال البغوي : (قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، أي : للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم هذا قول جماعة من الصحابة منهم : أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة وأبو موسى وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم ، وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي ، وروي عن ابن عباس : أن الحسنى هي أن الحسنه بالزيادة هي التضعيف عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وقال مجاهد : الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة هي التضعيف عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف)^{٢٢} ، وقال ابن الجوزي : (قوله تعالى : للذين أحسنوا ، قال ابن عباس : قالوا : لا إله إلا الله ، قال ابن الأنباري : الحسنى كلمة مستغنى عن وصفها ونعته ، لأن العرب توقعها على الخلة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعته فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرف من جهتها)^{٢٣} ، وقال البيضاوي : (للذين أحسنوا الحسنى ، المثوبة الحسنى ، وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله : ويزيدهم من فضله ، وقيل : الحسنى مثل حسناتهم ، والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر ، وقيل : الزيادة مغفرة من الله ورضوان ، وقيل : الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء)^{٢٤} ، وقال ابن الهائم : (ولا يرهق وجوههم قتر ، أي : غبار ، ويرهق يغشى ومنه قولهم : فلان مراهق ، أي : قد غشاه الاحتلام)^{٢٥} ، وقد ورد في أحاديث

^{١٩} الحاكم ، المستدرک : (٢ / ٣٦٩) ، (٤ / ٤٣٥) .

^{٢٠} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٥٦ - ٣٥٧) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٤١) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١١ / ١٠٣) .

^{٢١} الطبري ، التفسير : (١١ / ١٠٤) .

^{٢٢} البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٥١) .

^{٢٣} ابن الجوزي ، زاد المسير : (٤ / ٢٣) .

^{٢٤} البيضاوي ، مصدر سابق : (٣ / ١٩٣ - ١٩٤) .

^{٢٥} ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٣٠) .

عن : أنس بن مالك وأبي ابن كعب وكعب بن عجرة وأبي موسى و وحذيفة وابن مسعود وابن عباس : أن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل^{٢٦} ، وقد دل حديثا الآية على أن الزيادة هي رؤية الله عز وجل يوم القيامة في الجنة .

أخرج الحديث الأول : الإمام أحمد^{٢٧} ، ومسلم^{٢٨} ، والترمذي^{٢٩} ، والنسائي^{٣٠} ، وابن ماجه^{٣١} ، وأبو عوانة^{٣٢} ، وابن حبان^{٣٣} .

وأخرج الحديث الثاني : عبد الله بن أحمد بن حنبل^{٣٤} ، والشاشي^{٣٥} ، وابن منده^{٣٦} ، وللحديث شواهد كما تقدم .

ما جاء في قوله تعالى : [لهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] آية : ٦٤ .

(٣٠٣) (أخرج ابن مردويه : عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء رضي الله عنه عن قول الله تعالى : [لهمُ البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة] ، فقال : ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت : هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له فهي بشراه في الحياة الدنيا وبشراه في الآخرة الجنة)^{٣٧} .

(٣٠٤) (وأخرج : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : [لهمُ البشرى في الحياة الدنيا] ، قال : هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له)^{٣٨} .

قال الطبري : (يقول تعالى ذكره : البشرى من الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد قيل في البشرى : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة)^{٣٩} ، و

^{٢٦} ينظر : اللالكائي ، مصدر سابق : (٣ / ٤٥٤) وما بعدها .

^{٢٧} الإمام أحمد ، المسند : (٤ / ٣٣٣) .

^{٢٨} مسلم ، الصحيح : (١ / ١٦٣) .

^{٢٩} الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٨٦) .

^{٣٠} النسائي ، السنن الكبرى : (٦ / ٣٦١) .

^{٣١} ابن ماجه ، السنن : (١ / ٦٧) .

^{٣٢} أبو عوانة ، مصدر سابق : (١ / ١٣٦) .

^{٣٣} ابن حبان ، الصحيح : (١٦ / ٤٧١) .

^{٣٤} عبد بن أحمد بن حنبل ، السنة ، تحقيق د . محمد سعيد سالم القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام (١٤٠٦ هـ) : (١ / ٢٤٣) .

^{٣٥} الشاشي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٨٩) .

^{٣٦} ابن منده ، مصدر سابق : (٢ / ٧٧٢) .

^{٣٧} الضياء المقدسي ، مصدر سابق : (٨ / ٢٧٧) ، السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٧٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٥٨) .

^{٣٨} السيوطي ، الدر المنثور : (٤ / ٣٧٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٢ / ٤٥٨) .

^{٣٩} الطبري ، التفسير : (١١ / ١٣٣) .

قال الزهري وقتادة : هي نزول الملائكة بالبشرة من الله تعالى عند الموت ، وقال عطاء عن ابن عباس : البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن من يعرج بها إلى الله ويبشر برضوان الله ، وقال الحسن : هي ما بشر الله المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه (٤٠) ، وقال أبو السعود : قوله عز وجل : لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، تفسيراً لتوليه تعالى إياهم ولا ريب في أن اعتبار القيد الأخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل محل بذلك إذ التحصيل إنما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل إلا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الإخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم أن الأول تفسير للأولياء حسبما شرح والثاني بيان لما أولاهم من خيرات الدارين بعد بيان إنجائهم من شرورهما ومكارههما ، والبشرى مصدر أريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وإيثار الإبهام والإجمال للإيدان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار ، أي : لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة ، أي : عاجلة وآجلة أو من الضمير المجرور ، أي : حال كونهم في الحياة ، ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس ، وأما البشرى في الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرءون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها (٤١) ، وقد نوه رب العزة تبارك وتعالى : أنه لا تبديل لكلماته تعالى فهو أوعدهم بخير البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، قال ابن الهائم : (لا تبديل لكلمات الله ، أي : لا تغيير والتبديل تغيير الشيء حاله ، والإبدال جعل الشيء مكان شيء) (٤٢) ، فلا تغيير لما وعد الله به ، وقد أشارت الأحاديث إلى أن الرؤيا الصالحة هي ما عنته الآية الكريمة من البشرى .

أخرج الحديث عن أبي الدرداء : الحميدي (٤٣) ، وابن أبي شيبة (٤٤) ، والترمذي (٤٥) ، وأبو بكر الإسماعيلي (٤٦) .

٤٠ البغوي ، مصدر سابق : (٢ / ٣٦٠) .

٤١ أبو السعود ، مصدر سابق : (٤ / ١٦٠) .

٤٢ ابن الهائم ، مصدر سابق : (١ / ٢٣١) .

٤٣ الحميدي ، مصدر سابق : (١ / ١٩٣) .

٤٤ ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (٦ / ١٧٣) .

٤٥ الترمذي ، السنن : (٥ / ٢٨٦) .

٤٦ أبو بكر الإسماعيلي ، مصدر سابق : (١ / ٤٢٥) .

وأخرج الحديث عن عبادة : الإمام أحمد^{٤٧} ، وابن أبي شيبة^{٤٨} ، والترمذي^{٤٩} ، والحاكم ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^{٥٠} .

ما جاء في قوله تعالى : [وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرقُ قال آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتُ به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين] آية : ٩٠ .

(٣٠٥) (أخرج ابن مردويه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أغرق الله عز وجل فرعون قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، قال لي جبريل : يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة)^{٥١} .

قال البيضاوي : (وجاوزنا بني إسرائيل البحر ، أي : جاوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافطين لهم ، فأتبعهم ، فأدركهم ، يقال : تبعته حتى اتبعته ، فرعون وجنوده بغياً وعدواً ، باغين وعادين أو للبغي والعدو ، حتى إذا أدركه الغرق ، لحقه ، قال : آمنت أنه ، أي : بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)^{٥٢} ، وقد أشار الحديث إلى هذا .

أخرج الحديث : عبد بن حميد^{٥٣} ، والترمذي ، وقال : (هذا حديث حسن)^{٥٤} ، والطبراني^{٥٥} .

^{٤٧} الإمام أحمد ، المسند : (٣٢٥ / ٥) .

^{٤٨} ابن أبي شيبة ، مصدر سابق : (١٧٣ / ٦) .

^{٤٩} الترمذي ، السنن : (٥٣٤ / ٤) .

^{٥٠} الحاكم ، المستدرک : (٤٣٣ / ٤) .

^{٥١} السيوطي ، الدر المنثور : (٣٨٦ / ٤) ، الشوكاني ، فتح القدير : (٤٧١ / ٢) ، الألوسي ، مصدر سابق : (١٨٢ / ١١) .

^{٥٢} البيضاوي ، مصدر سابق : (٢١٣ / ٣) .

^{٥٣} عبد بن حميد ، مصدر سابق : (٢٢٢) .

^{٥٤} الترمذي ، السنن : (٢٨٧ / ٥) .

^{٥٥} الطبراني ، المعجم الكبير : (٢١٦ / ١٢) .